



يَانِيس رِيْتَسُوس

سُونَاتَا ضُوء الْقَمَر

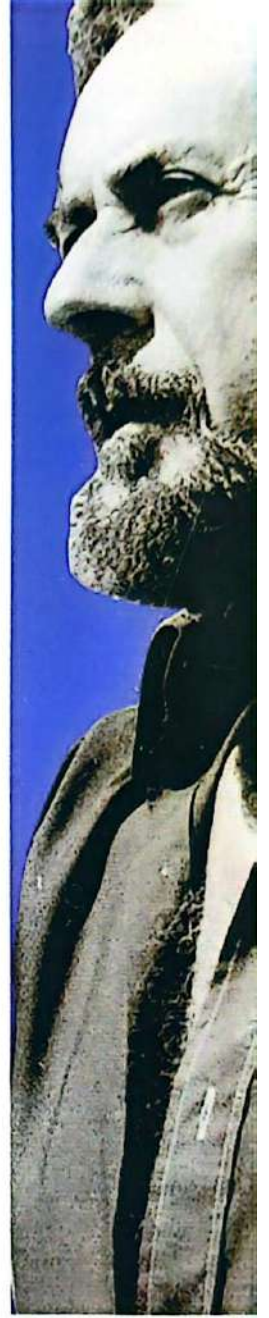
مختارات شعرية شاملة

ترجمة وتقديم : رفعت سلام

ترجمة

ظوا

12



هذه الترجمة هي "أشمل" مختارات شعرية بالعربية من أعمال يانيس ريتسوس، أحد أهم الأصوات الشعرية في القرن العشرين. مختارات تبدأ بـ "إيتافوس" (1936)، وصولاً إلى "في آخر الليل"، ديوانه الشعري الأخير، الذي صدر عقب وفاته (1990).

وبين البداية والنهاية، ترجمة كاملة لعدد كبير من أهم أعماله الشعرية الرئيسية، التي فرضت حضور شعريته على المشهد الشعري العالمي والعربي. قارة شعرية فادحة، ذات تضاريس وأعماق وأبعاد متعددة، تؤسس لقصيدة مضادة لما هو ذهني، تأملي، تمتزج فيها الأسطورة بالتاريخ باليومي الراهن، كأنها تاريخ للروح الإنسانية في أرهف تجلياتها.

ظلال

• منشورات 2021

خطوط وظلال للنشر والتوزيع

الأردن، عمان، جبل الحسين، بناية (20)

ص.ب: 11190، عمان 925220 الأردن

تلفون: +962 79 5746218 - +962 6 4651846

email: dar5otoj@gmail.com

دار خطوط للنشر والتوزيع



9 789923 400142



يانيس ريتسوس
سُونَاتَا ضَوْءِ الْقَمَرِ
(مختارات شعرية شاملة)

[1]

[1]




خطوط وظلال

للنشر والتوزيع

الأردن، عمّان، جبل الحسين، بناية (٢٠)
تلفون: +962 79 5746218 - +962 6 4651846
email: dar5otot@gmail.com
ص.ب: 11190، عمّان 925220 الأردن

سوناتا ضوء القمر - يانيس ريتسوس
شعر - ترجمة رفعت سلام - طبعة جديدة، ٢٠٢١
جميع الحقوق محفوظة ©

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي:  ظلال

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without the prior permission of the Publisher
جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، بأي شكل من الأشكال، إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٢٠٢٠ / ٨ / ٢٨٠٢)

٨٨١

ريتسوس، يانيس

سوناتا ضوء القمر / يانيس ريتسوس: ترجمة: رفعت محمد عوض

عمّان: خطوط وظلال للنشر والتوزيع ٢٠٢٠

(٥٥٠) صفحة

ر.ب.: (٢٠٢٠ / ٨ / ٢٨٠٢)

الواصفات: / الشعر اليوناني // الأدب اليوناني // الأدب المترجم /

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الرقم المعياري الدولي: ISBN: 978-9923-40-014-2

يَانِيس رِيْتَسُوس

سُونَاتَا ضَوْء الْقَمَر

مختارات شعريّة شاملة

الجزء الأوّل

ترجمة وتقديم : رفعت سلّام

هذه الترجمة تم إنجازها ونشرها بموافقة مسبقة من "يannis ريتسوس" نفسه، وفقاً
للخطاب المُرسَل إلى المترجم من دار "كيدروس"، بأثينا، مالكة حقوق نشر أعمال
الشاعر اليوناني الكبير الراحل.
❖ الرسوم الداخلية من أعمال ريتسوس.

5th April, 1987

Mr. Rifaat Sallam,
5 Rue Cheik Mahammad Rifaat,
(Station Myra)
Héliopolis

Dear Mr. Sallam,

It is through Mr. Yannis Kritikos, a friend of your father-in-law that we were informed of your interest in the poetry of Yannis Ritsos. Kedros is the exclusive publisher of Yannis Ritsos in Greece but the foreign rights for the translation of his poems are owned by him and handled by him personally.

He was pleased to hear of your interest in his poems and of your intention to publish a collection of them in arabic. He gives you the right to proceed to such a publication when you are ready. Unfortunately, he never writes introductory notes to his poems and generally avoids to speak about his poetry. On his recommendation, I enclose some material on his life and work which you will find helpful. If you want to contact him, his address is:

39 M. Koraka Street,
Athens. 104 45.

With best regards,

Yours sincerely,

C. Makrinikola

Catherine Makrinikola

رُبَمَا..

لا يريد أن يفلتني، ولا أفلته.

كأن هناك خيطًا سريًا يربطنا معًا، منذ لقائنا الأول، في نهاية الثمانينيات
الماضية، رغم أنف الجغرافيا والزمن. كلما حاولت الابتعاد عنه، أو أدت وجهي
ناحيةً أخرى، شدني دون أن أدري إليه، بخيطٍ من سحر، أو وهم، أو خيال؛
فأمضي مُغمضَ العينين، كمن يمشي في النوم، إليه، من جديد.

كلما قلتُ: كفى!، وتشاغلْتُ بافتعال النسيان، أو إدارة الظَّهر، وجدُّتني
أعود لأراه يحتل مقعدي، هادئًا، مبتسمًا، مفعمًا بيقينٍ ما. بلا كلامٍ، ينظر في
عيني، بلا سؤال، بلا ملام؛ فتنشر الشظايا في جسدي.

لعلنا التقينا عام 1990، أو لم نلتق. لكنه أعرب لي - كتابةً - عن سعادته
بمشروع ترجمتي لقصائده إلى العربية، ومنحني - من خلال دار "كيدروس"
اليونانية التي تمتلك حقوق نشر أعماله - حقوق النشر بالعربية حينما يكتمل
المشروع. لكنني لم أكن أبحث عن "الحقوق"! كنتُ أبحث عنه هو.

كانت العينُ بصيرةً، في ذلك الحين، واليدُ قصيرة. فكيف كان لي أن أعبر
البحر المتوسط بخطوةٍ شاسعةٍ إليه، في يونانه؟ كيف كان لي أن أتغاضى عن

الأبدية التي تسكنه، وتسكن قصائده، فأتوهم- أو أعلل نفسي- بأن الأبد مفتوح لي معه، وأن اليد القصيرة الآن لن تظل قصيرة في الغد؟ كيف كان لي ألا يحدني الزمن والموت، فيختطفه مني قبل أن أحط رجلي في اليونان، أول مرة، بعد عامٍ وحيد من وفاته؟

لكنه كان قد سكتني. فلم يستطع الموت أن يأخذه مني. لم يأخذ الموت سوى العابر منه، المؤقت، الزائل. وتركه لي، عارياً من الأغصان والأوراق الذابلة المصفرة، جوهرياً، شاسعاً وجميلاً.



ظل السؤال مكتوماً يتخبط داخلي دون قدرة على البوح به، أو طرحه: هل يمكن لشاعر يمتلك هذه الرحابة والأعماق الفريدة ألا يكتب قصيدة حب؟ سنواتٍ طويلة من العمل معه، والسؤال سرياً لا يجد إجابته، ولا يريد- في الوقت نفسه- أن يتركني (ربما كان السؤال همّاً شعرياً لي، في ذلك الحين، يشغلني تحقيقه، دون أن أدري كيف؛ ربما). كيف يمكن لشاعر شاهق ألا يكتب عن الحب، عن العشق، عن العلاقة مع المرأة كامرأة، كأنثى؟ أكل هذه القصائد والأعمال بلا امرأة حبيبة، عشيقة؟ كيف؟ هل هذا ممكن، شعرياً؟

وخلال مطاردتي له، عثرتُ- بمصادفةٍ ما عابرة- على "إيروتিকা". قرأتُ العمل في جلسة واحدة. وانتابني حزنٌ عميق وذهول. أحسستُ أنني سُرقتُ على نحوٍ ما؛ في غفلة مني، وخلال النسيان، سُرقت. وها أنذا أكتشف "جسم الجريمة" ولم يكن من سرقني سوى السيد يانيس ريتسوس. فذلك- تحديداً- ما كنت أنوي كتابته، أو ما كنت أفتش عن كتابته، أو ما كنت أحلم بكتابته، في العمل الشعري التالي لي.

فكيف جرى ما جرى؟ لا أدري!

فقد جرى ما جرى!



بيننا تاريخٌ سرِّيٍّ حميم، طويل وعميق، ملتبس ومبهم، في الوقت نفسه، لا يمكن أن يكشف عنه، أو يختصره، أكثر من 600 صفحة منشورة، في السنوات السابقة، من ترجماتي وكتاباتي وتقديمي لأعماله الشعرية المختلفة، هنا وهناك، في القاهرة ومطبوعات بعض العواصم العربية. تاريخٌ لا يختزله المنشور ولا المنطوق. فهل تصلح كلمة "المعايشة" للتقريب؟ ليست "المعايشة" المادية، الشخصية؛ بل "معايشة" أعماق الروح، والتفتيش - أثناء الليل وأطراف النهار لسنوات متتالية - في أسرارها وخبايها، ومساءلة للغامض، الرمادي، الذي يبين، لكنه سرعان ما يتلاشى في مكانٍ ما؛ وتأملٌ طويلٌ، طويلٌ، لسيرته ومسيرته.

تاريخٌ سرِّيٍّ رُوحانيٌّ، مشحونٌ بالأصوات الهامسة والصاخبة، والوجوه المكدودة المتألمة، والكلمات الغريبة والمبتورة، والخطى العرجاء، والأوشحة المتطايرة، والشموس الساطعة والخافتة، ورمال البحر المبلولة، والأساطير الحية الغابرة، وقطرات ندى تسقط على حجر، ومطر يهطل في الماضي، وشجرة عازية في الطريق العام، وسيف صديء تعثر عليه طفلة عابرة، وصمت سيّد يجبرك على ابتلاع الكلمة، وطائر يرفرف في أفقٍ ما (هل هو المستقبل؟)، والموت حاضر كضيف بلا ظل، وشجرة السنديان سامقة، تداعب أغصانها الغيوم، وامرأة تتأمل تجاعيدها في مرآة الطريق، وألف "ربما"، وقد، لكن الأبد أبد.

فمن يكتب سيرة السَّرِّيِّ؟

لا.. أحد.



أما العَلَنِي، فهو للجميع.

كأنه قارةٌ شاسعةٌ ذات بلدان. لكل بلد جغرافيته التي تسكنها شعوب وقبائل. لكل شعب وقبيلة لغةٌ أخرى، وإيقاع وأساطير، وجبال وأودية وسهولٌ، وتاريخ غابر عريق. لكل منهم أحلامه وانكساراته الخبيثة، التي لا يعرف بها أحدٌ إلا في لحظة الهذيان. ولكل حلم وانكسار قصة طويلة طويلة لا تتسع لها الأوراق البيضاء. كل ورقة تعويذةٌ سحرية أو رقية. وكل تعويذة أو رقية وعدٌ بحياة أخرى أبدية.

فمن أين يبدأ الشعر؟ أين ينتهي؟

لا بداية.

لا نهاية.



هو سيد "اليومي". تلك الإيماءة أو الحركة العادية التي تقع - في سهوٍ عنا- كل لحظة، كل يوم.

لكن "اليومي" - لديه - ليس يوميًّا في جوهره؛ ليس الغاية. إنه أداة لما هو أبعد، ما هو أعمق، ما هو أعصى على الإدراك. الأهم أنه ليس "ذاتيًّا" (على نقيض ما يكتبه مَنْ استفادوا منه من شعرائنا العرب، من كُتاب "قصيدة النثر"). إنه يتستر على رؤية "الجوهري"؛ أو ينسج من هذا "اليومي" شبكة لاصطياد "الجوهري"، والإيقاع به، واقتناصه (ما أكثر ما يقع القارئ نفسه في هذه الشبكة، يتخبط في خيوطها الظاهرية، الخارجية، والتماع بعض عُقدِها الملونة، التي لا يرى سواها).

ليس اليومي الذاتي، بل "يومي" العالم: الإنسان البسيط في تفاصيله العادية،

والكائنات في حركتها وإيقاعها شبه السري، والأشياء في حضورها المنسي. فالعالم- لا الذات- هو مركز القصيدة وهدفها؛ والتفاصيل هي شواهد الحضور والفاعلية. أما "الذات"، فهي الفاعل الخفي، الذي يرصد ببصيرته الحركة والإيقاع وتحولات المشهد المتغير، بما يكشف عن أعماقه الغائرة، السرية والدفينة والكامنة والاحتمالية؛ ما لم تره عينٌ أو سمعت به أذن، أو خطر على قلب شاعر من قبل.

فالعادي: هو بطل القصيدة (حتى لو اتخذت سمًا أسطوريًا). والرصد المرهف الدقيق هو الوسيلة التي تكشف فيه المدهش والبكر والمفاجئ. ليس رصدًا عاديًا، تراكميًا، بل أقرب إلى الاكتشاف غير المُعلن، مؤقتًا. ولن نتبين قيمته ودلالته إلا مع النقطة الخاتمة للقصيدة.

ذلك يعني أن بنية القصيدة (مهما كان قصرها) تخاصم العشوائية والاعتباطية؛ بل إن قصر القصيدة يفرض الحدَّ الأقصى من الرهافة والإحكام والعضوية، لتصبح كل جملة- بل كل كلمة- مشروطةً بأن تكون ضروريةً كليًا للسياق، ليحافظ على كثافته وتوتره وصلابته بلا ترهل.

هكذا، تتألى الصور المنتقاة بعناية ورهافة قُصوى، وقد تبدو كل صورة، في ذاتها، مألوفة؛ لكن الانتقاء الدقيق للصور، وتواليها وتراتبها، يخلق أو يكشف فيما بينها، وفيما وراءها، علاقات لم تبصرها العين العابرة، ولم يلمسها الذهن الاعتيادي. وتظل "لحظة التنوير" مرهونةً بالبيت الأخير، الذي يفجر المفاجأة المدهشة (كأن الرصد والتتالي والتراتب السابقين كانوا نوعًا من الاستدراج إلى الفخ الأخير).

شاعرٌ لا يكتب نفسه، أو ذاته "الشخصية"؛ ولا يتخفَّى وراء "الأنا"

الشعرية ليقدم "الذاتي" الحميم باعتباره جوهر العالم؛ ولا تصلح قصيدته أن تكون "سيرة" شعرية ذاتية له. فهو لا يختصر العالم في ذاته، لا يجعل من ذاته مركز الكون، ومعيار الوجود؛ بل إنه ليس مشغولاً أبداً بذاته الشخصية، فيحولها إلى مركزٍ للقصيدة وعالمه الشعري. إنه مشغولٌ دائماً وأبداً بالآخر، باكتشاف العالم، وذلك الجوهرى الكامن وراء تغير التفاصيل الخارجية، والشعري الكامن فيما وراء نثرية الحياة اليومية، والأبدي المتخفي في أشكال وإشارات ومظاهر جزئية عابرة.

فالذات/ الأنا، في القصيدة، تكاد ألا تكون حاضرة؛ فهي متواريةٌ إلى ما يشبه الإلغاء؛ هي، من وراء الصُّور والسطور والفجوات بينها، ذلك المراقب الساهر اليقظ على أشياء العالم (لا أشياء الذات)، دون أن يَرِف له جفن أو يغمض بصر؛ يرصد الإيقاعات والتحويلات الأدق من قدرة البصر على الرصد والالتقاط، فتصبح "البصيرة"/الخيال الفاعل الأساسي في الرؤية والاكتشاف. و"العالم" هنا عالم شاسعٌ حافلٌ بالجغرافيات والتاريخ والتحويلات واللحظات الفاصلة، الذي لا تحيط بأبعاده وأعماقه سوى بصيرة مفتوحة على اتساع 360 درجة؛ تكتنز الماضي، التاريخي والأسطوري والشعبي، وتستوعب الراهن المتلاطم، وتبصر القادم، الحلم (ليس حلماً رومانتيكياً، أو نوعاً من "التفاؤل الثوري" الساذج؛ لكنه حلمٌ من ارتطم بقاع اليأس وتماس مع الموت، فخرج أصلب وأصفى مما قبل، بلا يوتوبيا، أو أوهام).

وحتى قصائده الدرامية- الطويلة- تعتمد نفس المنهجية تقريباً، رغم اتساع مدى الرؤية، وتعددية الأدوات البنائية. فهي- في جوهرها- نسيجٌ متلاحمٌ من تلك التفاصيل المرهفة، واحدةً واحدةً، بلا تجريد أو ذهنية:

كَسْفُوطٍ قُبَعَةٍ رَجُلٍ مَيِّتٍ مِنْ مِشْجَبِهَا فِي مَمَرٍ مُظْلِمٍ،

كُسْفُوطِ الْقُقَّازِ الصُّوفِيِّ الْمُهَيَّرِيِّ عَنِ رُكْبَتِي الصَّصْتِ
أَوْ قُصَاصَةِ ضَوْءِ الْقَمَرِ عَلَى الْمِقْعَدِ الْقَدِيمِ، الْمَبْقُورِ.

لكن تلك القصائد/الأعمال هي التي تُوحِّد- في إهابها- الوجود وتفصيله
المكثفة؛ تُوحِّد التاريخي بالأسطوري، الآني بالماضي، الفانتازي باليومي، الشعري
بالنثري، فتكتشف المجهول من المعروف، والمدهش من المألوف، وتقدم قراءتها
الفريدة للعالم وتاريخ الكون. هكذا، يقول "أوريست" و"أجاممنون" و"هيلين" ما
لم يقلوه من قبل، لأنهم- في أعماله- يخرجون من صورتهم القديمة لي طرحوا
الأسئلة الراهنة، العصية (لا يتخلون تماماً عن ذواتهم الأسطورية السالفة؛ بل
يصبحون قابلين- في تمولهم الجديد- للإحالة إلى الراهن؛ حيث تتخفي- تحت
الملامح الأسطورية- علامات الاستفهام التي يطرحها وعي القرن العشرين
متعدد الطبقات). إنها أعمالٌ متعددة الطبقات، متعددة الأبعاد، متعددة
الآفاق، بلا انتهاء.

ورغم انتمائه- حتى اليوم الأخير من حياته- إلى الحزب الشيوعي اليوناني،
إلا أن قصيدته لا تنتمي إلى "السياسي" بمعناه الدارج لدينا، التحريضي،
الخطابي، التمجيدي، المباشر، بأي معنى. فـ"السياسي" غائرٌ في أعماق القصيدة،
إلى حدٍّ ألا تكاد تدركه العين، ولا تدركه سوى البصيرة الرهيفة. كما أنه ليس
"السياسي" العابر، المعبر عن لحظة- أو مناسبة- مارة؛ بل هو أقرب إلى
استخلاص "جوهر" تلك اللحظة العابرة فيما يتجاوزها، لتصبح مناسبة- من
جديد- لاكتشاف بعض أبعاد الوجود الإنساني وتجلياته، بعض أبعاد الألم
والحلم والطاقة على الاحتمال والتجاوز.

قصيدة متحررة من وطأة اللحظة الراهنة، حتى لو كانت تلك اللحظة أحد
حوافز القصيدة؛ فليست ردًّا فعل أو أداة (ليست- بالتالي- قصيدةً استعماليةً،

أو خطابية، في هذه المناسبة أو تلك، على هذا المنبر أو ذاك، رغم أنف لحظة
كتابتها، أو "المثير" المؤقت، العابر).
هي القصيدة.



خلال ترجمة هذه الأعمال، اكتشفت عددًا من القصائد القصيرة التي سبق
أن ترجمتها في كتابي السابقين: "اللذة الأولى" و"البعيد"، من مصادر مختلفة^[١].
وقد فضلت إعادة ترجمتها، بدلاً من استبعادها؛ فهي - هنا - تقع في سياقها
الخصوصي، الحميم، بانتمائها إلى ديوانها المحدد، ضمن تجربة ريتسوس الشعرية،
مترامية الأطراف؛ بدلاً من وضعيتها السابقة ضمن السياق العام فحسب
للتجربة، بشكل عام؛ فضلاً عن أن قارئ الكتاب الحالي قد لا يتوفر له الاطلاع
على الكتابين السابقين، والتعرف - بالتالي - على هذه القصائد. كما أن عدد هذه
القصائد ليس كبيراً..

[١] يانيس ريتسوس: اللذة الأولى (مختارات شعرية)، الملحقية الثقافية اليونانية، القاهرة
1992؛ دار الينابيع، دمشق 1997. ويضم 117 قصيدة من القصائد القصيرة، وعملاً
شعرياً درامياً كاملاً هو "البيت الميت".

يانيس ريتسوس: البعيد (مختارات شعرية شاملة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة
1997. ويضم 56 قصيدة قصيرة، مع 11 عملاً شعرياً كاملاً: "أغنية أختي"، "مسيرة
المحيط"، "روميوسيني"، "أوردست"، "18 أنشودة عن الوطن المرير"، "أقواس 1946-
1947"، "أقواس 1950-1961"، "البعيد"، "دمار ميلوس"، "حجرة البواب"، "الجسد والدم".
ويجوي الكتابان سيرة ذاتية وشعرية تفصيلية.

وجميع الهوامش والتعليقات الواردة بالكتاب الحالي من إعداد المترجم.

وقد اعتمدتُ- في ترجمتي لهذه الأعمال على مصادر أساسية:

Yannis Ritsos, **Le mur dans le miroir et autre poèmes**, traduit du grec et présenté par Dominique Grandmont, nrf, Gallimard, 2001.

Yannis Ritsos, **Tard, bien tard dans la nuit**, derniers poèmes, traduit par Gérard Pierrat, Le TEMPS DES CERISES, 1995.

Yannis Ritsos, **Selected Poems 1938-1988**, edited and translated by Kimon Friar and Kostas Myrsiades, BOA Editions Ltd., Brockport, N. Y. 1989.

<http://yannisritsos.blogspot.com.eg/>

Yannis Ritsos, **Epitaphios**, translated by Rick M. Newton, **Journal of the Hellenic Diaspora**, vol XIII, nos 1-2, spring-summer 1986.

Yannis Ritsos, **LATE INTO THE NIGHT**, The Last Poems of Yannis Ritsos, Translated by Martin McKinsey, Oberlin College.

بهذا العمل، أختتم رحلتي الطويلة مع أعمال يانيس ريتسوس، التي بدأت في منتصف ثمانينيات القرن الماضي؛ تلك الرحلة التي أسفرت- في حصيلتها الأخيرة- عن تقديم النصوص الكاملة لما هو أكثر بكثير من واحد وعشرين عملاً شعرياً لريتسوس، من أهم أعمال مسيرته الشعرية منذ البدايات، حتى ديوانه الأخير الصادر بعد رحيله: "إبيتافوس" (1936)، "أغنية أختي" (1937)، "مسيرة المحيط" (1940)، "سوناتا ضوء القمر" (1956)، "أقواس" (1946-1947)، "أقواس" (1950-1961)، "البيت الميت" (1962)، "شجرة السّجن والنساء" (1963)، "اثنتا عشرة قصيدة إلى كفافيس" (1963)، "فيلوكيتيت" (1965)، "روميوسيني" (1966)، "أوريدست" (1966)،

"أجامنون" (1966-1970)، "هيلين" (1972)، "ثماني عشرة أنشودة قصيرة
للوطن المرير" (1973)، "دَمَار مِيلُوس" (1974)، "البعيد" (1977)، "الجسد
والدم" (1978)، "إيروتيكًا" (1981)، انتهاءً بديوانه الأخير- "آخر الليل"-
الذي صدر بعد وفاته بعام.

أما أعماله الشعرية الأخرى، فقد منّا منها مختارات شاملة، تقارب- في بعض
الحالات- الترجمة الكاملة لأعمال أخرى، تضم المئات من القصائد القصيرة،
التي تمثل مراحلها الشعرية المختلفة.

ولم يكن ممكناً- بأية حال- تقديم أعماله الشعرية "الكاملة"، إذ تتجاوز
المائة عمل، وهو ما عجز عنه المترجمون في لغات العالم الأخرى. وبمكّم
اطلاعنا على ما أنجزه مترجمو الإنجليزية والفرنسية من أعمال ريتسوس،
فيمكننا القول- بلا مبالغة- إن أعمالنا الثلاثة المنشورة، الخاصة بشعر
ريتسوس، لتتجاوز بكثير، فيما احتوته من ترجمات لنصوصه الشعرية، ما أنجزه
مترجمو الإنجليزية مجتمعين من أعماله لقراء الإنجليزية، فضلاً عما قدمه
مترجمو الفرنسية مجتمعين إلى القارئ الفرنسي. وهو ما لا بد أن يُشعر المرء بنوع
من الفخر، وخاصةً أن مصاعب الترجمة التي يعانها المترجم المصري والعربي لا
يعانها مترجمو اللغات الأخرى، وخاصةً الإنجليزية والفرنسية.

مرسى مطروح: سبتمبر 2017

يانيس ريتسوس: قائمة الأعمال الكاملة

أصدرت دار كيدروس اليونانية طبعة الأعمال الكاملة ليانيس ريتسوس - بعد رحيله - في 15 جزءًا، تقع في 254ر6 صفحة .

جرارات (1934)، أهرامات (1936)، إبيتافيوس (1936)، أغنية أختي (1937)، سيمفونية الربيع (1938)، مسيرة المحيط (1940)، مازوركا قديمة على إيقاع المطر (1943)، محاولة (1943)، رفيقنا (1945)، الرجل ذو القرنفلة (1952)، سهر (1954)، نجمة الصباح (1955)، سوناتا ضوء القمر (1956)، جيران العالم (1957)، الكسندر بلوك: الاثنا عشر، ترجمة (1957)، تأريخ (1957)، وداعًا (1957)، الإبريق (1957)، شفافية الشتاء (1957)، حين يأتي الغريب (1958)، مدينة غير خاضعة (1958)، معمار الأشجار (1958)، فيما وراء ظل أشجار السرو، دراما (1958)، المرأة العجوز والبحر، دراما (1959)، امرأة بجوار البحر، دراما (1959)، التافذة (1960)، الجسر (1960)، مختارات الشعر الروماني، ترجمة (1961)، القديس الأسود (1961)، قصائد-1 (1961)، قصائد-2 (1961)^[1]، البيت الميت (1962)،

^[1] يتضمن المجلد الأول أعمالاً سابقة: جرارات، أهرامات، محاولة، إبيتافيوس، أغنية أختي، سيمفونية الربيع، مسيرة المحيط، ملاحظات على هوامش الزمن، مازوركا قديمة على إيقاع

تحت ظلّ الجبل (1962)، شجرة السجن والنساء (1963)، شهادات 1- (1963)، أتيليا جوزيف: قصائد، ترجمة (1963)، اثنتا عشرة قصيدة إلى كفافيس (1963)، ألعاب السماء والماء (1964)، قصائد 3- (1964)^[*]، فلاديمير ماياكوفسكي: قصائد، ترجمة (1964)، فيلوكتيت (1965)، دورا جيب: أنا، وأمي والعالم، ترجمة (1965)، روميوسيني (1966)، شهادات 2- (1966)، أوريست (1966)، ناظم حكمت: قصائد، ترجمة (1966)، إيليا اهرنبورج: الشجرة، ترجمة (1966)، نيقولا جيين: حديقة الحيوان الكبيرة، ترجمة (1966)، مختارات الشعراء التشيك والسلوفاك، ترجمة (1966)، أوسترافا (1967)، كريستوثيميس (1972)، هيلين (1972)، إسمين (1972)، عودة إيفيجيني (1972)، البعد الرابع (1972)، أحجار، تكرارات، حُدود (1972)، إيماءات (1972)، ثماني عشرة أنشودة قصيرة للوطن المرير (1973)، مهرجان وغار (1973)^[**]، المر والسّلام (1973)، نجرانجانا (1973)، الزّمن المتحرّج (1974)، وعاء طينيّ داخن (1974)، دراسات، نقد (1974)، دمار ميلوس (1974)، الحائط في المرأة (1974)، بُرج الكنيّسة (1974)، قصائد ورقيّة (1974)، تربيمة ومرثية لقبرص (1974)، القرن الأخير قبل الإنسان (1975)، حاشية للمديح (1975)، يوميات المنفى (1975)، حاملو الأخبار (1975)، في الوقت المناسب (1975)، سيّدة الكروم

المطر، القرن الأخير قبل الإنسان. ويتضمن المجلد الثاني أيضًا أعمالاً سابقة: سهر، إزاحات،

أقواس - 1، إناء طيني داخن، مدينة غير خاضعة، نجمة الصباح، الإبريق.

^[*] يتضمن المجلد أعمالاً سابقة، بعضها غير منشور: صفيح القطار، تخطيطات، اختبار

عام، الوداع، الجسر، ملحق، تدريبات، إنسان ليديشي الأول والأخير، شهادات 1-

^[**] من ديوان "تكرارات".

(1975)، قصائد 4- (1975)، عُرقَة البَوَّاب (1976)، ليو تولستوي: العَنزَةُ
المشاكِسة، ترجمة (1976)، مُلائِم (1977)، البَعِيد (1977)، المِيسْبَار
(1978)، المدخَل (1978)، شُرْطِي المُرور (1978)، مُلصَقُ الإِعلانات
(1978)، نِساء مُونِمْفاسِيا (1978)، الجِسدُ وَالِدَم (1978)، الرَّائِعَةُ البِشْعَة
(1978)، يِراعَةٌ تُضِيءُ اللَّيْل (1978)، فيدِرا (1978)، إِذْن؟ (1978)، جِرسُ
الباب (1978)، حَرَنِشَةُ الأَعْمَى (1979)، حُلْم نهارِ صَيْف (1980)، شَارِعُ
جَانِبِي (1980)، شَفافِيَة (1980)، أوتارٌ منفردة (1980)، إِيروْتيكا (1981)،
أغْنِياتٌ مُشترَكَة (1981)، سيرجي إيسينين: قصائد، ترجمة (1981)،
أريوستوس الواعي يحكي لحظاتِ حَيَاتِهِ ونَوْمِهِ، رواية (1982)، مَكْتوم
(1982)، مُونوفاسِيا (1982)، ثَلَاثِيَة إِيْطالِيَة (1982)، جُوقَة غَوَاصِي الإسْفِنج
(1983)، تِريزِياس (1983)، يَا لَهَا مِنْ أَشْيَاء غَرِيبَة، رواية (1983)، تَمائِيل
صَغِيرَةٌ لِتَناجِرًا (1984)، أَغْنِياتُ النَّصر (1984)، يَا لَهَا مِنْ وَكَزَة كُوع، رواية
(1984)، رُبما كَانَتْ أَيْضًا بِهَذِهِ الطَّرِيقَة، رواية (1985)، الرَّجُل العَجُوز مَعَ
طَائِرَاتِ الوَرَق، رواية (1985)، لَأ مِنْ أَجْلِكَ وَحَدِكَ، رواية (1985)، مَخْتومٌ
بِابْتِسامَة، رواية (1986)، أَسئَلُهُ مُتلاشِيَة، رواية (1986)، أريوستوس يرفض
القَداسَة (1986)، 111 X 3 مَقطَعًا (1987)، تَوافِقَات (1987)، أَقواس-2
(د.ت.)، أَقواس-3 (د.ت.)، فِي آخِرِ اللَّيْل (1991).



لوي أراجون
تحيّةً إلى ريتسوس

في فبراير 1949، في صفحة "لجنة الكتاب الفرنسيين"، التي اعتادت
"الأدب الفرنسية Lettres Françaises" أن تصدرها في ذلك الحين، تم تقديم
الشاعر اليوناني يانيس ريتسوس إلى قرائنا بقصيدة طويلة له بعنوان "رسالة إلى
فرنسا"، ترجمها نيوكليس كوتوزيس.

[...][*]

ومنذ ذلك الحين، لم نسمع شيئاً آخر من الشاعر- إلى أن ظهر له كُتيب أتى
لنا بأخباره. لم يكن هذا الكتيب سوى "سوناتاً ضوء القمر"، الذي تلقيناه
بترجمة أليكوس كاراتزاس، والذي يُنشر الآن. والشاعر موجود في أثينا الآن،
يعيش كشخص حُر. وهو في التاسعة والأربعين من عمره، وفي هذا النص الأدبي
يمكننا أن نرى شاهداً على عظمته الطبيعية. ولا بد لنا من تحيته، إذ يستحق-
عن حق- ويجهّر بها من أعالي الأعالي: إنه واحد من العظماء، واحد من أكثر
شعراء عصرنا روعة. وبقدر ما يخصني، على الأقل، فقد مر زمن طويل على آخر
مرة أثارني فيها الصدمة العنيفة للعبقرية. وأنا مدركٌ تماماً أن هذه الكلمة

[*] الفقرة المحذوفة تتضمن معلومات ببليوجرافية عن الشاعر، ونفيه آنذاك ببعض الجزر
اليونانية، من قبل السلطات الديكتاتورية الحاكمة.

ليس لها أن تُنطق أبداً، فضلاً عن أن تُكُتَب، لكني لا أستطيع إيقافها. فلن أراجع عنها.

وفيما يتعلق بالقصيدة المعنية، التي نُشرت في ديسمبر 1956، كتب إليّ المترجم أنها "تعبّر عن المأزق الذي وقعت فيه النزعة الفردية والحضارة البرجوازية برمتها".

وأتصور أنه، بعد الكثير من العمل الشاق والحب في ترجمتها، يخبرني بذلك من أجل التوفيق بيني كقارئ، كما أنا، وبين القصيدة. وفي النهاية، فإنني أعرف أنني - في هذه المناسبات، حين أقرأ هذه القصيدة إلى أصدقاء قد يكونون بحاجة إلى ملاحظة تمهيدية معينة قبل أن يتمكنوا من ترك أنفسهم للإعجاب بها لكنني سهوت عن تقديم هذه الملاحظة - قد لاحظتُ نظرة ذهول في عيونهم، نوع من الاضطراب الذي يحدث للناس حين لا يعرفون إلى أين ينقادون. وقد أخبروني أن القصيدة قاتمة وصعبة وأنها قد تناسب بالفعل نمطاً مغايراً من المجلات لا "الآداب". ولم أسمح لهذه الملاحظات بأن تستوقفني. ربما كنت مخطئاً في إبداء الكثير من الإيمان بقراء "الآداب الفرنسية"، لكني لا أعتبرهم قادرين على قراءة أنماط معينة فحسب من الشعر، أو - على الأقل - الشعر المصحوب بتوصيات صريحة تمنح المشروعية لتحمسهم له.

أكانت نية ريتسوس بالفعل أن يكشف عن مأزق النزعة الفردية والحضارة البرجوازية؟ لا أدري. فأتصور أنه يمكن إدراك الـ "سوناتا" على ضوء قمر مثل هذا التأكيد، لأنه يمكن العثور عليه ببساطة. وهو ما يُذكرني بالطريقة التي فسّر بها ميشليه Michelet لوحة "طوف ميدوزا" *Radeau de la Méduse (The Raft of the Medusa)* ، حين رصد أن ما عرضه

جيريكو Gericault في الرسم إنما هو فرنسا عشية الإحياء Restoration^[7]؛ وهو ما يورد إلى الذهن أيضًا تفسير برودون Proudon للوحة كوربيه "العودة من المعرض (*Retour de foire* (Return from the Fair))"، التي يرى فيها تاريخ المجتمع كله في ظل حُكم لوي-فيليب. ولهذا، فليس مقصوراً على الوقت الراهن أن يبحث هؤلاء الشغوفون بالسياسة عن علاقة أعمق بين ما يعجبون به ومعتقداتهم، بنجاح متفاوت غالبًا.

فلتُبْرر، بَرَّر... مَنْ يَجْرُو على قول إن مثل هذا التوجه لا ينبع من شعور جدير بالثناء؟ وسأضيف أن هذا النمط من التفسير أحيانًا ما يساعد بالفعل العمل الفني، سواء كان لوحة، أو قصيدة، أو حوض غسيل؛ فلا بد أن ندرك أنه يؤدي دوره بفضل القصد الفعال للمُنظِّر لبناء جسر بين العمل الفني وأولئك الذين تنتابهم الحيرة إزاءه. ولهذا السبب بالتحديد، في الغالب، فمثل هذه التفسيرات ذات قيمة ما، بل أحيانًا ما تنتشر. وعلينا أن نراها كصور شعرية، لكن دون أن نأخذ تأويلاتها، مع ذلك، بجدية بالغة؛ ففي النهاية، كان مستحيلًا - بالنسبة لميشليه- ألا يدرك فرنسا في الـ"طوف"، وصورته هي صورة شاعر، وأنا أحيي ذلك الشاعر الكامن فيه. لكن أن نأخذ التفسير بجدية، أن نصدق أن رسم جيريكو إنما يصور فرنسا في ظل "الإحياء"، فهو ما سيكون حماقة. فعلى هذا النحو، فإننا سنخضع مع ذلك من جديد لما يُدعى، عن حق، النزعة الاجتماعية المبتذلة.

^[7] لوحة للفنان الفرنسي الروماني تيودور جيريكو Gericault (1791-1824). وقد أصبحت اللوحة أيقونة الرومانتيكية. وهي تصور اللحظة التالية لتحطم الفرقاطة الفرنسية "ميدوزا"، ولجوء نحو 150 من بحارتها إلى طوف للنجاة، دون أن ينجو منهم إلا حوالي 15 شخصًا، بعد 13 يومًا من تحطم التخبط في البحر..

والآن، أود ببساطة أن أضع "السوناتا" على القرص الدوّار، وأخلق حولكم الصمت الملائم حيث ستنبثق الأغنية، حيث سينتشر ضوء القمر - ضوءٌ ليس بـ"ضوء القمر الهادئ الجميل" لفيرلين، نمط الضوء المناسب للنافورات أو الأفتنة، ولا للعبة الأبيض والأسود الهندسية في الموسيقى الحديثة، "بييرو في ضوء القمر" الألمانية[*].

ففي هذه الليلة الربيعية، متى كانت "امرأةٌ عجوز، ترتدي ملابس سوداء، تتحدث إلى شاب"، هي الطبقة البرجوازية؟ أتلك هي النزعة الفردية؟ فما يفتنني شخصياً هو أن التيارات المناسبة - مترافقةً مع وهج الليل خلال النافذتين - ليست وجوه "احتفالات غزلية" [**]، ولا الأشباح التي تراود ماكبث، ولا العالم غير الواقعي للجنيات والحان، بل المدينة الأسمنتية الخيالية، المطلية بالبياض "في ضوء القمر".

عند هذه النقطة، فالمعنى المزدوج للصورة لا يتحقق من خلال استخدام "كلمات شعرية"، باللجوء إلى المخزون الموثوق من الأشياء النبيلة. إنه المقعد الوثير منزوع الأحشاء في الغرفة، أو الحذاء ذو الكعب البالي الذي تم أخذه إلى الإسكافي منذ شهر، أو - من جديد - الآنية المعلقة على حائط المطبخ، "ملتمة كعيون مستديرة كبيرة لسمكة مستحيلة..."

[...] وَعِنْدَمَا رَفَعْتُ الْكُوبَ عَنِ الْمَائِدَةِ

تَبَقَّتْ تَحْتَهُ فَجْوَةٌ صَمْتٍ، وَأَعْظَمْتُهَا بِيَدِي

[*] ميلودراما أوبرالية للموسيقار الألماني أرنولد شوينبيرج؛ متتالية للأصوات الأوبرالية والبيانو، تعتمد سلسلة من نصوص الشاعر البلجيكي البرت جيرّو.
[**] عنوان لديوان الشاعر الفرنسي بول فيرلين، ويضم قصيدة "ضوء القمر" التي يشير إليها أراجون.

حَتَّى لَا أَحَدُّقَ دَاخِلَهَا- أُعِيدُ الْكُوبَ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ جَدِيدٍ،

فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِي هَذَا الشَّعْرُ؟ وَهَذِهِ الْقَشْعَرِيَّةُ، مِنْ أَيْنَ تَنْبَعُ؟ مِنْ مَكَانٍ تَلْعَبُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ، مِنْ قَبِيلِ مَا هِيَ عَلَيْهِ، أَدْوَارَ الْأَشْبَاحِ، حَيْثُ يَجِدُ هَامِلَتُ يُونَانِي نَفْسَهُ وَجَهًا لَوَجْهِهَ لَا مَعَ الْمَلُوكِ الْمَوْتَى مَرَّةً أُخْرَى، وَلَا أُوْدَيْبِ جَدِيدٍ مَعَ أَبِي الْهَوَلِ مَرَّةً أُخْرَى، بَلْ مَعَ أَشْيَاءٍ مَعْهُودَةٍ بِصُورَةٍ خَادِعَةٍ وَ"قُبَعَةَ رَجُلٍ مَيِّتٍ تَسْقُطُ مِنْ مِشْجَبِهَا فِي مَمَرٍ مُظْلِمٍ".

وثمة، في هذا الشعر، صخب البحر المتوسط كبحر بلا مدّ وجزر. وأجول فيه مثلما في أية رحلة أخرى لـ دي مارسيلوس باليونان^[*]، التي لم تعد "يونان" بايرون ولا ديلاكروا، بل "يونان" متأخية مع صقلية بيرانديلو ودي شيريكو، حيث الجمال ليس جمال الرخام المبتور، بل جمال إنسانية مشطورة- والشاب، لدى مغادرته المرأة العجوز، يقول إن ذلك صحيح، وهو يفك أزار قميصه على صدره القوي: "انحطاط حقبة..." كنت بحاجة إلى هذه الكلمات، فهذه الكلمات كافية لي لأراه حيًّا (في هذه النقطة، يبدو تعليق المترجم مبررًا، لو، بالطبع، كان ثمة أية حقيقة في الإيمان بأن عبرة الحكاية تفسر حماقة الراوية التي تضع ثعلبًا وطائر لقلق جنبًا إلى جنب).

إننا نجاهد لفهم الأشياء من خلال التماثل. وربما كان ذلك السبب في احتياجنا للكلام عن صقلية، بالرغم من أن اليونان كان ينبغي أن تكون كافية، لأن ليلة أخرى كهذه، في بلد لم أضع قدمًا عليها إطلاقًا، ستؤكد لي الطبيعة الواقعية تمامًا لهذه الليلة، بالإضافة إلى أن جهلي باليونان ليس أقل اكتمالًا من جهلي بصقلية.

[*] هو الكونت دي مارسيلوس (1795-1865)، وهو دبلوماسي وأديب، كتب وصفًا لرحلته باليونان.

ولهذا، فسير الشعر إنما يكمن داخل الشعراء أنفسهم، ولأنني، حتى هنا، بحاجة إلى المقارنة، دائماً المقارنة، ولا شيء سوى المقارنة، فإنني أرى في ريتسوس - بأكثر مما لدى شيكسبير أو أيسخيلوس - أن ثمة إلهاماً غريباً أعرفه جيداً، صدّى لشاعر صوفي ترن تنغيماته الصوتية في أذني. ويأتي صوت لوتريامون ليللم هذه المقدمات. وباقتباس من لوتريامون أرحب الآن بريتسوس، وأرجوه أن يجلس إلى جوار لوتريامون، مع "سوناتاً"، وسيكون لقاءً جميلاً، كلقاء ماكينة خياطة ومظلة، ضمن الشعراء الذين ينعمون بالحق في الضحك في ضوء القمر في الليل - بضحكة "صاخبة لا يمكن كتبها" كالحياة ذاتها.



نُشر هذا المقال، برفقة الترجمة الكاملة لنص "سوناتاً في ضوء القمر" لريتسوس في المجلة الفرنسية "الآداب الفرنسية" *Lettres Françaises*، التي كان يصدرها لوي أراجون (العدد 660، 28 فبراير 1957). ولم نستطع العثور على النص الأصلي للمقال (بالفرنسية)، فقمنا بترجمته عن الإنجليزية.

إبیتافیوس

(1936)

في مايو 1936، شل إضراب عمال الدخان مدينة
"ثيسالونيكى". تدفقت المظاهرة، والأوامر مشددة لدى بوليس
"ميتاكساس": إطلاق الرصاص بلا إنذار. ومع ضربة الذهول،
يسقط من الحشد ثلاثون قتيلاً وأكثر من ثلاثمائة من الجرحى.
كانوا بداية قائمة طويلة من الشهداء. وفي اليوم التالي، نشرت
صحيفة الحزب الشيوعي اليومية "ريزوسباستيس"، في صفحتها
الأولى، صورة أم تررع وسط شارع أمام جثمان ابنها القتل.
اشترى ريتسوس الصحيفة، وعاد بها إلى مسكنه في غرفة
السطوح المفروشة بسرير حديدي وكرسي وحقيبة. اعتكف
طوال يومين وليلتين. وفي صباح اليوم الثالث، كان بين يديه
قطعة حية من دمه: "إبیتافیوس" التي تتكون من عشرين

نشيدًا جنائزيًا للأم، والتي خلّصت ريتسوس - بضربة واحدة -
من الشكلية والتعليمية اللتين سادتا عمليه السابقين
("جرّارات" (1934)، و"أهرامات" (1936)). خيِّط من
السخرية، ولا خطابية. غنائية عارية، من لحم ودم، من خلال
لغة مألوفة وثرية في الوقت نفسه. غنائيةً مشدودةً إلى الذاكرة
الجمعية بوشائجها الشعورية بالغناء العامي، والأسطورة الوثنية،
والطقس الأرثوذكسي، في آن.
نُشرت "إبيتافْيوس" في شكل متتالية شعرية بجزيدة
"ريزوسبَاسْتيس"، ثم في كُتيب من عشرة آلاف نسخة (رقم
استثنائي لمثل هذا العمل) [*].
وكلمة إبيتافْيوس Epitaphios،
Ἐπιτάφιος، epitáphios، or Ἐπιτάφιον، تعني "خطبة
جنائزية"، أو "نقش على ضريح".

[*] يانيس ريتسوس: اللذة الأولى، ترجمة وتقديم رفعت سلام، الطبعة الأولى، الملحقية
الثقافية اليونانية، القاهرة 1992.

[I]

يَا وَلَدِي ، يَا لَحْمِي وَدَمِي ، يَا قَلْبَ قَلْبِي ،
يَا عُصْفُورَ فِنَائِي الْفَقِيرَ ، يَا وَرْدَةَ صَحْرَائِي ،

كَيْفَ أُغِمِضْتَ عَيْنَاكَ فَلَا تَرَانِي أَبْكِي ،
لَا تَتَحَرَّكَ أَوْ تَسْمَعُ كَلِمَاتِي الْمُرِيرَةَ ؟

أَنْتَ ، يَا وَلَدِي ، مَنْ يُدَاوِي كُلَّ آلَمِي
وَيُخَمِّنُ كُلَّ فِكْرَةٍ تَخْطُرُ بِبَالِي ،

أَفَلَنْ تُوَاسِينِي وَتَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ ،
وَلَنْ تَتَخَيَّلَ الْجِرَاحَ الَّتِي تَنْهَشُ لَحْمِي ؟

أَنْتَ ، يَا عُصْفُورِي ، مَنْ تَأْتِي لِي بِالْمَاءِ فِي رَاحَةِ كَفِّكَ ،
فَكَيْفَ لَا تَرَانِي أَلْظُمُ صَدْرِي وَأُرْتَعِدُ مِثْلَ قَصَبَةٍ ؟

[27]

هُنَا وَسَطَ الشَّارِعِ سَأْتُرُكَ شَعْرِي الْأَبْيَضَ يَهْوِي
وَيُعْطِي زَنْبَقَةَ قَوَامِكِ الدَّائِيَةَ .

أَقْبَلُ شَفَتِكَ الْغَلْجِيَّةَ ، وَهِيَ صَامِتَةٌ ،
مَضْمُومَةٌ بِإِحْكَامٍ ، كَأَنَّهَا غَاضِبَةٌ مِنِّي .

لَا تَتَكَلَّمُ مَعِي ، وَأَنَا ، التَّعْيِيسَةُ ، أَفْتَحُ صَدْرَ ثَوْبِي - انْظُرْ !-
وَفِي ثَدْيِي اللَّذِينَ أَرْضَعَاكَ ، يَا وَلَدِي ، أَغْرِسُ أَظْفَارِي .

[II]

يَا تَاجِي ، يَا سَنَدِي ، يَا بَهْجَةَ شَيْخُوحَتِي ،
يَا شَمْسًا فِي أَغْوَارِ الشِّتَاءِ ، يَا سَرُويَ المَشُوقِ ،

كَيْفَ تَرَكَتَنِي لِأَرْحَفٍ وَأَعَانِي وَحِيدَةً ،
بِلَا رَشْفَةٍ أَوْ قَطْرَةٍ مَاءٍ ، بِلَا ضَوْءٍ أَوْ وَرْدَةٍ أَوْ حَبَّةِ قَمْحٍ ؟

بِعَيْنَيْكَ الْحَبِيبَتَيْنِ سَأَرَى كُلَّ زُهُورِ الْحَيَاةِ ،
بِشَفَتَيْكَ الْحَبِيبَتَيْنِ سَأُعْنِي أُغْنِيَةَ الصَّبَاحِ .

بِذِرَاعَيْكَ الْحَبِيبَتَيْنِ ، اللَّتَيْنِ دَاعَبْتُهُمَا آلَافَ المَرَّاتِ ،
سَأَعَانِقُ الأَرْضَ كُلَّهَا ، وَكُلَّ شَيْءٍ كَانَ لِي .

كُنْتُ أَسْتَمِدُّ الشَّبَابَ مِنْ شَبَابِكَ ، وَكُنْتُ لَا أَزَالُ أَضْحَكَ بِدَاخِلِي .
فَلَمْ تُخْفِنِي الشَّيْخُوخَةَ . وَكُنْتُ أَتَجَاهَلُ الْمَوْتَ .

وَالآنَ أَيُّ مَكَانٍ سَيَضُمُّنِي ، أَيَّنَ سَأَقِفُ ، أَيُّ مَكَانٍ سَيُؤْوِينِي ؟
فَقَدْ بَقِيَتْ شَجَرَةٌ ذَاوِيَةٌ فِي حَقْلِ مُغَطَّى بِالثُّلُوجِ .

يَا وَلَدِي ، إِنْ لَمْ تَسْتَطِعِ الْعَوْدَةَ فَأَعْطِنِي الْجُرْعَةَ نَفْسَهَا ،
خُذْنِي مَعَكَ ، يَا رَفِيقِي الْحَبِيبِ .

وَرِغْمَ أَنَّ سَأَقِيَّ وَاهِنَتَانِ ، فَأَنَا قَادِرَةٌ عَلَى الْمَشْيِ ،
وَإِنْ تَتَّعَبُ ، فَسَأَضْمُكَ بِرِقَّةٍ إِلَى صَدْرِي .

[III]

فِي شَعْرِكَ الْمَجْعَدِ ، تَنْسَلُ أَصَابِعِي
طَوَالَ اللَّيْلِ حِينَ تَنَامُ ، وَأَبْقَى أَرَاقِبُكَ إِلَى جَانِبِكَ ،

وَحَاجِبَاكَ ، الرَّهِيْفَانِ كَأَنَّهُمَا مِنْ حَرِيرٍ وَمَرْسُومَانِ بِرِيشَةٍ رَهِيْفَةٍ ،
قَوْسُ تَأْوِي إِلَيْهِ نَظْرَتِي وَتَرْتَا حُ ،

وَعَيْنَاكَ الْمَشْرِقَتَانِ ، اللَّتَانِ تَعْكِسَانِ مَدَى
السَّمَاءِ الصَّبَاحِيَّةِ ، جَاهَدْتُ لِأَمْنَعُ دَمْعَةً وَاحِدَةً مِنْ تَشْوِيشِهِمَا ،

شَفَتَاكَ الْعَطِرَّانِ فِي عُذُوبَةٍ ، حِينَ تَتَكَلَّمُ ،
تَجْعَلَانِ الصُّخُورَ وَالْأَشْجَارَ الْمُتَهَالِكَةَ تَزْدَهْرُ وَالْعَنْدَلِيبَ يُرْفِرِفُ .

صَدْرُكَ الْعَرِيضُ ، يُشْبِهُ الْجَنَاحِينَ الْمَفْرُودِينَ لِلْقِمْرِيِّ ،
حَيْثُ تَنْحَسِرُ عَلَيْهِ مَرَارَتِي وَعَنَايِي ،

وَفَخْدَاكَ الْقَوِيَّتَانِ ، كَطَائِرِي حَجَلٍ نَاعِسِينَ فِي سِرْوَالِكَ ،
تُعْجَبُ بِهِمَا الْفَتَيَاتُ مِنَ الشُّرَفَاتِ فِي الْعَسَقِ ،

وَحَشِيَّةٌ أَنْ يَرْمِينَ بِنَظْرَةٍ شَرِّيرَةٍ عَلَى رَجُلٍ كَهَذَا ، يَا فَتَايَ الْوَسِيمِ ،
سَأَعْلُقُ تَعْوِيدَةً بِالْحَرَزَةِ الزَّرْقَاءِ بِكَ ،

يَا غَابَتِي الْفَوَاحِةَ بِآلَافِ الْجُدُورِ وَآلَافِ الْأُورَاقِ ،
كَيْفَ يُمَكِّنُ لِي تَصَدِيقَ أَيِّ مَنْحُوسَةٍ إِلَى حَدِّ أَنْ أَفْقِدَكَ ؟

[IV]

وَلَدِي ، أَيُّ قَدْرِ كَانَ مَرْسُومًا لَكَ ، أَيُّ قَدْرِ كَانَ مَرْسُومًا لِي
لِيُشْعِلَ مِثْلَ هَذَا الْحُزْنِ ، مِثْلَ هَذِهِ النَّارِ فِي صَدْرِي ؟

اسْتَيْقَظْتَ بَاكِرًا فِي الصَّبَاحِ وَغَسَلْتَ جَسَدَكَ وَشَعْرَكَ ،
قَبْلَ أَنْ يُعْلِنَ رَيْنُ الْجَرَسِ بَعِيدًا عَنِ الْفَجْرِ .

تَنْظُرُ مِنَ التَّافِذَةِ مِنْ جَدِيدٍ مِنْ جَدِيدٍ لِتَرَى إِنْ كَانَ الشُّرُوقُ ،
وَكُنْتَ مُسْتَعْجِلًا كَأَنَّكَ ذَاهِبٌ إِلَى احْتِفَالٍ .

عَيْنَاكَ سَوْدَاوَانَ ، وَفَكَأَنَّكَ مُطْبِقَانَ ،
وَفِي جُرْأَتِكَ كُنْتَ رَقِيقًا ، ثَوْرًا وَعَنْدَلِيبًا .

وَأَنَا ، بَائِسَةٌ وَمُهْمِلَةٌ ، وَأَنَا ، مَخْبُولَةٌ مَجْنُونَةٌ ،
كُنْتُ أُعِدُّ لَكَ الْمَرِيْمِيَّةَ ، وَنَظَرْتِي الشَّاحِبَةَ تُقْبَلُ

مَفَاتِنَكَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، يَا حَبِيبِي ، وَسِيْمَاءَكَ الْمَشْرِقَةَ ،
وَأَنْتَشِي وَأَضْحَكَ كَفْتَاةٍ حُنُونٍ .

وَلَا حَتَّى لِلْحِظَّةِ تَحَيَّلْتُ الْأَسْوَأَ ، وَلَا رَكَضْتُ مِنَ الْوَرَاءِ
لَأَضَعَّ صَدْرِي فِي الصَّدَارَةِ لِأَقْتَنِصَ الرَّصَاصَ .

وَوَصَلْتُ بَعْدَ الْأَوَانَ . آه ، لَمْ تَحِلْ مِثْلُ تِلْكَ السَّاعَةِ أَبَدًا !
آه ، كَانَ الْأَفْضَلُ أَنْ يَنْهَارَ الْبَلَدُ كُلُّهُ عَلَى رَأْسِي !

[V]

فَلْتَنْهَضْ ، يَا حَبِيبِي . لَقَدْ تَأَخَّرْنَا . فَالشمسُ تُشْرِقُ عَالِيًا . هَيَّا .
وَطَعَامُكَ ، الَّذِي لَمْ يُمَسَّ ، لَا بُدَّ أَنْهُ بَرَدَ فِي الصَّيْنِيَّةِ .

[31]

قَمِيصُ الْعَمَلِ الْأَزْرَقُ ، المَعْلَقُ بِالْبَابِ ،
سَوْفَ يَنْتَظِرُ جَسَدَكَ الرَّخَائِيَّ الْمُنْحُوتَ .

وَالْمَاءُ الْبَارِدُ سَوْفَ يَنْتَظِرُ فَمَكَ النَّاضِرِ ،
وَالْمَنْزِلُ الْمَطِيئُ بِالْأَبْيَضِ سَوْفَ يَنْتَظِرُ أَنْفَاسَكَ .

وَقَطُّنَنَا سَوْفَ تَنْتَظِرُ أَنْ تَلْعَبَ فِي قَدَمَيْكَ ،
وَالشَّمْسُ بِكَسَلٍ تَنْتَظِرُ أَنْ تُومِضَ فِي عَيْنَيْكَ .

سَوْفَ يَنْتَظِرُ شَارِعُنَا الْخُطَوَاتِ الْوَاسِعَةَ لِمَرْجِكَ ،
وَالثَّافِذَةُ نِصْفُ الْمَفْتُوحَةِ تَرُصُّ صَوْتَكَ الْعَنْدَلِيَّي .

وَرِفَاقُكَ ، يَا حَبِيبِي ، الَّذِينَ سَيَأْتُونَ فِي الْأُمَسِيَّاتِ
وَيَتَحَدَّثُونَ يَتَحَدَّثُونَ ، وَبِفِعْلِ كَلِمَاتِهِمْ يَتَوَهَّجُونَ ،

وَالَّذِينَ سَيَأْتُونَ بِالضُّوئِ وَالْعَالَمِ كُلِّهِ إِلَى مُنْزِلِنَا ،
يَا وَلَدِي ، سَوْفَ يَنْتَظِرُونَكَ لِتَقُومَ بِعَمَلِهِمُ اللَّيْلِي .

وَأَنَا ، مَحْنِيَّةٌ ، سَأَنْتَظِرُ فِي الْمَسَاءِ وَالظَّهِيرَةِ
حَبِيبِي ، الْمَوْتَ ، لِيَأْتِيَنِي وَيَأْخُذَنِي إِلَيْكَ .

[VI]

ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ مَائُو تَرَكَتْنِي ، وَذَاتَ يَوْمٍ مِنْ مَائُو فَقَدْتُكَ ،
فِي الرَّبِيعِ حَيْثُ كُنْتُ تُحِبُّ ، يَا وَلَدِي ، أَنْ تَصْعَدَ الدَّرَجَ ،

إِلَى الشُّرْفَةِ وَتَنْظُرَ ، وَبِعَيْنَيْكَ
تَجْرَعُ ضَوْءَ الْعَالَمِ بِلَا اِكْتِفَاءِ ،

وَبِإِصْبَعِكَ الْمَدَبِّ تُرِينِي وَاحِدًا وَاحِدًا
كُلَّ مَا هُوَ عَذْبٌ ، كُلَّ مَا هُوَ طَيِّبٌ وَشَاحِبٌ وَوَرْدِي ،

وَتُرِينِي الْبَحْرَ يُومِضُ فِي الْبَعِيدِ كَالزَّيْتِ ،
وَالْأَشْجَارَ وَالْجِبَالَ فِي الْوِشَاحِ اللَّازُورِدِي ،

وَالْأَشْيَاءَ الصَّغِيرَةَ الْفَقِيرَةَ - الْعَصَافِيرَ ، النَّمَالَ ، الشُّجَيْرَاتِ ،
وَتِلْكَ الْأَحْجَارَ الْمَاسِيَّةَ الَّتِي تَنْضَحُهَا جَرَّةُ الْمَاءِ الْمَجَاوِرَةِ .

وَالآنَ ، يَا وَلَدِي ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّكَ تُرِينِي التُّجُومَ وَالْبَرَاحَ ،
فَإِنِّي أَرَاهُمْ أَصْفَى فِي عَيْنِكَ الزَّرْقَاوِينَ بِلَوْنِ الْبَحْرِ .

وَبِصَوْتِ كَانٍ عَذْبًا وَدَافِئًا وَرُجُولِيًّا
تُخْبِرُنِي بِأَشْيَاءَ أَكْثَرَ مِنْ حَبَّاتِ الرَّمْلِ عَلَى الشَّاطِئِ ،

وَتُخَيِّرُنِي ، يَا وَلَدِي ، بَأَنَّ هَذَا الْجَمَالَ كُلَّهُ سَيَكُونُ لَنَا ،
وَالآنَ أَنْتَ مَيِّتٌ ، وَمَيِّتٌ ضَوْءُنَا وَشُعَلَتُنَا .

[VII]

كُنْتُ طَيِّبًا وَعَذْبًا . كُنْتُ تَحْمِلُ كُلَّ الْمَقَاتِنِ ،
كُلَّ تَرِبِيَّاتِ النَّسِيمِ ، كُلَّ بَنَفْسِجِ الْحَدِيقَةِ .

قَدُمُكَ رَهِيْفَةُ الْخَطْوِ ، كَدْبٌ رَقِيقٌ ،
تَخْطُو عَلَيَّ عَتَبَتَيْنَا وَتُومِضُ كَالذَّهَبِ .

فَكَيْفَ سَأَعُودُ إِلَى كُوخِنَا الْمَهْجُورِ وَحَدِي ؟
لَقَدْ حَلَّ الظَّلَامُ عَلَى الْفَجْرِ وَيُخْفِي عَنِّي الشَّوَارِعَ .

آه ، لَا تَسْمَعُنِي الْأَشْيَاءُ ! مُسْتَحِيلٌ
أَنْ تَحْتَرِقَ شَفَتَايَ وَأَنَا أَمَامَ الرَّبِيعِ ،

أَنْ أَكُونَ قُرْبَكَ ، يَا وَلَدِي ، وَأُنَادِيكَ - وَآسَفَاهُ ! -
فِيَمَا لَا تُبَالِي حَتَّى بِي أَنَا الْبَائِسَةُ .

غَيْرُ مَسْمُوحٍ لِأَحَدٍ أَنْ يَضَعَ يَدًا عَلَيْهِ . فَهُوَ طِفْلِي .
صَمْتًا ، صَمْتًا ! فَطِفْلِي مُتَعَبٌ . نَائِمٌ .

مَنْ أَخَذَهُ مِنِّي؟ مَنْ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنِّي؟
شَفَّتَاهِ الصَّغِيرَتَانِ اسْتَحَالَتَا بِيضَاوَيْنِ، وَعَيْنَاهُ مُغْمَضَتَانِ.

فَأَيَّتَهَا النُّسُورُ، اْمَنْحِينِي مَخَالِبَ وَأَجْنِحَةً لَأَنْقِضَ عَلَيْهِمُ،
حَتَّى يُمَكِّنَنِي أَنْ أُمَرِّقَ قُلُوبَهُمْ كَثْمَرَةَ لَوْزٍ.

[VIII]

إِلَى أَيْنَ طَارَ ابْنِي بَعِيدًا؟ أَيْنَ مَضَى؟ إِلَى أَيْنَ تَرَكَنِي؟
قَفْضُ الطُّيُورِ بِلَا عُصْفُورٍ، وَلَا مَاءٍ فِي الْيُنْبُوعِ.

يَا حُبِّي، لَمْ تَبَقْ فِي مَنْزِلِنَا الْأَبْيَضِ الصَّغِيرِ
مِنْ أَجْلِي لِأَجْعَلَكَ سَيِّدِي، لِأَرَعَاكَ كَعُصْفُورٍ

لِتَغْتَذِي بِحَيَاتِي، بِذُرَّةٍ بِذُرَّةٍ، مِنْ يَدِي،
وَتَعِيشَ فِي ظِلِّكَ، يَا شَجَرَتِي الْأَبْيَةَ.

لَمْ تَتَوَقَّفْ لِتَنَالَ كِنزَ آيَةِ فَتَاهُ .
فَارِسًا مُشْرِقًا، كُنْتَ دَائِمًا أَوَّلَ الْمَعَادِرِينَ .

وَكَاثَتْ بِهَجَّتِكَ أَنْ تَمْنَحَ بِسَخَاءٍ، وَتَجِدُكَ أَنْ يَتَلَقَّى الْآخَرُونَ،

وَأَنْ تَرْفَعَ مِنَ الْأَرْضِ كُلِّ مَا يَنْحِي وَيَتَوَجَّعُ .

يَا حُبِّي ، كُنْتَ تَمْنَحُ كُلَّ ثُرَوَاتِكَ لِلْعَالَمِ ،
تَتَخَلَّى عَنْهَا ، وَتَرَكْتَنِي فِي الْبَرْدِ فِي الْعَرَاءِ .

وَلَيْدِي ، لَا أُدْرِي مَا إِنْ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَنْحِي عَلَيْكَ وَأُنُوحَ
أُمِّ عَلَيَّ أَنْ أَقِفَ مُنْتَصِبَةً وَأُغْنِيَّ أَمْجَادَكَ أَلْفَ مَرَّةً .

أَحْيَانًا أُلَاعِبُ مَفَاتِنَكَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، كَأَنَّهَا خَزْرُ ،
وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى ، تَنْهَيْدَةً تَنْهَيْدَةً ، أَنْظُمُهَا فِي لَحْنِ حَزِينٍ .

[IX]

آه ، يَا مَارِي الْعِذْرَاءِ ، لَوْ كُنْتُ أُمَّ مِثْلِي ،
لَأَرْسَلْتُ مَلَائِكَةَ مِنَ الْعَالَمِ الْآخِرِ لِيُسَاعِدَ ابْنِي .

وَأَه ، يَا إِلَهِي ، يَا إِلَهِي ، لَوْ كُنْتُ إِلَهًا وَنَحْنُ أَطْفَالُكَ ،
لَأَشْفَقْتَ عَلَيَّ مَخْلُوقَاتِكَ التَّعَيْسَةِ ، مِثْلَمَا أَشْفِقُ .

وَلَوْ كُنْتُ عَادِلًا ، لَقُمْتُ بِالتَّوْزِيْعِ عَلَى الْحَلِيْقَةِ بِعَدَالَةٍ ،
لِيَتَنَاَلَ كُلُّ ظَائِرٍ ، كُلُّ طِفْلٍِ مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَعَامٍ .

وَلَدِي ، كُنْتَ مُصِيبًا حِينَ كُنْتَ تَقُولُ بِكَلِمَاتِكَ الرَّهِيْفَةَ ،
كُلَّ مَرَّةٍ تَتَكَلَّمُ فِيهَا وَتَشْرَحُ :

"إِنَّهُمْ نَحْنُ مَنْ يُطْعَمُونَ حَمَامَةَ الْحَيَاةِ بِأَيْدِينَا ،
وَمَا فِي أَيْدِينَا حَتَّى كِسْرَةَ خُبْزٍ .

"إِنَّهُمْ نَحْنُ مَنْ نَحْتَضِنُ الْأَرْضَ كُلَّهَا بِأَذْرَعِنَا الْحَشِيئَةِ ،
وَالْأَلِهَةُ يَقْفُونَ كَخَيَالَاتِ مَائَةٍ بِوُجُوهِهِمُ الْمَتَسَامِيَةَ" .

آه ، يَا وَلَدِي ، لَا فَرَحَ وَلَا إِيمَانَ بِدَاخِلِي ،
وَالضُّوءُ الْكَابِي الْأَخِيرُ لِشَمْعَتِنَا الْمُنْدُورَةِ انْطَفَأَ .

وَالآنَ ، أَيُّهُ نَارٍ لَدَيَّ لِأَفْتَحَ يَدَيَّ فَوْقَهَا ،
لَأُدْفِيَّ يَدَيَّ الثَّلَجِيَّتَيْنِ قَلِيلًا ؟

[X]

يَا وَلَدِي وَسَيِّدِي ، كُنْتَ تُرِينِي كُلَّ شَيْءٍ ،
وَبِالطَّرِيقَةِ الَّتِي كُنْتَ تَرَاهُمْ بِهَا ، كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يَتَوَهَّجُ كَمَا لَوْ فِي سَاعَةِ
عُرْسٍ ،

وَكُنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ بِكُلِّ شَيْءٍ : الْغُيُومِ ، وَالطُّيُورِ ، وَالنُّجُومِ ،

[37]

وَتَحْيَلْتُ أَنِّي قَادِرَةٌ عَلَى إِمْسَاكِهِمْ بِيَدِي ، هَكَذَا .

مَهْلًا ! فَهَنَّاكَ غَيْمَةً رَبِيعٍ صَغِيرَةً تَدُنُو
لِتَتَمَسَّحَ فِي رُكْبَتَيْكَ ، كَحَمَلٍ أَبْيَضٍ صَغِيرٍ .

وَهَكَذَا ، إِذْ وَقَفْتَ مُنْتَصِبًا بَدَوْتَ لِي كَأَبٍ لِلْعَالَمِ كُلِّهِ ،
ثُمَّ مِنْ جَدِيدٍ أَثِيرِيًّا كَالضُّوءِ وَالْهَوَاءِ .

وَإِذْ يَنْتَابُنِي الْإِعْجَابُ بِكَ ، يَا شَجَرَتِي الدَّلْبُ ، يَا فَتَايَ ،
أَرْتَعِدُ خَشْيَةً أَنْ تَسْرِقَكَ إِلَى السَّمَاءِ نَسْمَةً هَوَاءً ،

فَوْقَ الْأَسْطَحِ ، فَوْقَ بَسَاتِينِ الْأَشْجَارِ
- كَدَقَّةِ قَلْبٍ فِي النَّبْضَاتِ الْأُولَى لِلنُّجُومِ -

عَالِيًا هُنَاكَ حَيْثُ وُرُودُ الْغَسَقِ تَتَلَاثَى فِي الضَّبَابِ ،
وَحَيْثُ تَغُوضُ وَسَطَهُمُ الْعَجَلَةُ الذَّهَبِيَّةُ لِلشَّمْسِ .

وَهَكَذَا ، فِيمَا تَنْهَيْدُكَ تَجِيءُ وَتَمْضِي ، ضَوْءًا حِينًا ، وَحِينًا ظِلًّا ، يَا
حَبِيبِي ،

كَانَتْ تَمْنَحُنِي الظِّلَّ وَتَمْنَحُنِي الضُّوءَ ، مِثْلَ مُرُورِ الرِّيحِ .

[XI]

لَا مَقَاتِينَ لِي وَأَنْتَ مَنَحْتَنِي الْجَمَالَ ، لَا تَعْلِمَ عِنْدِي - انْظُرْ !-
وَقَرَأْتُ أَبْجَدِيَّةَ الْحَيَاةِ فِي عَيْنَيْكَ .

وَكُنْتُ أَتَعَلَّمُ دُرُوسِي بِشَكْلِ أَفْضَلِ ، مُنْذُ الْبِدَايَةِ ،
وَأَعُدُّ عَلَى أَصَابِعِي وَأَجِدُ كُلَّ شَيْءٍ وَاحِدًا .

وَاحِدًا كَانَتْ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ ، وَالضُّوءُ ، وَاللَّوْنُ ، وَالْبَنْفَسَجُ ،
وَهَذَا الْوَاحِدُ كَانَ أَنْتَ ، وَأَنْتَ مِنْ جَدِيدٍ كُنْتَ كُلَّ شَيْءٍ .

وَكُنْتُ أُبْحَثُ عَنْ مَنْبَعِ مَعْرِفَتِكَ بِكُلِّ هَذَا ، أَيْنَ رَأَيْتَهُ ، أَيْنَ وَمَتَّى ،
فِيمَا كُنْتُ مُنْحَنِيَّةً هَكَذَا ، ذَاتَ غَسَقِي وَأَنَا أُطْعِمُ الدَّجَاجَ .

كُنْتُ أَسْتَطِيعُ الْإِحْسَاسَ بِالسَّرْدَابِ الْعَمِيقِ يَتَنَفَّسُ فَوْقِي
وَالنُّجُومَ ، كَأَنَّهَا تُمَشِّطُ شَعْرِي بِمَشِطِ ذَهَبِي ،

وَفَجْأَةً أَدْرَكْتُ مَا هِيَ النَّشْوَةُ
الَّتِي كَانَتْ تَأْخُذُنِي وَتُعِيدُنِي أَبَدًا تَدْرِيجِيًّا إِلَى الْأَعَالِي السَّمَاوِيَّةِ ،

وَرَأَيْتُ الـ مَتَّى وَالـ أَيْنَ ، ضَوْءَ وَظِلَّالِ الْغَابَةِ :
وَكُنْتُ تَقِفُ بِالْبَابِ تَنْظُرُ إِلَيَّ .

الآن ، انغَلَقَتْ عَيْنَاكَ ، وَأَنَا مُنْعَلِقَةٌ بِالخَارِجِ ،
وَلَا أَمَلِكُ حَتَّى حَجَرًا لَأَقِفَ عَلَيْهِ ، وَلَا طَرِيقًا أَمْضِي عَلَيْهِ بَعْدَ الْآنِ .

[XII]

وَلَدِي ، إِنْ كُنْتَ تُحِسُّ بِالْأُمِّ الثَّكَلِيَّ وَاقِفَةً خَارِجَ بَابِكَ ،
فَأَفْتَحْ عَيْنَيْكَ الْحَيِّبَتَيْنِ وَانظُرْ لِلْحِظَّةِ وَاحِدَةً

إِلَى هَذِهِ الْعُجُوزِ الْمُنْحُوسَةِ ، إِلَى هَذِهِ الْمَتَسَوِّلَةِ الْعُجُوزِ
الَّتِي لَا يَرْمِي إِلَيْهَا إِنْسَانٌ أَوْ رَبٌّ أَيُّ فِلسٍ ،

الَّتِي تَجْلِسُ وَتَتَنَوَّحُ فِي الشَّارِعِ الْمَلَطَّخِ بِالْدَمِّ
مَسْلُوبَةَ الْقَلْبِ ، مَكْسُورَةَ الْجَنَاحِ .

وَلَدِي ، كُلُّ شَيْءٍ طَارَ وَتَرَكَنِي فِي الْوَرَاءِ .
وَلَا عَيْنَ لِي لِأَرَى ، لَا فَمَ لِي لِأَتَكَلَّمَ .

شَيْءٌ مَا فَحَسَبَ مِثْلَ صَرْخَةٍ تَمُرُّ غَائِرَةً فِي الْبَعِيدِ
وَأَسْمَعُ صَوْتِي ، فَيَبْدُو لِي كَصَوْتِ شَخِصٍ غَرِيبٍ .

صَوْتُ شَخِصٍ غَرِيبٍ ، صَوْتُ مَرِيرٍ - مَاذَا يَقُولُ وَيَنْظُرُ يَقُولُ ؟ -
وَأَصْرُخُ عَلَيْكَ وَأَصْرُخُ عَلَيَّ مَنْ أَسْمَعُهَا تَصْرُخُ ،

وَأَنَا سَعِيدَةٌ بِسَمَاعِهَا ، حَيْثُ يَنْبِثُ نَبْعُ بَعْفُوانٍ أَكْبَرَ
مِنْ جِذْرِ وُجُودِي ، لِيَجْعَلَ صَرَاحِي أَكْثَرَ حِدَّةً .

فِيخْرِيبِي فِي وَحْدَتِي - مِنْ جَدِيدٍ ، يَا وَلَدِي - أَنْتَكَ رَحَلْتَ
وَأَنْبِي مَا يَزَالُ لَدَيَّ صَوْتٌ - ثَرْتَرَةٌ الْحَزَنِ الرَّخِيصَةِ .

[VIII]

وَلَدِي ، فَمَكَ لَهُ شَكْلُ الْقَلْبِ ، وَحَاجِبُكَ عُصْفُورٌ ،
عَيْنَاكَ نَدَى وَنَارٌ ، وَفَكَأَنَّكَ كَمَا شَأْنُهُ .

قَوِيٌّ كَأَسَدٍ وَمُسَالِمٌ كَحَمَامَةٍ صَغِيرَةٍ ،
وَأَنْفَاسُكَ تُشْبِهُ جَرَسَ الْقَطِيعِ فِي الْعَسَقِ .

لَكِنَّ ، كَأَنَّ شَيْئًا مَا كَانَ يُنَادِيكَ فِي الْمَسَاءِ الدَّهْبِيِّ ،
كُنْتَ دَائِمًا مَا تَنْظُرُ إِلَى الْأَعْلَى إِلَى الْبَعِيدِ ،

كَأَنَّ صَدِيقًا حَمِيمًا كَانَ يَصْفُرُ لَكَ ، يَدْعُوكَ
إِلَى مَوْعِدِ سِرِّيِّ عَلَى شَاطِئِ مَعْهُودِ .

وَإِذْ تَتْرُكُنِي وَجِيدَةً ، كُنْتُ أَرْهَفُ سَمْعِي لِأَرَى وَأُحْمَنُ
لِمَاذَا أَرَادُوكَ وَمَاذَا أَرَدْتَ ، لِأَرَى أَيَّةَ رَأْسِ بَحْرِيَّةٍ تَتَّجِهَ إِلَيْهَا .

وَبِعَيْنِي أَسْعَى لِأَرَى إِلَى أَيِّ اتِّجَاهٍ تَتَطَّلَعُ ،
وَكَأَنَّ مَا أَحْسَسْتُ بِي فِي صَمْتِ صَارِخَةً عَلَيْكَ ، "تَوَقَّفْ ، يَا وَلَدِي" ،

تَسْتَدِيرُ ، تَضْحَكُ خَفِيَّةً مِنِّي وَتَقُولُ ، "هَا أَنْدَا ، يَا أُمِّي" ،
فِي مَا يُمَكِّنُ سَمَاعَ جَرَسِ الْكَنِيسَةِ بَعِيدًا يُقْرَعُ لَصَلَوَاتِ الْمَسَاءِ .

وَفِي فَمِي أَحْتَسِبِي مَزِيحًا لَدِيدًا مِنْ حُنُورِ هَيْفِ ،
لَأَنَّكَ أَدْرَكْتَ بِالْحَدِيثِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَنَا لَا شَيْءَ .

[XIV]

أَهْ ، يَا وَلَدِي ، وَلَدِي ، لَا يُمَكِّنُنِي الْمِضْيُ وَحَدِي .
أَسْنَانِي تَصْطَلُّكَ ، تَصْطَلُّكَ ، كَأَنَّ الْحُمَّى تَجْتَا حُنِي .

وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَدْفِنَ رَأْسِي تَحْتَ الْأَغْطِيَّةِ
وَلَا أَرَى الشَّمْسَ أَبَدًا مِنْ جَدِيدٍ ، وَأَنْظُرُ ، إِنَّنِي أَقْفَرُ مِنْ جَدِيدٍ

لَأُغْنِي وَأُغْنِي مَفَاتِنَكَ ، لِأُحْيِيهَا مَرَّةً أُخْرَى مِنْ جَدِيدٍ ،
كَأَنَّهُ يُمَكِّنُ اسْتِعَادَتَكَ ، يَا وَلَدِي .

لَأَنَّكَ فِي مَا كُنْتَ هُنَا ، يَا وَلَدِي ، كُنْتَ مُحْكُومَةً بِكَرْبِ عَظِيمٍ ،
سَجِينَةَ الصَّمْتِ فِي قَصْرِ مَسْحُورٍ .

وَعَيْنَايَ وَحَدَهُمَا تَتَّبَعَانِكَ عَن قُرْبٍ مِنَ الْوَرَاءِ ،
مِثْلَ كَلْبَيْنِ ، مَوْثُوقَيْنِ ، مَمْرُورَيْنِ ، مَرَعُوبَيْنِ مِنَ النَّاسِ .

وَفِي صَمْتِ الْمَلِمْ كُلِّ مَا يُخْصُّكَ ، كَدَجَا جَا جَةٍ حَاضِنَةٍ لِكِتَابَيْتِهَا ،
وَلِحَظَّةٍ أَنْ رَحَلَتْ عَنِّي تَحَرَّرَ لِسَانِي

وَأَمْضِي أَوْاصِلُ الْكَلَامِ ، يَا وَلَدِي ، يَا لِمَا انْتَهَاءِ ،
كَأَنِّي كُنْتُ أَتَشَبَّهْتُ بِكِنِزٍ وَأَرْتَعِدُ خَشْيَةً أَنْ أَفْقِدَهُ ،

وَأُرِيدُ أَنْ أُوَدِّعَهُ حِجْرَ الْحَلِيقَةِ ،
لَأُثْرِي حَيَاتِي ، وَأَمْنَعَكَ مِنَ الْمُرُورِ .

[XV]

وَكُنْتُ تَقِفُ إِلَى النَّافِذَةِ ، وَكَتِفَاكَ الْقَوِيَّانِ
يُعْطِيَانِ تَمَامًا فَرَاغَهَا ، وَالْبَحْرَ ، وَقَوَارِبَ الصَّيْدِ .

وَوَظْلُكَ ، كَمَلَاكِ ، يَفِيضُ عَلَى الْمَنْزِلِ ،
وَفِي أُذُنِكَ يُومِضُ هُنَاكَ صَمْعُ نَجْمَةِ الْمَسَاءِ .
وَكَانَتْ نَافِذَتُنَا بَابًا مَفْتُوحًا عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ ،
يُطَلُّ عَلَى الْفِرْدَوْسِ ، حَيْثُ تُزْهِرُ التُّجُومُ ، صَوْبِي .

وَحِينَ كُنْتَ تَقِفُ لِتُشَاهِدَ الْغُرُوبَ مُشْتَعِلًا ،
كُنْتَ تَبْدُو مِثْلَ رَبَّانٍ ، وَالْغُرْفَةُ سَفِينَةٌ .

وَفِي الْمَسَاءِ الْفَاتِرِ اللَّازُورِيِّ -
كُنْتَ تَأْخُذُنِي فِي سَفِينَةٍ إِلَى صَمْتِ الْمَجْرَةِ .

وَالسَّفِينَةُ تَغُوصُ وَتَنْكَسِرُ الدَّفْعَةَ ،
وَالآنَ أَهِيْمُ وَجِيْدَةً فِي قَاعِ الْبَحْرِ .

لِكِنِّي مَا غَرِقْتُ ، وَلَا صَعَدْتُ إِلَى السَّطْحِ :
أَتَلَمَّسُ أَيَّ شَيْءٍ لِأَتَشَبَّثَ بِهِ ، فَلَا أُمْسِكُ إِلَّا بِالطَّحَالِبِ .

تَنْكَسِرُ الطَّحَالِبُ وَالْمَحِيْطُ يُجْرِجُنِي إِلَى مِيَاهِهِ ،
وَلَا أَعُوذُ قَادِرَةً عَلَى تَمْيِيزِ الصُّعُوْدِ مِنَ الْهُبُوْطِ .

[XVI]

وَلَيْدِي ، أَيَّ خَطَأٍ ارْتَكَبْتُهُ ؟ فَمِنْ رَجَالِ ظَالِمِينَ
كُنْتَ تَسْعَى إِلَى مُكَافَأَةٍ عَلَى جُهُوْدِكَ .

كُنْتَ تَطْلُبُ كِسْرَةَ خُبْزٍ فَأَعْطُوكَ سِكِّينًا .
كُنْتَ تَطْلُبُ مُقَابِلَ عَرَقِكَ فَقَطَعُوا يَدَكَ .

لَمْ تَكُنْ شَحَاذًا تَذْهَبُ وَيَدُكَ مَمْدُودَةٌ .
فَبِقَلْبِكَ الْقَوِي ذَهَبَتْ سَائِرًا مُنْتَصِبًا .

وَسِرْبُ الْغِرْبَانِ انْقَضَ عَلَيْكَ
وَشَرِبَ دَمَكَ ، يَا وَلَدِي ، وَأَغْلَقَ شَفَتَيْكَ .

الآن ، يَا زَنْبَقِي الْوَاحِدَةَ الْوَحِيدَةَ ، كَفَّاكَ الشَّاحِبَانَ
يُشْبِهَانِ طَائِرِينَ عَلِيلِينَ ، كَثِيبِينَ

جَنَاحَاهُمَا مَضْمُومَانِ وَلَمْ يَعُودَا يُرْفِرِقَانِ ،
فَأَمْسِكَ بِهِمَا فِي يَدَيَّ ، فَلَا يُعْرَدَانِ لِي .

آه ، يَا وَلَدِي ، لَعَلَّ مَنْ دَبَّحُوكَ يَرُونَ
أَطْفَالَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ مَذْبُوحِينَ ، وَيَخْتَنِقُونَ بِالْدَمِ .

وَلَأَصْبِغُ بِدَمِهِمْ تَنُورَتِي بِالْأَحْمَرِ
وَأَرْقُصُ . آه ، يَا وَلَدِي ، فَلَا يَلِيْقُ بِي أَنْ أَبْكِي عَلَيْكَ .

[XVII]

لَقَدْ أَقَلْتِ ، يَا نَجْمَتِي . أَقَلَّ الْعَالَمُ كُلَّهُ ،
وَالشَّمْسُ ، الْكُرَّةُ حَالِكَةُ السَّوَادِ ، قَدْ ذَوَتْ فِي وَهْجِهَا .

الحشودُ تَمُرُ وتَدْفَعُنِي . وَالْعَسْكَرُ أَيضًا يَدَهْسُونَنِي ،
وَعَيْنِي لَا تَتَزَحَّحُ وَلَا تُفَارِقُكَ .

وَانظُرْ ، فَهُمُ يُنْهَضُونَنِي . أَرَى آلاَفَ الْأَبْنَاءِ ،
لِكَيْتِي عَاجِزَةٌ عَنِ مُفَارَقَةِ جَانِبِكَ ، يَا وَلَدِي .

يَتَكَلَّمُونَ مَعِي بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي اعْتَادُوهَا ، وَيُقَدِّمُونَ لِي الْعِزَاءَ ،
وَلَدَيْهِمْ قُبَعَتُكَ ، يَرْتَدُونَ مَلَابِسَكَ .

وَأَحْسُ بِبُخَارِ أَنْفَاسِكَ عَلَى خَدِّي ،
وَأَهْ ، ضَوْءٌ ، ضَوْءٌ هَائِلٌ يُبْجِرُ فِي الظَّرْفِ البَعِيدِ لِلشَّارِعِ .

كُفُّ مُشْرِقَةٍ تَمْسَحُ عَيْنَيَّ ،
وَأَهْ ، صَوْتُكَ ، يَا وَلَدِي ، انْدَفَعَ فِي أَحْشَائِي .

وَانظُرْ ، لَقَدْ لَمَلَمْتُ نَفْسِي نَاهِيَةً . قَدِيمِي لَا تَزَالُ تَدْعُمُنِي .
وَضَوْءٌ هَادِيٌّ ، يَا وَلَدِي ، أَنْهَضَنِي مِنَ الْأَرْضِ .

الآن ، مَلْفُوفٌ أَنْتَ بِالْأَعْلَامِ . فَلْتَذْهَبِ أَنْتَ لِتَنَامَ ، يَا وَلَدِي ،
وَأَنَا مَاضِيَةٌ إِلَى أُخَوَاتِكَ وَأُخَوَاتِكَ وَأَمْنَحُهُمْ صَوْتَكَ .

[XVIII]

بَلْ إِنِّي لَمْ أَشَأْ سَمَاعَ وَتَصْدِيقَ كُلِّ مَا كُنْتَ تَقُولُ ،
وَأُوبِخُكَ ، يَا حَبِيبِي ، دُونَ أَنْ أَفْهَمَكَ .

مَا لَمْ تُخْبِرْنِي بِهِ أَبَدًا الْأَوْقَاتُ وَالْأَلْسِنَةُ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ
عَلِمْتُ بِهِ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَنَا مُنْتَصِبُهُ وَسَطَ الْجُمُوعِ .

أَيْنَ أَنْتَ ، يَا حَبِيبِي ، لِتَبْتَهَجَ وَتَقِفَ إِلَى جِوَارِي ؟
اسْمَعْ ، فَأَنَا أَنْطِقُ بِكَلِمَاتِكَ ، وَقَلْبِي انْفَتَحَ

وَقَادِرٌ عَلَى مُعَانَقَةِ الْعَالَمِ كُلِّهِ ، بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي قُتِمَتْ بِهَا .
أَصْبَحَ قَوِيًّا وَقَادِرًا عَلَى الْخَلْقِ ، عَلَى التَّدْمِيرِ .

لَيْسَتْ جِنَازَةٌ هُنَا . فَهِيَ أَشْبَهَ بَعْرَسَ .
دُمُوعٌ وَضَجٌّ ، وَحُبٌّ ، وَغَضَبٌ يَقْطُرُ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ .

وَلَدِي ، قُلْ لِي ، لِمَاذَا تَغَضَّنَ جَبِينُكَ ؟
أَنْتَ غَاضِبٌ ، رَبِّمَا ، مِنْ رَجِيلِي عَنكَ ، يَا حَبِيبِي ؟

يَا عَصْفُورِي ، أَلْفَ حَيَاةٍ وَحَيَاتَانِ تُوثِقُنِي إِلَيْكَ ،
وَجَمِيعُ مَنْ أَحَبُّوا لَا يَعْرِفُونَ الْمَوْتَ أَبَدًا ، حَتَّى فِي الْمَوْتِ .

وَحَتَّى لَوْ انْحَنَيْتُ وَضَمَمْتُ يَدَيَّ فِي صَلَاةٍ ،
فَأَنْتَ تَعْرِفُ ، يَا وَلَدِي ، أَنِّي أَقِفُ مُلَاصِقَةً لَكَ الْآنَ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلِ .

[XIX]

لَيْتَ لَدَيَّ فَحَسَبَ الْمَاءِ الْأَبَدِيِّ ، لَيْتَ لَدَيَّ فَحَسَبَ رُوحِ جَدِيدَةٍ
لَأَمْنَحَهَا لَكَ ، لِيُمْكِنَكَ أَنْ تَصْحُوَ لِلْحِظَّةِ وَاحِدَةٍ فَحَسَبَ ،

لِيَتْرَى وَتَقُولَ وَتَبْتَهَجَ بِأَنَّ حُلْمَكَ بِكُلِّ اكْتِمَالِهِ
يَنْتَصِبُ مُفَعَّمًا بِالحَيَاةِ بِجَانِبِكَ إِلَى جِوَارِكَ .

الشَّوَارِعُ وَالْأَسْوَاقُ تُرْعِدُ ، وَالشَّرَفَاتُ وَالشَّوَارِعُ الْجَانِبِيَّةُ ،
وَالْبَنَاتُ يَقْطِفْنَ زُهُورًا لِشَعْرِكَ .

الحِشُودُ اجْتَرَّتْ إِزَاءَ الدَّمِ الَّذِي لَطَخَ الْأَرْضَ ؛
غَابَاتٌ مِنْ قَبْضَاتٍ ، بِحَارٍ مِنْ صَيْحَاتٍ ، جِبَالٌ مِنْ قُلُوبٍ وَصُدُورٍ .

قَمَصَانُ الْعُمَّالِ انْضَمُّوا إِلَى الْكَاكِي ، الْجُنُودُ وَالْعُمَّالُ ،
وَالْجَمِيعُ يَتَوَهَّجُونَ قَلْبًا وَاحِدًا - إِرَادَةً وَاحِدَةً ، نَبْضًا وَاحِدًا ، عَيْنًا وَاحِدَةً .

أَوْ ، كَمَ هُوَ جَمِيلٌ حِينَ يَنْضَمُّ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي حُبِّ .
السَّمَاوَاتُ مُضِيئَةٌ ، وَالْأَرْضُ قَوَّاحَةٌ .

وَإِذْ يَمُرُّ الشُّبَّانُ الشُّجْعَانَ ، أَقْوِيَاءَ فِي أُخُوَّةٍ ،
يَنْظُرُونَ إِلَيَّ كَأَنَّهُمْ سَيَغْزُونَ الْعَالَمَ ، الْكَوْنُ .

وَالذَّنَابُ تَرَجَعَتْ وَاخْتَبَأَتْ فِي وُجُورِهَا ،
وَالهَوَامُ انكَنَسَتْ بَعِيدًا بِمِكَنَسَةِ الْعُمَّالِ .

آه ، يَا وَلَدِي ، يَا عُصْفُورِي ، أَيْنَ سَتَتَهَلَّلُ
وَتُعَانِقُ الْعَالَمَ قَبْلَ أَنْ تَرَحَّلَ وَحِيدًا ؟

[XX]

لَمْ تَخْتَفِ ، يَا جَمِيلِي . فَأَنْتَ فِي شَرَايِينِي .
فَلْتَدْخُلْ عَمِيقًا فِي شَرَايِينِ الْجَمِيعِ ، يَا وَلَدِي ، وَلْتَعِشْ .

انظُرْ ! الْحَشُودُ تَمُرُ ، وَرِجَالٌ عَلَى ظَهْرِ أَحْصِنَةٍ ،
الْجَمِيعُ مُنْتَصِبُونَ وَأَقْوِيَاءَ وَوَسِيمُونَ ، مِثْلَكَ .

مِنْ بَيْنِهِمْ ، يَا وَلَدِي ، أَرَاكَ بُعِثْتَ ،
وَوَجْهَكَ مَرْسُومٌ بِلَا حَصْرِ عَلَى وُجُوهِهِمْ .

وَأَنَا الْمَسْكِينَةُ ، الضَّعِيفَةُ أَنَا ، الْعَجُوزُ فِي الْحَشْدِ ،

أُخْرِجُ أَظْفِيرِي الطَّوِيلَةَ وَأَنْزِعُ مِنَ الْأَرْضِ حِفْنَاتِ تُرَابٍ

أَقْدِفُهَا فِي وُجُوهِ الدَّنَابِ وَالْوُحُوشِ
الَّذِينَ هَشَّمُوا كَرِيَسْتَالَ نَظْرِي .

وَأَنْتَ ، جُنَّةٌ ، تَتَّخِذُ طَرِيقَكَ أَيْضًا ، وَالْكُتْلَةَ فِي حَلْقِنَا وَنَحْنُ نَشْهَقُ
تُحَوِّلُ نَفْسَهَا إِلَى عُقْدَةٍ فِي حَبْلِ مِنْ أَجْلِ رَقَبَةِ عَدُوِّنَا .

وَكَمَا تَمَنَّيْتَ (كَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي الْأَمْسِيَّاتِ بِجِوَارِ الْمَصْبَاحِ)
فَإِنِّي أَرْفَعُ جَسَدَكَ الْمُحَيِّ وَأَرْفَعُ قَبْضَتِي .

وَبَدَلًا مِنْ تَمْزِيقِ تَدْيِي الْبَرِيئِينَ ، انْظُرْ ، فَأَنَا أَسِيرُ
وَوَرَاءَ دُمُوعِي أَرَى الشَّمْسَ .

يَا وَلَدِي ، إِنِّي مَاضِيَةٌ إِلَى أُخَوَّتِكَ وَأُخَوَاتِكَ وَأَسْتَجْمِعُ غَضَبِي .
لَقَدْ أَخَذْتُ سِكِّينَكَ . وَأَنْتَ ، فَلْتَذْهَبِ إِلَى النَّوْمِ ، يَا عُصْفُورِي .



حلم ظهيرة صيف

(1938)

[1]

امْتَطِينَا أَجْنِحَةَ السُّنُونُو لِتَجْمَعَ الزُّهُورَ مِنَ السَّمَاءِ .
بِالنَّسْبَةِ لَنَا كَانَتْ رِيحُ الصَّيْفِ بِلَا أَسْرَارٍ ، وَنَحْنُ نَمْشِي حُفَاءً عَلَى الْعُشْبِ
وَتَتَكَلَّمُ مَعَ زَيْزِ الحِصَادِ بِلُغَةِ الشَّمْسِ .
نَفَدَتِ النَّارُ تَمَامًا وَعَادَتِ نَارًا مِنْ جَدِيدٍ .
صَنَعْنَا خَوَاتِمَ مِنْ زُهُورٍ وَتَظَاهَرْنَا بِالزَّوْاجِ مِنَ الأشْجَارِ ، وَالهَوَاءِ ،
وَالصَّصْتِ الأَوَّلِ .

كَانَتْ كُلُّ حَصَاةٍ تَعْرِفُنَا مِثْلَمَا كُنَّا نَعْرِفُ كُلَّ نَجْمَةٍ نَامَتْ فِي المِيَاهِ .
وَفِي اللَّيْلِ ، كَانَتْ أَشْجَارُ السَّنِيطِ تَمُرُ خَارِجَ نَوَافِذِنَا ، وَتَدْخُلُ عَبْرَ زُجَاجِ
النَّافِذَةِ المَفْتُوحِ ، وَتَتْرُكُ عُصْنَا مُزْهِرًا فِي كُوبِ .
سَحَبْنَا إِلَيْهِ الكُرُومِ المَرِيحِ إِلَى الحُقُولِ الحِضْرَاءِ الشَّاسِعَةِ ، وَلِحِيَّتِهِ تَقْطُرُ
بِالعَصِيرِ ، وَقَدَمَاهُ تُشْبِهَانِ أَقْدَامَ العَنَزَةِ ، وَنَظْرَتُهُ شَبِيهَةٌ بِنَظْرَةِ
المَسِيحِ ، عَظُوفَةٌ وَرَجِيمَةٌ .
بِالْأَمْسِ وَأَوَّلِ أَمْسٍ ، طَوَالَ اللَّيْلِ ، حَاوَلْنَا إِحْصَاءَ النُّجُومِ .
كَانَتْ النُّجُومُ كَثِيرَةً لِلْعَايَةِ ، كَثِيرَةً كَقُلُوبِنَا ، بَلْ إِنْ قُلُوبِنَا أَكْثَرَ حَتَّى مِنْ
النُّجُومِ .

[53]

[2]

لَمْ يَنِمِ الْأَطْفَالُ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ أَبَدًا . وَضَعُوا عَدَدًا مِنْ زَيْزِ الْحَصَادِ فِي غُلْبَةٍ
أَقْلَامِهِمُ الرَّصَاصَ ، وَكَانَ الزَّيْزُ يُغْنِي تَحْتَهُ وَسَائِدِهِمْ أُغْنِيَهُ يَعْرِفُهَا
الْأَطْفَالُ مِنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تُنْسَى كُلَّ صَبَاحٍ .
ضَفَادِعُ ذَهَبِيَّةٌ ، جَالِسَةٌ عَلَى أَصَابِعِهَا دُونَ أَنْ تَلْحَظَ ظِلَالَهَا عَلَى الْمَاءِ ،
كَانَتْ تُشْبِهُ تَمَائِيلَ صَغِيرَةً لِلْعُرْلَةِ وَالسَّكِينَةِ .
أَتَيْدُ تَعْتَرُ الْقَمَرَ فِي شَجَرَةِ صَفْصَافٍ وَهَوَى عَلَى الْعُشْبِ الْكَثِيفِ .
تَطَايَرَتْ عَاصِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ .
رَكَضَ الْأَطْفَالُ وَالتَّقَطُوا الْقَمَرَ فِي أَيْدِيهِمُ الْمُسْتَدِيرَةَ وَلَعِبُوا طَوَالَ اللَّيْلِ فِي
الْحُقُولِ .

وَالآنَ أَيْدِيهِمْ ذَهَبِيَّةٌ ، وَأَقْدَامُهُمْ ذَهَبِيَّةٌ ، وَأَيْنَمَا يَخْطُونَ يَطْبَعُونَ أَقْمَارًا
صَغِيرَةً فِي الْأَرْضِ الطَّرِيَّةِ .
لَكِنْ مِنْ حُسْنِ حَظِّهِمْ أَنَّ الْكِبَارَ لَمْ يَشْكُوا فِي شَيْءٍ .
فَقَطَّ الْأُمَّهَاتُ انْتَابَهُنَّ بَعْضُ الشَّكِّ .
لِهَذَا أَخْفَى الْأَطْفَالُ أَيْدِيَهُمْ ، أَيْدِيَهُمُ الذَّهَبِيَّةِ ، فِي جُيُوبِ خَاوِيَةٍ لِيَتَحَاشَوْا
التَّوْبِيخَ مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ عَلَى لَعِبِهِمْ فِي السَّرِّ بِالْقَمَرِ طَوَالَ اللَّيْلِ .

[3]

لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ أَنَّنَا هَمَسْنَا فِي أُذُنِ فَرَاشَةٍ .
وَلَا يَتَذَكَّرُ أَحَدٌ كَيْفَ تَحَدَّثَتْ إِلَى الْفَجْرِ ، أَوْ أَنَّ الزُّهُورَ عَرَفَتْ صَوْتَهَا ،

[54]

أَوْ أَنَّ الطُّيُورَ قَدْ رَفَعَتْ أَعْلَامًا وَأَبْوَابًا وَقَامَتْ فِي البَعِيدِ بِمَسِيرَةٍ
كَجُنُودٍ دُمِّي عَلَى طَرِيقِ ضَوْءِ الصَّبَاحِ .
غَالِبًا مَا نَتَذَكَّرُ حِينَ يَفْتَحُ الرَّبِيعُ التَّوَابِعَ وَيَحْفُ مَلَأَاتِ النَّوْمِ بِالضُّوءِ .
يَتَبَدَّى البَحْرُ مِنْ مَكَانٍ مَا .
حَتَّى الحَقْلُ يَدْنُو أَكْثَرَ كَسْلِحْفَاةٍ تَصْحُو لِتَوَّهَا .
فِيمَا بَعْدَ يَتَرَاغَعُ الحَقْلُ لِيَكُونَ حَقْلًا ، وَنَحْنُ الأَطْفَالُ الذِّينَ يَلْعَبُونَ فِي
الحَقْلِ .

[4]

فَلتُخْرِجِ المَهْرَ الحَشِيَّ ذَا السَّرِجِ الأَحْمَرَ ، فَسَنُلَاحِظُ ظِلَالَ المِيَاهِ قَبْلَ أَنْ
يَلْحَقَ بِنَا المَسَاءُ بِحِكَايَاتِهِ الخِرَافِيَّةِ الطَّوِيلَةِ وَنِيرَانِهِ الشَّتَوِيَّةِ .
فَالوَقْتُ لَا يَكُونُ مُنَاسِبًا حِينَ تُعَلِّقُ الشَّمْسُ أَصَابِعَ ذَهَبِيَّةً عَلَى أَبْوَابِ
الغَابَةِ .

تَخْلَعُ الأَجْمَاتُ مَا زَرَهَا الخَضْرَاءُ وَتَسْتَجِمُ خَفِيَّةً فِي النَّهْرِ .
وَفِي الأَصِيلِ ، حِينَ يَنَامُ الكِبَارُ ، كَانَ الأَطْفَالُ يَتَرُكُونَ المَنَازِلَ ،
يَتَدَحْرَجُونَ عَلَى العُشْبِ ، يَقْضُمُونَ أَوْرَاقَ " شَجَرَةِ العَجِينَةِ "
وَيَحْتَضِنُونَ الأشْجَارَ .

وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ، كَانَتِ الغَابَاتُ تَفُوحُ بِعَبْقِ نِسَاءٍ عَرَائِيَا .
وَكَانَتِ فَرَاشَاتُ كَبِيرَةٌ تَكْشِفُ أَسْرَارَ الرَّبِيعِ ، وَسَحَالِي بَعُيُونِ زُمُرُدِيَّةٍ
تَسْتَرِيقُ السَّمْعَ بِغَرَابَةٍ مِنْ وَرَاءِ الصُّخُورِ خِلَالَ اللَّيْلِ .

[55]

لَمْ نَلْحَظِ الْأَسِيْجَةَ .
رَجَوْنَا فِيمَا بَعْدَ الْأَا تُخَيِّرَ الْغُرْبَانُ أُمَّهَاتِنَا بِمَا جَرَى وَسَطَ أَشْجَارِ الرَّائِنِجِ
نَارِزِقَةَ الصَّمْغِ .

[5]

صَنَعْنَا عَرَبَةَ كَارُو مِنْ قِشْرَةِ جُوزِ . اسْتَحْدَمْنَا بَكْرَةَ خَيْطِ عَجَلَاتِ .
رَبَطْنَا فِيهَا نَمَلَتَيْنِ وَكَدَسْنَا فَوْقَهَا كَوْمَةَ بَرَسِيمِ . أَرْجُوكَ الْأَا تُخَيِّرَ
أَحَدًا إِلَى أَيْنَ سَنَذْهَبُ .

الصَّدى يَسْتَمِعُ فِي الْبَيْتِ ، وَالْكَهْفُفُ تُرَدِّدُ رَيْنِينَ أَصْوَاتِنَا .
الشَّمْسُ تُحْرِقُ الصَّخْرَةَ ، وَبَعْضُ الْمَدَاخِنِ تُرْسِلُ عَالِيًا أَعْمِدَةً مِنْ مُدُنِ
الْبَابُونِجِ الْبَيْضَاءِ .

عَصَافِيرُ "أَبُو فَصَادَةَ" يَسْرِقُونَ قُبَعَاتِنَا الْقَشَّ وَيَرْتَدُونَهَا .
وَإِذْ يَقْبَعُونَ عَلَى الشَّرْفَةِ الْأَعْلَى لِشَجَرَتِنَا الثُّوتِ ، يَسْخَرُونَ مِنَّا . وَنَحْنُ
نَسْخَرُ مِنْ عَصَافِيرِ "أَبُو فَصَادَةَ" .

نَدْخُلُ الْحُظَيْرَةَ الْمُطَلِّيَّةَ بِالْأَبْيَضِ ، الْمَلِيئَةَ بِالْأَعْشَابِ وَبِصَلِيبِ خَشْيِي ،
وَنَبْحَثُ عَنْ زُهْورِ بَنَفْسِجِ بَرِّي ، لِتَجْدِلَهَا تَاجًا لِشَعْرِ الْفَتَيَاتِ .
الطَّرِيقُ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ مُسْتَقِيمٌ ، وَسَاسَةُ الْبِغَالِ يُغْنُونُ أُغْنِيَاتِ جَمْعِ
الْكُرُومِ تَحْتَ حَرَارَةِ شَمْسِ الظَّهِيرَةِ الْهَائِلَةِ .

[56]

مِثْلَ قَلْبِ سُنُونُو صَغِيرٍ يَرْتَعِدُ فِي قَبْضَةِ الْفَجْرِ ، تَبْدَأُ ذَاكِرَتُكَ بِأَوَّلِ وَرَقَةٍ
شَجَرِ خَضْرَاءَ .

تَتَذَكَّرُ كَيْفَ جَلَسْتَ وَحَدَقْتَ فِي الْعَيْنَيْنِ الْوَاسِعَتَيْنِ الْمُسْتَدِيرَتَيْنِ لِلْبَقْرِ
الَّذِي يَرَعَى ، وَأَنْتَ تَرَى مَشْهَدًا طَبِيعِيًّا زِرَاعِيًّا مُصَغَّرًا : السَّهْلُ
الَّذِي يُشْبِهُ صِينِيَّةَ خَضْرَاءَ فَسِيحَةٍ ، وَالْكَنِيسَةَ الصَّغِيرَةَ بِأَشْجَارِ
السَّرْوِ ، وَالْقَوْسُ الْأَبْيَضُ مِنْ حَمَامٍ فَوْقَ الْغَابَةِ ، وَالْحِصَادُونَ بِحَزْمِ
الْقَمْجِ وَمَنَادِيلِ صَفْرَاءَ .

لَمْ تُدْرِكْ مِعْمَارَ الزُّهُورِ ، وَلَا آيَاتِ الطُّيُورِ الْمُسْتَخْدَمَةَ فِي اجْتِيَازِ السَّمَاءِ .
قُلْتَ بِبِسَاطَةٍ "صَبَاحَ الْخَيْرِ" لِلزُّهُورِ وَلِلطُّيُورِ ، مِثْلَمَا قَدْ تَقُولُ "صَبَاحَ
الْخَيْرِ" لِلْفَتَيَاتِ .

أَتَيْدِ فَتَحَ الْأَقْحُوَانُ نَوَافِدَ صَغِيرَةً وَانْحَنَى عَلَى حَوَاقِفِهَا لِيُحَيِّيَ الصَّبَاحَ ، حِينَ
مَرَّ فِي الشَّارِعِ دُونَ أَعْبَاءِ الظِّلِّ وَالذَّاكِرَةِ .
فِيمَا بَعْدَ ، انْحَنَيْتَ لِئُحَيِّيَ النَّاسَ بِخَلْعِ قُبَّعَتِكَ ، وَلِتَقُولَ "شُكْرًا" لِلزُّهُورِ
وَحَدَهَا حِينَ لَا يَكُونُ هُنَاكَ مَنْ يَسْمَعُكَ .

تَمَنَيْتَ لَوْ تَكْبُرُ سَرِيعًا ، لِتَرْتَدِي سَرَاوِيلَ طَوِيلَةً ، لِتَتَعَلَّمَ أَنْ تَكْتُبَ
فَيُمْكِنَ أَنْ تَكُفَّ عَن قَوْلِ "شُكْرًا" ، لِثَنِبَتِ وَرْدَةٌ حَيْثُ يَنَامُ
شُعَاعُ حَزِينٍ مِنْ ضَوْءٍ فِي قَوَيْسِ خَاوٍ مِنْ شَدَى .

وَالآنَ تَطْلُبُ مِنْ جَدِيدٍ أَنْ تُلْقِي عَلَى الشَّفَةِ نَفْسَهَا "شُكْرًا" نَفْسَهَا ، بَعْدَ
سَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْ نِسْيَانِهَا .

[7]

نِمْنَا حِينَ كُنَّا غَيْرَ مُتَعَبِينَ . أَكَلْنَا حِينَ لَمْ نَكُنْ جَوْعَى .
حَافِظْنَا عَلَى الْوَقْتِ بِاسْتِخْدَامِ سَاعَاتِ أَيْدِينَا الَّتِي مُنِحَتْ لَنَا فِي يَوْمِ
تَسْمِيَّتِنَا^[1] ، نَاسِينَ سَاعَةَ الْحَدِيقَةِ الَّتِي كَانَتْ دَائِمًا مَا تُشِيرُ إِلَى
الصَّيْفِ .

وَالآنَ ، نُرِيدُ أَنْ نَضَعَ سَاعَةَ يَدِنَا لَصِيقَةً بِنَبْضِنَا ، لِتُحَدِّدَ الْوَقْتَ الَّذِي تَبْدَأُ
فِيهِ أَيْدِي سَاعَةِ الظِّلِّ فِي الإِشَارَةِ عَبْرَ الْوَجْهِ الْأَخْضَرَ الذَّهَبِيِّ
لِلْمَرْجِ .

مَا يَزَالُ ثَمَّةَ وَقْتُ لَنَا لِنَقْطَعَ بَعْضَ الحُشَخَاشِ حَتَّى لَا تُشِيخَ أَيْدِينَا دَاخِلَ
أَدِيرَةِ الكُتُبِ .

[8]

فِي اللَّيْلِ ، تَمُرُ أَشْجَارُ اللُّوزِ تَحْتَ نَوَافِدِنَا بَطِيئَةً حَزِينَةً فِي أَرْدِيَّتِهَا
الْبَيْضَاءِ ، كَهَوَّلَاءِ الْفَتَيَاتِ الشَّاحِبَاتِ مِنْ مَلَجَاءِ الأَيْتَامِ عَائِدَاتِ
مِنْ نُزْهَةِ يَوْمٍ أَحَدٍ قَصِيرَةٍ ، شِبْهَ نَائِمَاتِ ، يُمَسِّكْنَ بِأَيْدِي
بَعْضِهِنَّ اثْنَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ ، بِلَا كَلَامٍ ، بِلَا نَظَرٍ لِأَعْلَى إِلَى التَّجُومِ
الْمَتَبَرِّعِمَةِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فِي الظَّلَالِ ، نَائِيَةً وَسَعِيدَةً .
فِي الْعَدِّ ، سَنَطْلُبُ مِنْ أَشْجَارِ اللُّوزِ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَتَغْسِلَ عُبَارَ
أَحْزَانِنَا عَنْ وُجُوهِهَا .

^[1] احتفال بقديس ما، شفيع، في اليوم الذي تتم فيه تسمية المولود..

[58]

وَفِي الْمَسَاءِ ، حِينَ تَعُودُ مُتَهَلِّلَةً ، سَتَمْنَحُنَا كَلِمَاتِنَا الْأُولَى نَظِيفَةً مُغْتَسِلَةً فِي
الْبَحْرِ ، وَسَنَصْرُحُ فِي التَّوَافِئِ الْمَفْتُوحَةِ ابْتِهَاجًا بِقُدْرَتِنَا عَلَى الصَّرَاحِ .

[9]

اللَّيْلَةَ نَسْقُطُ فِي النَّوْمِ فِي حِجْرِ الرَّبِيعِ ، وَرَأْسُنَا تَسْتَقِرُّ عَلَى قَلْبِهِ .
نَسْمَعُ نَبْضَاتِ الْقَلْبِ وَتَنَفُّسِ الطُّيُورِ فِي نَوْمِنَا .
وَفِي الصَّبَاحِ ، حِينَ نَصْحُو ، نَرَى السَّمَاءَ تَتَمَشَّى فِي حُجْرَتِنَا ، كَطَائِرٍ أَزْرَقِ
بِعَيْنَيْنِ ذَهَبِيَّتَيْنِ يَتَغَدَّى بِبَقَايَا فُتَاتِ الظَّلِّ .
آنِيذِ ، فِي لَمَحَةٍ ، نَعْتَسِلُ وَنَسْتَعِدُّ لِلنَّهَارِ .

[10]

أَيُّهَا الْمَسِيحُ ، لِمَاذَا تَرْتَدِي ذَلِكَ الرَّدَاءَ الطَّوِيلَ الْحَزِينِ ، وَتِلْكَ الْأَعْشَابَ
عَلَى رَأْسِكَ ؟ أَلَيْسَتْ الزُّهُورُ أَفْضَلُ ؟
هَلْ أَنْتَ قَلْبٌ مِنْ أَلَّا يَنْفَتِحُ بَابُ السَّمَاءِ لَوْ وَضَعْتَ حُشْحَاشًا فِي شَعْرِكَ
الْأَشْعَثِ ؟
لَا تَضْحَكِ لِأَنِّي أَضَعُ ضِمَادَةً عَلَى رَأْسِي .
فَقَدْ سَقَطْتُ فِي الْأَجْمَاتِ أَوَّلَ أَمْسٍ وَأَنَا الْأَحِقُّ الْفَرَّاشَاتِ .
هَيَّا ، فَلْنَمِضْ إِلَى الْحَقْلِ يَدًا فِي يَدٍ كَأَطْفَالٍ ، وَسَأُعَلِّمُكَ كَيْفَ تَعْرِفُ عَلَى
التَّايِ .

لَنْ تَبْدُو جَمِيلَةً عَلَيْكَ تِلْكَ التَّجَاعِيدُ الَّتِي يَتَّخِذُهَا وَجْهُ الْأُمِّ حِينَ تُوقِفُ
شُغْلَهَا لِبُرْهَةٍ وَتَنْظُرُ إِلَى الْقَمَرِ الْجَدِيدِ عَبْرَ النَّافِذَةِ .
فَلَنْمِضْ لِتُقْصَّ شَعْرَكَ الْمَحْزِنِ . سَنَسْتَخْدِمُ الْمَجْزَاتِ الضَّخْمَةَ الَّتِي
يَسْتَخْدِمُونَهَا مَعَ الْأَغْنَامِ .
وَسَتَرَى ، فَالْرَبِّ سَوْفَ يُجِئُنَا . سَيَتْرُكُنَا نَجْلِسُ عِنْدَ قَدَمَيْهِ . وَسَوْفَ يَبْتَسِمُ
بِعُدُوبَةٍ وَنَحْنُ نَضَعُ زُهُورًا فِي شَارِبِهِ الطَّوِيلِ .
وَحِينَ يَجْلُ الظَّلَامِ ، سَتَرِي بِطِ صَرَاصِيرِ اللَّيْلِ بِمَرْكَبَتِهِ الصَّغِيرَةِ ، وَسَنَنْطَلِقُ
خِلَالَ الْفِرْدُوسِ ، فِيمَا تُشْعِلُ الْمَلَائِكَةُ التُّجُومَ الَّتِي تُشْرِقُ إِلَى
الْأَسْفَلِ عَلَى جَمِيعِ الْأَطْفَالِ الْآخَرِينَ الَّذِينَ بَقُوا عَلَى الْأَرْضِ .

[11]

الْيَوْمَ عَنَّتْ فَتَاهُ مِنْ قِمَّةِ شَجَرَةِ حُورٍ ، وَشَرَائِطُ الْبَحْرِ فِي شَعْرِهَا .
مِنْ أُغْنِيَّتَيْهَا طَارَتْ عَصَافِيرُ صَغِيرَةٌ ، مَلَأَتْ السَّاحَاتِ وَعَظَّتْ الْأَسْفَلَ .
حَطَّتْ الْعَصَافِيرُ عَلَى أَكْتافِ الْأَطْفَالِ .
وَالْكَبَارُ ، الْمُتَخَبِّطُونَ فِي شِبَاكِ الشَّمْسِ ، تَرْتَحُّوا كَالْكَتَاكِيَتِ .
جُنَّتِ الْوُرُودُ ، وَهِيَ تَقُومُ بِحَرَكَاتٍ بَهْلَوَانِيَّةٍ فِي الْمِيَاهِ .
أُيُّهَا الْمَسِيحُ ، يَا لَهُ مِنْ ضَوْءِ سَكَرَانَ ، يَخْتَرِقُ زُجَاجَ النَّافِذَةِ ، يَفِيضُ عَلَى
الْغُرْفِ ، فَلَا يَتْرُكُ ظِلًّا وَاحِدًا لِلْأُمَّ لِتُظَلِّلَ عَيْنَيْهَا .
هَكَذَا سَوْفَ تُمَاوِجُ مِنْدِيلَهَا فِي الْهَوَاءِ ، وَتَرْقُصُ الرَّقِصَةَ الَّتِي رَقَصَتْهَا
حِينَ كَانَتْ وَالْأَبُ صَغِيرِينَ - رَقِصَةَ جَزِيرَةِ بَارِيَجِ الْبَحْرِ

وَالْقَوَارِبِ الْمَحْمَلَةِ بِالْبُرْتَقَالِ .
وَالْأَبُ سَوْفَ يَتَّظَاهَرُ بِأَنَّهُ نَسِي الْحُطُوتِ ، وَيَبْتَسِمُ وَهُوَ يَخْبِطُ كَعَبِهِ فِي
الهُوَاءِ .

وَنَحْنُ - الْأَطْفَالُ ، وَالطُّيُورَ ، وَالزُّهُورَ ، وَالصُّخُورَ - سَنَتَّبِعُهُمْ فِي الرَّقِصِ ،
وَصُورًا إِلَى سَاحَةِ الدَّرَاسِ لِلشَّمْسِ ، نُغْنِي لِيَتْلِكَ الْأَيَّامِ الَّتِي لَا
تَذْوِي أَبَدًا ، حِينَ رَقَصَ الْكِبَارُ مَعَ أَطْفَالِهِمْ ، نَفَسَ الرَّقِصَةِ ، كُلَّ
رَبِيعٍ .

[12]

العَالَمُ امْتَلَأَ بِالزُّهُورِ وَالطُّيُورِ .
وَالْأَصْوَاتُ الْمُبْتَهَجَةُ تَرِنُ خِلَالَ الْقَرْيَةِ .
الْأَجْرَاسُ فِي أَعْنَاقِ الْحَمِيرِ .
الْأَجْرَاسُ فِي آذَانِ الشَّمْسِ .
الْأَجْرَاسُ فِي أَطْرَافِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ .
الْأَجْرَاسُ فِي شَعْرِ الْفَتَيَاتِ الْمَضْفُورِ .
الْجَمِيعُ يَرْقُصُونَ فِي الضُّوْءِ وَالرَّيْنِ .
يَخْرُجُ الْجَدُّ إِلَى ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَيَنْسِجُ مِنْ أَغْصَانِ خَضْرَاءِ سِلَالًا صَغِيرَةً
تُسْتَخْدَمُ فِي جَمْعِ الثُّوتِ وَبَيْضِ الْحَمَامِ .

[61]

[13]

سَوْفَ نَسْتَحْدِمُ الْكُرَّةَ الْأَرْضِيَّةَ ، تِلْكَ الَّتِي يَسْتَحْدِمُهَا الْمَدْرَسُ فِي شَرْحِ
الْجُغْرَافِيَا ، كَكُرَّةٍ وَنُدْحِرْجُهَا خِلَالَ الْقَرْيَةِ الْحَضْرَاءِ ، فِي الْبَابُونِجِ .
فِي اللَّيْلِ صَعَدْنَا إِلَى مَقْبَرَةِ الْقَرْيَةِ ، وَبَحَثْنَا فِي السَّرِّ عَنِ جَمَاجِمِ ، وَنَحْنُ
نَمْلَأُهَا بِالْأَعْشَابِ وَالزُّهُورِ .
وَفِي الْعَيْنَيْنِ الْحَاوِيَتَيْنِ وَضَعْنَا وَرَدَّتَيْنِ .
وَالآنَ كُلُّ شَيْءٍ مُشْرِقٌ وَنَابِضٌ بِالْحَيَوِيَّةِ .
حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنِ الصَّيْفُ حَسَبَ التَّقْوِيمِ ، فَقَدْ كُنَّا نَعْرِفُ أَنَّهُ سَرَعَانَ مَا
سَيَحِلُّ .

[14]

الْفَتَيَاتُ يُرْغَبْنَ رَأْسَ الشَّمْسِ ، وَالشَّمْسُ تَسُبُّ كَطْفَلٍ مُدَلِّيٍّ حِينَ يَدْفَعَنَّ
بِرَأْسِهَا إِلَى حَوْضِ الْغَسِيلِ لِيَسْطَفِنَهَا .
آلَافٌ مِنْ رَعَوَاتِ الصَّابُونِ تَتَشَبَّهُ فِي الْهَوَاءِ ، كَأَقْوَابِ قَرْحِ صَغِيرَةٍ فِي أُفُقِ
مِنْ فَرَاشَاتٍ مَسْحُورَةٍ .
الْحَمَامُ يُلَاحِظُ الرِّغَوَاتِ .
يَوْمِي الضَّوءُ ، مُؤَنَّبًا السُّنُونُوتِ الْمَسْتَيْقِظَةِ لِتَوَّهَا .
غَرِيبٌ أَنْ يَظَلَّ الْكِبَارُ نَائِمِينَ مَعَ كُلِّ هَذِهِ الضُّوْءِ .
لَسَوْفَ نَضَعُ زَيْزَ حَصَادٍ تَحْتَ مِنْخَارِ الْجَدِّ ، لِيُمْكِنَهُ أَنْ يَشَمَّ نَفْسَ رَبِيعِنَا ،
وَلَسَوْفَ يُزْهِرُ ظَرْفُ عُكَّازِهِ مِثْلَ شَجَرَةِ كَرِزٍ صَغِيرَةٍ .

فَحْنُ لَا نُحِبُّ، فِي هَذَا الْوَقْتِ، الْكُتُبَ ذَاتِ الْقَصَائِدِ الشَّبِيهَةِ بِنُسَاكِ
مَهْزُولِينَ .

لَا نُحِبُّ أَبْنَاءَ عُمُومَتِنَا الْبَعِيدِينَ ، الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنَ الْعَاصِمَةِ ، وَهُمْ يَرْتَدُونَ
سُتْرَاتٍ مُزْدَوَجَةً ، وَدَائِمًا مُصَابُونَ بِالْبَرْدِ .
نَمَشِي حُفَاةً عَلَى الْأَرْضِ الْمَلْتَهَبَةِ ، وَنَخْلَعُ ثِيَابَنَا تَحْتَ أَشْجَارِ الدَّلْبِ ،
وَنُصَفِّرُ ، نَلْعَبُ لُعْبَةَ الْحَرْبِ ، وَنَتَقَاذِفُ بِالْأَحْجَارِ ، نُطَلِقُ طَائِرَاتِ
وَرَقِيَّةً ، وَنَسْتَحِمُّ فِي النَّهْرِ مَعَ الشَّحَارِيرِ وَالْحَجَلِ .
خَبَّأْنَا نَحْلَةً طَنَانَةً فِي حَقِيْبَةِ الْمَدْرَسَةِ وَأَنْصَتْنَا إِلَيْهَا وَهِيَ تَتْرُزُ خِلَالَ دَرَسِ
الْحِسَابِ .

بِالْكَادِ نَبْقَى بُرْهَةً فِي الْمَنْزِلِ .

نَخْرُجُ إِلَى الْحُقُولِ وَنَتَفَقَّدُ فِخَاخَنَا .

فِي سَاحَةِ الدَّرَاسِ أَكْوَامُ الْقَشِ تُشْرِقُ كَأَثْدَائِ عَارِيَّةٍ ، وَالْأَحْصِنَةُ تَتَسَابَقُ
فِي الظَّهِيرَةِ ، سَاحِقَةٌ السَّنَابِلِ ، وَضَائِعَةٌ فِي الْغَابَةِ .
حِينَ يَحُلُّ الْمَسَاءُ ، تَعُودُ الْأَحْصِنَةُ إِلَى فِنَاءِ الْمَرْعَةِ ذُلُولَةً ، وَالسَّلَاحِفُ
الْكَسُولَةَ تَقْطِفُ الْأُحْوَانَ فِي الْحُقُولِ الصَّامِتَةِ .

يَفُوحُ الْوَقْتُ بِالْعَرَقِ وَنَبِيذِ الرَّتْسِينَا ، فِيمَا يَتَصَاعَدُ دُخَانُ الْمَسَاءِ فَوْقَ
السُّقُوفِ ، وَمَكْثْنَا بُرْهَةً فِي الطَّرِيقِ ، نُلْمِلُ التُّجُومَ ، لِئُرِي أُمَّهَاتِنَا
أَنَّنَا أَيْضًا فَمْنَا بِشَيْءٍ مَا ، وَأَنْ قَلَقَهُنَّ عَلَى يَوْمِنَا لَمْ يَكُنْ عَبَثًا .

لَا يَزَالُ الْكِبَارُ لَا يَدْرُونَ عَمَّ نَبْحَثُ ، لَا يَدْرُونَ حَصَادَنَا ، وَلَا قَادِرِينَ عَلَى

الأكل من طحيننا .

وَمَعَ ذَلِكَ فَنَحْنُ نُرْتَبِعُ عَلَى الْأَيْدِي الْمَتَعَبَةِ لِأُمَّهَاتِنَا ، فِيمَا نَرُقُبُ طَوَالَ
الْوَقْتِ ، عَن بُعْدِ ، كَوَكَبَةِ الذَّبِّ الْكَبِيرِ فِي انْطِلَاقَتِهَا الذَّهَبِيَّةِ .

[16]

أُمِّي ، لَا تَغْضَبِي مِنَّا لِأَنَّنا لَا نُرِيدُ الْبَقَاءَ فِي الْمَنْزِلِ .
فَالشَّمْسُ تَدْعُونَا إِلَى الْخُرُوجِ .

سَنُلْبِسُكَ رِدَاءً مِنْ وُرُودِ نَسَجِهِ الرَّبِيعِ بِنَفْسِهِ ، مُسْتَخْدِمًا أَوْهَى أَشْعَةِ
كَابِرٍ ، تَحْتَ أَشْجَارِ اللُّوزِ . سَنُجْلِسُكَ أَمَامَ مِرَاةٍ لِيُمْكِنَ لَكَ أَنْ
تَنْظُرِي ، وَتُضْحِكِي ، وَتَعْرِفِينَا .

ثُمَّ سَتَقْبَعِي سُنُونَاتٌ صَغِيرَةٌ عَلَى أَصَابِعِكَ ، لَكِنَّكَ مَعَ ذَلِكَ لَنْ تَضْحَكِي
مِنْ ذَلِكَ .

أُمِّي ، كَيْفَ يُمَكِّنُنَا أَنْ نُدْحِرَجَ بَعِيدًا الصَّخْرَةَ الَّتِي تُسُدُّ بَابَكَ ؟
وَمَعَ ذَلِكَ ، فَبِي زُجَاجٍ نَوَافِذِنَا يُشْرِقُ الْوَجْهُ الْمَلَوَّنُ لِلْفَجْرِ ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ،
فِي إِطَارٍ مِنْ أَشْجَارِ التُّفَاحِ الْمَزْهَرَةِ عَلَى الْجَبَلِ .

نَقْفِرُ خَارِجَ نَوَافِذِنَا .

وَالسَّمَاءُ تُزْهِرُ دَاخِلَنَا مُبْتَسِمَةً ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ نَقْفُ ، نَقْفُ فِي كُلِّ
الْأَمَاكِنِ .

أُمِّي ، لِمَاذَا أَنْتِ مَمْرُورَةٌ هَكَذَا ، فَلَنَمِضْ إِلَى الْحَدِيقَةِ لِيُمْكِنَنَا أَنْ نُعَلِّمَكَ أَنْ
تَتَهَجَّيَ مِنْ كُتُبِ دَرَاْسَتِنَا أَبْجَدِيَّةِ الشَّمْسِ ، وَشَيْئًا فَشَيْئًا ،

[64]

سَتَتَعَلِّمِينَ أَنْ تَقْرَأِي الزُّهُورَ .
سَنَدْفَعُ بِكَ عَلَى ظَهْرِ أَوْزَةِ بَرِّيَّةٍ ، وَسَيُفْرِفُ ثُوبُكَ فِي الْهَوَاءِ كَرَايَةِ عَالِيَا
فَوْقَ الْحُقُولِ الْخَضْرَاءِ .

[17]

كَانَتْ الْأَرْضُ مَرْوِيَّةً بِالضُّوءِ . وَلَا يُمَكِّنُكَ الْحَدِيثُ عَنِ الضُّوءِ وَالْأَرْضِ
وَبَعْضُهُمَا بِمَعزِلٍ عَنِ بَعْضِ .
نَحْنُ أَحْلَامُنَا .

انْفَتَحَتِ التَّوَاغِيذُ ، وَدَخَلَتِ الزُّهُورُ كَجَيْشٍ بَهِيحٍ بِطُبُولٍ حَمْرَاءِ وَأَبْوَابٍ
ذَهَبِيَّةٍ ، عَائِدِينَ مِنَ حَدِيقَةِ الْأَمْسِ إِلَى مَوَدَّةِ الْيَوْمِ .
كَانَ السِّيَاحُ مُعْطَى تَمَامًا بِالْأَخْضَرِ ، وَلَمْ تَعُدْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَى أَنَّهُ سِيَاحُ .
فِي صَفَائِرِ الرَّبِيعِ الشَّقْرَاءِ تَبَرَعَمَتِ زَنَايُ زَرْقَاءُ صَغِيرَةٌ .
وَبِقَدْرِ مَا بَكَوْا أَوَّلَ أَمْسٍ ، تَذَكَّرُوا الْيَوْمَ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ شُبَّانًا ،
وَيَضْحَكُونَ لِأَنَّهُمْ بَكَوْا .

[18]

حِينَ مَرَّتْ "بَانَا جِيَا" فِي صَمْتٍ تَحْتَ الْأَشْجَارِ ، لَمْ يَسْمَعْهَا أَحَدٌ .
لَمْ تَنْبَحِ الْكِلَابُ فِي الْفِنَاءِ .
وَحَدَّهَا صَرَاصِيرُ اللَّيْلِ قَامَتِ بِتَحِيَّتِهَا ، وَدَوَّتْ نَجْمَةٌ كَبِيرَةٌ كَوْتَرٍ فِي أُغْنِيَّةِ
تَجْهُولَةٍ لَمْ يَسْمَعْهَا سِوَى الْأَطْفَالِ فِي نَوْمِهِمْ ، وَاسْتَدَارَتْ مِنْ جَانِبٍ

[65]

إِلَى آخِرِ مُبْتَسِمَةٍ .

الْيَوْمَ فِي الْحُقُولِ ، نَبَتَتْ زَنَايِقُ ذَهَبِيَّةٍ صَغِيرَةٌ ، وَالرُّعَاةُ الَّذِينَ عَثَرُوا عَلَيْهَا
رَكَعُوا وَصَلَّوْا .

حَقًّا ، عَادَ بَصْرُ الْأَعْمَى الْعَجُوزِ ، وَالْمَشْلُوبُ مَشَى ، وَأَمَامَ الْأَنْظَارِ الَّتِي
سَفَحَتْ دُمُوعًا غَزِيرَةً ، وَبَدَتْ وُجُوهَهَا مَبْهُوتَةً ، انْفَجَرَتْ شَجَرَةٌ
لَوْزٍ بِالْإِزْهَارِ .

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ نَفْسِهَا ، أَصْبَحَ نَوْمُهُمْ عُسٌّ سُنُونُو مُقَامًا تَحْتَ قَوَيْسِ جَرِيْسٍ
كَنِيْسَةٍ .

[19]

كَمْ هِيَ زَاعِقَةُ الطُّيُورِ ، حِينَ تَتَحَدَّثُ فِي نَوْمِهَا .

إِنَّهَا مِثْلَ أَطْفَالٍ يَبْكُونَ طَوَالَ اللَّيْلِ بِهَذَيَانٍ أُغْنِيَاتِهِمْ كَأَنَّهُمْ يُرَدِّدُونَهَا مِنْ
أَجْلِ امْتِحَانٍ مَا .

لَا نَسْتَطِيعُ النَّوْمَ ، نَسْمَعُ أُغْنِيَاتِنَا كَنَحْلِ يَبْزُ حَوْلَ بَابُونَجِ الثُّجُومِ وَحَوْلِ
قُلُوبِنَا .

يَقُولُ الْكِبَارُ إِنَّنَا كَسَالَى .

لَكِنَّا نَعْرِفُ الْعَمَلَ - نَنْظُرُ يَقِظِينَ إِلَى أَنْ يَغْمَرَ الْفَجْرُ الْحَقْلَ الْأَزْرَقَ
الشَّاسِعَ فَيَكُونُ عَلَيْنَا أَلَّا تَفُوتَنَا حَدِيقَةُ الشَّمْسِ أَعْلَى حَدَائِقِ
النَّاسِ .

وَحَتَّى لَوْ وَصَفُونَا بِالْكَسَلِ ، فَنَحْنُ نَعْرِفُ مَا التَّعَبُ ، نَعْرِفُ مَاذَا يَكُونُ

[66]

حَرْتُ الحَقْلِ الأعْظَمِ ، مِنْ البَدءِ ، ذَلِكِ الذِي يَكْتَسِي كُلَّ يَوْمٍ
بِالْقُرَاصِ .

تَعْرِفُ كَمْ يُمَكِّنُ أَنْ تُصْبِحَ الأَيْدِي الذَّهَبِيَّةُ الصَّغِيرَةُ لِأشْعَةِ الشَّمْسِ
بِالْعَةِ الوَهْنِ ، وَهِيَ تَبْنِي هَذِهِ المَدْنَ البَهيجَةَ لِلزُّهُورِ ، بِشُرْفَاتٍ
مَفْتُوحَةٍ مِنْ وُرُودٍ ، بِأَبْرَاجِ أَجْرَاسٍ شَاهِقَةٍ مِنْ زَنَاقٍ .
وَلَا يَرَى آخَرُونَ سِوَى أَشْعَةِ الشَّمْسِ وَالزُّهُورِ .
لَا يَدْرُونَ بِنَمَطِ تَعِينِنَا ، وَلَا ذُمُوعِنَا .



سُونَاتَا ضَوْءِ الْقَمَرِ

(1956)



(ليلة ربيعية. غرفة كبيرة في بيت قديم. امرأة في وسط العمر،
ترتدي الأسود، تتحدث إلى شاب. لم يُشعلاً أي ضوء. من خلال
التافذتين، يدخل ضوء قاس. لم أهمل ذكر أن المرأة ذات الرداء
الأسود قد أصدرت عملين أو ثلاثة أعمالٍ لافتةٍ من الشعر ذي
الطبيعة الدنيية. حسناً، فالمرأة ذات الرداء الأسود تتحدث إلى
الشاب):

فَلأَذْهَبَ مَعَكَ. يَا لَهُ اللَّيْلَةَ مِنْ قَمَرٍ!
فَالْقَمَرُ مُفِيدٌ لِي - وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ
إِنَّ شَعْرِي قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى الْأَبْيَضِ. فَالْقَمَرُ
سَيَجْعَلُ شَعْرِي ذَهَبِيًّا مِنْ جَدِيدٍ. وَلَنْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَعْرِفَ الْفَرْقَ.
فَلأَذْهَبَ مَعَكَ.

حِينَ يَكُونُ هُنَاكَ قَمَرٌ، تُصْبِحُ الظَّلَالُ فِي الْمَنْزِلِ أَكْبَرَ،
وَأَيْدٍ لَا مَرِيئَةَ تَشُدُّ السَّائِرَ،

وَأَصَابِعُ شَبَحِيَّةٌ تَكْتُبُ كَلِمَاتٍ مَنَسِيَّةً فِي الْعُبَارِ
عَلَى الْبَيَانُو- لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهَا. فَلَتَبَقَ سَاكِنَةً.
فَلأَذْهَبَ مَعَكَ

لِمَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ إِلَى هُنَاكَ، حَتَّى الْحَائِطِ الْخَفِيفِ لِمَصْنَعِ الْقَرْمِيدِ،
حَيْثُ يَنْحَنِي الطَّرِيقُ وَيَمَكِّنُكَ أَنْ تَرَى
الْمَدِينَةَ الْأَسْمَنِيَّةَ لَكِنَّ ذَاتَ الْهَوَاءِ الطَّلِقِ، وَهِيَ مَطْلِيئَةٌ بِضَوْءِ الْقَمَرِ،
لَا مُبَالِيَّةً وَلَا مَادِّيَّةً،
يَقِينِيَّةً كَالْمِيتَافِيزِيْقِيَّاتِ،
إِلَى حَدِّ أَنْكَ يُمَكِّنُ- فِي النَّهَائِيَّةِ- أَنْ تُصَدِّقَ أَنَّكَ مَوْجُودٌ وَعَبْرُ مَوْجُودِ،
أَنَّكَ لَمْ تُوجَدْ قَطْ، وَأَنْ لَا الزَّمَنَ وَلَا تَخْرِيْبَهُ قَدْ وُجِدَا أَبَدًا.
فَلأَذْهَبَ مَعَكَ.

سَنَجْلِسُ بُرْهَةً عَلَى الْجِدَارِ الْمُنْخَفِضِ، هُنَاكَ فِي ذَلِكَ الْمُرْتَفَعِ،
وَعِنْدَمَا تَهَبُّ عَلَيْنَا رِيحُ الرَّبِيعِ
يُمْكِنُنَا أَنْ نَتَخَيَّلَ حَتَّى إِنَّنَا سَنَطِيرُ
لَأَنْبِي، فِي مَرَّاتٍ كَثِيرَةٍ، حَتَّى الْآنَ، أَسْمَعُ خَفِيفَ ثَوْبِي
كَرَفْرَفَةٍ جَنَاحِينَ قَوِيَّينِ يَضْرِبَانِ الْهَوَاءَ؛
وَعِنْدَمَا تَسْتَعْرِقُ فِي صَوْتِ الطَّيْرَانِ هَذَا
تَشْعُرُ أَنَّ حَلَقَكَ، وَضُلُوعَكَ، وَجَسَدَكَ قَدْ أَصْبَحُوا رَاسِخِينَ؛
وَبِذَلِكَ- وَأَنْتَ مُحْشُورٌ بِأَحْكَامٍ فِي عَضَلَاتِ الْهَوَاءِ الْأَزْرَقِ،

في الأعصابِ القويّةِ لتلكِ الأَعالي-
لَا يَهُمُّ مَا إِذَا كُنْتَ تَمِضِي أَمْ تَعُودِ،
وَلَا يَهُمُّ إِذَا مَا تَحَوَّلَ شَعْرِي إِلَى الأَبْيَضِ
(لَيْسَ ذَلِكَ مَصْدَرَ أَسْفِي، فَأَسْفِي
أَنَّ قَلْبِي، أَيضًا، لَمْ يَتَحَوَّلْ إِلَى الأَبْيَضِ).
فَلأَذْهَبَ مَعَكَ.

أَعْرِفُ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَمِضِي وَحْدَهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الحُبِّ،
وَحْدَهُ إِلَى المَجْدِ وَإِلَى المَوْتِ.
أَعْرِفُ هَذَا. وَجَرَّبْتُ ذَلِكَ. لَا جَدْوَى.
فَلأَذْهَبَ مَعَكَ.

هَذَا المَنْزِلُ أَصْبَحَ مَسْكُونًا بِالأَشْبَاحِ، يَتَمَرَّدُ عَلَيَّ.
أَعْنِي أَنَّهُ أَصْبَحَ عَتِيقًا، مَسَامِيرُهُ تَنَسَاقُطُ،
وَإِطَارَاتُ صُورِهِ تَتَدَاعَى بِسُهُولَةٍ كَأَنَّهَا تَغُوصُ فِي الفِرَاقِ،
وَالجِصُّ يَسَاقُطُ بِلَا صَوْتِ
كَسُقُوطِ قُبْعَةٍ رَجُلٍ مَيِّتٍ مِنْ مِشْجَبِهَا فِي مَمَرِّ مُظْلِمٍ،
كَسُقُوطِ القُقَّازِ الصُّوفِيِّ المُهُتَرِيِّ عَنِ رُكْبَتِي الصَّمْتِ
أَوْ قُصَاصَةِ ضَوْءِ القَمَرِ عَلَى المِقْعَدِ القَدِيمِ، المَبْقُورِ.
وَحَتَّى لَوْ كَانَتْ جَدِيدَةً ذَاتَ يَوْمٍ- لَا، لَيْسَتْ الصُّورَ الفُوتُوغَرَفِيَّةَ الَّتِي

تَنْظُرُ إِلَيْهَا بِارْتِيَابٍ -

إِنِّي أَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَقْعَدِ، الْمُرِيحِ لِلْغَايَةِ، حَيْثُ يُمَكِّنُكَ الْجُلُوسُ لِسَاعَاتٍ
بِلَا انْقِطَاعٍ

وَبِعَيْنَيْنِ مُغْمَضَتَيْنِ تَحْلُمُ بِأَيِّ شَيْءٍ عَشَوَائِي
- بِشَوَاطِئِ رَمَلِيَّةٍ، نَاعِمَةٍ، مَبْلُولَةٍ، لَامِعَةٍ بِفِعْلِ الْقَمَرِ،
بَلْ أَكْثَرَ لَمَعَانًا بِكَثِيرٍ مِنَ الْحِذَاءِ الْجِلْدِيِّ الْقَدِيمِ الْمَصُونِ الَّذِي أُرْسِلُهُ كُلَّ
شَهْرٍ إِلَى كُشْكِ الْأَحْدِيَةِ،

أَوْ شِرَاعٍ قَارِبِ الصَّيْدِ الَّذِي يَتَلَاشَى فِي الْبُعْدِ، مُتَارِحًا مَعَ زَفِيرِهِ،
شِرَاعٍ مُثَلَّثٍ مِثْلَ مِندِيلٍ مَطْوِيٍّ مِنْ قَطْرِهِ إِلَى اثْنَيْنِ فَحَسَبَ
كَأَنَّ لَاشَيْءَ هُنَاكَ كِي يُعْطِيهِ أَوْ يُحَبِّئَهُ،
أَوْ لِيُرْفِرِفَ عَلَى اتِّسَاعِهِ فِي وَدَاعٍ. كُنْتُ دَائِمًا مَجْنُونَةً بِالْمَنَادِيلِ -
لَا لِأَحْتَفِظَ بِأَيِّ شَيْءٍ دَاخِلَهَا وَهِيَ مَعْقُودَةٌ،
كَبُذُورِ الزُّهُورِ أَوْ الْبَابُونِجِ الْمَجْنِيَّةِ مِنَ الْحُقُولِ فِي الْغُرُوبِ،
لَا لِأَعْقِدَهَا مِنْ أَرْكَانِهَا الْأَرْبَعَةِ مِثْلَ الْمَنَادِيلِ الْمُهْتَرَّةِ لِعُمَالِ الْمَنْزِلِ
الْمُقَابِلِ نِصْفِ الْمَبْنِيِّ،

أَوْ لِأَجْفَفَ بِهَا عَيْنِي - لَقَدْ اعْتَنَيْتُ جَيِّدًا بِعَيْنِي،
وَلَمْ أَرْتِدْ أَبَدًا نَظَارَاتٍ. مُجَرَّدُ نَزْوَةٍ، تِلْكَ الْمَنَادِيلِ.

أَطْوِيهَا الْآنَ إِلَى أَرْبَعٍ، إِلَى ثَمَانِي، إِلَى سِتِّ عَشْرَةَ
بِبَسَاطَةٍ كِي تَظَلَّ أَصَابِعِي مَشْغُولَةً. وَالْآنَ أَذْكَرُ

كَيْفَ أَنِّي ظَلَلْتُ أَدُقُّ الْمَوْسِيقَى فِيمَا كُنْتُ أَحْضَرُ مَعَهْدَ الْمَوْسِيقَى
فِي رِدَاءِ أَرْزَقِ بِيَاقَةِ بَيْضَاءَ، مَعَ ضَفِيرَتَيْنِ شَقْرَاوَيْنِ
- 64، 32، 16، 8 -

مُتَشَبِّهَةٌ بِيَدِ شَجَرَةٍ خُوخِ صَدِيقَةٍ لِي، كُلُّهَا زُهُورٌ ذَاتَ لَوْنٍ وَرِدِيٍّ فَاتِحٍ،
(اغفِر لي أفعالي هذه- إِنَّهَا عَادَةٌ سَيِّئَةٌ)- 64، 32- وَعَلَّقَ أَهْلِي
أَمَالًا كُبْرَى عَلَى مَوْهَبَتِي الْمَوْسِيقِيَّةِ. حَسَنًا، كُنْتُ أَحْيَى لَكَ عَنِ الْمِقْعَدِ-
الْمَنْزُوعِ الْأَحْشَاءِ- يَايَاثَهُ الصَّدِئَةُ ظَاهِرَةٌ، وَالْحَشْوُ-
كُنْتُ أَفَكَّرْتُ فِي أَخِذِهِ إِلَى تَجَارِ الْمُوْبِيلِيَا الْمَجَاوِرِ،
لَكِنِ أَيْنَ الْوَقْتُ أَوْ الْمَالُ أَوْ الْمِزَاجُ- أَيُّهُمْ لَهُ الْأَوْلِيَّةُ؟-
فَكَّرْتُ فِي إِلْقَاءِ قِطْعَةٍ قُمَاشٍ فَوْقَهُ- لَكِنِّي كُنْتُ خَائِفَةٌ
مِنْ قِطْعَةٍ قُمَاشٍ بَيْضَاءَ فِي ضَوْءِ قَمَرٍ مِثْلَ هَذَا.
هُنَا جَلَسَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَلَمُوا أَحْلَامًا عَظِيمَةً، مِثْلَكَ أَوْ مِثْلِي،
وَالآنَ يَتَمَدَّدُونَ تَحْتَ التُّرَابِ حَيْثُ لَا يُرْعِجُهُمْ مَطَرٌ وَلَا قَمَرٌ.
فَلَاذْهَبْ مَعَكَ.

سَنَتَوَقَّفُ بُرْهَةً عَلَى قَمَّةِ السُّلَمِ الرَّخَائِيِّ لِسَانَ نِيكُولَاوُسَ
وَبَعْدَ ذَلِكَ سَوْفَ تَمْضِي نَازِلًا وَسَوْفَ أَعُودُ،
مُتَدَكِّرَةً عَلَى جَنِبِي الْأَيْسَرَ دِفَاءً مِعْطَفِكَ وَهُوَ يَلْمَسُنِي مُصَادَفَةً،
وَحَتَّى بَعْضَ الْأَضْوَاءِ الْمُرْتَعِشَةِ الْمُرَبَّعَةِ لِتَوَافِدِ صَغِيرَةٍ فِي الْأَحْيَاءِ الْفَقِيرَةِ،
وَهَذَا الضَّبَابُ الْأَبْيَضُ النَّاصِعُ مِنَ الْقَمَرِ مِثْلَ سِرْبِ طَوِيلٍ مِّنْ أَوْزٍ فَضِّي-

لَا أَخْشَى اسْتِخْدَامَ مِثْلِ هَذَا التَّعْبِيرِ
لَأَنِّي فِي لَيَالٍ رَبِيعِيَّةٍ كَثِيرَةٍ، فِيمَا مَضَى، تَحَادَّثْتُ مَعَ الرَّبِّ عِنْدَمَا تَجَلَّى لِي
مُكْتَسِبًا بِغُمُوضٍ وَمَجْدِ ضَوْءِ قَمَرٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛
وَكَمْ مِنْ شُبَّانٍ، أَكْثَرَ وَسَامَةً مِنْكَ، قَدَّمْتُهُمْ قُرْبَانًا لَهُ
هَكَذَا، نَاصِعَةً وَمُسْتَعْصِيَةً، تَحَوَّلْتُ إِلَى سَدِيمٍ فِي وَهْجِي الْأَبْيَضِ، فِي بَيَاضِ
القَمَرِ،

تُوَجِّجُنِي عُيُونُ الرَّجَالِ الشَّرِهَةِ، وَنَشْوَةُ الشُّبَّانِ الْحَائِرَةِ،
مُسَيِّجَةً بِأَجْسَادٍ فَاتِنَةٍ، لَفَحَتْهَا الشَّمْسُ،
وَأَعْضَاءَ فِتْيَةٍ تَمَرَّسَتْ فِي السَّبَاحَةِ وَالتَّجْدِيفِ وَالسَّبَاقِ وَالْكُرَةِ (رَغْمَ أَنِّي
تَظَاهَرْتُ بِعَدَمِ الْمُلَاحَظَةِ)

حَوَاجِبَ، وَشِفَاهِ، وَأَعْنَاقِ، رُكْبٍ، وَأَصَابِعِ، وَعُيُونِ،
صُدُورٍ وَسَوَاعِدَ وَأَفْحَازَ (فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ أَلْحَظْهَا)
- تَدْرِي أَنَّكَ، فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، عِنْدَ الْاِفْتِتَانِ، تَنْسَى مَا يَفْتِنُكَ، فَافْتِنَانُكَ
يَكْفِي -

يَا إِلَهِي الْعَزِيزِ، يَا لَهَا مِنْ عُيُونٍ لَامِعَةٍ كَالنُّجُومِ، وَقَدْ سَمَوْتُ إِلَى مَثَلِ أَعْلَى
لِلنُّجُومِ الْمُحَرَّمَةِ

لَأَنِّي، مُحَاصِرَةٌ هَكَذَا مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ،
مَا كَانَ أَمَامِي سَبِيلٌ سِوَى الْأَعَالِي أَوْ الْقَاعِ. -لَا، ذَلِكَ لَا يَكْفِي.
فَلَاذْهَبْ مَعَكَ.

أَعْرِفُ أَنَّ الْوَقْتَ تَأَخَّرَ لِلْعَايَةِ الْآنَ. فَلَاذْهَبْ،

لَأَنِّي طَوَّالٌ سَنَوَاتٍ كَثِيرَةً وَأَيَّامٍ وَلَيَالٍ وَأَقْمَارٍ قُرْمُزِيَّةٍ، ظَلَلْتُ وَجِيدَةً،
صَامِدَةً، وَجِيدَةً وَظَاهِرَةً،

حَتَّى فِي سَرِيرِ زِفَافِي، وَجِيدَةً وَظَاهِرَةً،
أَكْتُبُ قَصَائِدَ مَجِيدَةً عَلَى رُكْبَتِي الرَّبِّ،
قَصَائِدَ سَوْفَ تَبْقَى، أَوْ كَدُّ لَكَ، كَأَنَّهَا مَنْقُوشَةٌ عَلَى رُخَامٍ نَقِيٍّ
فِيمَا بَعْدَ حَيَاتِكَ أَوْ حَيَاتِي، أَبْعَدَ بِكَ كَثِيرًا. ذَلِكَ لَا يَكْفِي.
فَلَا ذَهَبَ مَعَكَ.

لَا أَسْتَطِيعُ احْتِمَالَ هَذَا الْمَنْزِلِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.
لَا أَسْتَطِيعُ احْتِمَالَ مَوَاصِلَةِ حَمَلِهِ عَلَى ظَهْرِي.
لَأَبْدُ أَنْ تَكُونَ مُنْتَبِهًا دَائِمًا، مُنْتَبِهًا لِلْغَايَةِ
لِتَسْنِدِ الْحَائِظِ بِالْبُوفِيهِ الْكَبِيرِ
لِتَسْنِدِ الْبُوفِيَةِ بِالْمَائِدَةِ الْعَتِيقَةِ الْمُزْخَرَفَةِ
لِتَسْنِدِ الْمَائِدَةَ بِالْكَرَاسِيِّ
لِتَسْنِدِ الْكَرَاسِيَّ بِيَدَيْكَ
لِتَضَعَ كَتِفَكَ تَحْتَ الدُّعَامَاتِ الْمُتَدَلِّيَةِ.
وَالْبَيَانُ يُشْبِهُ كَفْنَا أَسْوَدَ مُغْلَقًا. لَا تَجْرُؤْ عَلَى فَتْحِهِ.
لَأَبْدُ أَنْ تَكُونَ مُنْتَبِهًا دَائِمًا، مُنْتَبِهًا لِلْغَايَةِ، خَشِيَّةَ سُقُوطِهِمْ، خَشِيَّةَ
سُقُوطِكَ. لَا أَحْتَمِلُ.
فَلَا ذَهَبَ مَعَكَ.

هَذَا الْمَنْزِلُ، رَغَمَ كُلِّ مَوْتَاهُ، لَا يَنْوِي أَنْ يَمُوتَ.
إِنَّهُ مُصِرٌّ عَلَى الْحَيَاةِ مَعَ مَوْتَاهُ
عَلَى الْحَيَاةِ بَعِيدًا عَنِ مَوْتَاهُ
عَلَى الْحَيَاةِ عَلَى الْيَقِينِ فِي مَوْتِهِ هُوَ
بَلْ حَتَّى عَلَى إِبْوَاءِ مَوْتَاهُ فِي أُسْرَةٍ وَرُقُوفٍ خَرِبَةٍ.
فَلَاذْهَبْ مَعَكَ.

هُنَا لَا يُهِمُّ مَدَى الْهُدُوءِ فِي سَيْرِي خِلَالَ غَبَشِ الْمَسَاءِ،
سَوَاءً فِي حُفِّي أَوْ حَافِيَةٍ،
فَسَوْفَ يَصِرُ شَيْءٌ أَوْ آخَرَ- يُقْرِعُ إِطَارُ نَافِذَةٍ، أَوْ مِرَاةً،
يُسْمَعُ وَقَعُ خَطِي مَا- لَيْسَتْ خُطَايِ.
فِي الشَّارِعِ بِالْخَارِجِ يُمَكِّنُ أَلَّا تُسْمَعَ هَذِهِ الْخُطَى-
فَالْتَدَمُ، كَمَا يَقُولُونَ، يَرْتَدِي قَبَاقِيبَ خَشِيبَةٍ-
وَإِذَا مَا حَاوَلْتَ النَّظَرَ فِي هَذِهِ الْمِرَاةِ أَوْ تِلْكَ،
فِيمَا وَرَاءَ الْغُبَارِ وَالشُّرُوحِ،
فَسَوْفَ تَتَبَيَّنُ وَجْهَكَ أَكْثَرَ إِعْتَامًا وَتَشْطِيبًا،
وَجْهَكَ، رَغَمَ أَنَّكَ لَمْ تُرِدْ مِنَ الْحَيَاةِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُبْقِيَهُ وَاضِحًا وَمُكْتَمِلًا.

حَافَةُ كُوبِ الْمَاءِ تَلْتَمِعُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ

كَمْ وَسَى دَائِرِي - كَيْفَ يُمَكِّنِي أَنْ أَضَعَهُ عَلَى شَفْتِي؟
لَا يُهِمُّ مَدَى مَا أَشْعُرُ بِهِ مِنْ عَطَشٍ، كَيْفَ يُمَكِّنِي؟ هَلْ تَرَى؟
لَا أزال فِي المِزَاجِ الاستِعارِي - ذَلِكَ ما يَبْقَى لي،
ذَلِكَ ما يُؤَكِّدُ لي أَنَّني لا أزال هُنا.
فَدَعِنِي أَذهبَ مَعَكَ.

فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ، عِنْدَما يَحُلُّ اللَّيْلُ، يَتَمَلَّكُنِي الإِحْساسُ
بأنَّ مُدْرَبَ الدَّبَّيَّةِ يَمُرُّ خَارِجَ النَّافِذَةِ مَعَ دُبَّيْتِهِ العَجُوزِ النَّاعِسَةِ،
وَفِرَاؤُها مُعْطَى بِالشَّوْكِ وَالزَّرْعُورِ،
مُثِيرَةً سَحَابَةً مِنَ التُّرابِ فِي الشَّارِعِ المُجاوِرِ،
سَحَابَةً تُرابٍ كَثِيبَةً تَصَاعِدُ كَالْبُخُورِ فِي الشَّفَقِ؛
وَالأَطْفالُ عَادُوا إلى بُيُوتِهِم لِلعِشاءِ دُونَ أَنْ يُسَمَحَ لَهُم بِالخُرُوجِ مِنْ جَدِيدِ،
رَغْمَ أَنَّهُم يَهْجِسُونَ خَلْفَ جُدْرانِهِم بِالخُطى الثَّقِيلَةِ لِلدَّبَّيَّةِ العَجُوزِ،
وَالدَّبَّيَّةُ تَتَقَدَّمُ بِتَعَبٍ فِي حِكْمَةٍ وَحَدِيثِها، لا تَدْرِي إلى أينَ أو لِمَ اذًا -
لأنَّها أَصَبَحَت ثَقِيلَةً، لَمْ تُعَدْ تُسْتَطِيعُ الرِّقْصَ عَلَى قَدَميها الخَلْفِيَّتَيْنِ،
لَا تُسْتَطِيعُ أَنْ تَرْتَدِي قُبَعَتَها المُزِينَةَ لِتُسَلِّي الأَطْفالَ، وَالعاطِلِينَ، أو هُوَلاءِ
الَّذِينَ يَطْلُبُونَ مِنْها،

لأنَّها لا تُريدُ سِوَى أَنْ تُسْتَلْقِي عَلَى الأَرْضِ،
وَتَتْرُكُهُم يَقْفِزُونَ عَلَى بَطْنِها، لِتَلْعَبَ بِذَلِكَ لُعبَتَها الأَخِيرَةَ،
وَرَفَضَها مَصالِحَ الآخِرِينَ، وَالأَجْرَاسَ فِي مِناخِرِها، وَاحتِياجَاتِ أَسنانِها،

رَفَضَهَا لِأَلَمِ وَالْحَيَاةِ
مَعَ اقْتِرَانِ أَكِيدِ بِالْمَوْتِ - حَتَّى لَوْ كَانَ مَوْتًا بَطِيئًا -
رَفَضَهَا الْأَسَى الْمَوْتَ مَعَ اسْتِمْرَارِ وَمَعْرِفَةِ الْحَيَاةِ
الَّذِي يَتَصَاعَدُ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْفِعْلِ فَوْقَ عُبودِيَّتِهَا.

لَكِنْ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْضِيَ فِي هَذِهِ اللَّعْبَةِ إِلَى نِهَائِتِهَا؟
وَالدَّبَّةُ تَنْهَضُ مِنْ جَدِيدٍ وَتَتَهَادَى،
مُطِيعَةً لِسَوِّطِهَا، لِأَجْرَاسِهَا، لِأَسْنَانِهَا،
مُبْتَسِمَةً بِشَفَتَيْهَا الدَّامِيَّتَيْنِ لِلْمَلَالِيمِ وَالْقُرُوشِ الَّتِي يَرْمِيهَا إِلَيْهَا الْأَطْفَالُ
الْجَمِيلُونَ الْوَائِقُونَ
(جَمِيلُونَ لِأَنَّهُمْ بِالتَّحْدِيدِ وَائِقُونَ)
وَهِيَ تَقُولُ: شُكْرًا. لِأَنَّ الشَّيْءَ الْوَجِيدَ
الَّذِي تَعَلَّمَتِ الدَّبَّةُ الَّتِي شَاخَتْ أَنْ تَقُولَهُ هُوَ: شُكْرًا، شُكْرًا.
فَلَاذْهَبْ مَعَكَ.

هَذَا الْمَنْزِلُ يَخْنِقُنِي. الْمَطْبَخُ بِالذَّاتِ
يُشْبِهُ قَاعَ الْبَحْرِ. غَلَايَاتُ الشَّايِ الْمُعَلَّقَةُ تَلْتَمِعُ
مِثْلَ الْعُيُونِ الْكَبِيرَةِ الْمُسْتَدِيرَةِ لِسَمَكَةٍ خُرَافِيَّةٍ،
وَالْأَطْبَاقُ تَتَحَرَّكُ فِي كَسَلٍ مِثْلِ قَنَادِيلِ الْبَحْرِ،
وَالْقَوَاقِعُ وَالطَّحَالِبُ تَعْلُقُ بِشَعْرِي - لَا يُمَكِّنُنِي انْتِرَاعُهَا فِيمَا بَعْدَ،

لَا اسْتَطِيعُ الصُّعُودَ إِلَى السَّطْحِ مِنْ جَدِيدٍ،
تَسْقُطُ الصَّيْنِيَّةُ مِنْ أَصَابِعِي بِلَا صَوْتٍ - أَنْهَارٍ
وَأَرْقُبُ الْفَقَاقِيعَ تَتَصَاعَدُ مِنْ تَنَفُّسِي وَتَصَاعَدُ
وَأَحَاوِلُ تَسْلِيَةَ نَفْسِي بِمُرَاقَبَتِهَا،
وَأَسْأَلُ نَفْسِي عَمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَقُولَهُ شَخْصٌ فِي الْأَعْلَى إِذَا مَا رَأَى هَذِهِ
الْفَقَاقِيعَ -

أَنْ شَخْصًا مَا يَغْرِقُ، رَبَّمَا، أَمْ أَنْ غَوَّاصًا يَسْتَكْشِفُ أَعْمَاقَ الْبَحْرِ؟

وَالْحَقِيقَةُ أَنِّي اكْتَشَفْتُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ، مَرَّاتٍ لَيْسَتْ كَثِيرَةً،
لَوْلَا وَمَرْجَانًا وَكُنُوزَ السُّفُنِ الْغَارِقَةِ،
لِقَاءَاتٍ غَيْرَ مُنْتَظَرَةٍ، وَأَشْيَاءَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ وَالْمُسْتَقْبَلِ،
تَحَقُّقًا - فِي الْغَالِبِ - مِنَ الْأَبَدِيَّةِ،
سِحْرًا مَا يَنْشُرُ غَيْبَهُ، وَبَسْمَةً مَا لِلْخُلُودِ، كَمَا يَقُولُونَ،
سَعَادَةً، سُكْرًا - حَمَاسَةً حَتَّى،
لَوْلَا وَمَرْجَانًا وَيَاقُوتًا -
فَقَطْ، لَا أَدْرِي كَيْفَ أَمْنَحُهُمْ - وَمَعَ ذَلِكَ أَمْنَحُهُمْ -
فَقَطْ، لَا أَدْرِي مَا إِذَا كَانُوا قَادِرِينَ عَلَى تَلْقَائِهِمْ - وَرَغَمَ ذَلِكَ أَمْنَحُهُمْ.
فَلَا ذَهَبَ مَعَكَ.

لِحَظَّةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى أَنْ آتِي بِسُتْرَتِي.

في هذا المناخ غير المستقر، على أية حال، ينبغي أن ننتبه لأنفسنا.
المساءات مُقبِضةٌ، والقمر-

ألا تعتقد، بصدق، أنه يُكثفُ القشعريرة؟

دعني أزرر قميصك- كم أن صدرك قوي!-

يا له من قمر قوي.. المقعد، أقول.. وعندما رفعت الكوب عن المائدة

تبقت تحته فجوة صمت، وأغظيها بيدي

حتى لا أهدق داخلها- أعيد الكوب إلى موضعه من جديد،

والقمر فجوة في جُمجمة العالم- لا تنظر فيها،

ففيها قوة مغناطيسية تجذبك- لا تنظر، لا تدع أحدًا ينظر،

أنصت لما أقول- لسوف تسقط فيها. هذا الدوار

جميل وبلا ثقل- لسوف تسقط-

والقمر بئر من رخام،

ظلال وأجنحة صامته تتحرك، أصوات غامضة- ألا تسمعها؟

عميق، عميق هو السقوط،

عميق، عميق هو التهوض،

التمثال الأثري مقطب في صرامة وسط جناحيه المنشورين،

عميقة، عميقة هي هبة الصمت الراسخة،

إضاءة مرتجفة على الشاطئ الآخر كأنك تتأرجح في موجتك الخاصة،

تنفس المحيط. هذا الدوار

جميل وبلا ثقل- انتبه، ستسقط. لا تنظر إلي،

لأنَّ دَوْرِي أَنْ أَتَرْتَحَ - الدُّوَارُ الرَّائِحَ. هَكَذَا كُلَّ يَوْمٍ حَوَالِي الْمَسَاءِ
يُؤَاتِينِي صُدَاعٌ طَافِيفٌ، بِضَعُ رُقَى سِحْرِيَّةٍ مُدَوَّخَةٍ.

كثيرًا مَا أَهْرَعُ إِلَى الصَّيْدَلِيَّةِ عَبْرَ الشَّارِعِ مِنْ أَجْلِ أُسْبِرِينَ،
وَأحيانًا مَا لَا أَستطِيعُ تَكْيِيدَ نَفْسِي مَشَقَّةَ الدَّهَابِ، وَأَبْقَى مَعَ صُدَاعِي
وَأَنْصِتُ إِلَى الضُّوضَاءِ المَكثُومَةِ الَّتِي تَصْنَعُهَا مَوَاسِيرُ المِيَاهِ فِي الجُدْرَانِ،
أَوْ أَصْنَعُ بَعْضَ القَهْوَةِ، وَأَنْسَى - وَأَنَا غَائِبَةُ الدَّهْنِ كَمَا دَائِمًا -
فَأَصْنَعُ كِمِّيَّةً تَكْفِي اثْنَيْنِ - فَمَنْ الَّذِي سَيَشْرَبُ الكُوبَ الثَّانِي؟
إِنَّهُ حَقًّا شَيْءٌ مُسَلٍّ؛ أَتْرُكُهَا تَبْرُدُ عَلَى عَتَبَةِ النَّافِذَةِ
أَوْ أحيانًا مَا أَشْرَبُ الكُوبَ الثَّانِي أَيْضًا، مُحْمِلَقَةً مِنْ نَافِذَتِي فِي الإِضَاءَةِ
الكَهْرَبَائِيَّةِ الحَضْرَاءِ لِلصَّيْدَلِيَّةِ،

مِثْلَ الضُّوءِ الأَخْضَرَ لِقطَارٍ بِلاَ صَوْتٍ يَأْتِي لِيرْحَلَ بِي
بِمَنَادِيلِي، وَأَحْدِيثِي المُنْتَفِرَةِ، وَحَقِيبَتِي السُّودَاءِ، وَقَصَائِدِي،
وَبِلاَ حَقَائِبَ سَفَرٍ أَبَدًا - فَمَا الفَائِدَةُ مِنْهَا؟
فَلأَذْهَبَ مَعَكَ.

أه، هَلْ تَمْضِي؟ تُصْبِحُ عَلَى خَيْرٍ. لَآ، لَنْ أَجِيءَ. تُصْبِحُ عَلَى خَيْرٍ.
سَأَخْرُجُ بِنَفْسِي بَعْدَ بُرْهَةٍ. شُكْرًا لَكَ، لِأَنَّي يَنْبَغِي حَقًّا
أَنْ أَخْرُجَ مِنْ هَذَا المِنْزَلِ المَسْكُونِ بِالأَشْبَاحِ.
لَأَبْدُ أَنْ أَلْقِي نَظْرَةً عَلَى المَدِينَةِ - لَآ، لَآ، لَيْسَ القَمَرُ -

المَدِينَةُ بِأَيْدِيهَا القَاسِيَةَ، مَدِينَةُ الأَجْرَاءِ،
المَدِينَةُ الَّتِي تُقَسِّمُ عَلَى خُبْزِهَا وَقَبْضَتِهَا،
المَدِينَةُ الَّتِي نَحْمِلُنَا عَلَى ظَهْرِهَا،
بِتَفَاهَاتِنَا، وَرَذَائِلِنَا، وَأَحْقَادِنَا،
بِطُمُوحَاتِنَا، وَجَهْلِنَا، وَشَيْخُوحَاتِنَا،
لَأَسْمَعَ الخُطُواتِ الكَبِيرَةَ لِلْمَدِينَةِ
إِذْ لَمْ أَعُدْ أَسْمَعُ خُطُواتِكَ،
وَلَا خُطَى الرَّبِّ، وَلَا حَتَّى خُطَاي. تُصْبِحُ عَلَى خَيْرِ.

(تُعتم الحجره. يبدو أن سحابة لا بد أخفت القمر. فجأة، كأن
شخصاً ما فتح الراديو في البار المجاور، تَبْلُغُ السَّمْعَ جملة مألوفة
للغاية. أدرك أنثى أن هذا المشهد كله كان مصحوباً بـ"سوناتا ضوء
القمر"، بالجزء الأول فحسب. لا بد أن الشاب يهبط الآن المنحدر
بابتسامة متهكّمة وربما شفوقية على شفّتيه المنحوتتين، ويشعور
من تحرر أخيراً. وما إن يصل إلى سان نيكولاؤس - قبل أن يهبط
السلم الرخامي - حتى يضحك، ضحكة عالية مطلقّة العنان. ولن
تبدو ضحكته نشازاً تحت القمر أبداً. ربما كان الشيء الوحيد
التأثر فيها أنها ليست نشازاً أبداً. وبعد برهة، سيهوي الشاب إلى
الصمت، سيتحوّل إلى شخص وقور، ويقول: "نشاز عصر". هكذا،
سيفتح أزرار قميصه من جديد، وهو رصين تماماً مرة أخرى،
ويواصل طريقه. أمّا المرأة ذات الرداء الأسود، فلا أدري ما إذا كانت

قَد غَادَرَتِ الْمَنْزِلَ فِي التَّهَائِيَةِ، أَمْ لَا. ضَوْءُ الْقَمَرِ يَلْتَمِعُ مِنْ جَدِيدٍ.
وَفِي أَرْكَانِ الْعُرْفَةِ، تَتَيَبَّسُ الظَّلَالُ وَتَتَوَتَّرُ تَحْتَ وَطْأَةِ نَدِيمٍ لَا يُحْتَمَلُ،
وَعَظِيمٍ غَالِبًا، لَا تَجَاهُ الْحَيَاةَ بِقَدْرِ مَا هُوَ تَجَاهُ اعْتِرَافٍ كَانَ بِلَا جَدْوَى
تَمَامًا. هَلْ تَسْمَعُ؟ الرَّادِيُو يُوَاصِلُ): (مُوسِيْقَى "سُونَاتَا ضَوْءِ الْقَمَرِ").



تمرينات

(1960-1950)

1 - التَّمَائِيل

أَدَارَ الْمِفْتَاحِ فِي الْبَابِ
لِيَدْخُلَ الْمَنْزِلَ ، لِيَرُقُدَ .
فَجَاءَهُ تَذَكُّرٌ أَنَّهُ نَسِيَ شَيْئًا مَا .
كَانَ الْوَقْتُ قَدْ تَأَخَّرَ ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْعَوْدَةَ .

هَكَذَا ، وَحِيدًا فِي اللَّيْلِ ،
وَيَدُهُ عَلَى الْمِفْتَاحِ ،
بَعِيدًا عَنِ الشَّارِعِ ، بَعِيدًا عَنِ بَابِهِ ،
تَحَوَّلَ الرَّجُلُ كُلُّهُ ، وَهُوَ يُوَاجِهَ مَصِيرَهُ ،
إِلَى رُخَامِ كَالْتَّمَائِيلِ .

مَعَ ذَلِكَ ، فَالْتَّمَائِيلُ تَبْتَسِمُ بِلَا مُبَالَاهُ .

2 - انتصار قاتل

وحيدة في الليل ، نهضت بلا صوت ،
خائفة من وقع خطاها .
هبطت إلى القبول للتحقق من هذه الأصوات
- أهى بسبب الفئران ، أم العنكبوت ، أم الزمن ، أم رأسها ؟-
حتى يمكنها في النهاية أن تنال بعض الثوم .

حين هبطت ، أطفأت الريح المصباح
وعلى خديها أحست بشعر الصمت المنتصب .

في الصباح التالي عثروا عليها مكمومة تحت السلايم . كانت تبتسم .
لم تؤكد أي شيء . لقد انتصرت .

1956-1955

3 - شجاعة أم جهل

قال : "الطُّيُورُ تَمْضِي عَكْسَ الرِّيحِ
لَا بِسَبَبِ الغَضَبِ أَوْ رُوجِ المَقَاوِمَةِ ، أَوْ الحَيَوِيَّةِ الزَّائِدَةِ .
لَا . بَلْ بِفِعْلِ الغُرُورِ فَحَسَبَ - حَتَّى لَا تُشَعِّثَ رِيَشَهَا".
كَانَ الآخَرُونَ مَذْهُولِينَ وَصَامِتِينَ
كَأَنَّهُمْ يَشْعُرُونَ بِالدَّنْبِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُفَكِّرُوا فِي ذَلِكَ ،
قَلِقِينَ مِنْ اِحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ صَحِيحًا
مُذْنِبِينَ بِقُدْرَتِهِمْ عَلَى تَصَدِيقِهِ .
أَحْنُوا رُؤُوسَهُمْ ، وَبِصُورَةٍ غَيْرِ مَلْحُوظَةٍ ، مَسَّطُوا شَعْرَهُمْ .
لِحَسَنِ الحِظِّ أَنْ الظَّلَامَ قَدْ حَلَّ ، وَلَمْ يَرِ أَحَدٌ إِيمَاءَةَ الآخَرِ ،
وَلَا حَتَّى الشَّخْصِ الَّذِي تَكَلَّمَ وَكَانَ يَقِفُ هُنَاكَ
بِأَنْفَةٍ ، مُمَسَّطًا مُتَأَنِّقًا . فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ
أَلْصَقَ القَمَرُ أُذُنَهُ بِزُجَاجِ النَّافِذَةِ .
كَانَ الصَّمْتُ الآنَ قَدْ أَصْبَحَ مُحْسُوسًا . وَافْتَرَقُوا .

1960-1950

4 - بعد التيران

بَعْدَ بُرُوعِ التَّهَارِ ، كَانَ الصَّمْتُ ثَقِيلًا وَسَطَ الْأَطْلَالِ الدَّاخِنَةِ .
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَصَارَعُوا مَعَ التَّيْرَانِ طَوَالَ اللَّيْلِ
كَانُوا الْآنَ نَائِمِينَ ، مُتَعَبِينَ وَهَادِثِينَ فِي اسْتِسْلَامِهِمُ الْعَذْبِ ،
وَالْآخَرُونَ بِابْتِسَامَةِ انْتِصَارِ مُبِهِمِ وَبِلَا غَايَةِ .

وَحَدَهُ كَانَ مُسْتَيْقِظًا . كَانَ ، فِي الْحَقِيقَةِ ، يَتَحَاشَى التَّوْمَ ،
دُونَ أَنْ يَدْرِي مَا إِنْ كَانَ الْمُنْتَصِرَ أَمْ الْمَهْزُومَ ،
مُحْمَنًا فَحَسَبَ بِصُورَةٍ مُبْهَمَةٍ أَنَّهُ رُبَّمَا - رُبَّمَا
كَانَ الْمُنْتَصِرُ الْوَحِيدُ هُوَ : قَرَارُهُ بِأَنْ يَعْرِفَ أَيُّهُمَا .

1956-1955

5 - الظالم

لَيْلٍ . نَظْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَحَسَبُ . رِضَاصَةٌ بِلَا صَوْتٍ .
الْغِلَافُ الْمَعْدِيٌّ لِلْعُزْلَةِ اخْتِرَقَ .
تَهَشَّمتَ تِلْكَ الْاسْتِدَارَةَ .
وَالْكَبْرِيَاءُ رَاكِعَةٌ .

لَيْلٌ جَمِيلٌ . جُرْجِي الْجَمِيلِ - قَالَ .
الطَّرِيقُ ، السَّمَاءُ ، التَّجْوُمُ - مَوْجُودَةٌ
كِي تَغُوصُ مِنْ جَدِيدٍ . نَظْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَحَسَبُ .

خَارِجَ الْعُزْلَةِ يُهَدِّدُ الْحَظْرَ الْعَظِيمَ
لِلْعُزْلَةِ - خَظَرُ جَمِيلٌ :
أَنْ تُتَنَافَسَ ذَلِكَ الشَّخْصَ الْآخَرَ وَالْعَدْلُ إِلَى صَفِّكَ ،
فِيمَا الظُّلْمُ كُلُّهُ أَنْ يَنْتَمِي ذَلِكَ الْعَدْلُ أَيضًا إِلَى ذَلِكَ الْآخَرَ .

1956-1955

6 - خَاطِبُ بَرُولِيَتَارِي

حَاوَلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ؛ تَلَعَنَّم .
كَرَّرَ الْأَشْيَاءَ نَفْسَهَا؛ تَوَقَّف .
"ذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ"، أَعْلَنَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْمُنْضِدَّة .
يَدُهُ، الرَّاسِخَةُ، بِمُحْطَوطٍ وَاضِحَةٍ،
كَانَتْ مِلْعَقَةً مُسَطَّحَةً . وَأَمَكَّنَّا
أَنْ نَثِقَ فِي الْكَلَامِ الَّذِي لَمْ يَقُلْهُ، وَفِي يَدَيْهِ .

خَارِجَ الْعُرْفَةِ، هَبَطَ الضَّوُّ فِي هَدِير .

1956-1955

7 - تبادلات

أَحْذُوا المِحْرَاتَ إِلَى الحَقْلِ ،
أَحْضَرُوا الحَقْلَ إِلَى المَنْزِلِ -
تَبَادُلَاتٌ لَانِهَائِيَّةٌ شَكَلَتْ
مَعْنَى الأَشْيَاءِ .

المِرَاءُ تَبَادَلَتْ مَكَانَهَا مَعَ السُّنُونُو ،
جَلَسَتْ فِي عَشِّ السُّنُونُو عَلَى السَّقْفِ وَغَرَّدَتْ .
وَالسُّنُونُو جَلَسَ إِلَى نَوْلِ المِرَاءِ وَنَسَجَ
نُجُومًا ، وَطُيُورًا ، وَزُهُورًا ، وَقَوَارِبَ صَيْدٍ ، وَأَسْمَاكَ .

أِهْ لَوْ كُنْتَ تَدْرِي فَحَسَبَ كَمَ هُوَ جَمِيلٌ فَمَكَ
فَسْتَقْبَلْنِي فِي عَيْنِي لَعَلِّي لَا أَرَاكَ .

يوليو 1955

عَارِيَّةٌ - أَخَذَتْ مِنْدِيلَهَا الْأَحْمَرَ
وَعَطَّتْ عَيْنَيْهَا حَتَّى لَا تُرَى ،
فِي حَالَةٍ إِنْ أَجْبَرَهُمُ الْخَوْفُ عَلَى أَلَّا يَنْظُرُوا . صَامِتَةٌ وَمُتَعَجِّرَةٌ - وَرَبَّمَا
حَتَّى خَائِفَةٌ .

خِلَالَ ظَلَامٍ عَيْنَيْهَا الْمَعْطَاتَيْنِ
لَرَبَّمَا لَا مَسَتْ حَتَّى أَوْ مَزَجَتْ الضُّوءَ ؛ بَعْدَهَا لَمْ تَسْتَيْقِظ .
تَحْتَ كُرْسِيِّ الْحَدِيقَةِ الْخَيْرَزَانَ ، احْتَفَظَ حِذَاؤُهَا
بِالشَّكْلِ الْحَافِي لِقَدَمَيْهَا . وَعَلَى غُصْنِ الشَّجَرَةِ ،
انْسَابَ رِذَاؤُهَا الْأَبْيَضَ ، كَاشِفًا عُرْيَهَا كُلَّهُ .

كَانَتْ تَأْمَلُ ذَلِكَ بَعْدَ الْمَوْتِ . رَفَرَفَ ضَوْءُ الْحَدِيقَةِ -
لَا أُدْرِي كَيْفَ - مِثْلَ سُخْرِيَّةٍ ، مِثْلَ إِطْرَاءٍ .

9 - واقعة

ظَلَّ الْفَارِسُ فِي السَّهْلِ ، شِبْهَ مَخْفِيٍّ فِي الْعُشْبِ .
فِي اللَّيْلِ عَادَ الْحِصَانُ وَحْدَهُ . لَمْ يَصْهَلِ .
أَحْتَى رَأْسَهُ أَمَامَ حَائِطِ الْبَيْتِ وَبَكَى بِدُمُوعٍ كَبِيرَةٍ .
فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ جِيءَ بِالمَصَابِيحِ إِلَى غُرْفَةِ الطَّعَامِ .

أَدْرَكُوا جَمِيعًا أَنَّ قَمَرًا أَصْفَرَ ، تَلَجِيًّا ، كَانَ يَذْوِي فِي الْحَدِيقَةِ
وَتَوَقَّعُوا صَرْخَةً مُرْعِبَةً فِي الْأُفُقِ . لَمْ يُسْمَعْ شَيْءٌ .
مُحْبِطِينَ ، اسْتَكْمَلُوا عَشَاءَهُمْ ، وَسَجَّائِرَهُمْ ، وَجَرَائِدَهُمْ .
وَالْفَارِسُ دُفِنَ بِكَثِيرٍ مِنَ الرِّسْمِيَّةِ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ
وَخِلَالَ أُسْبُوعٍ مَاتَ الْحِصَانُ .

1956-1955

10 - إلى وجهه مجهولة

حِينَ أَحَسَّ بِيَدِهَا عَلَى كَتِفِهِ ،
عَادَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَوْضِعِهِ فِي الشَّمْسِ ،
بَصْمَتٍ ، بِنِظَامٍ ، بِتَرْتِيبٍ مُسَبِّقٍ .

حَسَنًا ، فَاَلْمَعْطُفُ لَا بُدَّ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى التَّرْزِي ؛
فَعَلَيْهِ أَنْ يُحَوَّلَ قُبْعَتَهُ إِلَى شَكْلِ بَيْرُوقَرَاطِي ،
لِيَكُونَ قَادِرًا عَلَى الْعَمَلِ لِأَكْثَرِ مِنْ ثَمَانِي سَاعَاتٍ
هُنَا وَهُنَاكَ ، فِي الْجُمْرُكِ ، فِي الْبَنْكِ ، فِي مَكْتَبِ مَا .

فِي اللَّيْلِ ، حَفَرَ صَلِيبًا عَلَى مِنْضَدَةِ الْمُقَهِّي بِمَطَوَاتِهِ ،
كَأَنَّهُ قَدْ مَاتَ بِالْفِعْلِ ، كَأَنَّ مَنْفَاهُ الْقَدِيمِ
كَانَ مَنْزِلَهُ ، وَبَابَهُ ، وَحَدِيقَتَهُ .

ذِرَاعُهَا الْهَادِئَةُ ، الْمَسْتَقَرَّةُ عَلَى عُنُقِهِ ، ثِقْلٌ
لَا غِنَى عَنْهُ ، مُلَائِمٌ ، بِلَا تَوْجِيهِ

كَيَوْمِهِ الْأَخِيرِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَوْتٍ - قَالَ -
خَفِيٌّ وَيَلَا جَدْوَى . خَلَعَ قُبَّعَتَهُ
وَحَيَّاهَا بِوَقَاحَةٍ كَأَنَّهَا شَخْصٌ غَرِيبٌ ؛ حَقًّا ، لَقَدْ قَامَ بِالتَّحِيَّةِ
كَأَنَّمَا كَانَ يُحْيِي مَوْتَهُ . مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ
لَمْ نَعْلَمْ شَيْئًا عَنْهُ - مَا إِنْ كَانَ قَدْ رَحَلَ مَرَّةً أُخْرَى أَمْ غَرِقَ .

1956-1955

11 - توضيح ضروري

هناك مقاطع معينة - أحياناً قصائد كاملة -
لا أدري حتى معناها. وذلك الذي لا أدريه
هو ما يفحمني. فأنت محق في أن تسألني. لكن لا تسألني.
فأنا لا أدري، أقول لك.

فالأضواء المتوازية تأتي من المركز نفسه. وصوت الماء
المتساقط في الشتاء من مأسورة صرف المياه الزائدة،
أو صوت قطرة ماء وهي تسقط
من زهرة في حديقة مروية
ببطء، ببطء، على مساء ربيعي
كنجيب طائر. لا أدري

ما يعنيه هذا الصوت؛ ومع ذلك، فإني أعترف به.
لقد أوضحت لك ما أعرف، أيًا ما كان. ولست مستخفاً.
لكن حتى هذا أيضاً يضيف إلى حيواتنا. ولي أن الأخط
حين نامت، كيف شككت ركبنا زاوية على المائة -
لم يكن ذلك فحسب مسألة حب. فهذه الزاوية

كَانَتْ ذُرْوَةَ الْعُدُوبَةِ ، وَشَدَى
الْمَلَأَةِ وَالنَّظَافَةِ ، وَالرَّبِيعِ الْمُكْمَلِ
لِذَلِكَ الشَّيْءِ الْعَصِيِّ عَلَى التَّفْسِيرِ الَّذِي حَاوَلْتُ - مَرَّةً أُخْرَى عَبَثًا - أَنْ
أَوْضَحَهُ لَكَ .

1957-1956

12 - نُضُوج

كُنَّا نَعْرِفُهُ حِينَ كَانَ مُهْنَدَمًا ، مُتَحَفِّظًا ، رَصِينًا ،
قَوِيًّا وَوَسِيمًا ، عَلَى نُحُورِ مَا . قُمْنَا بِتَحِيَّتِهِ كُنَّا
بِصُورَةٍ طَبِيعِيَّةٍ تَمَامًا ، رُبَّمَا مَعَ ارْتِيَابٍ مَا
فِي الشُّعُورِ اللَّأ يُطَاقُ الَّذِي تَنُوُّ بِهِ
عَيْنَاهُ نِصْفُ الْمَغْمَضَتَيْنِ . إِلَى أَنْ خَلَعَ كُلُّ مَلَائِسِهِ ،
خِلَالَ غُرُوبِ أَحْمَرٍ فِي مُنْتَصَفِ أَغْسُطُس - فِي صَيْفِ رَهِيْبٍ ، مُشْتَعِلٍ -
وَوَقَّفَ هُنَاكَ عَارِيًّا تَمَامًا ، مُحْمَرًّا بِكَامِلِهِ ، مَصْبُوعًا
بِتِلْكَ الْحُمْرَةِ الدَّاكِنَةِ لِلْعُزْلَةِ وَاللَّانِهَائِيَّةِ ،
عَارِيًّا تَمَامًا ،
كَخُرُوفٍ رَائِعٍ مُعَلَّقٍ بِالْحُطَّافِ وَسَطِ السُّوقِ
بِشْرَايِينِهِ الشَّفَافَةِ ، الْمَكْشُوفَةِ
الَّتِي تَكْشِفُ جَرِيَانَ الدَّمِ وَالرَّبِّ . لَمْ يَسْتَطِعْ شَخْصٌ مَا احْتِمَالَهُ ؛
رَمَاهُ بِقِطْعَةٍ خَيْشٍ وَهَرَبَ . بَصَقَ عَلَيْهِ الْعَجَائِزُ .
أَخْرَجَ الرِّجَالَ مُسَدَّسَاتِهِمْ وَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ النَّارَ . رَجَمَهُ الْأَوْلَادُ بِالْأَحْجَارِ .
وَحَدَّهْمُ النِّسَاءُ وَالشُّبَّانُ غَطُّوا وُجُوهُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَرَكَعُوا .

13 - طفلٌ قصير النظر

كَانَ الْأَوْلَادُ الْآخَرُونَ يَصْحَبُونَ حَوْلَ الْمَلْعَبِ ؛ وَأَصْوَاتُهُمْ
تَرْتَفِعُ أَعْلَى سُقُوفِ الْحَيِّ ، وَأَيْضًا "صَفَعَاتُ" كُرْتِهِمْ
الشَّبِيهَةَ بِعَالِمِ كُرُوبِي ، بِكُلِّ بَهْجَةٍ وَصَفَاقَةٍ .

لَكِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ طَوَالَ الْوَقْتِ ، هُنَاكَ فِي نَافِذَةِ الرَّبِيعِ ،
دَاخِلَ مُسْتَطِيلٍ مِنَ الصَّمْتِ الْمَرِيرِ ،
إِلَى أَنْ أَغْفَى فِي التَّهَيِّئَةِ عَلَى النَّافِذَةِ وَالْأَصِيلِ مَا يَزَالُ ،
عَافِلًا عَنِ أَصْوَاتِ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ فِي عُمُرِهِ
وَعَنِ الْمَخَافِيفِ السَّابِقَةِ لِأَنَّهَا لَتَفُوقَهُ .

التَّظَارُّةُ عَلَى أَنْفِهِ كَانَتْ شَبِيهَةً
بِدَرَّاجَةٍ صَغِيرَةٍ مُسْتِنْدَةٍ إِلَى شَجَرَةٍ ،
بَعِيدًا فِي رَيْفِ شَاسِعِ ، غَارِقٍ فِي الضُّوءِ ؛
دَرَّاجَةٌ لِطِفْلِ مَاتٍ .

1956-1957

14 - حَيَاة

صَارِمٌ ، عَنِيدٌ طَوَالَ حَيَاتِهِ كُلِّهَا .
قُرْبَ النَّهَائَةِ ، أَصْبَحَ يَخَافُ مِنْ صَرَامَتِهِ ،
لِيَرَاهَا لَا كَقَضِيْلَةٍ بَلْ كَاغْتِعَالٍ ،
عُقُوبَةً لِلْآخِرِينَ ، وَبِالطَّبْعِ ، لِنَفْسِهِ .

بَعْدَهَا يَتَمَدَّدُ فِي صَمْتٍ ، فَاتِرًا وَصَارِمًا ،
كَحِطِّ نَادِمٍ . وَتَابُوتٌ طَوِيلٌ
يَمْتَدُّ عِبْرَ كُرْسِيِّينَ عَادِيَيْنِ
أَصْبَحَ جِسْرًا ضَيِّقًا فَوْقَ مَخَاوِفِهِ وَشُكُوكِهِ .

1957-1956

15 - تحقّق

ذَلِكَ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُهُ كَتَبِيرٍ لِحَيَاتِنَا ،
حَلَّ الْيَوْمَ . لَا أَثْرَ لِرَغْبَةٍ ، أَوْ ذِكْرَى ، أَوْ رُعب
فِي مَرَكِزِ خَلَايَانَا .

نَحْنُ جَسَدَانِ مُجَوَّفَانِ مَرْمِيَّانِ عَلَى شَاطِئِ اللَّيْلِ .
فِيمَا بَعْدَ ، فِيمَا كُنْتَ تَرْتَدِينِ جَوَارِبِكَ ، لَأَحْظُتُ
أَنَّ السَّرِيرَ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى حَيَوَانٍ مُتَحَجِّرٍ مِمَّا قَبْلَ التَّارِيخِ
فِي وَضْعِ نِكَاحٍ
يَخْطُو بِأَقْدَامِهِ الْأَرْبَعِ الْمَيْتَةَ عَلَى الْعَدَمِ .

1960-1950

16 - ليلة رجلٍ وحيد

كَم هُوَ حَزِينٌ الْأَثَاثُ فِي عُرْفَةِ رَجُلٍ وَحِيدٍ .
المائدةُ حَيَوَانٌ مُتَجَمِّدٌ مُتَصَلِّبٌ مِنَ الْبَرْدِ ،
وَالكُرْسِيُّ طِفْلٌ ضَائِعٌ فِي غَابَةِ مَغْمُورَةٍ بِالثَّلْجِ ،
وَالأَرِيكَةُ شَجَرَةٌ جَرْدَاءٌ أَسْقَطَتَهَا الرِّيحُ .

وَمَعَ ذَلِكَ ، فِي غُضُونِ بُرْهَةٍ قَصِيرَةٍ ، سَيِّئِ الشَّكْلِ
صَمْتُ شَفِيفٍ هُنَاكَ مِثْلَمَا فِي الدَّلْوِ ذِي القَاعِ الرُّجَاجِيِّ لِقَارِبِ صَيْدٍ ،
وَأَنْتَ ، مُنْحَنِيًّا تَمَامًا عَلَى هَذِهِ الفَجْوَةِ ،
تُحَدِّقُ عَبْرَ الرُّجَاجِ فِي أَعْمَاقِ البَحْرِ
الشَّفَاقَةِ ، المِضِيَّةِ ، بِشُقُوقِهَا الكِرِيستَالِ ، ذَا كِنَةِ الخُضْرَةِ ،
بِنَبَاتَاتِهَا البَحْرِيَّةِ العَرَائِبِيَّةِ ، تُحَدِّقُ
طَوِيلًا فِي الأَسْمَاكِ وَرِدِيَّةِ اللُّونِ ، اللَّامْبَالِيَّةِ ، الضَّخْمَةِ
بِحَرَكَاتِهَا النَّبِيلَةِ ، الرَّحْبَةِ ، فَلَا تَدْرِي
مَا إِنْ كَانَتْ مُسْتَلْقِيَّةً فِي مَكْمَنٍ ، مُتَّخِذَةً مَأْوَى ، أَمْ إِنَّهَا تَحْلُمُ ،
لَأَنَّ عُيُونَهَا مَفْتُوحَةٌ عَلَى اتِّسَاعِهَا إِلَى حَدِّ أَنْ تَبْدُو مُغْمَضَةً بِإِحْكَامٍ .

لَكِن ذَلِك بِلَا أَهْمِيَّة . أَلَا يَكْفِي رَبَّمَا
أَنْ حَرَكَتَهَا شَبِيهَةٌ بِالْجَمَالِ وَشَبِيهَةٌ بِالسُّكُونِ ؟

مارس 1957

17 - امرأة قروية

حين أحسّت أن ساعتها قد دنت ، استدعت ابنيها وأعدت وصيتها ؛
بالعدل قسّمت أشجار الزيتون ، وُستان الكروم ، وحقل البطيخ ،
والبقرة ، والحمار ،
بعدها دعت زوجة ابنها الحامل لِتُجهز السُّموعَ لِدفنِها .

من مرتبتها القش ، راقبت العين الأمومية ،
صححت هذا أو ذاك ، شهدت عملها ، حدّدت الشكل والحجم ،
قدّمت لها نصيحة جيّدة ، ليُعرفوا - كما قالت - شيئاً عن التعميد .

حين انتهى ذلك ، أيضاً ، أغمضت عينيها ، ليكنّها منذ ذلك الحين لم
تستطع أن تموت مع ذلك ،
فأمرتهم بأن يشعلوا السُّموع . في ضوئها الرهيف
رأت يديها التّجيلتين ، الجافّتين ، قويتين كأيدي القديسين ،
كأشجارٍ جافةٍ سبق أن منحت الكثير من الثّمار - يدانٍ خشنّتان ،
شققتهما أشغال البيت والحقل . في تلك اللحظة ،

أَحَبَّتْ يَدَيْهَا . ابْتَسَمَتْ ابْتِسَامَةً بَعِيدَةً
وَعَطَّتْ فِي النَّوْمِ كَفْتَاةً فِي الْعِشْرِينَ . احْتَضَنْتْ زَوْجَتَا ابْنَيْهَا الْاِثْنَتَيْنِ
بَطْنَيْهِمَا
وَوَظَلَّتَا تُحَدِّقَانِ فِيهَا بِعُيُونِهِمَا الشَّابَّةَ الْمَفْغُورَةَ بِلَا دُمُوعٍ .

فِيمَا بَعْدَ أُعِدَّتَا الْمَائِدَةَ ، ذَهَبْنَا إِلَى الصَّلَاةِ ، وَدَعَا زَوْجِيهِمَا إِلَى الْعِشَاءِ .
أَضَاءَتِ الشُّمُوعُ الْأَرْبَعُ رَغِيفَ الْخُبْزِ الْكَبِيرِ .
وَالآنَ ، سَيَعْرِفُونَ ، بِالطَّبَعِ ، شَيْئًا عَنِ التَّعْمِيدِ ، أَيْضًا .

1958-1957

كُلُّ لَيْلَةٍ ، كَانَتْ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا تَتَهَشَّمُ فِي الظَّلَامِ .
لَكِنَّ صَخَبَ انْهِيَارِهَا يَبْقَى . هَذَا الصَّخَبُ
يَبْدُو كَأَنَّهُ يُعِيدُ تَرْكِيبَ الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا مِنْ جَدِيدٍ .
وَ ، فِي الْحَقِيقَةِ ،
فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ، مَعَ عُدُوبَةِ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، وَسَطَ
الْمَبَانِي الْمَبْنِيَّةِ حَدِيثًا ، وَسَطَ الْأَضْوَاءِ
الَّتِي تَعَكِّسُ الْمِيَادِينَ الْعَامَّةَ الْبَيْضَاءَ وَالصَّفْرَاءَ الشَّاسِعَةَ ، تَقِفُ الْحَيَاةُ
إِزَاءَ زَمَنِ أَشْعَثَ كَامْرَأَةٍ تَقِفُ أَمَامَ رَجُلٍ ،
مُنْتَظِرَةً فِي صَمْتٍ أَنْ يَتِمَّ تَقْبِيلُهَا وَالْغِنَاءُ لَهَا
وَأَنْ تَلِدَ بَعْدَهَا وَتُغْنِي وَحَدَهَا .

يناير - فبراير 1958

19 - تناقضات

ذات ليلة حين بدا مخمورا إلى حد ما قال بنبرة صوت طريفة :
"كثيرا ما أمسك بالتجوم في راحتي من أطراف أشعتها
كخيوط آلاف الطائرات الورقية ،
وأنا أحس في كل أعصابي بالشد العكسي لكل حرركاتها ،
وانحرافاتهما ، وتوتر مسافاتهما
وتلك السكينة الكامنة في السطح الأعلى لليل ،
والثكهة الحادة للأوكسيجين ، ونبضات ذيولها ذات الأهداب "

بذلك توقف ، كأنه يكبح المسألة الأهم .
أنبيذ ، بأمانة ، تفحصنا ندوب التجوم أعلى ذراعه العارية ،
علامات غريبة صنعتها ذبذبات مجنونة لإبرة حارقة ،
أشياء من قبيل قوارب ثلاثية المجاذيف ، أرقام ، حوريات بحر ،
وأدر كنا أنه سجن لسنوات
وربما كان لا يزال .

لكن ، آه ، لا ،

لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَقُولَ إِنَّنَا كُنَّا الْقُضْبَانَ الْمَعْدِنِيَّةَ لِسِجْنِهِ ،
وَلَا إِنَّنَا تَنَبَّأْنَا بِطَبِيعَةِ حُرِّيَّتِهِ .

يناير - فبراير 1958

20 - حصاد الفراغ

أشجارُ دلبِ فارعةٍ ، جُدوعٌ قويَّةٌ للبرودةِ .
لَا يَنْتَوِي الظِّلُّ أَنْ يُخْفِيَ أَيَّ شَيْءٍ . ضَوْءُ جَرِيءٍ ، ظِلُّ جَرِيءٍ -
جُرْأَةٌ بِلا جَدْوَى - لِمَوَاجَهَةِ مَاذَا ؟ -
البَسَاطَةُ تَنْتَفَسُ فِي الهَوَاءِ .

النَّاسُ يَجْلِسُونَ تَحْتَ الأشْجَارِ ،
يَتَعَشَّوْنَ عَلَى مَنَاصِدَ خَشَبِيَّةٍ صَغِيرَةٍ ، يَتَحَدَّثُونَ ،
لَا يَتَشَكَّوْنَ فِي العِظَمَةِ الَّتِي تَلْفُهُمْ ، العِظَمَةُ الَّتِي
تَحْكُمُ إِيْمَاءَاتِهِمُ البَرِيئَةَ . وَقُرْبَ المَسَاءِ
عَنِّي شَخْصٌ مَا (رُبَّمَا مَحْمُورٌ) . وَأشْجَارُ الدَّلْبِ
تَحَرَّكَتْ فِي مَوَكِبِ صَامِتٍ نَحْوِ الأفْقِ .
خَلَّتِ المَنْطِقَةَ . وَالنَّادِلُ ، بِمَرِيَلَتِهِ البَيْضَاءِ ،
ظَهَرَ لِلْحِظَّةِ عَن بُعْدٍ ، فِي الغُرُوبِ القُرْمُزِيِّ ،
حَامِلًا بِطَرِيقَةٍ كَهَنُوتِيَّةِ الصِّينِيَّةِ بِأَكْوَابِ فَارَعَةٍ .

أغسطس - سبتمبر 1958

21 - ظهيرة

انْشَطَرَ حِصَانٌ أبيضُ نِصْفَيْنِ بِفِعْلِ الظِّلِّ الأَزْرَقِ لِشَجَرَةِ سَرَوٍ .
صَاحَ شَخْصٌ مَا بِصَوْتِ عَالٍ (مَنْ كَانَ ؟)
لَا أُدْرِى - كَانَ يَصِيحُ - لَا أُدْرِى ، فَالْحَيَاةُ قَوِيَّةٌ كَلِّمَتِ فِي البَطْنِ .

رَجُلٌ عَارٍ ، بِسِكِّينِ ذَهَبِيَّةٍ بَيْنَ أَسْنَانِهِ ، مَرَّ .

وَرَاءَ قُرُونِ القَيْرَانِ ، نَارٌ ، كَشَجِيرَةٍ وَرْدٍ ، تَنْفُثُ الدُّخَانَ .

أغسطس - سبتمبر 1958

22 - أُعْجُوبَةُ

قَبْلَ الذَّهَابِ إِلَى الْفِرَاشِ ، وَضَعَ سَاعَتَهُ تَحْتَ وَسَادَتِهِ .
ثُمَّ ذَهَبَ لِلنُّوْمِ . كَانَتْ الرِّيحُ تَهْبُ بِالْخَارِجِ .
وَأَنْتَ ، مَنْ يَعْرِفُ التَّتَالِي الْعَجِيبَ لِأَرْهَفِ الْحَرَكَاتِ ،
سَوْفَ تَفْهَمُ . رَجُلٌ ، وَسَاعَتُهُ ، وَالرِّيحُ . لَا أَكْثَرَ .

ساموس، أغسطس - سبتمبر 1958

23 - سائقو كارو يونانيون

في وقت متأخر، حوالي منتصف النهار، بعد أن باعوا بضاعتهم
في السوق - خضروات، أعنابًا، كمثرى -
يعودون بعرباتهم الكارو على طول الطريق الساحلي
نحو حقولهم الصغيرة، البعيدة -
متصبيين عرقًا، هم وأحصنتهم،
ينقودهم الورقية مربوطة في مناديلهم
والعملات المعدنية تُسخل في جيوبهم،
مضحكين، مستنزفين، تقريبًا مهتاجين
بالغضب من تأخير وظلم مجهولين،
بأجمات شعرهم الأشعث، المترب والمتعرق،
المتلبّد تحت طواقمهم.

لكنهم حين ينعطفون عن الطريق العام، حين يصلون
إلى الشاطئ الرملي الأول المهجور، يفكّون الأحصنة،
يخلعون ثيابهم على عجل، ويرمون ملابسهم على الصخور

وَيُحَوِّضُونَ الْبَحْرَ لِيُحَمِّمُوا أَحْصِنْتَهُمْ .

آنئذٍ ، يَقَطْرُونَ مَاءً ، عَرَايَا تَمَامًا وَمُذْهَبِينَ تَمَامًا ، الرَّجَالُ وَالْأَحْصِنَةُ ،
كَانُوا يَلْتَمِعُونَ فِي الشَّمْسِ بِنَبَالَةٍ رَفِيعَةٍ ،
مُفْعَمِينَ بِالطَّاقَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ ، كَأَنَّهُمْ خَرَجُوا
مِنْ أَسَاطِيرِ عَتِيقَةٍ . وَأَصْغَرُ سَائِقِي الْكَارُورِ ،
فِي الثَّامِنَةِ عَشْرَةِ ، فِيمَا يُومِضُ كُلَّهُ فِي الظَّهِيرَةِ ، عَارِيًا ، مُمْتَطِيًا حِصَانَهُ ،
كَأَن يَرُكُّ بِهِ فِي الْبَحْرِ
فِيمَا رَصَدَتْ غَيْمَةٌ بَيْضَاءُ ظِلَّهُ فِي الزُّرْقَةِ .

وَعَلَى الشَّاطِئِ ، عَرَبَاتُ الْكَارُورِ ، الذَّهَبِيَّةُ كُلُّهَا ، أَيْضًا ،
كَانَتْ تُشْرِقُ فِي الانْعِكَاسَاتِ الدَّائِرِيَّةِ لِعَجَلَاتِهَا
كَعَرَبَاتٍ مَجِيدَةٍ فِي سِبَاقَاتِ الْيُونَانِ الْقَدِيمَةِ
تَوَقَّفَتْ هُنَا ، وَمِنْ هُنَا سَتَبَدَأُ مِنْ جَدِيدٍ .

ساموس ، أغسطس - سبتمبر 1958

يَتَلَاشَى رَجُلٌ فِي الطَّرْفِ البَعِيدِ مِنَ الشَّارِعِ
بُطْءٍ ، بِصَمْتٍ . فَمَا الَّذِي يَبْحَثُ عَنْهُ هُنَاكَ عَالِيًا حِينَ يَذْوِي الغَسَقُ ،
حِينَ تَرْمِي المَرَايَا الدَّائِرِيَّةُ لِلدَّرَاجَاتِ المَرْكُوتَةِ
بِانْعِكَاسَاتِهَا عَلَى المِيدَانِ العَامِ الحَاوِي ؟
امْرَأَةٌ تَتَأَمَّلُ عِنْدَ نَافِذَةٍ مُظْلِمَةٍ .
امْرَأَةٌ أَكْبَرُ تَأْتِي بِالمَاءِ مِنَ بَيْتٍ .
عَنكَبُوتٌ صَغِيرٌ يَجْلِسُ عَلَى جَرَّتِهَا . فَلتَشْرَحُ لِي :
مَا الَّذِي يُرِيدُونَهُ جَمِيعًا ؟ مَنْ الَّذِي سَيَشْرَبُ المَاءَ الدَّاكِنِ ؟ عِنْدَ حُلُولِ
اللَّيْلِ ، يَنْحَنُونَ فِي صَمْتٍ عَلَى البَيْتِ ... فَكَيْفَ
أَدْخَلَ وَجْهَهُ مُتَعَضِّنٌ إِلَى البَيْتِ ،
الحَبْلَ المُبْتَلِ ، وَالعَنكَبُوتَ الصَّغِيرَ
عَلَى الحِجْرَةِ ، وَظِلَّ الحِجْرَةِ
وَالمرأةَ بِجِوَارِ النَّافِذَةِ ، وَالرَّجُلَ الَّذِي يَمْشِي
لِأَعْوَامٍ وَأَعْوَامٍ ؟ فَلتَشْرَحُ لِي . سَرَعَانَ
مَا سَتُضَاءُ الأَنْوَارُ . مَنَازِلُ مُحَاصِرَةٍ . قُلْ لِي .

سَيَسْحَبُ الْقَمْرُ نِسْكَينَهُ فَوْقَ الْبَيْتِ .
مَا مِنْ أَحَدٍ رَأَانَا . فَلتَشْرَحْ لِي . وَهَذَا الرَّجُلُ الْمَشْنُوقُ
يَتَأَرْجَحُ فِي جَمَالٍ فِي الْهَوَاءِ ، كَطِفْلِ فِي مَهْدِهِ -
أَهِيَ الْأَرْجَحَةُ نَفْسُهَا إِذْنَ ؟ الْحَبْلُ يَيْزُ وَيَسْأَلُ . قُلْ لِي .

أغسطس-سبتمبر 1958

25 - رَسَامُ تَجْرِيدِي

رَسَامُ تَجْرِيدِي رَسَمَ ذَاتَ أَصِيلٍ قِطَارًا .
هَرَبَتِ الْعَرَبَةُ الْأَخِيرَةُ مِنَ الْوَرَقَةِ
وَعَادَتِ إِلَى الْمَخْرَنِ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهَا .

فِي هَذِهِ الْعَرَبَةِ بِالتَّحْدِيدِ كَانَ يَجْلِسُ الرَّسَامُ .

يونيو 1959

26 - عودَةُ هَارِب

أَحَسَّ بِالْقَلْقِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةَ ، كَأَنَّهُ كَانَ حَارِسًا وَقَدْ هَرَبَ ،
تَارِكًا الْمَدِينَةَ بِلَا حِرَاسَةَ . وَلَوْ قَتِ طَوِيل
كَانَ يَخْشَى أَنْ يَكْتَشِفُوا جَرِيرَتَهُ . هَارِبًا ،
مُخْتَبِئًا وَسَطَ الْأَجْمَاتِ ، لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى رُؤْيَةِ الْحَوَائِطِ ،
وَيَتَخَيَّلِ فَحَسَبَ الْعَوَاقِبِ الْمُرْعَبَةَ لِلْمُوَاطِنِينَ بِلَا حِرَاسَةَ
وَلَهُ هُوَ نَفْسَهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ . فِيمَا بَعْدَ ، عَلِمَ
أَنَّ الْمَدِينَةَ لَمْ تَسْقُطْ ، وَأَنَّ أَحَدًا لَمْ يَلْحَظْ غِيَابَهُ .
بَلْ حَتَّى لَمْ يَبْحَثُوا عَنْهُ . وَاسْمُهُ لَمْ يَكُنْ ضِمْنِ
قَائِمَةِ النَّاجِينَ ، أَوْ الْمَفْقُودِينَ ، أَوْ الضَّائِعِينَ .
انْتَشَرَ حَوْلَهُ - بِلَا جَدْوَى - سُكُونٌ عَظِيمٌ . وَالْآنَ ،
كَانَ مَا عَذَّبَهُ بِالتَّحْدِيدِ - السُّكُونُ
الَّذِي كَانَ يَحْلُمُ بِهِ . فِي الْعَسَقِ ، أَحَسَّ حَوْلَ الْمَنْزِلِ
بِآلَافِ الْأَطْيَافِ تَنْسَلُ كَقِطَطِ ضَالَّةٍ
وَسَطِ الْأَشْوَاكِ فِي الْمَلْعَبِ الْمَهْجُورِ ؛ وَفِي خِزَانَةِ الْمَلَابِسِ
أَحَسَّ بِسُتْرَتِهِ الْمَتْرَهَّلَةِ ، الْمَعْلَقَةِ كَأَنَّهَا الثِّيَابُ الْمَرْمِيَّةُ لِلْمَوْتَى . أَنْيِذْ ،

أَحْكَمَ أَحْزِمَةَ الْخَرْطُوشِ مُتَقَاطِعَةً عَلَى صَدْرِهِ
كَأَنَّهُ يُؤَمِّنُ صُرَّةً مِنْ أَعْزِ مُمْتَلِكَاتِهِ
وَعَادَ إِلَى مَوْجِعِ الْحِرَاسَةِ فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ تَمَامًا .

مايو-يونيو 1959

حِيَّ بِحَارَةِ مُزْدَجِم . الأضواء الكُرْوِيَّة نَاعِسَة .
حَانَاتُ البَيْرَةِ الرَّثَّة مُتتَالِيَةً فِي صَفِّ كِنَسَاءٍ بَائِسَاتٍ
يَنْتَظِرْنَ بِصَبْرٍ أَمَامَ مُسْتَشْفَى المِقَاطَعَة .
الشَّارِعُ مُظْلِمٌ . انتَوَى الجَمِيعُ أَنْ يَنَامُوا مُبَكَّرِينَ . لَكِن فَجَاءَهُ
نُضَاءُ حَانَاتِ البَيْرَةِ حَتَّى مَقَاعِدِهَا الأَخِيرَة
مِنَ الضَّحِكِ الأَبْيَضِ الصَّافِي لِأَحَدِ الشُّبَّانِ . وَعَلَى القَوْرِ بَعْدَ ذَلِكَ
سَمِعَ البَحْرُ اللّانِهَائِي ، المُنْتَظِمُ ، الَّذِي لَا يُقَهَّرُ .

مايو 1960

ضَجْرُ تَارِيخِي انْتَشَرَ عَلَى الْأَصِيلِ
كَجِلْدِ حَيَوَانٍ يَمْتَدُّ إِلَى خَارِجِ غُرْفَةِ شَخِصٍ عَلِيلٍ .
وَالْعَلِيلُ يَظَلُّ دَائِمًا فِي السَّرِيرِ . زَالَتْ حُمَّاهُ .
وَتَمَّةٌ رَاحَةٌ لِمَلَابِسٍ دَاخِلِيَّةٍ تَنْضَحُ بِالْعَرَقِ وَبِالْكُحُولِ . هَذَا الْجِلْدُ
مَأْخُودٌ مِنْ حَيَوَانٍ تَمَّ سَلْخُهُ حَيًّا (ذَلِكَ مَا ادَّعَاهُ) .
الْفِرَاءُ مُدْعِنٌ ، حِيَادِي ، مَيَّتٌ ؛ لَكِنَّ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ ، الْعَارِي ،
مَا يَزَالُ أَلَمُ الْجَفَافِ بَاقِيًا ، مُسْتَوِيًّا . كَانَ يَلِجُ عَلَى ذَلِكَ :
كَانَ الْحَيَوَانُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ حِينَ تَمَّ سَلْخُهُ . وَفِي التَّهَيَّاتِ ، حِينَ
وَضَعَ قَدَمَيْهِ الْحَافِيَّتَيْنِ هُنَاكَ ، انْتَفَضَ شَعْرُ رَأْسِهِ مُنْتَصِبًا ،
وَتَقَوَّسَ الْجِلْدُ لِأَعْلَى وَشَكَلَ ظَهْرًا ، وَالْعَلِيلُ
انْطَلَقَ عَبْرَ الرُّوَاقِ مُمْتَطِيًّا ظَهَرَ الْحَيَوَانِ ، وَهُوَ يَبْتَزُّ
خِلَالَ الْمَطْبَخِ ، مُنْدَفِعًا إِلَى الْفِنَاءِ ، إِلَى الطَّرِيقِ ،
وَالْأَنِيبَةُ تُدَوِّي وَرَاءَهُ كَطُبُولٍ مَعْدِنِيَّةٍ .

خَرِيفٌ مُنْتَشِرٌ مَعَ أَغْصَانٍ مَكْسُورَةٍ ، بِلَوْنِ الْكِسْتِنَاءِ
وَالْأَصْفَرِ الْمُتَهَاوِي لِلطُّيُورِ الْمَصَابِيَةِ بِالطَّلَقَاتِ . وَالصَّيَّادُونَ
تَرَكُوا الْغَابَةَ وَرَاءَهُمْ لِأَعْوَامٍ ،
أَفْرَعُوا حَقَائِبَ الظَّهْرِ عَلَى مِنْصَدَةِ الْمَطْبَخِ وَرَحَلُوا .
فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ ، لَمْ يَعُودُوا لِيَأْكُلُوا . فَلِمَذَا ، إِذَنْ ،
كُلُّ هَذِهِ الْاسْتِعْدَادَاتِ - خَرَاطِيشِ ، بَارُودِ ، رَصَاصِ ،
التَّنْظِيفِ . الْمَرْهَقِ لِلبِنَادِقِ ، وَالانْطِلَاقِ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ ،
وَفِي هَذِهِ الرُّطُوبَةِ ؟ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، عَادُوا .
لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَوَقَّعُهُمْ ، كَانَ الْجَمِيعُ نَائِمِينَ .
وَالْمَنْزِلُ كُلُّهُ ، حَتَّى غُرْفَةَ التُّومِ ، تَفُوحُ بِمَا لَا يُحْتَمَلُ
مِنْ رَائِحَةِ وَجِبَةِ لَذِيذَةٍ لَمْ يَتَذَوَّقُوهَا .
وَحِينَ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ ، انْفَلَتَتْ شَعْرَةٌ ذَهَبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ
فِي صَمْتٍ مِنْ شَعْرِ صُدُورِهِمْ .

30 - بالمصادفة

تَبَادُلَاتٌ وَتَعْوِيضَاتٌ . لَمْ نَخْدَعْ أَحَدًا .
وَلَا خُدِعْنَا - لَا . فَفِي تَحْلِيْقِ طَائِرِ
رَأَيْنَا وَثِيْقَةَ تَارِيْحِنَا وَاضِحَةً .

فِيْمَا بَعْدَ ، بِالطَّبْعِ ، أَحْسَسْنَا بِالْحَاجَةِ كَمَا دَائِمًا
إِلَى الْخُبْزِ وَالْمَلْحِ ، وَابْتِسَامَةِ امْرَأَةٍ هَادِئَةٍ ،
لِنُنْهِئِ نَوْمَ لَيْلِنَا
فِي مَنْزِلِ عَشَوَائِي ، مَعَ ثَلَاثَةِ كِلَابٍ غَرِيبَةٍ
ظَلَّتْ تَنْبُحُ طَوَالَ اللَّيْلِ فِي حِرَاسَةِ الْمَنْزِلِ ، لَا نَحْنُ .

يوليو-أغسطس 1960



شجرة السّجن والنّساء

(1962)

(حَلَّ المساء. جرسُ الصَّمتِ رَنَّ منذ بعض الوقت. النساء، اللاتي
تجمَّعن في القاعة، في الظلمة، لم يكن بعد نائمات. الأيَّرةُ
المجبولة من ألواح مع ملاءتهن تومض في غموض. قبل الدَّهابِ إلى
الأيَّرة، تجلس النساء في شبه دائرة على الأرض، كما حول نبع
خفي، ويتحدثن بهدوء، بصورة غير مسموعة تقريباً. ورغم أنهن
يبقين هناك بلا حراك، فإنهن يبدن كأنهن يتحركن بصورة
إيقاعية مثلما في جوقة تراجيديا قديمة. لا تتحدث هيلين. تترك
شعرها الطويل الأسود ينسدل على كتفها وتقف أمام النافذة
بقضبانها المتصالبة).

جميع النساء: فَنَاءُ مُسَوَّر، وَشَجَرَةٌ، وَقَلِيلٌ مِنَ الشَّمْسِ فِي سَاعَاتِ الصَّبَاحِ
عَلَى الحَائِطِ -

هَذِهِ الشَّجَرَةُ يَوْمِيَّاتُنَا، صَدِيقُنَا، سَاعِي بَرِيدِنَا، طِفْلُنَا،
المرأة الأولى: وَفِي بَعْضِ الأَحْيَانِ، حَقًّا، زَوْجُنَا - لَكِن كَثِيرًا
الثانية: كَثِيرًا، كَثِيرًا جَدًّا - زَوْجُنَا؛ مَعَهَا نُشَارِكُ فِي الزَّمَنِ،

الثالثة: نُشَارِكُ فِي الْبَقَاءِ وَفِي الذِّكْرِ،
الرابعة: وَأَيْضًا فِيمَا نُسَمِّيهِ التَّغْيِيرَ وَالتَّجَدُّدَ.

فَهَذِهِ الشَّجَرَةُ

فِي مُنْتَصَفِ مِسَاحَةٍ مُغْلَقَةٍ وَخَاوِيَةٍ
تُصِرُّ عَلَى الْوُجُودِ، تُصِرُّ

عَلَى الْمُلَاحَظَةِ، وَالتَّمْيِيزِ، وَالِاسْتِجَابَةِ؛

الخامسة: مُحْكَمَةَ الْوَثَاقِ فِي الْأَسْفَلِ، تُصِرُّ عَلَى التَّنَائِي لِأَعْلَى؛

الرابعة: تَوَزَّعَتْ عَلَى أَرْبَعَةِ فُضُولٍ، فِي تَوْحِيدِ الْفُضُولِ وَالْمَشَاهِدِ الطَّبِيعِيِّ؛

الأولى: أَحْيَانًا مَا تَنْظُرُ بَدَلًا مِنَّا إِلَى مَا وَرَاءَ الْجِدَارِ،

الثالثة: تَسْتَحْلِبُ صَوْتَ الطِّفْلِ بِأَيْعِ الثَّقَابِ،

الثانية: صَوْتَ بَائِعِ الثَّلْجِ الْمُتَجَوِّلِ،

الرابعة: صَوْتَ امْرَأَةٍ اشْتَرَتْ خَمْسَ وَرَدَاتٍ مِنْ كُشْكِ الزُّهُورِ بِالتَّقَاطِعِ،

الخامسة: وَقَعَ خُطْبَى رَجُلٍ يَقْرَأُ جَرِيدَتَهُ عَلَى الرَّصِيفِ؛

كُلُّ النِّسَاءِ: مُمَيِّزَةٌ أَلْوَانُ السَّاعَاتِ الْكَثِيرَةِ الْمُخْتَلِفَةِ،

كثيرةٌ أَلْوَانُهَا، بِالطَّبِيعِ، عَلَى مَدَى النَّهَارِ،

الأولى: وَالتَّجُومُ عَلَى مَدَى اللَّيْلِ - نُجُومٌ غَرِيبَةٌ،

عَجَلَاتٌ مُسَنَّنةٌ، نُجُومٌ حُمَاسِيَّةٌ، مَرَكَبَاتٌ، حَيَوَانَاتٌ مُسَالِمَةٌ،

وَمَرَكَبَتَا الْغُيُومِ اللَّتَانِ تَجْرُهُمَا الثَّيْرَانِ تَأْتِي لِلتَّوَقُّفِ عِنْدَ بَوَابِهِ

قَلْعَةِ الْقَمَرِ -

الثالثة: لَا أَحَدٌ يَجْلِسُ فِي الْقَمَرِ؛

القانية: رَبِّمَا كَانَ نَائِمًا، رَبِّمَا كَانَ يَتَّظَاهِرُ بِأَنَّهُ نَائِمٌ؛
الأولى: المَفَاتِيحُ سُمِعَتْ فِي المَمَرِ الكَبِيرِ،
الخامسة: طَعْنَةُ سِكِّينٍ بِيضَاءُ فِي الظَّلَامِ،
الرابعة: وَأَنْ تَكُونَ أَوْ لَا تَكُونَ كَانَتْ بِالِغَةِ البَسَاطَةِ،
تَقْرِيبًا بِلاَ أَلَمٍ، تَقْرِيبًا بِلاَ أَهْمِيَّةٍ. هَذِهِ البَسَاطَةُ
تَعَلَّمْنَاهَا مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - تِلْكَ مَعْرِفَتُنَا،
جَمِيعًا: تِلْكَ شَجَاعَتُنَا الهَادِيَّةُ؛ أَنْ تَكُونَ بَعِيدًا، أَنْ تَنْتَظِرَ، أَوْ لَا تَنْتَظِرَ -
البَهْجَةُ الصَّامِتَةُ فِي أَنْ نَمْنَحَ أَنْفُسَنَا
حَتَّى عِنْدَمَا يَنْسَى الآخَرُونَ ذَلِكَ أَوْ لَا يَعْرِفُونَهُ -
الأولى: إِدْرَاكُ بَسِيطٍ، مُتَوَاضِعٍ، نَبِيلٍ،
القانية: كَحَجَرٍ فِي حَائِطِ مَنْزِلٍ،
الثالثة: كَجُزءٍ مِنْ جَزَعِ شَجَرَةٍ فِي النَّارِ،
الخامسة: كَقِطْعَةٍ زُجَاجٍ فِي إِطَارِ النَّافِذَةِ؛
هَذِهِ القِطْعَةُ المُتَوَاضِعَةُ بِلاَ كِبَرِيَاءٍ، غَيْرِ المَرِيئَةِ، تُسَاعِدُ الآخَرِينَ
عَلَى الرُّؤْيَةِ،
الثالثة: تَجْعَلُ الأَشْيَاءَ صَافِيَّةً، وَتَحْمِي مِنَ الرِّيحِ،
القانية: تَحْمِي مِنَ البَرْدِ، وَتَسْمَحُ لِلضَّوئِ بِالمُرُورِ وَللحَرَارَةِ أَيضًا -
الرابعة: وَحِدَةٌ رَهِيْفَةٌ، شَفَافَةٌ تَحْمِي مِنَ الوَحْدَةِ،
صَمْتُ صَغِيرٍ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مَرِيرَتَيْنِ -
لَدَيْكَ الوَقْتُ لِلتَّأَمُّلِ - وَالكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ المَرِيرَةُ لَمْ تُنطِقْ أَبَدًا؛

جميعاً: يَصْفُو الهَوَاءُ، تَصْفُو العَيْنُ، تُصَفِّي -

إِدْرَاكَ صَامِتٌ، إِدْرَاكَ بَعِيدٌ وَمُغْلَقٌ -

الرَّابِعَةُ: تِلْكَ أَقْصَى عَظَمَتِنَا الْمُتَوَاضِعَةَ، وَلَا نَجِدُ صُعُوبَةَ

فِي نُطْقِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، رَغَمَ أَنَّنا نَهْوِي فِي الصَّمْتِ

هُنَا، مَوْقُوفِينَ، مَسْجُوفِينَ، مَسْحُوبِينَ مِنَ الْأَحْدَاثِ،

الأولى: مُسَيِّجِينَ عَنِ الْأَشْيَاءِ بِالْخَارِجِ. لَكِنَّ الشَّجَرَةَ

تُلَاحِظُ وَتَنْظُرُ إِلَى الْخَارِجِ بَدَلًا مِنَّا، وَفِيمَا بَعْدَ

جميعاً: الشَّجَرَةُ مَغْرُوسَةٌ فِينَا -

الخامسة: مَرَّاتٍ كَثِيرَةً، فِي سَاعَةِ النَّوْمِ، رَاقِدَاتٍ، نَبَقَى مُنْتَصِبَاتٍ،

فِي وَضْعِ هَذِهِ الشَّجَرَةَ - رُبَّمَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ

لَنْ تَتْرُكْنَا نَرْتَاحَ،

الأولى: لَنْ تَتْرُكْنَا نَنْسَى،

الرَّابِعَةُ: لَنْ تَتْرُكْنَا نَمُوتَ.

الخامسة: هَذِهِ الشَّجَرَةُ تَقُومُ بِالسَّهْرِ بِلَا عَنَاءٍ أَوْ تَفَاحُرٍ.

الأولى: غُصُونُهَا الْأَرْهَفُ تُصْبِحُ مَجْدُولَةً مَعَ أَصَابِعِنَا؛

الثَّانِيَةُ: أَحْيَانًا، عِنْدَمَا نَأْكُلُ، يَتَّصَادَفُ أَنْ تَسْقُطَ وَرَقَةٌ بِجِوَارِ الرَّغِيفِ

مِنْ يَدِي مَارِي - وَلَا تَنْدَهِيشُ وَاحِدَةً مِنَّا؛

الخامسة: فِي أَوْقَاتٍ أُخْرَى أَيْضًا يَحْدُثُ أَنْ يُرْفَرَفُ غُصْنٌ صَغِيرٌ أَخْضَرٌ

هَابِطًا مِنَ الْمِنْدِيلِ الْأَسْوَدِ لِلْعَمَّةِ كُوسْتِينَا

الثَّانِيَةُ: أَوْ يَسْقُطُ بُرْعُمٌ أَبْيَضٌ مِنْ عَيْنِي اسْمِينِي

إِلَى الْقِدْرِ الْمَشْتَرَكِ - وَلَا نَنْدَهِشُ،

جَمِيعًا: نُنَجِّي جَانِبًا تِلْكَ الْوَرْدَةَ بِمَلَاعِقِنَا

وَنُؤَاصِلُ وَجِبَتَنَا فِي صَمْتٍ،

الرَّابِعَةُ: لَكِنَّا الْآنَ نَعْرِفُ عَنْ يَقِينٍ

أَنَّ الرَّبِيعَ قَادِمٌ، أَنَّ هُنَاكَ الْكَثِيرَ مِنَ التُّجُومِ، الْكَثِيرَ مِنَ الْأَشْجَارِ،

الخَامِسَةُ: الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ، الْكَثِيرَ مِنَ الْحُزَنِ، الْكَثِيرَ مِنَ الشَّجَاعَةِ فِيمَا

وَرَاءَ الْجُدْرَانِ،

الثَّالِثَةُ: الْكَثِيرَ مِنَ الْجُدْرَانِ وَرَاءَ الْجُدْرَانِ،

الأُولَى: وَالْكَثِيرَ مِنَ السَّمَاءِ فَوْقَ الْجُدْرَانِ،

الثَّالِثَةُ: وَالْأَمَلُ؟ وَالْأَمَلُ؟

جَمِيعًا: لَا تَتَكَلَّمِي - فَلْتَصِمِي، فَلْتَهْدِي.

الثَّالِثَةُ: الْخَوْفُ هُوَ التَّقَرُّ الْوَحِيدَةُ لِاصْبِغِ خَفِيِّ عَلَى الْجِدَارِ،

عَنْكَبُوتٌ تَحْتِ كَوْمَةِ أَوْرَاقِ شَجَرٍ،

صَوْتُ مَكْتُومٍ - إِنَّهُمْ يُسْمَرُونَ الْبَابَ الْعُلُويَّ - يُسْمَرُونَنَا -

الأُولَى: نَعَمْ، الصَّوْتُ الْمَكْتُومُ - إِنَّهُمْ يَدُقُّونَ مِسْمَارًا خَارِجَ الْبَابِ،

لِيَعْلَقُوا...

الثَّالِثَةُ: الْمَوْتُ يَدُقُّ مِسْمَارًا فِي الْبَابِ - إِنَّهُ يَنْتَظِرُ، هُنَاكَ -

يُصْبِحُ الْمِسْمَارُ صَدِيدًا مِنَ الرُّطُوبَةِ - إِنَّهُ يَنْتَظِرُ

الأُولَى: أَنْ يُعْلَقُوا أَكَالِيلَ وَرْدٍ فِي الْأَوَّلِ مِنْ مَائُو - فَمَا يُوقْتَرِبُ؛

الثَّالِثَةُ: الْوُرُودُ تُخْفِي الْمِسْمَارَ، لَكِنَّهُ تَحْتِ الْوُرُودِ -

الثَّانِيَّة: فَكَيْفَ يُعَلِّقُونَ الْأَكَالِيلَ بِغَيْرِ ذَلِكَ؟ فَلْتَهْدَأْنَ.
 الثَّلَاثَةُ: وَتَحْتَ الْأَكَالِيلِ، الْمِسْمَارُ الصَّدِيءُ - الدَّمُ الْمُسْوَدُّ -
 جَمِيعًا: ذَلِكَ لَيْسَ مَائُو الْحَاصِّ بِنَا؛ مَائُو الَّذِي نَعْرِفُهُ
 لَهُ خُطَوَاتٌ طَوِيلَةٌ، طُبُولٌ وَدُخَانٌ وَأَعْلَامٌ،
 الثَّلَاثَةُ: وَالِدَّمُ اسْوَدَّ فِي الظَّلَالِ الَّتِي تَرْمِيهَا الْأَعْلَامُ -
 الرَّابِعَةُ: شَرَايِينُ حَيَّةٌ تَتَفَرَّغُ مِنْبَثِقَةً عَلَى الْأَعْلَامِ - جَسَدٌ هَائِلٌ
 فَوْقَ ظِلِّ الْمَوْتِ - لَهُ شَكْلُ السَّفِينَةِ
 الْخَامِسَةُ: وَهِيَ تُبَجِرُ فِي الْأَيْثِرِ - الصَّارِي بِالِغِ الطُّولِ -
 الْأُولَى: وَسَلَّمَ الْحِبَالِ مُعَلَّقٌ فِي الشَّمْسِ -
 الثَّانِيَّة: رَائِحَةُ بَحْرِيَّةٍ - جِيرَانِيَوْمٍ مِنَ الْمِلْحِ وَالْمِسْكِ - أَلَا تُحْسُ
 بِالْوَحْزِ فِي مِخْرِيكِ - شِبْهَ دَائِرَتَيْنِ مِنْ مِلْحٍ؟
 جَمِيعًا: تِلْكَ رَائِحَةُ الْعَالَمِ - الدَّائِرَةُ الْعَظِيمَةُ، الدَّائِرَةُ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ
 الْإِحَاطَةَ بِهَا -
 الرَّابِعَةُ: الْوَحْزُ، حَقًّا، فِي مِخْرِيكِ كَأَنَّكَ
 عَلَى وَشْكِ أَنْ تَعْطَسَ، فِيمَا تَنْظُرُ مُبَاشَرَةً إِلَى الشَّمْسِ - أَلَا تُحْسُ
 بِهِ؟
 الْأُولَى: إِنَّهَا الْأَعْلَامُ - تَصْطَفِقُ فِي الْأَيْثِرِ كَمَصَارِيحِ أَبْوَابٍ صَخْمَةٍ تَنْفَتِحُ
 عَنْ آخِرِهَا -
 الثَّلَاثَةُ: بَيْنَمَا نَجْلِسُ هُنَا، وَرَاءَ الْجُدْرَانِ، بِلَا أَعْلَامٍ،
 جَمِيعًا: نَحْنُ مَعَ وَاجِبَاتِنَا، وَرَاءَ الْجُدْرَانِ،

نُشَكِّلُ الشَّجَرَةَ السَّاكِنَةَ إِلَى آلاَفِ الأُورَاقِ المُرْفَرِفَةِ،
نُشَكِّلُ الحَرَكَاتِ المُنفَصِلَةَ إِلَى بَسَاطَةٍ لَا تَتَجَزَّأُ،
تَقْرِيبًا إِلَى أَبَدِيَّةٍ.

الأولى: انظرن، هيلين

جَالِسَةٌ فِي التَّافِذَةِ، تَتَطَّلَعُ إِلَى البَعِيدِ،
تَتَطَّلَعُ إِلَى الضَّبَابِ الشَّفِيفِ المُتَصَاعِدِ مِنْ أَحْجَارِ الحَدِيدَةِ،
تَنْقُرُ بِإِصْبَعِهَا بِرِقَّةٍ عَلَى قُضْبَانِ التَّافِذَةِ-
صَوْتُ عَمِيقٍ، صَامِتٍ- إيقاعٌ صَغِيرٍ، إيقاعُنَا-
جَمِيعًا: ذَلِكَ هُوَ الطَّرْقُ الَّذِي تَسْمَعُهُ- أَنْصِتْ، أَنْصِتْ؛
الأولى: يَخْتَرِقُ الصَّوْتُ الحَدِيدَ، وَالحَجَرَ،

الثَّانِيَةِ: نَبْضُ رَبِيعٍ فِي شُرْيَانٍ مِنْ حَدِيدٍ، شُرْيَانٍ مِنْ حَجَرٍ،
الخَامِسَةِ: جِهَازٌ لِأَسْلِكِي صَغِيرٍ، مَخْفِيٌّ بَعِيدًا، يَعْطِي الإِشَارَةَ-
الثَّلَاثَةِ: وَنَحْنُ، نَتَخَبِّطُ وَسَطَ أَغْصَانِ الظَّلَامِ، مُلْتَبِصِينَ بِمَرَاثِقِنَا
إِلَى أَجْنَابِ الصَّمْتِ، فِي كَاتِبَةِ اللَّيْلِ،
فِي انْتِظَارِ الإِجَابَةِ- أَيْةٌ إِجَابَةٌ؟- مُنْتَظِرِينَ
جَمِيعًا: وَتَأْتِي الإِجَابَةُ

الثَّانِيَةِ: أَحْيَانًا مِنْ الطَّائِرِ الأَخِيرِ لِلغَسَقِ،
الخَامِسَةِ: أَحْيَانًا مِنْ الجُدُجِ الَّذِي يَنْشُرُ اللَّيْلَ،
الأولى: أَحْيَانًا مِنْ نَجْمَةٍ تُرَدِّدُ "أَنَا قَادِمَةٌ، أَنَا قَادِمَةٌ، أَنَا قَادِمَةٌ"،
الثَّلَاثَةِ: أَحْيَانًا مِنْ رِسَالَةِ حُبِّ مُمَرَّقَةٍ تَتَقَادَفُهَا الرِّيحُ فَجَاءَتْ فِي الشَّارِعِ-

جميعاً: وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ، بِخُضُوعٍ، رَغَمَ أَنْ ظِلَّالَنَا جَمِيعًا
 تَتَدَاخَلُ، الْوَاحِدُ فِي الْآخِرِ، وَتَتَقَاطِعُ عَلَى الْأَرْضِ
 فِي مُعَيَّنَاتٍ مِنَ الضُّوءِ وَالظَّلَامِ، إِلَى أَنْ تَمْتَرِجَ
 إِلَى نَبْعٍ وَاحِدٍ. فِي مُوَاجَهَةِ النَّبْعِ،
 تَظَلُّ الشَّجَرَةُ وَاقْفَةً، مُنْتَصِبَةً مِنْ جَدِيدٍ، بَدَلًا مِنَّا.
 الْأُولَى: وَنَخْلُدُ إِلَى الصَّمْتِ وَنَسْمَعُ وَرَقَةً وَرَقَةً، إِلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، بَلْ أَبْعَدُ،
 الثَّانِيَةَ: وَفِي شَعْرِ مَارِي، تَبْرُزُ أَوْرَاقُ خَضِرَاءٍ- إِلَى أَنْ نَخْشَى
 أَنْ نَتَعَرَّضَ لِلْخِيَانَةِ، مِنْ الْمَفَاتِيحِ الْمُصْلِصِلَةِ فِي خَصْرِ حَارِسِ
 السَّجْنِ،
 مِنْ كُوبِ مَاءٍ يَسْقُطُ مِنْ أَعْلَى وَيَتَهَشَّمُ عَلَى الْقِرْمِيدِ،
 جَمِيعًا: مِنْ كَلِمَاتٍ سَمِعْتَ مَا كَبْتَنَاهُ- رُبَّمَا ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ
 فِي أَنَّ الْعَصَافِيرَ تَمْشِي بِخِرَاقَةٍ عِنْدَمَا تَهْبِطُ أَحْيَانًا إِلَى الْأَرْضِ.

(ذهبت النساء إلى الأسرة. فيما وراء الجدران وفي السجن ثمة نجوم
 كثيرة، نجوم كثيرة فوق الوصف، كعجلات مُسَنَّة، كنجوم
 خماسية، كعربات، كحيوانات هادئة، كطيور، كأوراق شجر
 عريضة- وكلها مشرقة لأن هيلين عاجزة عن النوم. تغطي وجهها
 أنثى بشعرها الأسود الطويل، فيما- في مواجهتها- تلك الشجرة
 المنعزلة، وامضة بكل أوراقها، في منتصف العالم، وظلها يصعد

جدار السجن كسُلم هائل. يمكن لأي واحد أن يصعده.
وبالطبع، كان الربيع).

براغ، سبتمبر 1962



شہادات

(1963 – 1957)

1 - خطرُ دَاهِم

كثِيرًا مَا يَهْوِي نَجْمٌ أَوْ صَوْتٌ
إِلَى عُمُقٍ هَائِلٍ حَتَّى أَنَّهُ يَتَشَبَّثُ
بِسِيَاحِ الشُّرْفَةِ أَوْ بِيَدِ
(لَوْ كَانَ مُمَكِّنًا وَجُودُ يَدٍ) خَشِيَّةً أَنْ يَغُوصَ فِي نَفْسِهِ .

الْيَدُ الْأَكْثَرُ مَوْثُوقِيَّةٌ لَهُ هِيَ يَدُهُ الْأُخْرَى ،
لَكِن يَدِيهِ تُحْيِطَانَهُ هَكَذَا دَاخِلَ دَائِرَةِ .
فَلَا يُمَكِّنُهُ احْتِمَالُ ذَلِكَ ، لِهَذَا يَمُدُّ يَدِيهِ
كَأَنَّهَا لِيُعَانِقَ شَخْصًا مَا ، أَوْ لِيُوزِنَ نَفْسَهُ .

وَهَكَذَا ، كَمَنْ يَمْشِي عَلَى حَبْلِ مَشْدُودٍ ، وَيَنْظُرُ بِاسْتِقَامَةٍ أَمَامَهُ ،
يَشُدُّ نَفْسَهُ مُنْتَصِبًا فَوْقَ عُمُقِهِ .

أثينا ، سبتمبر 1956

2 - انتصارٌ جديد

مَعَارِكُ كَثِيرَةٌ، جِرَاحٌ كَثِيرَةٌ، هَزَائِمٌ وَانْتِصَارَاتٌ مُشْرِفَةٌ كَثِيرَةٌ،
أَوْسَمَةٌ كَثِيرَةٌ - غَطَّتْ صَدْرَهُ، أَثْقَلَتْ عَلَيْهِ بِصُورَةٍ وَبَيْلَةٍ،
أَذَتْ عَيْنَيْهِ بِوَمِيضِهَا. أَصْبَحَ مَرْعُوبًا
خَشِيَةً أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ هُوَ الضَّوءُ الْوَحِيدُ الَّذِي قَدْ يَضِيءُ
الدَّرَجَ الحَشِيَّ فِي اللَّيْلِ حِينَ يَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ. خَلَعَ ثِيَابَهُ،
وَضَعَ زِيَّهَ الرَّسْمِيِّ فِي الخَزَانَةِ، وَالْأَوْسَمَةَ فِي صِنَادِيقِهَا،
وَذَهَبَ لِيُسَجِّلَ نَفْسَهُ كَمُتَطَوِّعٍ - كَجُنْدِيٍّ بَسِيطٍ .
لَمْ يَتَعَرَّفْ عَلَيْهِ أَحَدٌ . رَبَّمَا كَانَتْ تِلْكَ الْابْتِسَامَةُ الْجَدِيدَةُ لَهُ
هِيَ الَّتِي تُدْرِجُهُ فِي مُسْتَوَى العُمَرَاءِ لِلْمُتَطَوِّعِينَ الْآخَرِينَ .

1963-1957

3 - ذكرى

ظَلَّتْ رَائِحَةُ دَافِئَةٍ بَاقِيَةً فِي إِبْطِي مِعْظِفِهَا ،
وَمِعْظِفُهَا فِي مِشْجَبِ الصَّالَةِ ، يُشْبِهُ سِتَارَةَ مُسَدَّلَةٍ .
أَيًّا كَانَ مَا يَحْدُثُ الْآنَ فَقَدْ حَدَثَ فِي زَمَنِ آخِرِ . الضَّوْءُ يُغَيِّرُ الْوُجُوهُ ،
كُلُّهَا غَيْرُ مَأْلُوفَةٍ . وَلَوْ حَاوَلَ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ الْمَنْزِلَ ،
لَرَفَعَ هَذَا الْمِعْظِفُ الْحَاوِي ذِرَاعِيهِ بِبُطْءٍ وَمَرَارَةٍ
وَلَأَغْلَقَ الْبَابَ مِنْ جَدِيدٍ .

أثينا ، ديسمبر 1958

٤ - بَنَّاؤُون

أَرَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْنُونَ بِالْغَرِيْرَةِ
وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْنُونَ بِاحْتِرَافٍ
وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَبْنُونَ لِيَنْتَقِمُوا لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ؛

هَؤُلَاءِ جَمِيعًا يَتَوَقَّفُونَ مِنْ حِينٍ لِآخَرَ،
يَمْسَحُونَ أَيْدِيَهُمُ الْمَلَطَّخَةَ بِالْجَبْسِ فِي بَنْطُلُونَاتِهِمُ الْجِينِزِ،
يَمْسَحُونَ عَرَقَهُمْ، وَيَبْكُونَ.
لَا يَمْسَحُونَ عُيُونَهُمْ.

عَلَى هَذَا النَّحْوِ، فَضْلًا عَنِ ذَلِكَ، يَتَمَسَّكُ الْأَسْمَنْتُ بِصُورَةٍ أَفْضَلَ.
وَذَلِكَ مَا يَكْتُمِلُ لِأَبْعَدِ مِمَّا يُرِيدُونَ.

بِسَبَبِ ذَلِكَ، يَحْلُمُ جَمِيعُ الْبَنَّائِينَ فِي اللَّيْلِ
بِذَلِكَ "الْأَبْعَدِ" الْمَجْهُولِ، اللَّامْرِي،
وَكُلُّ صَبَّاحٍ يَبْنُونَ الـ "هَنَا" أَفْضَلَ قَلِيلًا.

أثينا، 1958

5- المسموع وغير المسموع

حَرَكَةٌ مُفَاجِئَةٌ ، غَيْرُ مُنْتَظَرَةٍ ؛ قَبَضَتْ يَدُهُ
عَلَى الْجُرْحِ ، لُثُوقَ نَزِيفِ الدَّمِ ،
بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا لَمْ تَسْمَعْ طَلْقَةً وَاجِدَةً
وَلَا صَفِيرَ رِصَاصَةٍ . بَعْدَ بُرْهَةٍ
أَسْقَطَ يَدَهُ وَابْتَسَمَ ؛
لَكِنَّهُ مَرَّةً أُخْرَى وَضَعَ رَاحَتَهُ بِبُطْنِ
عَلَى الْمَوْضِعِ نَفْسِهِ . ثُمَّ أَخْرَجَ مُحْفَظَتَهُ ،
دَفَعَ لِلنَّادِلِ بِأَدَبٍ ، وَرَحَلَ .
أَتَيْدٍ تَهَشَّمُ كُوبُ الْقَهْوَةِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ .
ذَلِكَ عَلَى الْأَقْلِ سَمِعْنَاهُ بِوُضُوحٍ .

أثينا ، مايو 1960

6 - مواجهة أمينة

طَوَالَ اللَّيْلِ كُلَّهُ تَحَدَّثُوا ، غَضِبُوا ، تَشَاحَنُوا ،
سَعَوْا بِجَمِيَّةٍ وَإِخْلَاصٍ لِلْعُثُورِ عَلَى تَوَافُقِ
أَوْ فَصْلِ بَيْنَهُمْ ؛ انْخَذَلُوا وَكَانُوا تَخْذُولِينَ ؛ نَدِمُوا
عَلَى الْوَقْتِ الضَّائِعِ - الْحَمَقَى ؛ فِي النَّهَائِيَةِ خَلَعُوا مَلَابِسَهُمْ
وَوَقَفُوا هُنَاكَ ، جَمِيلِينَ ، عَرَايَا ، تَخْذُولِينَ ، بِأَلَا حِيلَةَ . كَانَ الْفَجْرُ يُشْرِقُ .
مِنَ السَّطْحِ الْمَقَابِلِ ، انْطَلَقَ سِرْبُ طُيُورِ
كَأَنَّ مُقَامِرًا مَا أَطَاحَ فِي الْهَوَاءِ فِي النَّهَائِيَةِ بِحِزْمَةِ أَوْرَاقِ لَعِبٍ ذَاتِ
عَلَامَاتِ .

هَكَذَا ، بِأَلَا جِدَالٍ ، وَتَبْرِيرَاتٍ ، أَوْ تَأْكِيدَاتٍ ،
هَبَطَ النَّهَارُ مِنَ التَّلَالِ مَعَ الْكِبْرِيَاءِ الْقَاسِيَةِ لِلْفِعْلِ .

أثينا ، مايو 1960

7 - امْتِثَال

لِهَذَا التَّمْثَالِ البرُونزِي مَكَانُهُ فِي مُنْتَصَفِ الشَّتَاءِ ؛
هَذِهِ الخُطْوَةُ البُطُولِيَّةُ لِلحَصَانِ كَأَنَّمَا كَانَ يَقْفِزُ
عَلَى رِيَاحٍ قَوِيَّةٍ ، عَكْسِيَّةٍ ؛ حَتَّى السَّيْمَاءِ الأَبِيَّةِ
الفَخِيمَةِ إِلَى حَدِّ مَا مُتَوَافِقَةٌ تَمَامًا
مَعَ الأمْطَارِ ، وَالرِّيَّاحِ القَاصِفَةِ ، وَالعَوَاصِفِ
حِينَ حَوَّلَتْ وَمَضَتْ البرِقُ العَنَانَ إِلَى شُعَلَتَيْنِ نَحِيلَتَيْنِ ، ثَابِتَتَيْنِ
إِلَى حَدِّ أَلَّا يُمَكِّنُكَ تَحْدِيدَ مَا إِنْ كَانَ العَوَاءُ قَدْ صَدَرَ عَنِ الرِّيحِ عَلَى
امْتِدَادِ الطَّرَقَاتِ المَهْجُورَةِ ،
أَمْ عَنِ فِيمِ التَّمْثَالِ المَفْعُورِ . لَكِنَّهُ الآنَ
مَعَ هَذَا الرَّبِيعِ ، المَسْتَرخِي ، المَذْعِنِ اليَسِيرِ ،
مَعَ هَذَا النَّاسِي ، هَذَا الضَّوِّءِ اللَّطِيفِ (رُبَّمَا بِفِعْلِ الحَجَلِ فِعْلًا
أَوْ مُنْهَكًا مِنَ الحَرَارَةِ) مَعَ أَشْعَةِ شَمْسٍ مُرْتَجِلَةٍ
يُرْبِطُ وَرَقَةَ شَجَرٍ بِأُخْرَى ،
شَجَرَةً بِأُخْرَى أَوْ بِالمَنَازِلِ ،
نَظْرَةً بِأُخْرَى أَوْ بِالأَفْوَاهِ - لِيُصْبِحَ

وَضَعُ التَّمْثَالَ الْآنَ فَوْقَ الطَّاقَةِ ، مُسْتَفِيزًا ، غَيْرَ لَائِقٍ تَقْرِيْبًا ،
إِلَى حَدِّ أَنْ الْفَارِسَ الْبُرُونِزِيَّ ذَاتَهُ قَدْ تَرَجَّلَ ،
وَنَادَى عَلَى ثَلَاثَةِ عَاطِلِينَ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ بِالْمَنْتَزِهِ بِالْمَعَاوِلِ ،
وَبَدَّوْا ، فِي كَدِّ وَرِضَى ، فِي تَحْطِيمِ تِمْثَالِهِ .

أثينا ، مايو 1960

8 - مِنْ أَجْلِ دِقَّةِ أَكْبَرِ

كَانَ دَائِمًا مَا يَعُودُ إِلَى الْمَوْضُوعَاتِ نَفْسِهَا . وَاحِدٌ وَوَاحِدٌ - ظَلَّ يُرَدِّدُ
بِبَسَاطَةٍ ، حَتَّى يُقْنِعَ نَفْسَهُ - يُشْكَلَانِ اثْنَيْنِ . اثْنَانِ وَاثْنَانِ : أَرْبَعَةٌ . لَكِنَّ
أَنْثِيذِ ،

قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ كَنْ مِنَ الْجَمْعِ ، يَتَدَخَّلُ أَوْهَى تَوَقُّفِ ،
أَوْهَى نَفْسِ ، وَأَنْثِيذِ يُجَسِّدُ بِالْحَاجَةِ
إِلَى أَنْ يُضَيِّفَ هَذَا ، مِنْ أَجْلِ دِقَّةِ أَكْبَرِ - نَفْسِ ،
وَفِيمَا وَرَاءَ بُخَارِهِ يُمَكِّنُ تَمَيُّزَ الرَّقْمِ ذَاتِهِ
كَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَى بَابٍ أَوْ عَلَى أَجْنَابِ سَفِينَةٍ ،
أَوْ كَنَجْمَةٍ فِيمَا وَرَاءَ وَشَاحِ شَفِيفٍ مِنْ ضَبَابٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الْمُرْتَعِشَةِ ،
الْفَاتِنَةِ ، فِيمَا بَيْنَ الْعَسَقِ وَاللَّيْلِ .

أثينا ، مايو 1960

9 - منظور

بُنِيَتْ مَنَازِلُنَا فَوْقَ مَنَازِلِ أُخْرَى ، مَصْفُوفَةٍ بِاسْتِقَامَةٍ ، مِنْ رُخَامٍ ،
وَتِلْكَ فَوْقَ مَنَازِلِ أُخْرَى . أَسَاسَاتُهَا
تَسْتَنِدُ إِلَى رُؤُوسِ تَمَائِيلٍ مُنْتَصِبَةٍ بِلَا أذْرُعٍ .
وَهَكَذَا ، فَلَا يَهُم مَدَى انْخِفَاضِ أَكْوَاخِنَا فِي الْحُقُولِ تَحْتَ أَشْجَارِ الزَّيْتُونِ ،
صَغِيرَةٍ ، وَسِخَّةٍ بِالدُّخَانِ ، لَيْسَ بِهَا سِوَى جَرَّةِ مَاءٍ عِنْدَ الْبَابِ ،
وَأَحْيَانًا مَا تَتَخَيَّلُ أَنَّكَ تَعِيشُ فِي الْأَعَالِي ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يُحِيطُ بِكَ يَسْطَعُ
بِالْهَوَاءِ ،

أَوْ أَحْيَانًا مَا تَتَخَيَّلُ أَنَّكَ خَارِجَ الْمَنْزِلِ ، أَنَّكَ
بِلَا مَنْزِلٍ أَبَدًا ، وَأَنَّكَ تَمْشِي عَارِيًّا ،
وَجِيدًا ، تَحْتَ سَمَاءٍ لَازُورِدِيَّةٍ أَوْ بَيْضَاءٍ بِصُورَةِ مُذْهَلَةٍ ،
وَتَمَثَالُ ، بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ ، يَضَعُظُ بِخَفِّهِ بِيَدِهِ عَلَى كَتِفِكَ .

أثينا ، يناير 1962

10- الأبله

تَوَقَّفتُ العَرَبَةَ ، فِي مُوَاجَهَةِ البَحْرِ ،
مُحْمَلَةً بِسِتَّةِ بَرَامِيَلٍ حَدِيدِيَّةٍ ، حَمْرَاءَ ،
وَأَخْرَبِلُونِ أَخْضَرَ مُدْهِشٍ . كَانِ الحِصَانِ
يَرَعَى فِي المَرَجِ . وَقَائِدُ العَرَبَةِ
كَانَ يَشْرَبُ فِي الحَائَةِ . أَبْلَهُ الجَزِيرَةِ
وَقَفَ عِنْدَ حَاجِزِ الأمَوَاجِ ، وَصَاحَ :
"مَعَ هَذَا الأَخْضَرَ سَأَقْهَرُكَ !"
وَأَشَارَ إِلَى البَرَامِيَلِ السَّابِعِ ، دُونَ أَنْ يَدْرِى
مَاذَا يَحْتَوِي أَوْ مَنْ يَمْتَلِكُهُ .

ساموس ، يناير 1962

11 - اتفأق صامت

كأن اثنان منهم ينظران إلى خريطة الحائط الكبيرة .
والثالث كان ينظر من التافذة .
فيما بعد أخذ الاثنان التافذة
وضبطاها فوق الخريطة .
وظل الثالث عند فراغ التافذة .

وحين حدث أن استدار الاثنان نحو الثالث ،
كان الآن خريطة معلقة
في السماء . كانت الريح تهب عليه
وبين الحين والحين تُخشخش الورقة عند الحواف .

أنبيذ اتفق الثلاثة بلا أية مناقشة
على أهمية الموسيقى والتناسخات .

ساموس ، يناير 1962

12 - نهايةُ نهار

أعلى النهار المنقضي لم يبق سوى هذه التَّجمّة ،
كعقدّة في خيطٍ مربوطٍ حول كيس
عميقٍ ، ناعمٍ ، ذي حجمٍ غير مُؤكّد . فما الذي يُمكن أن يكون
في ذلك الكيس ؟ أية مادّةٍ مُختارةٍ يُمكن أن تكون ؟ سيكون عليك أن
تقطع
العقدّة بأسنانك أو أظافرك . وأظافرك العشرةُ
تُصبحُ فضيّةً ، ذهبيّةً تقريبًا . أذلك هو ، إذن ، ما بداخل الكيس ؟

أثينا ، فبراير 1962

13 - معرفة الغامض

حين دقت ساعة الحائط عن بُعدٍ مُناسِبٍ من النَّافِذةِ ،
أدرك أن الليل قد حل - لا من عددِ المراتِ التي دقتها -
فهو حتى لم يُحصِها - بل من خُصُوصِيَّةِ الصَّوتِ . أدرك
من الرَّايحةِ الرُّطبةِ إلى حدِّ ما للملأءات ، أنه الرَّبيع .
بل إنه أدرك ، من الطَّريقةِ التي خلعت بها المرأةُ جذاءها
تحت المائدةِ بأكوابِها الخمسةِ ، أنها كانت مُرهقة .
هذا ما أدركه بِشكْلِ خاصٍّ من اتِّجاهِ الكُوبِ الخامِسِ ،
من وهجه الرَّهيفِ - إرهابُ بالِغٍ ، مُدهِشٌ ، فُخُورٌ ، أبدي .

أثينا ، فبراير 1962

14- اللّص

لِصٍّ - لِيَصُّ بِالْفِعْلِ ، رَجُلٌ تَافَهُ ، مَعْرُوفٌ ؛ يَتَرَبَّصُ
بِالنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، وَالْعَجَائِزِ ، وَالْأَطْفَالِ ، وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ ، وَالتَّوَاغِثِ ،
وَالْمَصَابِيحِ ،
وَالْحِيَتَارَاتِ الْقَدِيمَةِ ، وَمَا كِينَاتِ الْحِيَاظَةِ ، وَالْأَغْصَانِ الْجَائِقَةِ ، وَبِهِ هُوَ
نَفْسُهُ . كَانَ دَائِمًا مَا يَسْرِقُ مِنْهُمْ
أَوْضَاعًا مَا ، تَعْبِيرًا مَا ، أَعْقَابَ السَّجَائِرِ الَّتِي يَرْمُونَهَا فِي الشَّارِعِ ،
مَلَابِسَهُمْ حِينَ يَتَعَرَّوْنَ لِيُمَارِسُوا الْجِنْسَ ، أَفْكَارَهُمْ ،
أَشْكَالَهُمُ الْمَجْهُولَةَ ، مَا يُخْصُّهُمْ ، وَيَصْنَعُ
بَاقَاتٍ كَبِيرَةً مِنَ الزُّهُورِ ، أَوْ يَغْرِسَهَا فِي إِصْبِصٍ . وَالْآنَ ،
فِي مَحَلِّ الزُّهُورِ بِالْمَنْطِقَةِ ، مِنْ وَرَاءِ التَّوَاغِثِ ، نَرَاهُ
يُرْسُ الْوُرُودَ الْكَبِيرَةَ ، وَالْدَالِيَا ، وَالْقَرْنُقُلَ ،
مِنْ دُونَ أَنْ يَبِيعَهَا أَوْ حَتَّى يَتَخَلَّى عَنْهَا - لِصٍّ غَرِيبُ الْأَطْوَارِ ،
أَمِيرٌ انْحِطَاطِيٌّ فِي مَشْتَلِهِ . وَجْهُهُ فَحَسَبُ
شَاحِبٍ ، يُمَكِّنُ تَمْيِيزَهُ وَسَطَ الرِّزَائِقِ الشَّاهِقَةِ ،
كَرَجُلٍ مَيِّتٍ فِي تَابُوتِهِ الرَّجَاجِيِّ . بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ ،

في ذلك المصنف ، كل فصل الأضواء هنا بوضوح الذي لا يتبع
فإننا ما نرى هنا إلا ظاهراً بديعاً ، يرغم أننا علينا فيما بعد
أن نأخذ الأضواء التي كانت مصنوعة من ورق ، مدفون
بها في البحر - ثمرة البحر - بلسات متنوعة .

1963-1957

15- في النسيان

الشيء المادّي الوحيد الذي تَبَقِيَ مِنْهُ كَانَ مِعْطَفَهُ .
عَلَّقُوهُ هُنَاكَ ، فِي خِزَانَةِ الْمَلَابِسِ الْكَبِيرَةِ . وَنُسِي ،
انكَمَشَ فِي الْوَرَاءِ بِسَبَبِ مَلَابِسِنَا الصَّيْفِيَّةِ وَالشَّتَوِيَّةِ ،
الْمَلَابِسِ الْجَدِيدَةِ كُلِّ عَامٍ لِاحْتِيَاجَاتِنَا الْجَدِيدَةِ . إِلَى أَنْ لَفَتِ انْتِبَاهَتَنَا ،
ذَاتَ يَوْمٍ - رُبَّمَا بِسَبَبِ لَوْنِهِ الْغَرِيبِ ،
رُبَّمَا بِسَبَبِ تَفْصِيلَتِهِ الْعَتِيقَةِ . عَلَى أَرْزَارِهِ
كَانَتْ هُنَاكَ ثَلَاثَةُ مَنَاظِرٍ طَبِيعِيَّةٍ مُسْتَدِيرَةٍ ، مُتَمَاثِلَةٍ :
حَائِظُ الْإِعْدَامِ بِهِ أَرْبَعَةُ ثُقُوبٍ رِصَاصٍ ، وَنَدْمُنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ .

أثينا ، فبراير 1962

16- تفسيرات خاطئة

قَطَرَاتُ الْمَطْرِ الْأُولَى ضَرَبَتِ الْبَحْرَ . وَلَا تَهُمُ شُبَّانٌ ، فَلَمْ يُبَالُوا
وَبِالرَّغْمِ مِنْ ابْتِلَالِ شَعْرِهِمْ وَمَلَأِ بِسِهِمْ ، ضَحِكُوا . وَفِي النَّهَائِيَّةِ ،
فَتَحُوا مِظَلَّاتِهِمْ - غَابَةٌ كَامِلَةٌ مِنَ الْمِظَلَّاتِ ،
زُرْقَاءُ ، صَفْرَاءُ ، بَنَفْسَجِيَّةٌ ، لَكِنَّ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ سَوْدَاءُ ،
وَالْبَحْرُ هُوَ الْخَلْفِيَّةُ ، وَقَارِبٌ عَلَى الْبُعْدِ
يَتَقَافِزُ بِخَفَّةٍ مِنْ مِظَلَّةٍ إِلَى أُخْرَى . اسْتَمْتَعَ بِذَلِكَ كَثِيرًا ،
كَأَنَّهَا الْمِظَلَّاتُ لَمْ تُصْنَعْ مِنْ أَجْلِ الْمَطْرِ
بَلِ الْمَطْرِ مِنْ أَجْلِ الْمِظَلَّاتِ . مُنْذُ أَعْوَامٍ كَثِيرَةٍ - كَمْ ؟
كَيْفَ يُمَكِّنُ لَهُ بَبْسَاطَةً أَنْ يَكُونَ شَاهِدًا وَهَوَ لَا يَزَالُ صَغِيرًا ،
شَاهِدًا دَائِمًا ، مُرَاقِبًا نَفْسَهُ ، وَدَائِمًا صَغِيرًا -
بِلَا مِظَلَّةٍ ، فِي الْمَطْرِ ، بَعِيدًا بِبِضْعَةِ أَقْدَامِ ،
مُغَيَّرًا بَعْدَهُ حَسَبَ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَنْظُورِ ،
مَسَافَتَهُ الْمَادِّيَّةِ ، وَحِيدًا فِي سَعَادَتِهِ الْبَعِيدَةِ هَذِهِ ؟

أثينا ، مارس 1962

17 - معرفة

الماء، والملح، والشمس، يلتهمون المنازل قضمة قضمة .
وحيث كان الناس والتوافد لا يزالون موجودين ، ذات يوم ، لا يبقى الآن
سوى الأحجار المبلولة
وتمثال وجهه في الطين . الأبواب ، وحدها ،
تسافر في البحر ، يابسة ، جاهلة ، وخرقاء . وفي الأوقات السابقة على
الغروب ،

يمكنك أن تراها ملتمة على المياه ، أفقية ، موصدة أبدا . والصيادون
لا ينظرون إليها . يجلسون في الفجر الباكر في بيوتهم أمام المصايح
يسمعون الأسماك تنزلق في شقوق أجسادهم ،
يسمعون البحر يطرق عليهم بألف يد (مجهولة تماما) ،
أنثى يسقطون في النوم بالأصداف المشتبكة في شعرهم .
فجأة ، يسمعون طرقا على هذه الأبواب ، ويستيقظون .

ساموس 1962

18 - مُدْرَج قَدِيم

حِينَ وَقَفَ شَابُّ يُونَانِي - قُرْبَ الظَّهِيرَةِ - فِي وَسْطِ
مُدْرَجٍ قَدِيمٍ، بِيَثْقَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ وَسِيمًا مِثْلَمَا كَانُوا،
أَطْلَقَ صَيْحَةً (لَا صَيْحَةَ إِعْجَابٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُحْسِ
بِإِعْجَابِ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَحَتَّى لَوْ أَحَسَّ بِهِ،
فَبِالتَّأَكِيدِ لَمْ يَكُنْ لِيُظْهِرَهُ)، صَيْحَةً بَسِيطَةً،
رُبَّمَا مِنْ فَرَجٍ لَمْ يُرَوِّضْ بِشَبَابِهِ
أَوْ بِبَسَاطَةِ لِيُجَرِّبَ الحِصَائِصَ الصَّوْتِيَّةَ لِلْمَكَانِ. وَفِي الجِهَةِ المَقَابِلَةِ،
عَالِيًا فَوْقَ الجَبَلِ المُنْحَدِرِ، رَدَّ الصَّدى -
الصَّدى اليُونَانِي، الَّذِي لَا يَعْرِفُ التَّقْلِيدَ أَوْ التَّكْرَارَ
بَلْ يَتَوَاصَلُ بِبَسَاطَةٍ إِلَى ارْتِفَاعِ بِلَا حُدُودٍ،
الصَّيْحَةُ الأَبْدِيَّةُ لِلْقَصِيدَةِ الحِمَاسِيَّةِ.

دِلْفِي، مَارِس 1962

19- حَتَّى الْفَجْرِ

كَانَتْ تَرْكُضُ فِي الْحَقْلِ مَعَ الْقَرَّاصِ الطَّوِيلِ ،
وَرَاءَهَا ، كَانَتْ سَاعَاتُ حَائِطٍ وَأَجْرَاسُ تَصِيحٍ ،
ثُمَّ طَبْلَةٌ ، وَبَعْدَهَا أُخْرَى - وَاصَلَتْ الْجُرِي ؛
طُبُولٌ كَثِيرَةٌ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ؛ تَدْفَقُ دَمُهَا مِنْ يَدَيْهَا وَقَدَمَيْهَا ؛
لَهَتْ ؛ تَعَثَّرَتْ فِي مَكَانٍ مَا وَسَقَطَتْ ؛ تَوَقَّفَ انْدِفَاعُهَا ،
وَأَيْضًا خَوْفُهَا ؛ لَيْسَ سِوَى الانْدِهَاشِ الْهَادِي ؛
مَاذَا كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ الْعَقَبَةُ ؟ ... غَالِبًا الْفُضُولُ .

هَكَذَا سَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ ، تَحَسَّسَتْ بِكُلِّ أَعْضَائِهَا
ثُمَّ رَفَعَتْ الرَّأْسَ الْمَقْطُوعَةَ لِتِمْتَالِ .

مَسَحَتْ عَيْنَيْهِ ؛ تَوَقَّفَتْ سَاعَاتُ الْحَائِطِ ؛
تَوَقَّفَتْ الْأَجْرَاسُ وَالطُّبُولُ . كَانَ النَّهَارُ يُشْرِقُ .

هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي تَحْمِلُهُ كَرَضِيحٍ فِي يَدَيْهَا
كَانَ وَجْهَهَا . مِنْ بَيْنِ شَفْتَيْهِ انْسَابَ
خَيْطٌ لَبِنٍ مُتَوَهِّجًا كَمَا يَنْبَغِي فِي الْفَجْرِ .

20- شجرة

هذه الشجرة مدت جذورها في الجانب البعيد من الحديقة ،
سامقة ، نحيلة ، معزولة - ربما خان ارتفاعها
فكرة خفية عن التطفل . لم تُنتج قط
ثمرة ولا زهرة ، لا سوى ظل طويل يقسم الحديقة نصفين ،
ومعيار لا ينطبق على الأشجار المنحنية ، المثمرة .
كل مساء ، عندما كان يذوي الغروب الرائع ،
كان طائر غريب ، برتقالي ، يحط في صمت في أوراقها
كأنه ثمرتها الوحيدة - كجرس ذهبي صغير
في برج كنيسة ضخمة ، أخضر . وعندما قطعت الشجرة ،
حلق هذا الطائر فوقها ، بصرخات صغيرة ، وحشية ،
وهو يرسم دوائر في الهواء ، يرسم في الغروب
الشكل الذي لا ينفد للشجرة ، وهذا الجرس الصغير
رَن في الأعالي خفية ، بل أعلى من ارتفاع الشجرة الأصلي .

ساموس ، يونيو 1963

21- عملية

يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، كَانَ يُجَرِّدُ نَفْسَهُ . فِي الْبِدَايَةِ خَلَعَ مَلَابِسَهُ الْخَارِجِيَّةَ ،
بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ مَلَابِسَهُ الدَّاخِلِيَّةَ ، ثُمَّ فِيمَا بَعْدَ جِلْدِهِ ،
وَفِي النَّهَائَةِ لَحْمَهُ وَعِظَامَهُ ، إِلَى أَنْ لَمْ يَتَبَقَ فِي النَّهَائَةِ
سِوَى هَذَا الْجَوْهَرِ الْبَسِيطِ ، الدَّفِيعِ ، الشَّفِيفِ
الَّذِي شَكَّلَهُ بِصُورَةٍ مَجْهُولَةٍ وَبِلَا يَدَيْنِ
جِرَارًا ، وَقَصَائِدَ ، وَنَاسًا صِغَارًا .
وَالْأَرْجَحُ أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ .

1963-1957

22- صُعود

جَلَسَ لِأَيَّامٍ فِي حَقْلِ شَخِصٍ غَرِيبٍ ، وَهَوَّ يُخَطِّطُ دَائِمًا
لِيَتَسَلَّقَ شَجَرَةَ التَّيْنِ فِي الْحَقْفَاءِ ذَاتِ يَوْمٍ ، وَيَنْظُرَ
إِلَى الْعَالَمِ مِنَ الْأَعَالِي ، بِإِحْسَاسٍ وَرَقَّةِ شَجَرٍ
أَوْ بِإِحْسَاسٍ طَائِرٍ ، لَكِنَّ دَائِمًا مَا كَانَ شَخْصٌ مَا يَمُرُّ ،
وَبِذَلِكَ كَانَ دَائِمًا مَا يَتَخَلَّى عَنِ ذَلِكَ .

وَذَاتَ غَسَقٍ ،

نَظَرَ بِعِنَايَةٍ حَوْلَهُ - لَا أَحَدَ - وَتَسَلَّقَ صَاعِدًا

إِلَى الْغُصْنِ الْأَعْلَى . آتَيْدٍ

جَاءَتْهُ أَصْوَاتٌ مِنْ وَسْطِ الْأَجْمَةِ : "مَا الَّذِي تَفْعَلُهُ عَالِيًا هُنَاكَ؟"

أَصْوَاتٌ عَالِيَةٌ ، وَأَجَابَ : "تَيْنَةٌ ،

كَانَتْ هُنَاكَ تَيْنَةٌ أُخِيرَةٌ" . وَانْكَسَرَ الْغُصْنُ .

أَنْهَضُوهُ . كَانَتْ يَدُهُ الْيُمْنَى مَضْمُومَةً بِإِحْكَامٍ .

حِينَمَا أَجْبَرُوا أَصَابِعَهُ عَلَى الْإِنْفِثَاحِ ، لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا .

ساموس، أغسطس 1963

23- أحجار

تَأْتِي الْأَيَّامُ وَتَمْضِي بِلَا اسْتِعْجَالٍ ، بِلَا مُفَاجَأَتٍ .
الْأَحْجَارُ تُصْبِحُ مَغْمُورَةً بِالضَّوْءِ وَالذِّكْرَى .
شَخْصٌ مَا يَسْتَعْدِمُ حَجْرًا وَسَادَةً .
وَأَخْر ، قَبْلَ الْعَوْمِ ، يَتْرُكُ مَلَابِسَهُ تَحْتَ حَجَرٍ
حَتَّى لَا تَأْخُذَهَا الرِّيحُ . وَآخِرُ يَسْتَعْدِمُ حَجْرًا كَيْمَقَعْد
أَوْ كَعَلَامَةِ حُدُودٍ لِمِزْرَعَتِهِ ، أَوْ لِلْمَقْبَرَةِ ، أَوْ الْحَظِيرَةِ ، أَوْ الْغَابَةِ .
فِيمَا بَعْدَ ، بَعْدَ الْغُرُوبِ ، عِنْدَمَا تَكُونُ قَدْ عُدَّتْ إِلَى الْبَيْتِ ،
فَأَيُّ حَجَرٍ مِنَ الشَّاطِئِ تَضَعُهُ عَلَى مِنْصَدَتِكَ
يُصْبِحُ تِمثَالًا صَغِيرًا - نَائِكِي صَغِيرَةً أَوْ كَلْبَ أَرْتِمِيسِ ،
وَهَذَا الْحَجَرُ ، الَّذِي ارْتَكَزَ عَلَيْهِ شَابٌّ بِقَدَمَيْهِ فِي الظَّهِيرَةِ ،
هُوَ بَاتْرُوكُلُوسٌ^[*] ، بِرُمُوشِ مُطَبَّقَةٍ ، ظَلِيلَةٌ .

ساموس، أغسطس 1963

[*] نايكي: ربة "الانتصار"، في الأساطير الإغريقية؛ أرتيميس: ربة الصيد والحيوانات البرية، لدى الإغريق؛ باتروكلوس: حسب "إلياذة" هوميروس: رفيق أخيل في المعارك.

24- مكانٌ خاص

أَخَذَ الصَّيَّادُ أَدْوَاتِهِ وَرَحَلَ .
وَقَفَّتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَ الْبَابِ .
حَدَّقَتْ فِي الْفَجْرِ الضَّبَّابِي .
لَمَسَتْ وَرْدِيَّةً فِي الْأُفُقِ مُؤَلِّمَةً .
وَرَاءَ ظَهْرِهَا سَمِعَتْ أَنْفَاسَ
الْمَنْزِلِ الْمَظْلِمِ مَعَ الطَّشْتِ وَالْمَكْنَسَةِ .
سَمِعَتْ الْعَجَلَاتِ الصَّغِيرَةَ لِلْأَطْبَاقِ
تَتَدَحْرَجُ فِي الْهَوَاءِ . اسْتَدَارَتْ إِلَى الدَّاخِلِ ،
أَخَذَتْ الْمَقْصَّ الْكَبِيرَ مِنْ فَوْقِ الْمَنْضَدَةِ
وَأَخَذَتْ تَقْصُ أَظْفِيرَهَا بِاحْتِرَاسٍ .
ثُمَّ لَمَمَتْ أَظْفِيرَهَا إِلَى تَلٍّ صَغِيرٍ
وَبَحَثَتْ عَنِ مَكَانٍ مَا لِيُخَبِّئَهَا ، لَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْ .
فَمَاذَا لَوْ أَنَّ زَوْجَهَا أَوْ أَطْفَالَهَا عَثَرُوا عَلَيْهَا ذَاتَ يَوْمٍ ؟

ساموس، أغسطس 1963

فِي الظَّهِيرَةِ ، فَرَدُّوا غَدَاءَهُمْ عَلَى أَوْرَاقِ كُرُومِ نَاضِرَةِ -
زَيْتُونُ ، خُبْزٌ ، طَمَاطِمٌ ، مِلْحٌ - جَائِعِينَ ،
لَمْ يَسْمَعُوا أَوْ يَرَوْا أَيَّ شَيْءٍ ، كَانُوا يَمْضُغُونَ . وَحَدَهُ الْغَرِيبُ
لَمْ يَكُنْ جَائِعًا ، وَلَمْ يَأْكُلْ ، بَلْ كَانَ يُحَدِّقُ
فِي الْحَقْلِ الَّذِي يَنْفُثُ الْبُخَارَ تَحْتَ الشَّمْسِ ، مَمْرُورًا
لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ جَائِعًا . آتَيْنِي أَخْرَجَ مِطْوَاتِهِ الصَّغِيرَةَ الَّتِي لَمْ تَقْطَعِ الْخُبْزَ
أَبَدًا ،
وَعَلَى لِحَاءِ شَجَرَةِ تَيْنٍ نَحْتِ يَدًا كَبِيرَةً .

رُبَّمَا سَتَكُونُ هَذِهِ الْيَدُ الْخَاوِيَةُ قَادِرَةً فِيمَا بَعْدَ عَلَيِ الْإِمْسَاكِ
بِبُسْتَانِ الْكُرُومِ كُلِّهِ ، بِجَامِعِي كُرُومِهِ وَقُبَعَاتِهِمُ الْقَشِ .

ساموس، أغسطس 1963

26- نموذج من الجبس

حين أغمض عيني لم يتمكّن من تذكّر شيءٍ من ذلك الصيف ،
سوى صبّابٍ ذهبيٍ وخاتمه الدفيء في إصبعه ،
لكن الأكثر هو الأكتاف العارية ، العريضة ، المسفوعة لفلّاح شاب
استطاع أن يراه جزئياً وراء الصفصاف - في الثانية من بعد الظهر -
وهو عائد من البحر - ورائحة عشبٍ محروقٍ في كلّ مكان .
في هذه اللحظة ذاتها ، صاحت صراصير الليل ، ودوّت صقارة سفينة .
التماثيل ، بالتأكيد ، صنعت بعد ذلك بكثير .

ساموس ، أغسطس 1963

27- لحظة أسي

فَخَلُّوا رَمْلَ الشَّاطِئِ ، وَحَمَلُوا العَرَبَاتِ الكَارُو ،
وَهُمْ يَقَطْرُونَ بِالعَرَقِ فِي الحَرِّ الحَارِقِ . بَعْدَ الظَّهيرة ،
خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ ، اَمْتَطُوا أَحصِنْتَهُمْ ، وَخَاضُوا فِي البَحْرِ ،
مُسَوِّدِينَ بِشَعْرِ أجْسَادِهِمْ ، مُذْهِبِينَ فِي الشَّمْسِ الحَارِقَةِ . أَطْلَقَ شَابُّ

وسيم

صَبِيحَةً وَأَسْقَطَ يَدَهُ عَلَى حِقْوِهِ . أَسْرَعَ الآخِرُونَ
إِلَيْهِ ، حَمَلُوهُ عَلَى أذْرِعَتِهِمْ ، وَمَدَّدُوهُ عَلَى الرَّمْلِ ،
تَطَلَّعُوا إِلَيْهِ فِي صَمْتٍ ، فِي ارْتِيَاعٍ ، إِلَى أَنْ أَبْعَدَ
أَحَدُهُمْ بِوَقَارٍ يَدَهُ عَنِ حِقْوِهِ ،
أَتَيْدٍ رَشْمِ الجَمِيعِ وَهُمْ مُتَحَلِّقُونَ حَوْلَهُ شَارَةَ الصَّلِيبِ .
وَالأَحصِنَةُ ، المَبْلُوءَةُ ، الذَّهَبِيَّةُ كُلُّهَا ، تَنَشَّقَتِ الأفُقَ البَعِيدَ .

ساموس ، أغسطس 1963

فَتَحَّتْ مَصَارِيْعَ النَّافِذَةِ ، نَشَرَتْ الْمَلَأَاتِ عَلَى عَتَبَتَيْهَا ، وَرَأَتْ النَّهَارَ .
حَدَّقَ طَائِرٌ فِي عَيْنَيْهَا . هَمَسَتْ : "أَنَا وَجِيْدَةٌ" .
"أَنَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ" . عَادَتْ إِلَى الْغُرْفَةِ . الْمِرَاةُ أَيْضًا نَافِذَةٌ .
وَلَوْ قَفَرْتُ مِنْ هُنَا ، فَسَأَهْوِي بَيْنَ يَدَيَّ .

ساموس، أغسطس 1963

تَمَشَى مِنْ طَرَفِ الشَّاطِئِ إِلَى الطَّرَفِ الآخَرِ، وَجَسَدُهُ كُلُّهُ يُومِضُ
فِي رَوْعَةِ الشَّمْسِ وَشَبَابِهِ . بَيْنَ الحَيْنِ وَالْحَيْنِ ، يَغُوصُ فِي البَحْرِ
إِلَى أَنْ التَّمَعَتِ بَشْرَتُهُ بِالْأَحْمَرِ الدَّاكِنِ وَالذَّهَبِيِّ . لَأَحَقَّتْهُ هَمَسَاتُ
الإِعْجَابِ فِي كُلِّ مَكَانٍ
مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ . وَرَاءَهُ بِيضَعَةٌ أَقْدَامٍ كَانَتْ تُلَاحِظُهُ فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ
الْقَرْيَةِ ، حَامِلَةٌ مَلَابِسَهُ بِإِخْلَاصٍ ،
لَكِنَّ دَائِمًا عَنِ مَسَافَةٍ مِنْهُ - لَمْ تَكُنْ لَتَرْفَعِ عَيْنَيْهَا لِتَتَبَطَّلَعَ إِلَيْهِ -
غَاضِبَةً نَوْعًا مَا ،
لَكِنَّهَا سَعِيدَةٌ فِي إِخْلَاصِهَا . ذَاتَ مَرَّةٍ ، تَشَاجَرًا ،
أَنْبِذَ مَنْعَهَا مِنْ حَمَلِ مَلَابِسِهِ . رَمَتْهَا
عَلَى الرَّمْلِ ، وَإِذْ لَمْ تَسْتَبِقِ سِوَى صَنْدَلِهِ ،
دَسَّتْهُ تَحْتَ إِبْطِهَا ، جَرَّتْ وَاخْتَفَّتْ ،
تَارِكَةً فِي الشَّمْسِ اللَّاهِبَةِ الغَيْمَةَ الصَّغِيرَةَ الحَرَقَاءَ مِنْ قَدَمَيْهَا الحَافِيَتَيْنِ .

ساموس، أغسطس 1963

امرأة عجوز عمياء كانت تجلس على عتبة بابها على الشارع . في الأصيل ،
إلى يمينها ، المرأة الأخرى ، الأصغر ، جالسة في كرسي عن بعد قليل ،
كانت تحس أنها حرة ؛

يمكنها التحدث في المارة بحصانة ما ،
أولاد وبنات عائدین شبه عرايا من الشاطئ ،
ويمكنها تثبيت نظرتها على أي جزء من أجسادهم كما يحلو لها . وفجأة ،
أحست بثقب في كتفها الأيسر
من خلاله كان يرى كل ما بداخلها . أليست
المرأة العجوز عمياء في جميع الأحوال ؟

ساموس ، أغسطس 1963

31- تقريباً ساحر

عَنْ بَعْدِ ، يُطْفِئُ الْمَصْبَاحَ ، يُحَرِّكُ الْكَرَّاسِي
مِنْ دُونَ أَنْ يَلْمَسَهَا . حِينَ يَتَعَبُ ، يَخْلَعُ قُبَّعَتَهُ وَيُرَوِّحُ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ .
أَنْثِيذٍ ، بِحَرَكَةٍ مُنْزَلَقَةٍ ، يَسْتَخْرِجُ ثَلَاثَةَ أَوْرَاقٍ كَوْتَشِينَةٍ
مِنْ جَانِبِ أُذُنِهِ . يُذِيبُ نَجْمَةً خَضْرَاءَ ، مُسَكَّنَةً لِلْأَلَمِ
فِي كُوبِ مَاءٍ ، وَهُوَ يُقَلِّبُهَا بِمِلْعَقَةٍ صَغِيرَةٍ فَضِيَّةٍ .
يَشْرَبُ الْمَاءَ ، وَتُصْبِحُ الْمِلْعَقَةُ شَفَّافَةً .
يُمْكِنُ رُؤْيَةَ سَمَكَةٍ ذَهَبِيَّةٍ تَسْبَحُ فِي صَدْرِهِ .
أَنْثِيذٍ ، مُسْتَنْزَفًا ، يَتَمَدَّدُ عَلَى الْأَرِيكَةِ ، وَيُغْمِضُ عَيْنَيْهِ .
"هُنَاكَ طَائِرٌ فِي رَأْسِي" ، يَقُولُ ، "لَا يُمَكِّنُنِي إِخْرَاجُهُ" .
وَيَمَلَأُ الْغُرْفَةَ ظِلًّا جَنَاحِينَ شَاسِعِينَ .

ساموس، أغسطس 1963

32- احتياج إلى برهان

عَلَّقَ مِعْظَفَهُ عَلَى مِشْجَبِ الْمَلَابِيسِ فِي الرُّوَّاقِ .
كَانَ الْمَنْزِلُ لَطِيفًا ، نَظِيفًا ، دَافِئًا ،
كَأَنَّهُ قَدْ انْتَقَلَ إِلَى زَمَنِ آخِرِ . وَالْأَشْيَاءُ الصَّامِتَةَ ،
الْكِرَاسِي ، الْأَرَائِكُ ، إِطَارَاتُ الصُّورِ ، فَنَاجِينُ الشَّايِ ،
كَانَتْ تُلَاحِظُ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ سَلَاسَةَ حَرَكَتِهِ ، لَكِنِ بِإِمْعَانِ
إِلَى حَدِّ أَنَّهُ - هُوَ نَفْسَهُ - انْتَبَهَ إِلَى ذَلِكَ . آتِيذِ ،
تَحْتَ الْحَسَابَاتِ الْمَلْغَاةِ فِي دَفْتَرِ مَصْرُوفَاتِهِ ،
حَاوَلَ رَسْمَ الْمَلَاخَةِ الزُّجَاجِيَّةِ ،
سَاعِيًّا لِاتِّقَاطِ تَمَثِيلِ مَا لِشَفَافِيَّتِهَا - بُرْهَانَ
عَلَى الْأَقْلِّ فِي رَسْمِ مَا ، عَلَى لَا جَدْوَى حُرِّيَّتِهِ .

1963-1957

33- إِزَاحَةٌ

لَا يَهُمُّكُمْ عَتَبَرَهُمْ "مُسَالِمِينَ"، فَقَدْ كَانَ هُنَاكَ دَائِمًا خَطَرٌ مَا
يَكْمُنُ فِي لَوْنٍ مَا، أَوْ حَرَكَةٍ مَا، حِينَ يَنْفَتِحُ
الْبَابُ إِلَى الدَّخِيلِ أَوْ الخَارِجِ، حِينَ يُفْرَغُ
مِطْفَأَةُ السَّجَائِرِ الزُّجَاجِيَّةِ خَارِجَ النَّافِذَةِ، لِأَنَّ الرِّيحَ أحيانًا
مَا تُطِيحُ بِأَعْقَابِ السَّجَائِرِ إِلَى دَاخِلِ العُرْفَةِ، وَبِالرَّمَادِ إِلَى عَيْنَيْهِ،
وَأَنْثِيذٍ يَكُونُ مُجَبَّرًا عَلَى لَمَلَمَتِهَا وَاحِدًا وَاحِدًا وَهُوَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ .
فِي هَذَا الوَضعِ بِالتَّحْدِيدِ وَجَدْنَاهُ، كَأَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي،
وَرُبَّمَا كَانَ فِي الحَقِيقَةِ كَذَلِكَ . "لَا، لَا"، قَالَ،
وَفَتَحَ رَاحَتَهُ كَبْرَهَانَ، وَأَعْقَابُ السَّجَائِرِ

مُرْتَبَةً فِي صُفُوفِ كَجُنُودٍ مِنْ رِصَاصٍ ، مِنْ الْمَأْمُونِ أَنْ نَقُولَ
إِنَّهُمْ لَمْ يُشَارِكُوا فِي أَيَّةِ مَعْرَكَةٍ . وَمَعَ ذَلِكَ ، اسْتَطَعْنَا أَنْ نَرَى فِي وَجْهِهِ
الانتِصَارَ الْحَبِيثَ الْأَقْصَى لِلْمَهْزُومِ تَمَامًا .

ساموس، يناير 1965

34- يَوْمِ شَخِصِ عَلِيلٍ

طَوَالَ النَّهَارِ رَائِحَةُ الْوَجِاحِ أَرْضِيَّةٍ رَطْبَةٍ ، عَطِنَةٍ ،
تَجْفُفُ وَتَنْفُثُ الْبُخَارَ فِي الشَّمْسِ . الطُّيُورِ .
تُحَدِّقُ لِيَهْلَةَ مِنَ السُّطُوحِ ، ثُمَّ تَرَحَّلُ .
فِي الْحَانَةِ الْقَرِيبَةِ فِي اللَّيْلِ ، يَجْلِسُ حَقَّارُ الْقُبُورِ
وَيَأْكُلُونَ سَمَكَ الْمَنُوهِ الْمَقْلِيِّ ، وَيَشْرَبُونَ ، وَيُعَنُّونَ
أُغْنِيَّةَ حَافِلَةٍ بِثُقُوبٍ كَثِيرَةٍ مُظْلِمَةٍ -
مِنْهَا تَبْدَأُ فِي الْهَبُوبِ رِيحٌ هَادِيَةٌ ،
وَأُورَاقُ الشَّجَرِ ، وَالْأَضْوَاءُ ، وَأُورَاقُ الرُّفُوفِ تَرْتَعِشُ .

أثينا ، يونيو 1961

أغلق الباب ، تطلع وراءه باسترابة ،
ودفع بالفتاح إلى جيبه . أنثذ اعتقلوه .
أنهكوه لشهور . إلى أن اعترف ، ذات مساء ،
(وذلك ما أثبت) أن المفتاح والمنزل
كانا ملكه . لكن أحدا لم يستطع أن يفهم
لماذا أخفى المفتاح . وهكذا ،
برغم أنه ثبتت براءته ، إلا أنه ظل - بالنسبة للجميع - مشبوها .

1965-1964

36- جسد الرّيح

لَقَدْ رَأَيْتُ الْجَسَدَ الْكَامِلَ لِلرِّيحِ ، قَالَ ، جَسَدَهَا الْكَامِلُ ...
لَقَدْ صَفَعَتِ خَدِّي ، أَمَسَكْتَ
بِصَدْرِي وَحَقْوِي ، وَرَكْبُهَا
خَبَطَتْ رُكْبَتِي ؛ دَهَسَتْ
أَصَابِعَ قَدَمِي - رَأَيْتُهَا ، أَقُولُ لَكُمْ ،
هُنَا ، جَسَدًا لِجَسَدٍ ، مُنْتَصِبِينَ كِلَانًا . وَالْآنَ ،
لَدَيَّ فِي فَمِي أَسَى عَظِيمٌ
وَتَسَعَةُ أَوْرَاقِ شَجَرٍ حَوْلَ رَقَبَتِي .

ساموس، ديسمبر 1964

37- اعترافٌ صغير

أود أن أكون مريحًا ، قال . طوَال النَّهَارِ
أَسْعَى لِلْعُثُورِ عَلَى شَيْءٍ مَا أَبْتَهِجُ بِهِ . وَكثِيرًا مَا لَا أَعْتُرُّ عَلَى شَيْءٍ ،
وَأَتِيذُ نَسْفُطُ عَنِّي مَلَابِسِي ؛ وَأَبْقَى
مُعَلَّقًا فِي رِقَّةٍ بِالْفِرَاغِ ، مُنْتَظِرًا
شَخْصًا مَا لِيُجِيبَنِي حَتَّى أَحْيَا . وَقَبْلَ حَتَّى
أَنْ تَهَبَّ أَوْهَى نَسْمَةٍ ، أُحِسُّ بِهَا تَرْتِعِشَ
عَلَى أَظْفِيرِ أَقْدَامِي . أَنْتِيذُ فَجَاءَهُ
تُمَزُّقُ شَبَكَةِ عَنكَبُوتٍ مُتَدَلِّيَةٍ
خَدِّي مِنْ أَعْلَاهُ لِأَسْفَلِهِ .

ساموس، 20 أغسطس 1964

لَيْسَتْ زَرْقَاءُ - تَقُولُ - السَّمَاءُ حَمْرَاءُ
يَبْقَعُ صَفْرَاءُ . ذَلِكَ مَا تَقُولُهُ . تَرْفَعُ يَدَهَا ،
تَأْخُذُ التُّفَّاحَةَ الْحَمْرَاءَ مِنَ الرَّفِّ ، تَقَطِّعُ التُّفَّاحَةَ ،
تَرْمِي بِالطَّبَقِ وَالتُّفَّاحَةَ مِنَ النَّافِذَةِ ،
تَقِفُ أَمَامَ الْمِرَاةِ وَتُمَشِّطُ شَعْرَهَا ،
يَجْدَائِهَا الْأَحْمَرُ ، وَشَعْرُهَا الْأَخْضَرُ ، وَتُدْبِيهَا الزَّرْقَاوِينَ ،
بِالسَّكِّينِ بَيْنَ أَسْنَانِهَا كَلِجَامٍ ،
مُتَأَهِّبَةً لِلْقَفْزِ عَلَى صُورَتِهَا بِحِصَانِهَا الْأَحْمَرَ -
وَعُرْفُهُ يُومِضُ فِي انْطِلَاقِهِ مُفَاجِئَةً فِي عُمُقِ الْمِرَاةِ .

ساموس، أغسطس 1964

39- أُصِيل

سَقَتِ الزُّهُورَ ، وَسَمِعَتِ المِيَاهُ تَقْطُرُ مِنَ الشُّرْفَةِ .
الألواحُ عَرِقَتْ بِالماءِ وَاهْتَرَأَتْ . بَعْدَ العَدِّ ،
حِينَ سَتَهَوِيَ الشُّرْفَةُ ، سَتَبَقَى هِيَ فِي الهَوَاءِ ،
هَادِيَةً ، جَمِيلَةً ، مُمَسِّكَةً فِي يَدِهَا
بِإِصْبِغِي الزُّهُورِ الكَبِيرِينَ ، وَزُهُورِ الجَارِ دِينِيَا ، وَابْتِسَامَتِهَا .

ساموس ، أغسطس 1964

صَنْدَلُهُ ، الْمَتْرُوكُ عَلَى الرَّمْلِ ، يَلْتَوِي تَحْتَ الشَّمْسِ .
وَهُوَ لَا يُمَكِّنُ رُؤْيَتَهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ . رَبَّمَا نَسِي نَفْسَهُ
هُنَاكَ فِي الْأَسْفَلِ ، مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ السَّبَّاحِينَ . وَشَكْلُ الصَّنَدَلِ
يَفْضَحُ وَضَعَ قَدَمِ شَابٍ . وَاضِحَةٌ بَصْمَةٌ
أَصَابِعِ الْقَدَمِ الْقَوِيَّةِ ، ذَاتِ الْإِيقَاعِ . لَكِنَّ ، كَمَ هُوَ غَرِيبٌ ،
أَنَّ الْجَنَاحِينَ الْعَادِيِّينَ ، الْمُمَيِّزِينَ لِلْكَعْبَيْنِ ، مَفْقُودَانِ .

1964-1965

41- الوجه العكسي

قال: "حَتَّى العُزلة هِي عِلاقة".
تَوَقَّف . فَكَّر . "بِمَاذَا؟"
قَمَر ، خَسارةٌ جَميلةٌ ، اسْتِنزافٌ ،
أَيُّهَا العُملةُ القَدِيمةُ ، سَأَقْلِبُكَ عَلى وَجْهِكَ الأَخر
لَأَرى الوَجةَ المَنحوتَ لِشاب
يُظَلِّلهُ ذَيْلُ حِصانٍ وَخودَةٌ .

ساموس، أغسطس 1964

42- بعد الاحتفال

مَعَ الصِّيَاحِ ، وَالضُّوضَاءِ ، وَالْمَلَابِيسِ الْمَلَوَّنَةِ الْجَمِيلَةِ ،
نَسِينَا أَنْفُسَنَا تَمَامًا ، وَلَا رَفَعْنَا أَعْيُنَنَا
نَحْوَ قَوَاصِرِ الْمَعْبَدِ الْعَالِيَةِ الَّتِي نُظِّفَتْ مُنْذُ شَهْرٍ فَحَسَبِ
عَلَى يَدِ عُمَّالٍ عَلَى سَقَّالَاتٍ مَنْصُوبَةٍ . عَلَى آيَةِ حَالٍ ، فَعِنْدَمَا حَلَّ الظَّلَامُ
وَهَذَا الصَّخَبِ ، ابْتَعَدَ عَنَّا أَصْغَرُ مَنْ فِي مَجْمُوعَتِنَا ،
صَعَدَ السَّلَالِمَ الرُّخَامِيَّةَ ، وَوَقَفَ
وَحِيدًا فِي تِلْكَ الْمَسَاحَةِ الْحَاوِيَةِ الَّتِي عُقِدَتْ فِيهَا احْتِفَالَاتُ الصَّبَاحِ . وَإِذْ
وَقَفَ هُنَاكَ
(وَنَحْنُ وَرَاءَهُ بِقَلِيلٍ حَتَّى لَا نَبْدُو أَقَلَّ شَأْنًا) ، بِرَأْسِهِ الْجَمِيلَةِ
مَرْفُوعَةً قَلِيلًا ، مُسْتَعْرِقًا ، مَعْمُورًا
بِضَوْءِ قَمَرِ يُونِيُو ، فَمَنَحْنَا الْإِنْطِبَاعَ بِأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الْقَوْصَرَةِ .
اِقْتَرَبْنَا مِنْهُ ، لِهَذَا ، أَمْسَكَ كُلُّ مِنَّا بِالْآخَرِ مِنْ كَيْفِهِ ، وَمَرَّةً أُخْرَى هَبَطْنَا
الدَّرَجَاتِ الْكَثِيرَةَ . وَمَعَ ذَلِكَ ، كَانَ كَأَنَّهُ
قَدْ بَقِيَ هُنَاكَ ، عَارِيًا ، رُخَامِيًّا ، مُنْسَجِبًا ،
وَسَطَ الْآلِهَةِ السَّابَّةِ وَالْحَيُولِ .

١١٠ - الطواويس بيريلامبيس^{١١}

لماذا أراد بيريلامبيس ، ذلك الرجل الذواق ، أن ينقل
هذه الطواويس من قصر الملك الفارسي ؟
غير متاسبين للثروة الإغريقية ، مختلفين
بمغاطفهم الفجة متعددة الألوان على سلاليم
بيريكتيون الرخامية شاهقة البياض . بالطبع ، أعجبت
بهم الحشود بصورة زائدة . ورتما جاء بهم بيريلامبيس
إلى أثينا لا من أجل ريشهم
بل من أجل تعيينهم القريد . بالتأكيد كان أفلاطون
يعرف السبب . فضلاً عن ذلك ، حتى آتئذ ، ألم يلون القدماء
خُطبهم وجرارهم ووجوههم وتمائيلهم ؟
بالرغم من أن كل ذلك يبدو اليوم أبيض باهراً ؟

ساموس ، أغسطس 1964

^{١١} بيريلامبيس Pyrilampes: سياسي أثيني قديم، وزوج أم أفلاطون.

44- اللذة الحسية الأولى

جِبَالُ شَامِحَّةٌ ، كَالِيدِ رُومُونِ ، أُوَيْتَا ، أُوثِرِيسُ ،
صُخُورٌ مُهَيْمِنَةٌ ، بَسَاتِينُ كُرُومِ ، حُقُولُ قَمْحٍ وَكَسَاتِينُ زَيْتُونِ ؛
هَاهُنَا حَفَرُوا الْمَحَاجِرَ ، وَالْبَحْرُ تَرَاجَعُ ؛
الرَّائِحَةُ الْكَثِيفَةُ لِأَشْجَارِ الْمَسْتِكَةِ الَّتِي أَحْرَقَتْهَا الشَّمْسُ ،
وَالصَّمْعُ يَقْطُرُ فِي عَنَاقِيدِ . مَسَاءً
شَاسِعٌ يَهْبِطُ . هُنَاكَ ، عِنْدَ الشَّاطِئِ ، أَخِيلُ ،
الَّذِي لَمْ يَبْلُغِ الْمَرَاهِقَةَ بَعْدَ ، وَهُوَ يُمَسِكُ بِكَعْبِهِ
يُجْرِبُ صَنْدَلَهُ ، أَحَسَّ بِتِلْكَ اللَّذَّةِ الْحِسِّيَّةِ الْبَعِيدَةِ . وَلِلْحِظَّةِ
هَامَ عَقْلُهُ فِيمَا كَانَ يُحَدِّقُ فِي انْعِكَاسَاتِ الْمَاءِ . أَنْثِذِ
ذَهَبَ إِلَى دُكَّانِ الْحِدَادَةِ وَأَمَرَ بِدِرْعِهِ -
كَانَ يَعْرِفُ الْآنَ شَكْلَهُ بِالتَّحْدِيدِ ، وَمَكَانَهُ ، وَحَجْمَهُ .

ستيليس، يونيو 1964

عَظَّ رِفَاقُهُ فِي التَّوَمِ عَلَى الْحِبَالِ فِي الْمُؤَخَّرَةِ ؛
أَنِيذِي جَاءَتْ ، أَخَذَتْهُ مِنْ يَدِهِ وَذَهَبَتْ بِهِ
فِي طَرِيقِي صَاعِدٍ قَلِيلًا مِنَ الشَّاطِئِ ؛ اسْتَلَقْتُ بِجِوَارِهِ
وَأَخْبَرْتَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، كَامْرَأَةٍ فَانِيَّةٍ لِرِزْوَجِهَا ؛ لَمْ تُخَفِ شَيْئًا عَنْهُ -
أَيَّةُ مَصَاعِبَ سَتُوجِهُهَا ، أَيَّةُ تَحْذِيرَاتٍ سَيَتَلَقَّهَا . مَعَ ذَلِكَ ،
فِي التَّقْطِةِ الْفَاصِلَةِ ، لَمْ تُقَدِّمْ لَهُ أَيَّةَ نَصِيحَةٍ ،
وَلَا مَعْلُومَةً تَقْرِيْبًا . كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُقَرَّرَ - كَمَا قَالَتْ -
بِنَفْسِهِ ، وَبِنَفْسِهِ وَحَدَهَا ، أَنْ يَخْتَارَ . (فَأَيُّ اخْتِيَارٍ كَانَ مُمَكِّنًا
بَيْنَ الشَّرِّينِ الْأَسْوَأِ ؟) حَقًّا ، بِنَفْسِهِ ،
تَمَامًا مِثْلَمَا كَانَ قَدْ ظَلَّ فِي شَجَرَةِ التَّيْنِ الْبَرِّيَّةِ ، مُعَلَّقًا كَخُفَاشٍ
فَوْقَ الْأَحْشَاءِ السَّوْدَاءِ لِلْأَعْمَاقِ الْفَاغِرَةِ ، مُنْتَظِرًا
الْإِنْدِفَاعَةَ الْوَشِيكَةَ الثَّالِيَةَ لِلْبَحْرِ ،
بِنَفْسِهِ ، فِي قَفْزَتِهِ الْأَخِيرَةِ إِلَى الْمَحِيْطِ ، وَبِنَفْسِهِ فِيمَا بَعْدَ
عَلَى الصَّارِي الْمَصْعُوقِ . هَذَا الْمَجْدُ ،
عَلَى الْأَقْلِ ، كَانَ مَجْدَهُ عَلَى وَجْهِ الْحَصْرِ - وَرُبَّمَا مَجْدَهُ الْوَجِيدِ .

حين عادت- في المساء - من شاطئ النهر إلى المدينة البحرية
حيث تتخبط الصواري بالشرفات وأشجار الكروم ،
خرج من القصر أشقاؤها ، وفكوا سُروج البغال ،
ثم أخذوا من عربات الكارو الملابس المغسولة وحملوها إلى الداخل ،
جافة عبقّة من الشمس ، والغار والصابون ، ساعة
أن تضيء الخادِمات مصابيح الزيت ، وتعدّ المائدة للعشاء . الليلة
كانت الفتاة تُشرق بجمالٍ مُغاير ، مرتعشة ، مهتاجة في المكان ،
خشية أن يُحسّ أشقاؤها من ثقل الملابس المغسولة
أنّ هناك قطعة ملابس مفقودة . لا أحد بالطبع يُمكنه تحديدها .
والغريبُ

ظلّ خارج الحديقة المروية ، وحيدًا . وحين ظهر ،
لم تتعرّف إلا آريتي على قطعة الملابس التي تخص ابنها لاوداماس
ويرتديها الغريب ، حين جثا على ركبتيه أمامها ،

^[1] ناوسيكًا Nausicaa: إحدى شخصيات "الأوديسة"؛ ابنة الملك ألكينوس، واسمها
يعني- في اليونانية- "محرقة السفن".

وَفِي الْحَالِ أَحَسَّتْ تَجَاهَهُ مِثْلَمَا تُحِسُّ تِجَاهَ ابْنِهَا . "انْهَضْ" - قَالَتْ -
وَأَجْلَسْتَهُ فِي أَفْضَلِ مَقْعَدٍ
تَحْتَ التَّعْرِيشَةِ ، حَيْثُ كَانَ جَيْتَارُ دِيمُودُوكُوسِ مُعَلَّقًا .

1965-1964

47- تدرُّجات

أَهَاجَتِ كَلِمَاتُ يُورِيَالُوسِ الْفِظَّةُ ظُلْمًا أُودِيسِيُوسِ .
أَرَادَهَا فِظَّةً ، وَهَكَذَا نَطَقَ بِهَا . قَالَ : "تَاجِرٌ
مَنْ لَا يَهْتَمُّ إِلَّا بِتِجَارَتِهِ وَبِالْمَكَاسِبِ غَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ ،
لَا بِالْمُنَافَسَاتِ النَّبِيلَةِ . هَكَذَا تَكَلَّمَ ، وَقَازَ هُوَ وَالْآخَرُ
حِينَ رَفَعَ أُودِيسِيُوسُ عَالِيًا الْقُرْصَ الْكَبِيرَ
وَقَذَفَ بِهِ إِلَى مَا وَرَاءَ كُلِّ الْعَلَامَاتِ الْآخَرَى ، مَعَ ذَلِكَ الصَّفِيرِ
حَيْثُ فَشَلِ الْفِينِيقِيُّونَ ذُرُومَ الْمَجَازِيفِ الطَّوِيلَةِ (دُونَ اعْتِبَارٍ
لِأَنَّ الرَّبَّةَ الْحَفِيَّةَ قَدْ حَفَرَتِ الْعَلَامَةَ أَعْدَقَ قَلِيلًا) .
وَهَكَذَا ، كَمَ مِنَ الْبَدَءَاتِ الْآخَرَى لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً هُنَاكَ ،
بِصَرَفِ النَّظَرِ عَنِ التَّوَايَا النَّبِيلَةِ لِأَيِّ يُورِيَالُوسِ ،
بَدَءَاتٍ صَرِيحَةٍ لَمْ يَحْدُثْ أَبَدًا أَنْ تَجَحَّتْ فِي حَفْرِ
قُوَّتِنَا؟ وَلَا بَدَّ لِلْمَرَّةِ مِنَ الشُّعُورِ بِالْأَسْفِ
عَلَى كُلِّ هَذِهِ الْقُوَّةِ النَّائِمَةِ ، لَا عَلَى الْبَدَءَاتِ أَبَدًا .
وَأَسْوَأُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ الْمَرَّةَ لَا يُحْسُ بِالْأَسْفِ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ .

أثينا، يناير 1965

48 - تفاصيل عاديّة

حِينَ نَهَضَ إِيُومًا يُوسُ ، مُرِّيَّ الحَنَازِيرِ ، لِيُعْنَى بِالغَرِيبِ ،
الذِي كَانَتْ كِلَابُ الرّاعِي تَنْبُحُ عَلَيْهِ ،
سَقَطَتْ مِنْ رُكْبَتَيْهِ قِطْعَةٌ الجِلْدِ الجَمِيلَةِ ، المَشغُولَةُ بِعِنَايَةٍ ،
التي كَانَتْ يُجَهِّزُهَا لِصَنْدَلِهِ . فِيمَا بَعْدَ ،
حِينَ انْطَلَقَ لِيَنْدَبِحَ الحَنَزِيرِينَ
لِضِيافَةِ الرَّجُلِ العَجُوزِ ، أَحْكَمَ حِزَامَهُ .
هَذِهِ الأَشْيَاءُ - الجِلْدُ ، صَنْدَلُهُ ، إِحْكَامُ الحِزَامِ -
لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُجَسَّ بِمَعْنَاهَا (فِيمَا وَرَاءَ الأَرْبَابِ وَالأَسَاطِيرِ ،
فِيمَا وَرَاءَ الرُّمُوزِ وَالأَفْكَارِ) إِلَّا الشُّعْرَاءُ .

1965-1964

49- شَهْرُ التَّنْظِيفِ

شُرُوقُ شَمْسِ يَنَابِرٍ؛ شَفَافِيَّةٌ ثَلْجِيَّةٌ، مُعَرِّيَّةٌ .
تَلَأَشَتْ الغُيُومُ كُلُّهَا فَجَاءَتْ . عَلَى التَّلَالِ المَشْجِرَةِ ،
التي لَا تَزَالُ مُظْلِمَةً مِنَ النَّدَاوَةِ الطَّوِيلَةِ ، يَرْتَفِعُ
إِلَى السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ دُخَانُ الرُّعَاةِ . وَذُرَى الجَبَلِ بَعِيدًا إِلَى الوَرَاءِ ،
سَمَاءٌ زَرْقَاءُ بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ - هَذِهِ السَّمَاءُ الرَّائِعَةُ . لَا لَوْنَ آخَرَ ،
يَقُولُ - يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُنَاسِبًا فِي هَذَا المَشْهَدِ الطَّبِيعِيِّ العَظِيمِ ،
الشَّفِيفِ

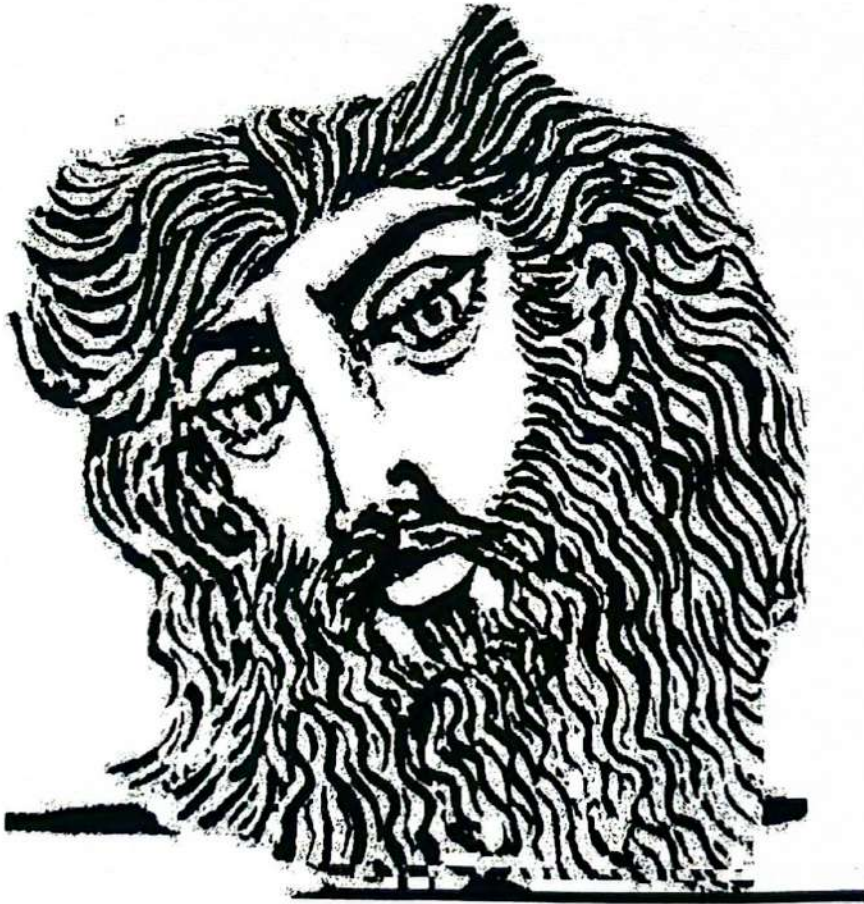
سِوَى نُقْطَةِ حَمْرَاءٍ مِنَ الدَّيْكِ الذِّي ذَبَّحُوهُ
عَلَى حَجَرِ الأَسَاسِ . هَكَذَا تَكَلَّمَ . وَكَانَ يَقْصُدُ بِذَلِكَ
حَرَكَةَ إِصْبَعَيْنِ تَكْشِفَانِ
كَيْفًا ، جُرْحًا ، نَبْعًا ، حُلْمًا عَارِيًّا .

1965-1964



اثنَا عَشْرَةَ قَصِيدَةً إِلَى كَفَّافِيْس

(1963)



I مكان الشاعر

المَكْتَبُ الأَسْوَدُ المَنْقُوشُ، وَالشَّمْعَدَانِ الفِضِّيَّانِ،
وَعُلْيُوهُ الأَحْمَرُ. يَجْلِسُ، غَيْرَ مَرِيٍّ تَقْرِيبًا، فِي مِقْعَدِهِ،
جَاعِلًا التَّافِذَةَ دَائِمًا وَرَاءَ ظَهْرِهِ. وَمِنْ وَرَاءِ نَظَارَتِهِ،
الكَبِيرَةَ الحَذْرَةَ، يَتَأَمَّلُ أَيَّ شَأْبٍ يَتَحَدَّثُ مَعَهُ
وَمَنْ يَنْعَمِرُ فِي الضَّوءِ، فِيمَا يَظَلُّ هُوَ نَفْسُهُ مُخْتَبِئًا وَرَاءَ كَلِمَاتِهِ،
وَرَاءَ التَّارِيخِ، وَرَاءَ شُخُوصٍ مِنْ إِبْدَاعِهِ، بَعِيدَةٍ وَمَنِيَعَةٍ،
مُجْتَذِبًا انْتِبَاهَ الآخِرِينَ بِالانْعِكَاسَاتِ الرَّهِيْفَةِ
لِلْيَاقُوتَةِ الَّتِي يَضَعُهَا فِي إِصْبَعِهِ وَيَتَذَوَّقُ - عِنَ اسْتِعْدَادِ كَامِلٍ -
تَعْبِيرَاتِ المُرَاهِقِينَ البُلْهَاءِ
لِحَظَّةٍ أَنْ يُبَلَّلُوا شِفَاهَهُمْ بِالسِّنْتِيهِمْ فِي إِعْجَابٍ. وَهُوَ،
المَاكِرُ، الشَّرُّ، الشَّهْوَانِيُّ، البَرِيءُ الأَكْبَرُ،
يَتَرَاوَحُ بِكَيْنُونَتِهِ كُلَّهَا بَيْنَ ال - لَآ وَالنَّعَمِ، بَيْنَ الرِّغْبَةِ وَالنَّدَمِ،
كَمِيزَانٍ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ،
فِيمَا الضَّوءُ مِنَ التَّافِذَةِ وَرَاءَهُ

يَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا مِنْ غُفْرَانٍ وَقَدَاسَةٍ.
يَهْمِسُ لِنَفْسِهِ: "لَوْ لَمْ يَغْفِرِ الشَّعْرُ لَنَا،
فَلَا انْتِظَارَ لِرَحْمَةٍ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ".

II المصباح

المِصْبَاحُ هَادِيٌّ وَمُرِيحٌ؛ إِنَّهُ يُفَضِّلُهُ
عَلَى أَشْكَالِ الإِضَاءَةِ الأُخْرَى. فَضْوُهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَكَيَّفَ
حَسَبَ احتِیَاجَاتِ اللّحْظَةِ،
حَسَبَ الرِّغْبَةِ الأَبْدِيَّةِ، السَّرِيَّةِ.
وَدَائِمًا رَاحِئَةً الكِبْرُوسِينَ، حُضُورٌ رَهِيْفٌ
كَثُومٌ لِلغَايَةِ فِي اللَّيْلِ عِنْدَمَا يَعُودُ وَحِيدًا
بِذَلِكَ التَّعَبِ فِي أَعْضَائِهِ، ذَلِكَ العَبَثُ
فِي قَمَاشِ سُتْرَتِهِ، وَغُرْزِ جُيُوبِهِ،
تِلْكَ اللّحْظَةُ بِالدَّاتِ تَبْدُو زَائِدَةً وَغَيْرَ مُحْتَمَلَةَ-
المِصْبَاحُ شَيْءٌ مَا يَشْغَلُهُ مَرَّةً أُخْرَى- الذُّبَالَةُ،
الكَبْرِيتُ، اللّهُبُ الحَظِيرُ
(بِظِلَالِهِ عَلَى السَّرِيرِ، وَالمَكْتَبِ، وَالحَوَائِطِ)،
وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ
الرُّجَاجُ نَفْسُهُ-

شَفَافِيَّتُهُ الْهَشَّةُ

الَّتِي تُجْبِرُكَ، مُنْذُ الْبِدَايَةِ، بِإِيْمَاعَةٍ بَسِيْطَةٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ،
عَلَى حِمَايَةِ نَفْسِكَ وَحِمَايَةِ الْآخَرِينَ.

III مصباحه قرب الفجر

حَسَنًا، مَسَاءَ الْخَيْرِ؛ الْإِثْنَانِ مِنْ جَدِيدٍ، وَجْهًا لَوَجْهِهِ،
هُوَ وَمِصْبَاحُهُ - فَهُوَ يُجِبُّهُ، رَغْمَ أَنَّهُ يَبْدُو
لَا مُبَالِيًا وَرَاضِيًا عَنِ نَفْسِهِ؛ لَا لِمُجَرَّدِ
أَنَّهُ يَخْدُمُهُ، بَلْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، خَاصَّةً
لَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ عِنَايَتَهُ - الْبَقَاءَ الْهَشَّ
لِلْمَصَابِيحِ الْيُونَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، يُجَمِّعُ حَوْلَهُ
ذِكْرِيَّاتٍ وَهَوَامَّ مُرْهَقَةً فِي اللَّيْلِ، تُلْطَفُ
تَجَاعِيدَ الْعَجَائِزِ، تَبْسِطُ الْحِبَاهِ،
تُجَدُّ ظِلَالُ الْأَجْسَادِ الْمُرَاهِقَةِ،
تُعْطِي بُوَهْجٍ رَقِيقٍ بَيَاضَ الصَّفَحَاتِ الْخَالِيَةِ
أَوْ أَرْجُوَانَ الْقَصَائِدِ الْخَفِيِّ؛ وَعِنْدَمَا
يُصْبِحُ ضَوْءُ الْفَجْرِ بَاهِتًا
وَيَنْدَمِجُ فِي وَرْدِي النَّهَارِ، فِي الْأَصْوَاتِ الْأُولَى
لِمَصَارِيحِ الْمَحَلَّاتِ الْحَدِيدِ، وَعَرَبَاتِ الْيَدِ، وَبَاعَةِ الْفَاكِهَةِ الْجَائِلِينَ،

يُصْبِحُ صُورَةً مَلْمُوسَةً لِسَهْرِهِ، بَلْ حَتَّى
جِسْرًا مِنْ زُجَاجٍ يَعْبرُ مِنْ نَظَارَتِهِ إِلَى زُجَاجِ الْمِصْبَاحِ،
وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى زُجَاجِ النَّافِذَةِ، فَأَبْعَدَ إِلَى الْخَارِجِ، ثُمَّ أَبْعَدَ -
جِسْرٌ مِنْ زُجَاجٍ يَضَعُهُ فَوْقَ الْمَدِينَةِ، دَاخِلَ الْمَدِينَةِ،
فِي اسْكَندَرِيَّتِهِ، مُوَحَّدًا - بِإِرَادَتِهِ الْآنَ - اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ.

IV إطفاء المصباح

أحيانًا مَا يَحُلُّ وَقْتُ إِعْيَاءِ كَبِيرٍ.
صَبَاحٌ مُبْهِرٌ، غَادِرٌ-
يُحَدِّدُ نِهَآيَةَ إِحْدَى لَيَالِيهِ،
يَهْزِمُ نَدَمَ الْمِرَآةِ الْأَمْلَسِ،
فِيمَا يَحْفَرُ فِي حَقْدِ التَّجَاعِيدِ حَوْلَ شِفَاهِهِ وَعَيْنَيْهِ.
الآنَ، لَا دَمَآئِةَ الْمِصْبَاحِ وَلَا السَّتَائِرِ الْمُسَدَّلَةَ يُمَكِّنُهَا الْمُسَاعَدَةُ؛
حَيْثُ النَّفْسُ الدَّافِئُ لِلَّيْلَةِ صَيْفٍ يَغْدُو قُشْعِرِيرَةً، وَلَا يَبْقَى سِوَى بَضْعِ
شَعْرَاتٍ مُجَعَّةة-
سَقَطَتْ مِنْ شَعْرِ شَابٍ-
سِلْسِلَةٌ قَاسِيَةٌ-
نَفْسُ تِلْكَ السَّلْسِلَةِ- مَنْ صَنَعَهَا؟ لَا،
لَا الذَّكْرَى وَلَا حَتَّى الشَّعْرُ يُمَكِّنُهُ الْمُسَاعَدَةُ. وَمَعَ ذَلِكَ،
فَفِي اللَّحْظَةِ الْأَخِيرَةِ، قَبْلَ الثَّوْمِ، وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَى زُجَاجِ الْمِصْبَاحِ
لِيُطْفِئَ شُعْلَتَهُ، الَّتِي لَا بُدَّ لَهَا فِي النَّهَآيَةِ مِنَ الْانْطِفَآءِ،

يُدْرِكُ أَنَّهُ يَنْفُخُ فِي الْأُذُنِ الرَّجَاجِيَّةِ لِلْأَبَدِيَّةِ،
كَلِمَةً لَا تَمُوتُ هِيَ كَلِمَتُهُ هُوَ، نَفْسُهُ الْحَمِيمِ - آهَةُ الْجَوْهَرِ.
كَمْ يُعَطِّرُ دُخَانُ مِصْبَاحِهِ بِفِتْنَةٍ عُرْفَتَهُ فِي الْفَجْرِ.

V نَظَارَتُهُ

دَائِمًا مَا كَانَتْ تَقِفُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَشْيَاءِ
نَظَارَتُهُ الْمَنِيعَةُ، الْحَذِرَةُ، الشَّارِدَةُ،
الْمُتَمَعِّنَةُ وَالْإِنْتِقَائِيَّةُ - حِصْنٌ بِلَا عَاطِفِيَّةٍ، مِنْ زُجَاجٍ،
كُلٌّ مِنَ السُّورِ وَبُرْجِ الْمُرَاقَبَةِ - خَنْدَقَانِ مُمْتَلِئَانِ بِالْمَاءِ
حَوْلَ نَظَرَتِهِ الْحَفِيَّةِ، الْمُعَرِّيَّةِ، أَوْ بِالْأَصَحِّ
كَفَّتَا مِيزَانَ يَنْتَصِبُ - لِلْعَجَبِ - لَا عَمُودِيًّا
بَلْ أُفْقِيًّا. وَهَكَذَا، فِي التَّهَائِيَّةِ، فَمَا الَّذِي يُمَكِّنُ لِمِيزَانِ أُفْقِيٍّ
أَنْ يَحْمِلَهُ غَيْرَ الْحَوَاءِ،
غَيْرَ مَعْرِفَةِ الْحَوَاءِ، الْعَارِيَّةِ، الشَّفَاقَةِ، الْوَامِضَةِ،
حَيْثُ يَنْعَكِسُ عَلَى سَطْحِهِ الصَّقِيلِ مَوْكِبٌ
مِنْ رُؤَاهِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالخَارِجِيَّةِ فِي وَحْدَةٍ مُتَوَازِنَةٍ
مَادِّيَّةٍ بِلَا شَائِبَةٍ، إِلَى حَدِّ أَنْ تَنْفِي الْحَوَاءَ التَّامَ.

VI أَمَاكِنُ الْمَلَاذِ

"التَّعْبِيرُ"، يَقُولُ، "لَا يَعْنِي أَنْ تَقُولَ شَيْئًا مَا،
بَلْ أَنْ تَتَحَدَّثَ بِبَسَاطَةٍ؛ وَأَنْ تَتَحَدَّثَ
يَعْنِي أَنْ تَكْشِفَ نَفْسَكَ - وَبِالتَّالِي فَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ تَتَحَدَّثَ؟"
بَعْدَهَا أَصْبَحَ صَمْتُهُ شَقَافًا
إِلَى حَدِّ أَنْ أَخْفَى نَفْسَهُ تَمَامًا خَلْفَ السَّتَارَةِ،
مُتَّظَاهِرًا بِالنَّظَرِ خَارِجَ النَّافِذَةِ.
لَكِنَّهُ إِذْ أَحَسَّ بِنَظَرَتِنَا عَلَى ظَهْرِهِ،
اسْتَدَارَ وَأَظْلَمَ بِرَأْسِهِ مِنَ السَّتَارَةِ
كَأَنَّهُ يَرْتَدِي "خَيْتُون" [*] طَوِيلًا، أَبْيَضَ،
مُضْحِكًا نَوْعًا مَا، غَرِيبًا نَوْعًا مَا عَنِ الزَّمَنِ؛
وَذَلِكَ مَا أَرَادَهُ (أَوْ فَضَّلَهُ)،
مُعْتَقِدًا رُبَّمَا
أَنَّهُ، عَلَى هَذَا النَّحْوِ، يُشْتَتُّ شَكْنًا، وَعَدَاءَنَا أَوْ شَفَقَتَنَا،

[*] خيتون Chiton: ثوب إغريقي قديم للرجال والنساء.

أَوْ يَمْنَحُنَا مُبَرَّرًا مِنْ نَوْعِ مَا
(عَلَى نَحْوِ مَا تَوَقَّع) لِإِعْجَابِنَا الْقَادِمِ.

VII عَنْ الشَّكْلِ

قَالَ: "لَا يُمَكِّنُ لِلشَّكْلِ أَنْ يُخْتَرَعَ أَوْ يُفَرَضَ؛
إِنَّهُ كَامِنٌ فِي مَادَّتِهِ وَأَحْيَانًا مَا يَتَجَلَّى
فِي حَرَكَاتِهَا الْخَارِجِيَّةِ". "تَفَاهَاتٌ، فُلْنَا،
كَلَامٌ غَامِضٌ - فَأَيُّهُ مُفَاجَأَتِ الْآنِ؟"؛ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا،
لَكِنَّهُ احْتَضَنَ ذَقْنَهُ بِكَفِّهِ كَكَلِمَةٍ
بَيْنَ قَوْسَيْنِ. ظَلَّتْ سِيَجَارَتُهُ مُتَرَدِّدَةً
بَيْنَ شَفْتَيْهِ الْمَضْمُومَتَيْنِ - شَرْطَةً بِيضَاءً، مُتَوَهَّجَةً
فِي مَوْضِعِ الْفَرَاعَاتِ الَّتِي دَائِمًا مَا كَانَ يَتْرُكُهَا عَنْ قَصْدٍ
(أَوْ رُبَّمَا بِلَا وَعْيٍ)، مُتَجَاهِلًا بِذَلِكَ صَمْتَهُ.

فِي هَذَا الْوَضْعِ، الَّذِي بَدَأَ لَنَا غَامِضًا، ظَلَّ يَقْطُرُ طَوْلَ اللَّيْلِ
فِي مِحْطَةٍ صَغِيرَةٍ لِلْقِطَارَاتِ، تَحْتَ الْجُزْءِ النَّاتِيءِ
حَيْثُ يَلْتَقِي الْمَسَافِرُونَ الْوَحِيدُونَ فِي لَيْلَةٍ شِتَاءٍ
لِبُرْهَةٍ، بِمَذَاقِ الْفَحْمِ ذَلِكَ

مِنَ اسْتِحَالَةِ الرَّحَلَةِ وَمِنَ اللَّانِهَائِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ
لَصَدَاقَتِهِمُ الْحَقِيَّةِ، الْعَجُوزِ. دُخَانُ الْقِطَارِ
مُعَلَّقٌ سَاكِنًا فَوْقَ الْمَخْرُوطِينَ الْأَفُقِيِّينَ
لِمَصَابِيحِ الْمُقَدَّمَةِ، رَاسِحًا، مَهِيْبًا، بَيْنَ فَجْوَتَيْنِ.
سَحَقَ سِيَجَارَتَهُ وَمَضَى.

VIII سُوء فَهْم

الْتِبَاسَاتُهُ تِلْكَ، لَا تُحْتَمَلُ؛ تُرْهِقُنَا؛
وَهُوَ نَفْسُهُ أَيْضًا مُرْهَقٌ؛ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ غُمُوضَهُ انْفَضَّحَ،
وَتَرَدُّدَاتُهُ، وَجَهْلُهُ، وَجُبْنُهُ،
وَافْتِقَارُهُ إِلَى مَبَادِيءٍ صَارِمَةٍ. لَا بُدَّ أَنَّهُ يُجَاوِلُ تَوْرِيظَنَا
فِي تَعْقِيدَاتِهِ. وَظَلَّ يُحَدِّقُ فِي مَكَانٍ مَا أَبْعَدَ مِنَّا،
كَأَنَّهُ كَانَ كَرِيمًا، عَلَى نَحْوِ مَا، وَمُتَسَامِحًا (كَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحْتَاجُونَ إِلَى
التَّسَامُحِ مَعَهُمْ)،
مُرْتَدِيًا قَمِيصًا نَاصِعَ الْبَيَاضِ، وَبَدَلَةً بِلَوْنِ الْارِيذَانِ بِلَا شَائِبَةٍ، بِأَقْحُونَةٍ فِي
عُرْوَتِهِ. وَمَعَ ذَلِكَ،
فَعِنْدَمَا عَادَرْنَا، تَفَحَّصْنَا الْأَرْضِيَّةَ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ يَقِفُ فِيهِ،
كَانَتْ بُحَيْرَةً صَغِيرَةً بِالْغَةِ الْاِحْمِرَارِ، مُتَشَكِّلَةً فِي جَمَالِ،
تَقْرِيبًا كَخَارِطَةِ الْيُونَانِ،
كَكُرَّةِ أَرْضِيَّةٍ مُصَغَّرَةٍ لِلْعَالَمِ
بِكَثِيرٍ مِنَ الْخُذُوفَاتِ وَأَخْطَاءِ كُبْرَى فِي الْخُدُودِ،

بِحُدُودِ مَطْمُوسَةٍ تَقْرِيبًا بِتَمَائِلِ تَلْوِينِهَا -
كُرَّةٍ أَرْضِيَّةٍ فِي مَدْرَسَةٍ بَيْضَاءَ، مُوصَدَّةٍ بِإِحْكَامٍ، فِي يُولْيُو،
حِينَ غَادَرَ التَّلَامِيذُ إِلَى قَرْيَةٍ بَاهِرَةٍ عَلَى الْبَحْرِ.

IX الغسق

تَعْرِفُ لِحَظَةَ الْغَسَقِ تِلْكَ فِي الصَّيْفِ
دَاخِلَ غُرْفَةٍ مُغْلَقَةٍ؛ انْعِكَاسُ وَرْدِيٍّ طَفِيفٍ
مُنْحَدِرٌ عَلَى أَلْوَاحِ السَّقْفِ؛ وَالْقَصِيدَةُ
نِصْفُ مُكْتَمِلَةٍ عَلَى الْمِنْضَدَةِ - بَيْتَانِ هُمَا كُلُّ شَيْءٍ،
الْوَعْدُ الْمَكْسُورُ بِرِحْلَةٍ رَائِعَةٍ،
بِحُرِّيَّةِ مَا، بِإِشْبَاعِ ذَاتِيَّ مَا،
بِخُلُودِ مَا (نِسِيٍّ، بِالطَّبْعِ).

فِي الشَّارِعِ بِالْخَارِجِ، كَانَ هُنَاكَ ابْتِهَالُ الْمَسَاءِ،
وَالظَّلَالُ عَدِيمَةُ الْوَزْنِ لِلْآلِهَةِ، وَالنَّاسِ، وَالذَّرَاجَاتِ،
عِنْدَمَا تَوَقَّفَ الْعَمَلُ فِي مَوَاقِعِ الْبِنَاءِ وَالْعُمَالِ الشُّبَّانِ
بِالْآتِيهِمْ، بِشَعْرِهِمِ الْمَبْلُولِ، الْقَوِيِّ،
بِبَعْضِ الْبُقْعِ مِنَ الظَّلَاءِ عَلَى ثِيَابِهِمِ الرَّثَّةِ،
يَتَلَاشُونَ فِي تَمْجِيدِ سَدِيمِ الْمَسَاءِ.

تَمَانِي دَقَاتٍ حَادَّةٍ مِنْ سَاعَةِ الْجَدِّ الحَائِطِيَّةِ فِي قِعْمَةِ الدَّرَجِ
سُمِعَتْ أَسْفَلَ امْتِدَادِ المَعْرِ - الدَّقَاتُ العَنِيْدَةُ
لِمَطْرَقَةِ أَمِيرَةٍ مَخْفِيَّةٍ خَلْفَ الزُّجَاجِ المَعْتَمِ،
وَفِي نَفْسِ الوَقْتِ الصَّوْتُ العَجُوزِ
لِتِلْكَ المَفَاتِيحِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُهُ أَبَدًا أَنْ يَقُولَ عَنْهَا
مَا إِذَا كَانَتْ لِلإِغْلَاقِ أَوْ الفَتْحِ.

X السّاعة الأخيرة

عَبِيرُ مَا تَبَقَى فِي عُرْفَتِهِ، رَبَّمَا
مَجْرَدُ ذِكْرِي، رَبَّمَا حَتَّى مِنْ التَّافِذَةِ
نِصْفِ الْمَفْتُوحَةِ فِي اللَّيْلَةِ الرَّبِيعِيَّةِ.
فَرَزَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي سَيَأْخُذُهَا مَعَهُ.
غَطَّى الْمِرْآةَ الْكَبِيرَةَ بِمِلاءَةٍ. وَمَا يَزَالُ
عَلَى أَصَابِعِهِ الَّتِي تُحِسُّ بِالْأَجْسَادِ الْمُتَنَاسِقَةِ فِي جَمَالِ،
وَالْإِحْسَاسِ الْفَرِيدِ بِقَلَمِهِ - لَا تَنَاقُضُ؛
الْوَحْدَةُ الْأَسْمَى لِلشَّعْرِ. لَمْ يَشَأْ أَبَدًا
أَنْ يُضَلَّلَ أَحَدًا. كَانَتْ النَّهَائِيَّةُ تَدْنُو.
سَأَلَ مَرَّةً أُخْرَى: "الْعِرْفَانُ، رَبَّمَا، أَمْ الرَّغْبَةُ فَحَسَبُ
فِي أَنْ يَكُونَ مُقِرًّا بِالْجَمِيلِ؟".
مِنْ تَحْتِ سَرِيرِهِ
يَبْرُزُ خُفَّهُ الْبَالِي. لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ رَغْبَةٌ
فِي تَغْطِيَتِهِ (أَهْ، فِي وَقْتِ آخَرَ، بِالطَّبْعِ).

لَكِنَّهُ عِنْدَمَا وَضَعَ الْمِفْتَاحَ الصَّغِيرَ فِي جَيْبِ سُرْتَرِهِ
جَلَسَ عَلَى حَقِيْبَةِ السَّفْرِ، وَسَطَ الْعُرْقَةَ، وَجِيْدًا، وَرَاحَ يَبْكِي،
مُدْرِكًا بَرَاءَتَهُ لِلْمَرَّةِ الْأُوْلَى بِمِثْلِ هَذَا الْيَقِيْنِ.

XI مَا بَعْدَ الْمَوْتِ

كثيرون ظالبوا به، تشاجروا عليه،
ربما بسبب ملبسه - رداء غريب،
رسمي، مهيب، لكن دون افتقار لسحر ما،
بسيما معينة له، كتلك الأريّة الخيالية التي كانت الآلهة ترتديها
عندما كانوا يعاشرون البشر - متنكرين -
لكنهم إذ تحدّثوا عن أمور عامّة بلغة بسيطة
فجأة تنتفخ طية من ثيابهم بنسمة
اللانهائي أو الماوراء - أو هكذا يقولون.

حسنًا إذن، تشاجروا. فماذا يمكن أن يفعلوا؟
شقوا ثيابه وملابسه الداخليّة؛ بل كسروا جزامه.
أصبح لا أكثر من إنسان عاديّ، عارٍ، يقف في خزي.
هجره الجميع.
وهناك بالتّحديد تحوّل إلى رخام.

وَبَعْدَ أَعْوَامٍ، فِي نَفْسِ الْمَكَانِ اِكْتَشَفُوا تِمَثَالاً رَائِعًا،
عَارِيًا، مُتَبَاهِيًا، طَوِيلًا، مِنْ رُخَامٍ بِيْتِيلٍ،
الشَّبَابِ الْأَبْدِيِّ لِلْعِقَابِ الذَّاتِي - ذَلِكَ مَا أَسْمُوهُ،
غَطُّهُ بِثَوْبٍ طَوِيلٍ مِنْ كِتَّانٍ،
وَأَعَدُّوا احْتِفَالِيَّةً بِلاَ نَظِيرٍ لِكَشْفِ النَّقَابِ عَنْهُ لِلجُمُهورِ.

XII تَقْيِيم

مَنْ مَاتَ كَانٌ، فِي الْحَقِيقَةِ، رَائِعًا
فَرِيدًا؛ تَرَكَ لَنَا مِعْيَارًا رَفِيعًا
بِهِ نَقْيِسُ أَنْفُسَنَا، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ،
نَقْيِسُ جَارِنَا- لَا أَحَدَ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ،
قَصِيرٌ جَدًّا؛ وَآخِرٌ نَحِيفٌ؛
وَتَالِثٌ طَوِيلٌ كَرَجُلٍ عَلَى سَاقَيْنِ خَشِيبَتَيْنِ؛
لَا أَحَدَ بِأَيَّةِ قِيَمَةٍ، أَيَّةِ قِيَمَةٍ أَبَدًا.
يُمْكِنُنَا فَحَسَبُ أَنْ نُحَقِّقَ فَائِدَةً كُبْرَى
مِنْ هَذَا الْمِعْيَارِ- لَكِنْ أَيُّ مِعْيَارٍ تَعْنِي؟-
مِنْ إِلِهِ الْإِنْتِقَامِ هَذَا، مِنْ سَيْفِ الْمَلَائِكِ ذَاكَ
الَّذِي أَرْهَفْنَاهُ، وَيُمْكِنُ الْآنَ
أَنْ نَضَعَهُمْ جَمِيعًا فِي صَفٍّ وَنَقْطَعُ رُؤُوسَهُمْ.



فيلوكيتيت القناعُ الأقصى

(1965-1963)

فيلوكيتيت: بطل إغريقي مشهور كرام للسهام، شارك في حرب طروادة. كان موضوع مسرحيتين لسوفوكليس، وثالثة لأيسخيلوس ورابعة لايريبيديس، فيما يرد ذكره بالإلياذة، لهوميروس. وكان من بين المتنافسين على "هيلين"، أميرة طروادة الفاتنة. وقد تركه اليونانيون - لعشر سنوات - بإحدى الجزر في طريقهم إلى طروادة، بسبب إصابته (أكثر الروايات ترجيحًا). وقد اضطر اليونانيون إلى العودة لاصطحابه إلى أرض المعركة وعلاجه. وفي إحدى الروايات أنه هو من قتل بارس، ابن بريام، ملك طروادة. وكان من بين من اختيروا للاختباء في "حصان طروادة"، وخلال الاستيلاء على المدينة قتل الكثيرين من مشاهير الطرواديين.

[المترجم]

(أيام صيف على شاطئ مهجور لجزيرة ما- ربما ليمنوس. بداية مساء، والألوان بدأت في التلاشي. قاربٌ مُثبَّتٌ في خليج صخري صغير. الطاقم، قريباً في الأسفل، يغتسل، يقوم بتمرينات، يتصارع، وصيحاته وضحكه يبلغون السَّمْع. هنا في الأعلى، رجلان جالسان أمام تجويف أُعِدَّ كَمَكَمَن. أحدهما وسيمٌ، له لحيةٌ، ناضجٌ، بوجه رجولي، روحاني؛ الآخر شابٌ نحيلٌ بعينين متوقدتين، فضوليتين. له بعض ملامح أخيل، لكنها أكثر روحانية بصورة طفيفة، كأنه ابنه نيوبتوليموس. في مكانٍ ما، قمرٌ بالٍ يتعذر تمييزه يتحرك ببطء، في غموض، عبر السماء، فضياً وسط البنفسجي المتأخر والانعكاسات القرنفلية للغروب. فيما يبدو، كان الرجل الأكبر سنّاً، بعد أعوام من الوحدة والصمت، يتحدث بالتفصيل إلى الشاب، ذلك الزائر غير المُنتظر الذي وصل بصعوبة قبل ساعتين. لكنه الآن، وقد حل الصمت من جديد، غامضٌ ومُتخَم، مرهقٌ لكن بحزن مرهق آخر- إرهاق بلا فائدة أكبر من الأول، لكنه بصورة مفهومة إنساني. ندمٌ غائمٌ يغشى جبينه العريض؛ ومع ذلك، فهو يواصل ملاحظة الوجه الرائع للشاب، كأنه ينتظر شيئاً ما. انعكاسات أسلحته تومض من وقت إلى آخر على ظهر التجويف الصخري: درعه الضخم، جيد الصنع، مع رسم أعمال هرقل، ورماحه الثلاثة

الشهيرة، بلا نظير. يبدو الشاب كأنه يتخذ قرارًا صعبًا. يبدأ في الكلام):

كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ ، يَا صَاحِبِي ، أَنَّكَ سَتُدْرِكُ بَعْمَقٍ . فَتَحْنُ أَبْنَاءَ الْجِيلِ
الْأَصْغَرِ ،

قَدْ اسْتُدْعَيْنَا فِي اللَّحْظَةِ الْأَخِيرَةِ ، كَمَا يَقُولُونَ ، لِتَحْصُدَ - فِيمَا يُزَعَمُ -
الْمَجْدَ الَّذِي أَعَدَدْتُمُوهُ جَمِيعًا لَنَا

بِأَسْلِحَتِكُمْ ، بِجِرَاحِكُمْ ، بِمِيتَاتِكُمْ :

نَحْنُ أَيْضًا نُدْرِكُ وَنَعْرِفُ - نَعَمْ ، فَتَحْنُ أَيْضًا لَدَيْنَا جِرَاحُنَا
فِي مَكَانٍ مَا بِالْجَسَدِ ، جِرَاحٌ لَا مَرِيئَةَ ،

لَا يُعَوِّضُهَا الْكِبَرِيَاءُ وَلَا الدَّمُ الْجَدِيدُ بِالْاحْتِرَامِ

الَّذِي سَفِكَ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ فِي الْمَعَارِكِ الْوَاضِحَةِ ، وَالْمُنَافَسَاتِ الْوَاضِحَةِ .

كَانَ بِمَقْدُورِنَا الْحَيَاةُ بِدُونِ مِثْلِ هَذَا الْمَجْدِ ! فَهَلْ طَالَبْنَا بِهِ ذَاتَ مَرَّةٍ ؟

بِتَحْقِيقِ وَاجِبَاتِ الْآخِرِينَ وَدَفْعِ

ذُيُونِهِمْ ، لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا دَقِيقَةٌ لِأَنْفُسِنَا ، لَا وَقْتٌ

حَتَّى لِنُلَاحِظَ يَدًا هَادِئَةً تَفْتَحُ نَافِذَةً فِي مُقَابِلِنَا فِي الْفَجْرِ

وَتُعَلِّقُ قَفْصَ كَنْارِي مِنْ مَشْبَكِهِ عَلَى الْحَائِطِ فِي الْحَارِجِ

مَعَ هَيْئَةٍ إِيمَاءَةٍ زَائِدَةٍ لِكِنَّهَا ضَرُورِيَّةٌ .

كِبَارُنَا لَمْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى عَنِ الْمَوْتِ وَالْأَبْطَالِ .

تَعَقَّبَتْنَا كَلِمَاتٌ غَرِيبَةٌ حَتَّىٰ إِلَى النَّوْمِ ، كَلِمَاتٌ فَظِيْعَةٌ
كَانَتْ تَنْزَلِقُ تَحْتَ الْأَبْوَابِ الْمَوْصَدَةِ ، خَارِجَةً مِنْ قَاعَةِ الطَّعَامِ
حَيْثُ وَمَضَتْ الصَّيْحَاتُ وَالْكُؤُوسُ ، وَرَفَرَفَ
وَشَاحُ رَاقِصَةٍ لَا مَرِئِيَّةَ بِلَا صَوْتٍ
كَحَاجِزِ شَفَافٍ يَدُورُ
بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ . لَقَدْ هَدَّاتُ
لِيَالَيْنَا الطُّفُولِيَّةَ عَلَى نَحْوِ مَا ، تِلْكَ الشَّفَافِيَّةُ
الْمَوْقَعَةُ ، النَّابِضَةُ لِلِوِشَاحِ ، مُبَدَّدَةٌ ظِلَالُ الدُّرُوعِ
الْمَنْقُوشَةَ عَلَى حَوَائِظِ بَيْضَاءَ بِفِعْلِ ضَوْءِ الْقَمَرِ الْمُتَلَكِّئِ .

كَانُوا يُعِدُّونَ الطَّعَامَ لِلْمَوْتَى
مَعَ طَعَامِنَا . جِرَارُ الْعَسَلِ وَالزَّيْتِ كَانَتْ تُؤْخَذُ مِنَ الْمَائِدَةِ وَقَتِ الطَّعَامِ
وَتَحْمَلُ إِلَى مَقْبَرَةٍ مَجْهُولَةٍ . وَلَمْ نَعْرِفِ التَّمْيِيزَ أَبَدًا
بَيْنَ قَوَارِيرِ الدَّفْنِ وَقَوَارِيرِ الْحَمْرِ ، لَمْ نَعْرِفِ أَبَدًا
مَا يَخُصُّنَا وَمَا يَخُصُّ الْمَوْتَى .
نَقْرَةُ مِلْعَقَةٍ عَلَى طَبَقٍ أَصْبَحَتْ إِصْبَعًا غَيْرَ مُنْتَظَرِ
يَنْقُرُ كَيْفَنَّا فِي تَوْبِيخِ . وَكُنَّا نَسْتَدِيرُ لِتَرَى . لَا شَيْءَ .

طُبُولٌ وَأَبْوَابٌ خَارِجٌ نَوَافِذِ غُرْفَةِ نَوْمِنَا :
شَرُّ أَحْمَرٍ وَطَرَقَاتُ مِطْرَقَةِ خَرَسَاءَ فِي دَكَاكِينِ جِدَادِيَّةِ خَفِيَّةِ
حَيْثُ كَانَتْ الدُّرُوعُ وَالرَّمَاخُ تُصْنَعُ لَيْلَ نَهَارٍ ؛

الطَّرْقُ أَيضًا فِي وِرْشِ الطَّوَابِقِ الْأَرْضِيَّةِ
لِلتَّمَاثِيلِ وَرُؤُوسِ الرِّجَالِ الْمُحَارِبِينَ وَالْآلِهَةِ الْمُحَارِبَةِ (لَا شُعْرَاءَ
أَوْ رِيَاضِيِّينَ أَبَدًا) ؛ أَيضًا شَوَاهِدُ القُبُورِ بِالْمِثَاتِ
مَعَ سُبَّانٍ وَسِيمِينَ ، عَرَايَا يَقْفُونَ فِي انْتِصَابٍ ثَابِتٍ ،
يَضْعُونَ ، فِي وَقْفَتِهِمُ الْعُمُودِيَّةِ ،
قِنَاعَ الْمَوْتِ الْأَقْيَمِ اللَّانِهَائِي . وَأَحْيَانًا ، لِتَكُونَ عَلَى يَقِينٍ ،
كَأَنَّهُمْ يُطَاطِئُونَ رُؤُوسَهُمْ وَيُحْنُونَ بِرِقَّةٍ رِقَابَهُمْ
كَالزُّهُورِ عَلَى حَافَةِ الْهُوَّةِ ، لَكِنَّ الْحَافَةَ لَا تَبِينُ أَبَدًا ، فَالْفَنَائُونَ
تَعَلَّمُوا (مُجَبَّرِينَ ، رَبَّمَا ؟)
أَنْ يَحْذِفُوا الْهُوَّةَ وَكُلَّ شَيْءٍ مُشَابِهٍ .

كَانَ لَدَيْنَا مَمَرٌ طَوِيلٌ ، أَبْيَضٌ (وَوَظَلَّ هَكَذَا) .
وَشَوَاهِدُ القُبُورِ كَانَتْ مَصْفُوفَةً فِيهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، لَكِنَّ أَنْ تُرِيحَ نَظْرَتَنَا
عَلَى أَعْضَاءِ السُّبَّانِ الْمُنْحَوْتَةِ بِدِقَّةٍ وَلَوْ حَتَّى لِذَقِيقَةٍ كَانَ مَمْنُوعًا ،
أَوْ عَلَى الْخِصَلَاتِ الْمُجَعَّدَةِ الرُّخَامِيَّةِ الَّتِي تَسْقُطُ عَلَى حَوَاجِيهِمْ أَحْيَانًا
كَأَنَّهَا مُشَعَّةٌ بِفِعْلِ شِفَاهِ رِيحٍ مُفَاجِئَةٍ حَامِلَةٍ لِلْبُخُورِ
فِي ظَهِيرَةِ صَيْفٍ ذَهَبِي - أَظُنُّ أَنَّ صَفْصَافًا أَدْقَاتِهِ الشَّمْسِ
قَدْ عَطَّرَ الْمَكَانَ ، نَعَمْ ، وَبَرَاعِمِ اللَّيْمُونِ . لَقَدْ أَوْرَثُونَا
نَمَازِجَ عَظِيمَةً ! فَهَلْ طَلَبْنَا أَبَدًا مِنْهُمْ ؟ فَلَيْتَنَا تُرَكْنَا فَحَسَبَ
لِضَالَّتِنَا ، لِذَوَاتِنَا الْقَاصِرَةِ ! مَا كَانَ لَنَا
أَنْ تَتَنَافَسَ مَعَ نَمَازِجِ . وَكُلُّكُمْ ، فَضلاً عَنْ ذَلِكَ : مَاذَا كَسِبْتُمْ ؟ وَمَاذَا

كَسِبْنَا نَحْنُ ؟

أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ الْأَجَلَاءُ ، أَتَفَهَّمُ انْسِحَابَكُمْ الشَّرِيفِ .
وَعُذْرُكُمْ (الْمَقْبُولُ مِنَ الْجَمِيعِ) : مُحْتَتِكُمْ الْجَسَدِيَّةَ ،
لَا الْأَلَمَ الدَّهْنِيَّ وَلَا الرَّوْحِي . عُذْرٌ جَمِيلٌ
عَضَّةُ الْأَفْعَى تِلْكَ (أُرَبِّمَا أَفْعَى الْحِكْمَةِ؟) بِالنَّسْبَةِ لَكُمْ
أَنْ تَبْقُوا وَحِيدِينَ ، مُوجُودِينَ - أَنْتُمْ ، لَا أَحَدَ آخَرَ ،
حَتَّى لَوْ كُنْتُمْ غَيْرَ مُوجُودِينَ - .. مُوجُودُونَ كَأَفْعَى
مُلْتَفَّةٍ كَكْرَةَ ، تَعْضُ ذَيْلَهَا (كُمْ تَلَهَّفْتُ أَنَا نَفْسِي كَثِيرًا عَلَى ذَلِكَ!)

رَبِّمَا دَرَسْتُمْ الْإِنْتِقَامَ فِي عَزْلَيْكُمْ ،
الْعِرْفَانَ لِأَنْفُسِكُمْ أَوْ - عَلَى الْأَقْل - لِأَهْمِيَّةِ
أَسْلِحَتِكُمْ . وَالْآنَ ، انظُرُوا تَبْرِيرَكُمْ .
لَقَدْ جِئْتُ إِلَيْهِمْ (لِمَاذَا لَا نَعْتَرِفُ صَرَاخَةً بِذَلِكَ؟) تَمَامًا كَمَا تَنْبَأْتُمْ .
فَسَوْفَ يَجِئُونَ بِالنَّصْرِ إِلَى الْيُونَانِيِّينَ فِي النَّهَائَةِ
(التُّبُوَّةُ وَاضِحَةٌ عَنِ ذَلِكَ) : أَسْلِحَتُكُمْ ، بَيْنَ يَدَيَّ .

لَكِنِّي قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ جِئْتُ إِلَيْكُمْ . وَلَا أَقْبَلُ أَبَدًا أَسْلِحَتَكُمْ
مُقَابِلَ تَقْدِيرِي لِتَفْسِي ، أَوْ "الْخَلَاصَ"
الَّذِي أُقَدِّمُهُ لَكُمْ . فَأَيُّ خَلَاصٍ فِي أَنْ آخُذَكُمْ مَعِي فِي سُفْنِي
بِكُلِّ جِرَاحِكُمْ الْعَصِيَّةِ وَكُلِّ عَزْلَيْكُمْ ؟

مِثْلُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ هِيَ الرَّائِحَةُ الْآنَ تَمَامًا . وَقَدْ تَعَلَّمْنَاهَا -
فَمَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ نُضِيفَ؟ لَا فُرْصَةَ لِلرُّؤْيَةِ أَوْ الْكَلَامِ .

السَّعَاءُ يُسْرِعُونَ خِلَالَ اللَّيْلِ ؛ مَشَاعِلُهُمْ تُبْرِقُ الشَّوَارِعَ .
وَتَمَائِيلُ الْإِلَهَةِ تُومِضُ لِبرْهَةٍ أَكْثَرَ فَاكْثَرَ بَيَاضًا
كَبَوَابٍ مَفْتُوحَةٍ فِي حَوَائِظِ عِمْلَاقَةٍ ؛
ثُمَّ تَحُلُّ الظُّلَالَ مِنْ جَدِيدٍ مِنْ أَيْدِيهَا الْحَجَرِيَّةِ وَتُعْتِمُ الطَّرِيقَ .
لَا أَحَدٌ يُمَكِّنُهُ التَّمْيِيزُ بِوُضُوحٍ بَعْدَ ذَلِكَ . شَهِدْتُ
حَشْدًا مُهْتَاجًا ذَاتَ لَيْلَةٍ يَرْفَعُ شَخْصًا عَلَى الْأَكْتافِ
فِي تَهْلِيلٍ . فَسَقَطَتْ شُعْلَةٌ عَلَيْهِ .
احْتَرَقَ شَعْرُهُ . وَلَمْ يَصِحْ .

لَقَدْ كَانَ مَيِّتًا مُنْذُ وَقْتِ طَوِيلٍ . تَبَعَتِ الحَشْدَ . وَاللَّيْلَةَ
تُرِكَتْ وَحِيدَةً ، مُتَوَجِّةً بِالْأُورَاقِ الدَّهَبِيَّةِ لِلنُّجُومِ .

الِاخْتِيَارُ مُسْتَحِيلٌ ، فِيمَا أَظُنُّ . وَأَيَّةُ بَدَائِلٍ قُدِّمَتْ لَنَا ؟
أَتَذَكَّرُ طُفُولَتِي : مِنْ عُرْفِ الزَّائِرِينَ بِمَنْزِلِنَا ،
كَانَتْ تَصِلُ إِلَيَّ أَصْوَاتُ ضِيُوفِنَا الرُّجُولِيَّةِ ، الرَّنَّانَةِ
قَبْلَ وَقْتِ النَّوْمِ تَمَامًا . وَالْأَرْجَحُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَخْلَعُونَ ثِيَابَهُمْ أَنْيْدُ ،
وَبِالتَّأَكِيدِ

كَانُوا قَدْ نَسُوا لَوَقْتِ مَا الصَّرَاعَاتِ ، وَخُطَطِ الْحَرْبِ ، وَالطُّمُوحَاتِ -
مُذِيرِينَ فِي عُرْيِهِمْ ؛ مُسْتَثَارِينَ وَأَبْرِيَاءَ ؛

فِيمَا (عَلَى الْأَرْجَحِ) يُرَبِّتُونَ عَلَى صُدُورِهِمْ كَأَنَّمَا بِالمُصَادَفَةِ ،
وَيَتَلَكَّأُونَ عَلَى جَوَانِبِ الْأَسِيرَةِ وَأَفْحَاذُهُمْ مَفْتُوحَةٌ عَلَى اتِّسَاعِهَا ،
وَالرُّكْبُ مَنْسِيَةٌ تَحْتَ الكُفُوفِ الْمُهْتَاجَةِ ،
إِلَى أَنْ يَنْتَهُوا مِنْ حِكَايَةِ قَصِيرَةٍ ، سَعِيدَةٍ
مُوشَاةٍ بِالصَّحِكِ وَقَرَقَعَةِ الْأَسِيرَةِ .

كُنْتُ أَسْمَعُ ذَلِكَ مِنَ الْمَمَرِّ وَأَنَا أَتَمَعَنَّ
خِلْسَةً فِي سُيُوفِهِمْ وَدُرُوعِهِمِ الصَّقِيلَةِ
الَّتِي ، وَهِيَ مُسْتَنِدَةٌ إِلَى الحَائِطِ ، كَانَتْ تَعَكِّسُ بِصُورَةٍ غَامِضَةٍ ضَوْءَ الْقَمَرِ
الَّذِي يَسَاقُطُ عَلَيْهَا

عَبْرَ أَبْوَابٍ زُجَاجِيَّةٍ . آتِيذٍ كُنْتُ أُحِسُّ بِالوَحْدَةِ الْعَمِيقَةِ ، بِالحَيْرَةِ الْعَمِيقَةِ ،
كَأَنِّي فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كُنْتُ مُجَبَّرًا عَلَى الاختِيَارِ إِلَى الْأَبَدِ
بَيْنَ ضَحِكِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ . (الْأَمْرَانِ يَتَعَلَّقَانِ بِهِمْ) . وَأَبِي
دَفَعَنِي إِلَى الْارْتِعَادِ أَكْثَرَ ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصْحُوَ وَيَجِدَنِي فِي الرُّوَاقِ
الْأَمِيسُ تِلْكَ الْأَسْلِحَةَ الْمُثِيرَةَ لِلْفُضُولِ ، لَكِنَّ الْأَهْمَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُدْرِكَ
أَبِي سَمِعْتُ ضَحِكَهُمْ وَيَعِي

مَتَاهَتِي السَّرِّيَّةَ . لَمْ أَجْرُؤْ أَبَدًا عَلَى الاقْتِرَابِ مِنْ مَجَالِ الزَّائِرِينَ
لِكِنِّي سَمِعْتُ فَحَسَبَ أَصْوَاتِهِمْ عَبْرَ الْأُرُوقَةِ الْمُتَتَالِيَةِ
- أَوْ هَكَذَا بَدَأَ لِي - الْمُتْرَاوِحَةَ بَيْنَ الضَّوئِ

وَالْعَتَمَةِ . صَخْبُ وَقَعِ سَنَابِكِ الحُبُولِ ، فِي الْفِنَاءِ الحَارِجِيِّ ،
كَثِيرًا مَا كَانَ يَطغَى عَلَيْهَا ؛ وَذَاتَ مَرَّةٍ فِعْلًا ، سَقَطَ

ظِلُّ عِمْلَاقٍ أَمَامَ قَدَمَيَّ وَأَرَعَبَنِي - عِنْدَ الْأَبْوَابِ الرَّجَاجِيَّةِ
كَانَ ثَمَّةَ حِصَانٌ يَقِفُ وَيَنْظُرُ عَبْرَهَا، مُعْتَمًا بِظِلِّهِ
الصُّورَ الْمُتَكَرِّرَةَ عَلَى الدَّرُوعِ .

كَانَ ظِلُّ أَبِي كَبِيرًا تَمَامًا . كَانَ يَرِي بِكَأَبْتِهِ
خِلَالَ الْمَنْزِلِ ، مُوَصِدًا الْأَبْوَابَ وَالنَّوَابِذَ مِنْ أَعْلَى لِأَسْفَلِ .
كُنْتُ أُحِسُّ كَأَنِّي مُجَبَّرٌ أَحْيَانًا عَلَى أَنْ أَضَعُ رَأْسِي
بَيْنَ سَاقَيْهِ إِذَا مَا أَرَدْتُ رُؤْيَةَ الشَّمْسِ .
وَذَلِكَ كَانَ أَكْثَرَ مَا يُفْرِعُنِي : الْإِحْسَاسُ بِفَخْذَيْهِ عَلَى رَقَبَتِي .
كُنْتُ أَفْضَلُ الْبَقَاءِ فِي الْمَنْزِلِ فِي الظِّلِّ الرَّحِيمِ لِلْغُرْفِ ،
مَعَ الْأَثَاثِ الْمُسْتَكِينِ الْمُحِيطِ بِي وَالسَّتَائِرِ الْمُسْتَسْلِمَةِ لِلْمَسِّ ،
أَوْ حَتَّى فِي قَاعَةِ التَّحْتِ الْمَهْجُورَةِ . كُنْتُ أُحِبُّ تَمَائِيلَ " الْكُورُوا " [1] .

مَحْبُوسًا تَمَامًا هُنَاكَ فِي الدَّخِيلِ ، وَالْبُرُودَةِ ، فِيمَا فِي الْخَارِجِ
فِي بُسْتَانِ الرَّيْتُونِ وَالْكَرُومِ كَانَ الْجُدُجُ مُهْتَاجًا
فِي الْقَيْظِ الدَّهْبِيِّ لِلظَّهِيرَةِ . وَظِلَالُ الْأَشْكَالِ الْمَنْحُوتَةِ
كَانَتْ تَتَقَاطَعُ مُتَنَاغِمَةً فِي سَكِينَةٍ عَلَى الْقِرْمِيدِ ،
مُشَكَّلَةً مُتَوَازِيَاتٍ أَضْلَاجَ مِنَ الزُّرْقَةِ الشَّفِيفَةِ . مُتَشَجِّعًا بِفِعْلِ الْهُدُوءِ ،
كَانَ فَأَرْ صَغِيرٌ يَتَمَشَّى فِي تَكَاوُلِ
هُنَا وَهُنَاكَ عَبْرَ أَقْدَامِ أَحَدِ التَّمَائِيلِ ، وَتَرَدَّدَ مَعَ الشُّكِّ

[1] نمط من التماثيل اليونانية القديمة، يمثل شابًا يقف عاريًا.

فِي تَأْمُلِ التَّوَاغِيذِ الْمُسْتَطِيلَةِ بِعَيْنَيْهِ الزَّيْتَيْنِ ،
وَبِاسْمِ جَمِيعِ الكَائِنَاتِ الرُّخَامِيَّةِ - كَشْرِيكِ ضَيْبِلِ لَهُمْ -
ثَبَّتَ خَطْمَهُ الْمُدَبَّبَ - كَسَهْمِ رَخْوٍ - عَلَى الْمَطْلَقِ .

لَمْ يَكُنْ أَبِي مُهْتَمًّا بِالتَّمَاثِيلِ . لَمْ أَرَهُ أَبَدًا
يَقِفُ أَمَامَ أَحَدِهَا : رَبَّمَا التَّفْتِ
حَقًّا إِلَى تِمثَالِهِ - تِمثَالِ بُرُونِزِي
لِقَارِيَسٍ مُتَغَطَّرِيَسٍ عَصِيِّ الْمَنَالِ .
دَفَعْتَهُ صَدَاقَتَهُ لِبَاتِرُوكُلُوسٍ وَحَدَّهَا
إِلَى الْاِقْتِرَابِ مِنِّي إِلَى حَدِّ مَا ، كَأَنَّمَا بِخُطُوتِ عِمْلَاقَةٍ
خَطَا خَارِجًا مِنْ قَاعِدَتِهِ
وَاخْتَفَى تَحْتَ الْأَشْجَارِ . وَكَمْ هُوَ غَرِيبٌ
أَلَّا نَسْمَعَ قَرَقَعَةً
مِنْ مَفَاصِلِ رُكْبَتِهِ الْبُرُونِزِيَّةِ .

أُمِّي - طَيْفُ آخِرٍ ، شَقَّافٌ أَيْضًا ،
بِلَا وَزْنٍ وَبَعِيدٍ : ثَمَّةٌ حَنَانٌ مَوْجُودٌ
فِي غِيَابِهَا الْمُسْتَدِيمِ . قَبْلَ وَصُولِهِمْ مُبَاشَرَةً إِلَى الْمَنْزِلِ ،
عَائِدِينَ مِنَ الصَّيْدِ ، كَأَنَّ الرَّجَالَ يَرْمُقُونَ
التَّافِذَةَ الْغَرِيبِيَّةَ وَرَاءَ الْأَشْجَارِ ، الْمُعَلَّقَةَ
وَحِيدَةً تَمَامًا فِي الْهَوَاءِ أَحَدِ الْأَغْصَانِ ، فَيَمَّا يَبْدُو ،

وَأُمِّي أَيْضًا مُعَلَّقَةٌ

دَاخِلَ إِطَارِهَا الْكَالِجِ (فِيمَا يَبْدُو) وَقَدْ رَشَتْ بِعُبَارِ الذَّهَبِ كُلِّ شَيْءٍ ،
وَهِيَ تَلُوحُ بَعِيدًا فِي الْغُرُوبِ . كَانُوا يَظُنُّونَ
أَنَّهَا كَانَتْ تَنْتَظِرُهُمْ ، فِيمَا تَلْتَهُمُ الطَّرِيقَ بِالتَّرَقُّبِ .
أَدْرَكْنَا بَعْدَ وَقْتِ طَوِيلٍ : لَمْ تَكُنْ أَبَدًا هُنَاكَ ، لَكِنَّهَا بِالْفِعْلِ سُنِقَتْ .

فَضَحَ وَجْهَهَا ظِلُّ الْأَنْشُوطَةِ بِصُورَةٍ لَا مُحْسُوسَةً عِنْدَمَا صَحَّحَتْ
تَعْبِيرَهَا ، وَقَتَّمَا كَانَ مُمَكِنًا سَمَاعُ الصَّيَّادِينَ
عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ . وَفِيمَا كَانَتْ تُرِيحُ بِيَدِهَا
خُصْلَةً فَاجِمَةً السَّوَادِ بِدَعْوَى أَنَّهَا حَجَبَتْ رُؤْيَتَهَا ،
فَقَدْ كَانَ ظِلُّ الْأَنْشُوطَةِ هُوَ مَا أَبْعَدَتْهُ جَانِبًا . عَلِمْنَا ذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ ،
حِينَ دَوَّتِ الْأَبْوَاقُ مَرَّتَهَا الْأَخِيرَةَ فَوْقَ الْبُحَيْرَةِ فِي الْعَسَقِ ،
وَتَقَشَّرَ الْجِصُّ عَنِ وَاجِهَاتِ بُيُوتِنَا فِي شَطَائِهَا بِأَصْوَتِ ،
حِينَ امْتَزَجَتِ الْأَسْبَاحُ الزَّرْقَاءُ لِلْأَشْجَارِ بِالضَّبَابِ الْقَرْنُفِيِّ وَالْوَرْدِيِّ
الْمُتَّصَاعِدِ فِي كُلِّ مَكَانٍ

فَوْقَ السَّهْلِ ، وَالْكَلاِبِ الْمُنْهَكَةِ ، الَّتِي كَانَتْ تَتَمَشَّى بِخِفَّةٍ ،
رَغْمَ أَلْسِنَتِهَا الْمُتَدَلِّيَةِ ، كَأَنَّهَا تَصْعَدُ فِي نَشْوَةِ إِلَى السَّمَاءِ .

مَلَأَ الْمَسَاءَ رِيشُ طُيُورِ زَاهٍ ؛ رِيشُ مُلَوَّنٍ
لِطُيُورٍ مَذْبُوحَةٍ مَطْرُوحَةٍ هُنَاكَ فَوْقَ سَطْحِ الصُّخُورِ ، فِي الْخَارِجِ ،
مَعَ أَعْنَابِ أَرْجَوَانِيَّةٍ ، حَمْرَاءَ وَكَهْرْمَانِيَّةٍ عَلَى أَطْبَاقٍ كَبِيرَةٍ ضَافِيَةٍ ،

وَمَاءٍ مُنْسَابٍ مِنَ الْبَيْرِ . كَانَتْ أُمِّي تَبْتَسِمُ دَائِمًا بِأَسَى آذَانِكَ ؛
"وَتَظُنُّ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ طَائِرًا !"، تَقُولُ لِي ،
وَهِيَ تَأْمُرُ الْخَادِمَاتِ بِتَنْفِ الْدَجَاجِ لِلْعِشَاءِ
فِي الْبَاحَةِ خَلْفَ الْمَنْزِلِ ، حَيْثُ سَقَطَ ظِلُّ الْجَبَلِ
كَحَدِيدٍ مَصْهُورٍ يُطْلِقُ الشَّرَرَ ، وَأَشْجَارُ سُرُوِّ عِمْلَاقَةَ ،
كَالْحِجَّةِ ، مُنْعَزِلَةً ، قَاتِمَةً ،
تَقُومُ بِمُبَادَرَةِ صَامِتَةٍ ، بِلَا تَفْسِيرِ .

وَالرَّجَالُ ، كُلُّ هَذَا الْوَقْتِ - وَسِخِينِ وَمُتَعَرِّقِينَ مِنَ الصَّيْدِ ،
وَأَشْوَاكُ شَعْنَاءٍ فِي شَعْرِهِمْ ،
وَأَكْتَأْفُهُمْ مُلَطَّخَةً بِلِقَاجٍ مِنْ أَشْجَارِ الصُّنُوبَرِ -
كَانُوا فِي الْحَمَامَاتِ . صَوْتِ
الْمَاءِ الْمُتَسَاقِطِ كَانَ يَصِلُ إِلَى الْخَارِجِ ، وَرَائِحَةُ الصَّابُونِ
مُمْتَزِجَةٌ بِأَرِيحِ الْحَدِيقَةِ : جِيرَانِيَوْمِ وَرَاتِينِجِ لِأَذِيعِ ، إِكْلِيلِ الْجَبَلِ وَالنَّعْنَاعِ -
نَفَثَاتٌ كَامِلَةٌ ، مُنْعِشَةٌ . وَإِذْ وَضَعَ وَعَاءَ السَّقِيِّ الْمُتَسِّعِ
عَلَى الْأَرِيكَةِ الْحَجْرِيَّةِ ، كَانَ لِلْبُسْتَانِيِّ أَنْ يَنْتَهِزَ الْفُرْصَةَ
لِيَقُولَ "صَبَاحَ الْخَيْرِ" الْمُتَوَاضِعَةَ الْمُشْرِقَةَ إِلَى سَيِّدَتِهِ الْمَهِيْبَةِ ،
مُمْتَزِجَةً بِأَسْمَاءِ الزُّهُورِ ، وَذَابِ الْبُدُورِ ، وَشَيْءٍ مَا آخَرَ
يَتَعَلَّقُ بِالْعَزَقِ وَالْجُرَّارَاتِ ، وَأَقَاتِ الْأُرَاقِ وَالشَّمَارِ .

آلَافٌ مِنَ الطُّيُورِ الْمُعَرَّذَةِ فَوْقَ أَشْجَارِ الْأَوْكَالِبْتُوسِ أَجْهَدَتْ حُلُوقَهَا

كالباعَةِ الجائِلين

في سوقِ مَوسِمِيَّةٍ ، يَقُومُونَ بِالمَدِيحِ في جُنُونِ فِيمَا الحَدَمُ أَسْفَلَ مِنْهُم
يَنْتِفُونَ تِلْكَ الطُّيُورِ الأُخْرَى . حَلَّ اللَّيْلُ ،
هَادِئًا ، بَطِيئًا ، مُضْطَرِّدًا ، مُفَعِّمًا بِالرَّغَبِ الأَخْضَرِ وَالدَّهْيِ فِي الأَسْفَلِ .
كُلُّ رِيشَةٍ كَانَتْ تَحْمِلُ عِنْدَ جِذْرِهَا بُقْعَةً حَمْرَاءَ غَيْرَ مُحْسُوسَةٍ .
رِيشَةٌ كَهَذِهِ اسْتَقَرَّتْ ذَاتَ مَرَّةٍ عَلَى شَعْرِ أُمِّي ؛
فَظَلَلَتْهَا كُلَّهَا . اقْتَرَبْتُ مِنْهَا أَنْيْذَ لِحْظَةٍ ، خِلْسَةً ،
وَأَزْحَتْهَا - فَأَنْ تَرَاهَا مُظَلَّلَةً بِفِعْلِ آثَامِ الأَخْرينِ
كَأَنَّ أَكْثَرَ مِمَّا أَحْتَمِلُ . وَرَغْمًا عَنْهَا أَصْدَرْتُ
صَيْحَةً صَغِيرَةً : وَقَدْ تَنْظُنُّ أَنْ خِنْجَرًا قَدْ انْتَزَعَ مِنْ صَدْرِهَا .

في أُمْسِيَّةٍ أُخْرَى ، أَذْكَرُ ، لَقَّتْ كَفَّيْهَا حَوْلَ المِصْبَاحِ
لِتَحْمِي الشُّعْلَةَ مِنَ الرِّيحِ . أَصْبَحَتْ
يَدَاهَا شَفَافَتَيْنِ وَقَرْنُفْلِيَّتَيْنِ ، كَبَتَلْتِي وَرَدَّةٍ ضَخْمَتَيْنِ -
وَرَدَّةٌ فَرِيدَةٌ ، مَعَ شُعْلَةِ المِصْبَاحِ
عُضْوُ تَأْنِيثٍ غَرِيبٍ . رَأَيْتُ
مَفَاتِيحَهَا مَطْرُوحَةً آنَذَاكَ عَلَى الدَّرَجَاتِ الحَجْرِيَّةِ ،
بِجَانِبِ حَقَائِبِ الصَّيَّادِينَ وَأَقْوَاسِهِمْ . فَهَمْتُ :
هَاتَانِ اليَدَانِ - المُتَبَاعِدَتَانِ ، المَرْتَبَتَانِ مِنَ كُلِّ نُقْطَةٍ مُوَاتِيَّةٍ ،
الحَيِيسَتَانِ أَبَدًا فِي شَفَافِيَّتَيْهِمَا الحَمِيمَةِ -
لَا يُمَكِّنُهُمَا أَنْ يُحَرَّرَا أَيُّ شَيْءٍ مَرَّةً أُخْرَى . وَعِنْدَمَا كَانَتْ تَتَكَلَّمُ ،

كَانَتْ تَبْدُو دَائِمًا كَأَنَّهَا تَكْبَحُ الْمَسْأَلَةَ الْمَصِيرِيَّةَ ، وَقَدْ بَرَزَتْ شَفَتَاهَا
خَفِيَّةً فِيمَا وَرَاءَ الظِّلِّ الطَّوِيلِ لِرُمُوشِهَا .

أَتَذَكَّرُ أَيْضًا مَا بَعْدَ ظَهِيرَةِ مُعَيَّن . كَانَتْ تَشْرَبُ مَاءً تَحْتَ الْأَشْجَارِ ؛
لَا حَظُّتْ يَدَيْهَا مِنْ جَدِيدٍ - أَكْثَرَ شَفَافِيَّةً مِنَ الْكُوبِ
الَّذِي تَحْمِلُهُ . ظِلُّ الرُّجَاجِ هَذَا
ضَرَبَ الْمَرْج - دَائِرَةٌ مِنْ ضَوْءٍ ، مَرِيئَةٌ بِالْكَادِ . آتِيذٌ حَطَّتْ
نَحْلَةً عَلَى مَرْكَزِ هَذِهِ الدَّائِرَةِ وَظَلَّتْ بِأَجْنِحَتَيْهَا مُسْتَضِيئَةً بِصُورَةٍ وَاهِيَّةٍ -
مُطَوَّقَةٌ - هَكَذَا بَدَتْ - بِأَحَاسِييسِ سَعَادَةٍ بِلَا تَفْسِيرِ .
كَانَ ذَلِكَ هُوَ الصَّيْفِ الْأَخِيرِ ، قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ اسْتِدْعَائِي أَيْضًا ، بِدَوْرِي .

أَخْبَرْتُكَ بِالْكَثِيرِ عَنِ أُمِّي . رُبَّمَا تَبَيَّنْتُ ، يَا صَدِيقِي ، فِي يَدَيْكَ
بَعْضًا مِنْ بَهَاءِ يَدَيْهَا . فَكُلُّ مَا كَانَتْ تَلْمَسُهُ
كَانَ يَتَحَوَّلُ فَجَاءَةً إِلَى مُوسِيقَى بَعِيدَةٍ ؛ وَلَا يُمَكِّنُ لِمُسَّهُ فِيمَا بَعْدَ
بَلْ يُسْمَعُ فَحَسَبَ - وَلَا حَتَّى يُسْمَعَ . لَا شَيْءَ كَانَ يَبْقَى :
صَوْتُ لَا تَعِيهِ الدَّاكِرَةُ ، إِحْسَاسٌ غَائِمٌ...؛ لَا مَعْرِفَةَ .

بَعْدَ ذَلِكَ تَغَيَّرَتِ الْإِضَاءَةُ : نِيرَانٌ فِي الْمَعْسَكِ ، أَجْسَادٌ غَارِيَةٌ
مُتَوَرِّدَةٌ وَقُرْمُزِيَّةٌ بِفِعْلِ الشُّعْلَاتِ : مُلَطَّخِينَ بِالْدَّمِ ، هَكَذَا تَنْظُنْ ،
أَوْ مَخْدُوشِينَ بِامْتِدَادِ الْجَسَدِ ؛ أَكْثَرَ حِسِّيَّةً وَحَيَوَانِيَّةً ،
أَكْثَرَ شَهْوَانِيَّةً بِلَا حَيَاءٍ ، كَمَجْزِرٍ هَائِلٍ

مَعَ أَحْشَاءٍ وَخُصِي مُعَلَّقَةٍ فِي اللَّيْلِ بِكُلَّابَاتِ اللَّحْمِ
بَيْنَ التُّجُومِ الكَابِيَةِ بِفِعْلِ نِيرَانِنَا
فِيمَا البُولُ ، وَالْمَنِيُّ ، وَالغَائِطُ ، وَالْأَوْحَالُ وَالذَّم
كَانَ يَنْدَفِعُ فِي قَنَوَاتِ بِالقُرْبِ مِنَّا ،
وَالظَّلَالُ تَرْكُضُ بَعِيدًا فِي حُمْرَةٍ سَاطِعَةٍ
إِلَى أَنْ يَظْهَرَ القَمَرُ ، نَاعِمًا وَمَبْلُورًا كَفَرَجِ ،
وَيَبْدَأُ التَّدْمُ ، وَالْأَسَى ، أَيضًا ، وَالْإِبْدَاعُ .

ضَجِيحُ النَّهْرِ تَحْتِ الأشْجَارِ أَنْعَشَ
سَمَعَنَا آتِيذٍ ، رَغَمَ أَنْ أَحَدًا لَمْ يَسْأَلْ عَن وَجْهَتِهِ .
مَاتَتْ بِبَطْءٍ نِيرَانُ المَعْسَكِ إِلَى جَمْرٍ ؛ وَطُيُورٌ كَبِيرَةٌ ، نَائِمَةٌ
عَلَى الأَغْصَانِ ، كَانَتْ تُوَارِبُ عُيُونَهَا مِنْ وَقْتِ إِلَى آخَرٍ ؛
وَوَمِيضٌ وَاهٍ يَنْسَلُ بَيْنَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ .

كَانَ الرَّجَالُ يُزِيلُونَ القَمَلَ مِنْ صُدُورِهِمْ وَبَاطِنِ أَفْحَازِهِمْ ؛
وَالصَّبِيَّانُ ، وَقَدْ نَمَا شَعْرُهُمْ بِالكَادِ عَلَى صُدُورِهِمْ ، مُنْزَوُونَ إِلَى حَدِّ أَنْ
تَنْظُنَّ أَنَّهُمْ مُسْتَأْوُونَ ،

وَكَثِيرًا مَا يُجَسُونَ بِوَحْزَتَيْنِ فِي حَلْمَتِي صَدْرِهِمْ
كَأَنَّ زَوْجًا مِنْ سِهَامِ الحُبِّ قَدْ سَمَّرَ فِيهِمَا فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ .
وَعَضَلَاتُ بَطُونِهِمْ مَشْدُودَةٌ آتِيذٌ حَوْلَ خُصُورِهِمْ ، كَجِبَالٍ . وَكَانَ الحُرَّاسُ ،
وَهُمْ يَخْلَعُونَ صِنَادِلَهُمْ ، يَحْكُونَ إِصْبَعَيْنِ فِيمَا بَيْنَ أَصَابِعِ أَقْدَامِهِمْ

لِيَصْنَعُوا كُتْلَتِي طِينٍ لَزِجَتَيْنِ ، مُسَوَّدَتَيْنِ . كُتْلَتَانِ تُعْجَنَانِ بِلَا انْتِهَاءِ
كَتْمَائِيلَ صَغِيرَةَ غَامِضَةٍ ، طَيِّعَةَ ، مُوَأَسِيَةَ ،
ثُمَّ تَبِيْمُ الإِطَاحَةَ بِهَا بِلَا صَوْتٍ إِلَى اللَّيْلِ . فِيمَا بَعْدَ
كَانُوا - فِي وَسَامَةِ ، وَفَظَاظَةَ ، وَبِلَادَةِ - يَتَشَمُّونَ أَصَابِعَهُمْ ،
يَتَنَشَّفُونَهَا لِسَاعَاتٍ ، إِلَى أَنْ يَسْقُطُوا فِي النَّوْمِ .

وَعَلَى الأَرْضِ حَيْثُ تُرْكُوا ، كَانَتْ الدَّرُوعُ الضَّخْمَةُ
تُصْدِرُ قَعَقَعَةً مَعْدِنِيَّةً ، بَلِيدَةً ، كُلَّمَا قَصَفَتْهُمْ
رِمَاحُ التُّجُومِ البَعِيدَةِ . وَالوَحْدَاتُ العَسْكَرِيَّةُ
تَسْتَلْقِي مُحْتَبِيَّةً وَمُتَجَمِّدَةً فِي حُفْرِهَا . وَكَانَتْ عَظْمَةُ السَّمَكَةِ العَارِيَّةُ
الهَائِلَةُ

لِدَرْبِ اللَّبَانَةِ تُومِضُ فَوْقَ الحَيَامِ . وَمَرَّةً أُخْرَى ،
كَمَا فِي فُصُولِ الصَّيْفِ المَاضِيَةِ تَقْرِيْبًا ، كُنَّا نَحْشَى
إِصْمَا مَا غَيْرَ مَرِيٍّ وَلَا مُحَدَّدٍ ، إِنْ لَمْ يَكُنِ اللُّصُوصُ المُعْتَادِينَ
الَّذِينَ قَدْ يَقْفِزُونَ إِلَى عُرْفِنَا مِنَ الشُّرَفَاتِ أَوْ التَّوَافِيزِ المَفْتُوحَةِ .
لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ شَيْئًا آتِيْدًا (وَلَا الآنَ) عَنِ حِمَايَةِ النَّفْسِ . كَانَ طِينِيْنُ
بَعُوْضَةَ

يُشَوِّسُنَا ، كَمَا فَعَلَتْ هَمَهَمَةُ ضَوْءِ القَمَرِ
أَوْ قُبَلَاتُ مَسْرُوقَةٍ مُدَوِّيَّةٍ فِي الأُرُوْقَةِ المُقَنْطَرَةِ -
وَامْرَأَةٌ مَا ، مَنذُورَةٌ لِلْعُزْلَةِ ، كَانَتْ تَتَبَرَّزُ فِي سَكِينَةٍ فِي المَرَجِ ،
وَهِيَ تُحْسُ بِوَحْزَاتٍ حَادَّةٍ فِي رِدْفِيهَا مِنَ العُشْبِ وَالتُّجُومِ .

اه ، ذلك الإحساس بالوضعية اليومية - بالأحرى بالسلب :
 سلب سرّي ، صامت وراسخ / وسط الحرارة
 كانت سيطرة غرفة النوم تفيز فجأة في خطوة متراقصة ، ثلاث ،
 منتوية بوضوح أن تلتفت انتباهنا
 إلى الأهداب الذهبية في ثوب امرأة ما . ثم انتصبت ساكنة ؛
 رقاء شاجبة في السكون الميت ، وغطت تيمناً ما
 - تيمناً من جرائيت رتماً لـ الليل ، أو واجداً يمثّل السرقة من حجرٍ
 أحمر -

ومن جديد سمعنا ذلك النشر المغوي للجداجد
 وذلك التقيق المطمئن للضفادع
 أو طقطقة حادة من صرصور يدور داخل خوذة .

كُنَّا بِحَاجَةٍ إِلَى الْوَقْتِ لِلتَّحَقُّقِ : قَبْلَ أَنْ نُحْصِيَ
 الْكَوَاكِبَ وَلَوْ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ ، سَقَطْنَا فِي النَّوْمِ . فِي الْفَجْرِ
 كَانَتْ جِدَاهُ تُفْتَشُ بِصُورَةٍ عَمِيَاءَ ، حِينَ سَقَطَتْ فِي الشُّجَيْرَاتِ
 فِيمَا كَانَتْ عَيْنَاهَا اللَّبَنِيَّتَانِ تَبْحَثَانِ عَنْ مَكَانٍ آخَرَ ؛
 وَظِلُّ جَبَلٍ "أُوتَا" انْسَحَبَ مِنَ السَّهْلِ
 كَسُلْحَفَةٍ خُرَافِيَّةٍ تُجْرَجُ أَرْجُلَهَا .

دَوَّتِ الشَّمْسُ أَنْثِيذًا فِي الْأَفْقِ . وَالْحَوَافِرُ الْأَرْبَعَةُ وَالسَّتُونُ

لِلأَحْصِنَةِ وَمَضَّتْ عَالِيًا فِي الْأَثِيرِ
فِيمَا عَرَبَاتُ الثَّيْرَانِ تَعَكِسُ الْأَشِعَّةَ فِي الْأَسْفَلِ . انْفَتَحَتِ الْبَوَابَاتُ .
صَخْبٌ فِي السُّوقِ - بَاعَةُ الْفَاكِهَةِ ، تُّجَّارٌ ،
جِبَالٌ مِنْ لَيْمُونٍ ، خُضْرٌ ؛ مَزَارِعُونَ مَعَ حَمِيرِهِمْ .

مُسْتَيْقِظًا قَبْلَ الْمَوْعِدِ ، كَانَ فَيَلْسُوفُ يَتَمَشَّى الْهُوَيْنَى فِي صَمْتِ
بَيْنَ صَفَيْنِ مِنَ الْمَاشِيَةِ الْمَذْبُوحَةِ . وَالْحَزْرَافُ
كَانَ قَدْ صَفَّ أَبَارِيقَهُ فِي صُفُوفٍ عَلَى امْتِدَادِ الطَّرِيقِ
كَقَوَاتٍ خَزَفِيَّةٍ مِنْ كَوَكِبٍ آخَرَ . وَفِي قَاعَةِ الْأَلْعَابِ ،
الْمُبْتَرِدَةِ مَا تَزَالُ يَفْعَلُ رُطُوبَةَ الصَّبَاحِ وَالْمُضَاءَةَ بِالْأَشِعَّةِ الْمَائِلَةِ ،
كَانَ الْعَدَاوُونَ الْأَوَائِلُ يَنْبَثِقُونَ مِنْ غُرَفِ الْمَلَابِسِ وَيُجْرَبُونَ
الْعَدْوَ لِمَسَافَاتٍ قَصِيرَةٍ - تَقْرِيبًا كَالطُّيُورِ فِي الْهَوَاءِ . وَالْجُنُودُ
فِي أَفْنِيَةِ الثُّكُنَاتِ كَانُوا يُنَظَّفُونَ مَرَاجِلَ ضَخْمَةٍ .

فِي نَوَافِذِهِنَّ ، كَانَتْ نِسْوَةٌ شَعَثَاوَاتٌ يَنْفُضْنَ
مَلَأَاتٍ ذَاتَ بَيَاضٍ مُرَوِّعٍ . وَوَاجِهَاتُ الْمَعَابِدِ وَالطَّبَقَاتِ
الْعُلْيَا مِنَ الْمَلَاعِبِ كَانَتْ تَلْتَمِعُ . هَذَا الْبَرِيقُ الْأَعْمَى وَالْمُعْمِي
كَانَ يَبْدُو - فِي تَفَاخُرِهِ بِالتَّحْدِيدِ -
كَأَنَّهُ يَكْبَحُ فِينَا شَيْئًا مَا (وَهُوَ مَا كَانَ صَحِيحًا) .
أَرُبَّمَا تِلْكَ اللَّصُوصِيَّةُ ؟ كَانَتْ الْجِرَارُ الضَّخْمَةُ
مَا تَزَالُ فِي الْحَدَائِقِ وَالْأَقْبِيَّةِ ،

شأن الأقبعة الذهبية بعينونها الخاوية ، النافذة .
لحظة صمت ؛ نفس الدلالة المشوشة ؛ تواطؤ عام .

أصبحت اللحي ، والشعر ، والأظافر وقضبان الرجال أكبر .
والأخبار : دائماً تتعلق بالأبطال والموتى ، ثم تظل تتعلق أكثر بالأبطال .
عظام حصان كبيرة على جانب التل مع التويجات الجافة .
ورائحة نتن متزايدة من الأجساد غير المغتسلة . بعيداً ، كانت امرأة
تمر من وقت إلى آخر في نهاية النهار ، وأباريق ماء على كنفها ؛
كان النسيم يفعم المكان الذي تحل به . وغروب الشمس
كان منظورياً في رأس علم . ونجمة ما تصرخ
"لا !" بلا تفسير - فجأة - فيما
تلاشى عدو الخيول على طول الليل ،
تاركا التجوم أكثر صمتاً فوق النهر .

لم يفليح أحد في تذكر ما هو أكثر ، في التفكير أو السؤال .
تغيير متواصل . وكل شيء مبتور ، مجهض ، ناقص .
العويل والهتاف كانا يستلزمان نبرة تزداد تشابهاً .
وأيضاً وجوه الأصدقاء والأعداء غير قابلة للتمايز .
فقط في الليل حين توقفت المعركة ، حين حل الصمت مُمدداً ،
كانت أنات الجرحى المديدة مسموعة وسط الصخور
وكان القمر يشبه عينين واسعتين لمهرة ذبيحة :

آنذاك فَحَسبُ نُدْرِكُ أَنَّنَا لَمْ نَمُتْ .

المَكِيدَةُ التَّالِيَةُ قَدَحَتْ عَيُونَهَا بِلَا حَصْرِ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنَ اللَّيْلِ :
"أَيًّا مَا كَانَ مَا سَرَقُوهُ مِنَّا فَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ اسْتِرْجَاعِهِ - حَتَّى الْاِغْتِصَابِ !"

فِي الْأَسْفَلِ

عَلَى الشَّاطِئِ الْمَشْرِقِ ، سُفُنُنَا - مُظْلِمَةٌ ،
سَاكِنَةٌ ، وَقَدْ تَحَوَّلَتْ إِلَى حَجَرٍ - كَانَتْ تُحَطِّطُ مَعَ ذَلِكَ لِرِحْلَةٍ أُخْرَى ،
وَإِذَا مَا وَمَضَ مِجْدَافٌ مَبْلُولٌ بِشَكْلِ خَاطِفٍ مِنْ آيٍ لِآخِرٍ ، فَإِنَّ نَبْضَ

مَعَاصِمِنَا

كَانَ يَنْبِضُ عَلَى غَيْرِ انْتِظَارٍ فِي اسْتِجَابَةٍ . الْمَبْعُوثُونَ الْيَقِظُونَ
يَنْدَفِعُونَ أَمَامًا وَخَلْفًا كَحَفَافِيشٍ مُرَاوِغَةٍ ، وَحِينَ كَانَ يَبْقَى بِالصُّدْفَةِ
أَثَرٌ مَشْبُوهٌ عَلَى الْحَصَى الْأَبْيَضِ كَالْحَلِيبِ أَوْ وَسَطِ الْأَشْوَاكِ
- رِيَشَةٌ سَوْدَاءُ ، قِطْعَةٌ مِنْ سَيْرِ الصَّنَدَلِ ، إِبْرِيمٌ فَضِّي -
نَكُونُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهَا اخْتَفَتْ فِي الْفَجْرِ .

بَدَا لَنَا أَنَّنَا نَسْمَعُ الْفُؤُوسَ السَّرِيَّةَ فِي الْغَابَةِ
تَقَطُّعُ الْأَخْشَابِ . سَمِعْنَا الْإِبْهَامَ الْعِمْلَاقَ عِنْدَمَا اسْتَلَقَتْ
شَجَرَةً عَلَى الْأَرْضِ ؛ سَمِعْنَا الصَّمْتَ

يَخْتَبِي فِي رُعْبٍ خَلْفَ ظُهُورِنَا . بَدَا لِي فِعْلًا أَنِّي شَهِدْتُ
حِصَانَ طُرُودَةٍ يَلْتَمِعُ فِي ضَوْءِ النُّجُومِ - أَجُوفٌ وَضَخْمًا ،
خَطِيرًا وَتَقْرِيبًا ذَا حُضُورٍ دِينِي - فِيمَا ظَلَّهُ

يُنْتَشِرُ كَخُرَافَةٍ عِبْرَ الْجُدْرَانِ . أَحَسَسْتُ حَقًّا
بِنَفْسِي دَاخِلَ تَجْوِيفِ الْحِصَانِ مَعَ الْآخِرِينَ ،
جَائِمًا بِارْتِبَاكِ فِي عُنُقِهِ ، وَجِيدًا ،
أَشَاهِدُ مِنْ خِلَالِ عَيْنَيْهِ الْحَاوِيَتَيْنِ اللَّيْلَ الْكِرِيَسْتَالِي
كَأَنِّي مُعَلَّقٌ فَوْقَ السَّدِيمِ ، مُدْرِكًا
أَنَّ الْعُرْفَ الَّذِي مَآجَ عَلَيَّ قَفَايَ
لَمْ يَكُنْ عُرْفِي - وَلَا عُرْفَ النَّصْرِ ، بِالطَّبَعِ . مَعَ ذَلِكَ ، فَقَدْ أَعَدَدْتُ نَفْسِي
لِلْقَفْزَةِ الْهَائِلَةِ ، الْعَبْيِيَّةِ إِلَى الْمَجْهُولِ .

فِي الْأَعْلَى ، فِي هَذَا الْمَوْقِعِ دَاخِلَ حَلْقِ الْحِصَانِ الْمَرْصُوفِ بِالْأَلْوَا حِ ،
لَأَبْدَأَنَّ أَنِّي أَحَسَسْتُ بِابْتِلَآئِي ؛ بِابْتِلَآئِي حَيًّا ، مَعَ ذَلِكَ ، لِأَرْقُبَ
مُعَسْكَرَ الْأَعْدَاءِ ، وَالتَّيْرَانَ ، وَالسُّفْنَ وَالتَّجُومَ ،
الْمُعْجِزَةَ الْكَامِلَةَ (كَمَا سُمِّيَتْ) ، الْمُعْجِزَةَ الْمُعْتَادَةَ ، الرَّهِيْبَةَ ، غَيْرِ
الْمُنْتَظَرَةِ لِلْعَالَمِ ،

كَأَنِّي كُنْتُ لُقْمَةً التَّصَقَّتْ فِي حَنْجَرَةِ الْمُطْلَقِ ، وَجِسْرًا
فَوْقَ سَدَّيْنِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ ، مُنْحَدِرَيْنِ وَمَجْهُولَيْنِ عَلَيَّ السَّوَاءِ -
جِسْرًا بِلَا مَتَانَةٍ ، بِالتَّأَكِيدِ ، مِنْ خَشَبٍ وَتَخْطِيطِ مَرِيرِ .
(مِنْ هُنَاكَ فِي الْأَعْلَى ، أَظُنُّ ، فِي مِثْلِ هَذَا الْكَابُوسِ ،
لَمَحْتُ فِي الْبِدَايَةِ التَّأَلُّقَ الْمُهْدِيَّ لِأَسْلِحَتِكُمْ) .

فِي أَوْقَاتٍ أُخْرَى مُخْتَلِفَةً - خِلَالَ مُنْتَصَفِ النَّهَارَاتِ الطَّوِيلَةِ ، فِي فُسْحَةٍ

مِنَ الْقِتَالِ ،

خِلَالَ الْمَسِيرِ ، أَوْ التَّوَقُّفِ لِلرَّاحَةِ - كُنَّا نَحْسُ فَجَاءَهُ بِأَنَّنا عَطَشِي .
لَا أَكْثَرَ :- عَطَشِي فَحَسَب . لَمْ يَحْطُرْ بِبَالِنَا الْمَاءُ أَوْ عَطَشُنَا بِالتَّحْدِيدِ ،
بَلِ انْحَيْنَا فَحَسَب فِي فَوْضَى ، مُتَّظَاهِرِينَ بِرَبِطِ سُورِ صِنَادِلِنَا .
فِي هَذَا الْوَضْعِ ، الْانْحِنَاءِ ، حَدَقْنَا فِي الْبَعِيدِ وَاحْتَفَظْنَا بِرُؤْيَةِ الْمَشْهَدِ

الطَّبِيعِي

مَقْلُوبًا رَأْسًا عَلَى عَقِبِ ، وَالتَّائِسِ وَأَنْفُسِنَا ،
مَشْهَدٍ مُضَلَّلٍ ، غَفُورٍ ، شَقَافٍ ، مُنْحَرِفٍ ،
كَأَنَّهُ مَعْكُوسٌ فِي مَاءٍ مَا . وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَاءٌ . كُنَّا عَطَشِي .

كَانَ الطَّرِيقُ خَرِبًا عَلَى امْتِدَادِهِ كُلِّهِ . آبَارُهُ عَلَى كِلَا الْجَانِبَيْنِ
كَانَتْ مَرْدُومَةً ، مُلَوَّثَةً بِالْحِثِّ . وَكَانَ الْحَصَى يَنْشَقُّ
مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْحَرَارَةِ الْعَالِيَةِ ، وَالْجَدَّاجُ تَصِيحٌ . جِيرٌ يَغْلِي
فِي الْأُفُقِ ؛ أَلْسِنَةُ نَارٍ . وَأَعْلَى إِفْرِيزِ الْجُدْرَانِ
كَانَتْ شَطَايَا زُجَاجٍ مُهَشَّمٍ تَنْتَصِبُ وَامِضَةً فِي ضَوْءِ شَمْسٍ لَا يَلِينُ وَهِيَ

تَقْسِمُ

الرِّفَاقِ ، وَالْأَصْدِقَاءَ وَالْمُقَاتِلِينَ الرُّمْلَاءَ .
وَرَعْمَ الْأَلْقِي الْمَجِيدِ ، التَّافِذِ ، لَمْ يَخْفَ شَيْءٌ : رَأَيْتُ رِجَالًا بَوَاسِلِ
يَرْمُونَ بِالرَّمَادِ فِي شَعْرِهِمْ وَرَأَيْتُ الرَّمَادَ
يَمْتَزِجُ بِدُمُوعِهِمْ . تَجَاعِيدُ سَوْدَاءَ
مُخْفُورَةٌ فِي لِحَاهُمْ ، مُنْحَدِرَةٌ إِلَى الدَّقَنِ .

هؤلاء ، العرايا على الشاطي ، اعتادوا تحميم أحصنتهم
 ودهن أعرافها بزيت أصفر ، الرجال والأحصنة على السواء متألقون
 في صباحات وضاءة ، هؤلاء أنفسهم
 الذين رقصوا في الليل فوق لهب نار المعسكر ، وأقدامهم الحافية
 تومض قرمزية - ينكمشون الآن
 وسط المنحدرات ، يعبسون ويئنون ، يضعون كفوهم
 أمام أفخاذهم ، يختبئون في خزي كأنهم ارتكبوا جرماً ما
 ضد آخرين وارتكب الآخرون جميعاً جرماً ما ضدهم . قد يحسدون
 أيضاً

المجندين الشبان على الغياب الجميل للشك لديهم ، وشجاعتهم ،
 وحماسيتهم ، ورطانتهم المحفوظة ، وقبل كل شيء ربما
 شعرهم بالبع الكثافة واللعمان ، مفعماً بالعافية والشهوة .

لكن هؤلاء أيضاً انطلقوا ذات يوم لإصلاح العالم :
 ساذجين في فتنه ، محتالين في سرية ، انطلقوا معاً ،
 كل واحد بصورة فردية ، رأوا وتطلعوا ، كل منهم
 لسبب خاص ، يستظلون بطموح مستقل
 تحت فكرة واحدة عظيمة ، غاية مشتركة جعلت شفافيتها
 الذات المتشظية لكل واحد أكثر وضوحاً ،
 مع تعاسة ووضاعة القدر . فكيف ، يا صديقي ، يمكنك

إِضْفَاءُ بَعْضِ النَّظَامِ عَلَى هَذِهِ الْفَوْضَى ؟ كَيْفَ يُمَكِّنُكَ الْوُقُوفُ إِلَى
جِوَارِهِمْ . الْآنَ أَعْرِفُ .

خِلَالَ اللَّيْلِ عَلَى الْقَوَارِبِ ، حِينَ نَامَ الْجُنُودُ الْعَادِيُونَ ، مُنْهَكِينَ ،
عَلَى السَّطْحِ كَأَجُولَةٍ مُكْوَمَةٍ مَعًا ،
فِي غَايَةِ الرَّوْعَةِ لِإِخْلَاصِهِمُ الْفَتَى الْجَمِيلِ ،
نَائِمِينَ فِي جَهْلِهِمْ ، فِي بَرَاءَتِهِمُ الْحَيَوَانِيَّةِ وَجَمَالِهِمُ الْجَسَدِيِّ ،
أَشْدَاءَ مِنْ مُوَاصَلَةِ الْعَمَلِ النَّافِعِ فِي الْحُقُولِ ، فِي الْوَرَشِ ، عَلَى الطَّرْقِ ،
خَاضِعِينَ لِلضَّرُورَةِ وَالْأَمَالِ السَّهْلَةِ ،
يُعْمَمُونَ بِلَا عَنَاءٍ سَدَّاجَتَهُمْ ، كَأَغْنَامٍ
سَيِّقَتْ إِلَى الْمَذْبَحِ لِصَالِحِ آخِرِينَ ، لَكِنْ
مُبْتَسِمِينَ فِي نَوْمِهِمْ وَيَهْدُونَ ، يَشْخُرُونَ ،
لَا عَيْنِينَ بَقَرَةً مِنْ بَنَاتِ الْحَلْمِ ، أَوْ - شِبْهَ عَرَائِيَا ، بِانْتِصَابَاتٍ لَيْلِيَّةٍ -
يَهْمِسُونَ مِرَارًا وَتَكَرَّرًا بِاسْمِ امْرَأَةٍ
فِيمَا يَغْتَسِلُونَ فِي الْأَبَدِيَّةِ الْخَفِيَّةِ لِضَوْءِ نُجُومِ الْمُحِيطِ - خِلَالَ تِلْكَ اللَّيَالِي ،
كُنْتُ أَسْمَعُ ، وَسَطَ رَذَاذِ الْمَجَازِيْفِ ، صِيحَاتِ
قَادَتِنَا وَالشَّجَارَاتِ عَلَى غَنِيمَةٍ مَا تَزَالُ فِي الْغَيْبِ ، وَالْقَابِ
لَمْ تُعْتَمِدْ بَعْدَ . وَفِي عُيُونِهِمْ ، رَأَيْتُ
الْكَرَاهِيَّةَ لِلْجَمِيعِ ، الشَّهْوَةَ الْوَحْشِيَّةَ لِلتَّفُوقِ ،
وَفِي عُمْقِ الْأَعْمَاقِ ، كَحَشْرَةٍ حُبَّاجِبٍ هَشَّةٍ فِي الطَّرْفِ الْأَقْصَى مِنْ كَهْفِ
مُظْلِمٍ ،

رَأَيْتُ وَحَدَّثْتُهُمْ أَيْضًا . فِيمَا وَرَاءَ لِجَاهِهِمْ
كَانَ قَدْرُهُمْ يَتَلَأَلُ فِي غُرْبِهِ ، مِثْلَ سَهْلٍ قَاجِلٍ ، وَرَاءَ الْغُصُونِ الْجُرْدَاءِ
لِغَابَةِ مَا ،

مَبْدُورٍ بِعِظَامٍ بَيْضَاءَ تُومِضُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ .

كَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ نَوْعًا مِنَ السَّعَادَةِ : خَلَاصٌ ،
قَبُولٌ مُهْدَىٌّ ، بَهْجَةٌ خَامِلَةٌ

مِنْ لَمَسَةِ الْأَبْدِيَّةِ وَالْعَدَمِ . وَرَغَمَ كُلِّ ذَلِكَ ،

كُنْتُ لَا أَزَالُ قَادِرًا - بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ - عَلَى نَيْلِ امْتِيَاذٍ

أَنْ أَتَبَيَّنَ وَرَاءَ الدُّرُوعِ وَالرَّمَاكِجِ ، أَوْ فِيمَا بَيْنَهُمَا ،

قِطْعَةً صَغِيرَةً مِنَ الْبَحْرِ ، شَفَقًا صَغِيرًا ، رُكْبَةً جَمِيلَةَ الشَّكْلِ ،

وَأَنْ أُحِبَّ ذَلِكَ - نَعَمْ ، رَغَمَ كُلِّ الْبَاقِي . غُفْرَانٌ ، رَغَمَ ضَالِّيهِ ؛

وَكُلُّ الْمَخَافِيفِ الْمَجْهُولَةِ ، الَّتِي لَا تُحْصَى ، تَبَدَّدَتْ فِي الْبَعِيدِ :

غَيْمَةٌ كَثِيفَةٌ وَمُبْهَجَةٌ فِي لَانْهَائِيَّةِ حُرَافِيَّةٍ .

أَتَذَكَّرُ ذَاتَ لَيْلَةٍ حِينَ أَبْجَرْنَا تَحْتَ قَمَرٍ مُكْتَمِلٍ . فِي كُلِّ وَجْهِ

ثَبَّتَ ضَوْءُ الْقَمَرِ قِنَاعَ مَوْتٍ مِنْ ذَهَبٍ .

وَقَفَ الْجُنُودُ فِي الْمَكَانِ الْمَلَائِمِ لِحِظَةٍ وَتَبَادَلُوا النَّظَرَ

كَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ أَوْ يَتَلَاثُونَ

لِلْمَرَّةِ الْأُولَى ، ثُمَّ اسْتَدَارُوا فَجَاءَ

وَحَدَّقُوا عَالِيًا فِي الْقَمَرِ ،

الْقَابِ وَهُمْ جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ الْمَائِجِ أَبَدًا ،
بِلَا كَلَامٍ ، فَتْرَةً ، كَأَنَّهُمْ مَوْتَى بِالْفِعْلِ وَخَالِدُونَ .

فِيَمَا بَعْدَ ، كَأَنَّهُمْ أَحْسُوا بِصُورَةِ غَائِمَةٍ بِالذَّنْبِ وَلَا يَحْتَمِلُونَ
ذَلِكَ الْعِبَاءَ الضَّخْمَ ، بِلَا تَقْدِيرٍ ، بَدَأُوا فِي الصِّيَاحِ ،
فِي الْمِرَاجِ ، فِي الْإِيْمَاءِ ، فِي مُقَارَنَةِ أَعْضَائِهِمُ الْجَنَسِيَّةِ ،
فِي تَعْطِيَةِ أَنْفُسِهِمْ بِالْعَرَقِ مِنَ الشَّوَاءِ ، فِي الْقَفْرِ ، وَالرَّقِصِ ، وَالْمُصَارَعَةِ ،
مُتَظَاهِرِينَ بِأَنَّهُمْ يَقْرَأُونَ حُطُوطًا مُضْحِكَةً وَحِكَايَاتٍ إِبَاحِيَّةً عَلَى أَلْوَجِ
الْكَنَفِ الْمَكشُوفَةِ لِلسُّفْنِ الْحَرَبِيَّةِ -
حَتَّى يَنْسُوا ، رُبَّمَا ، تِلْكَ اللَّحْظَةَ ، تِلْكَ الْمَعْرِفَةَ ، ذَلِكَ الْغِيَابَ .

وَرُبَّمَا أَنْتُمْ أَيْضًا ، فِي لَيْلَةٍ كَهَذِهِ ، قَدْ سَمِعْتُمْ بِوُضُوحٍ
فِي عَمْرَةِ الْأَصْوَاتِ الْمُوَازِيَةِ لِزُمَلَائِكُمُ الْمُقَاتِلِينَ
غِيَابَ صَوْتِكُمْ - تَمَامًا مِثْلَمَا حَدَّثَ لِي آنَذَاكَ ، تَحْتَ الْقَمَرِ الْمُكْتَمِلِ .
نَعَمْ ، سَمِعْتُ نَفْسِي لَا أَصِيحُ ، وَظَلَلْتُ
مُسَمَّرًا هُنَاكَ وَسَطَهُمْ جَمِيعًا ، بِلَا رَفِيقٍ
حَتَّى وَسَطَ أَقْرَبِ الْأَصْدِقَاءِ ، بِلَا رَفِيقٍ
فِي دَائِرَةِ هَائِلَةٍ مِنَ الْعُرْلَةِ ، فِي طَائِقِ دَرَائِسِ شَاهِقٍ ،
أَسْمَعُ مُصَادَفَةً أَصْوَاتِ الْآخَرِينَ بِوُضُوحٍ مُخِيفٍ وَبِالْتَّزَامِ
أَسْمَعُ صَمِيَّتِي الْحَمِيمِ . مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَعْلَى
تَبَيَّنْتُ مَرَّةً أُخْرَى التِّمَاعَ أَسْلِحَتِكُمْ . وَأَدْرَكْتُ .

رُبَّمَا أَنْتُمْ أَيْضًا ، يَا أَصْدِقَائِي الْأَعْرَاءَ ، قَرَّرْتُمْ فِي لَحْظَةٍ مُقَابِلَةٍ
أَنْ تَنْسَجِبُوا . أَتَحْتَلُّ أَنْكُمْ لَا بُدَّ قَدْ سَمَحْتُمْ بِأَنْ تَعْضَّكُمْ أَنْيْدِ
الْأَفْعَى فِي الضَّرِيحِ الْمُقَدَّسِ . وَفَضْلًا عَنِ ذَلِكَ ، أَدْرَكْتُمْ أَنْ أُسْلِحَتْنَا
وَحَدَهَا

هِيَ الضَّرُورِيَّةُ وَلَسْنَا نَحْنُ أَنْفُسَنَا (كَمَا قُلْتُمْ) .
أَنْتُمْ ، مَعَ ذَلِكَ ، أُسْلِحَتُكُمْ . وَإِذَا اكْتَسَبَتْ بِشَرَفٍ
مِنْ خِلَالِ الْعَمَلِ ، وَالتَّضْحِيَّةِ وَالصَّدَاقَةِ ، فَقَدْ مُنِحَتْ لَكُمْ بِالْيَدِ
الَّتِي قَطَعَتِ الرَّؤُوسَ السَّبْعَ لِلْهِدْرَا ، وَالَّتِي قَتَلَتْ
حَارِسَ هَادِيسَ . بِعَيْنَيْكُمْ الْاِثْنَتَيْنِ
رَأَيْتُمْ ، وَجَرَّبْتُمْ : ذَلِكَ هُوَ مِيرَاثُكُمْ
وَسِلَاحُكُمْ الْأَوَّلَ . ذَلِكَ الَّذِي يُحْرِزُ وَحْدَهُ الْاِنتِصَارَاتِ .
الآنَ أُرُونِي لَوْ سَمَحْتُمْ كَيْفَ تَسْتَخْدِمُونَهَا . لَقَدْ آتَى الْاَوَانَ .

رُبَّمَا سَيُقَالُ إِنَّ النَّصْرَ لِي وَحْدِي ؛ سَيَنْسَى النَّاسُ ، رُبَّمَا ،
مَنْ اِمْتَلَكَ الْأَسْلِحَةَ وَمَنْ صَنَعَهَا فِي الْبِدَايَةِ . فَلَا أَحَدَ سَيُرِيدُ .
وَلَكِنْ مَا أَهْمِيَّةُ ذَلِكَ بِالنَّسْبَةِ لَكُمْ ؟ فَسَيَظَلُّ مَحْفُوظًا بِاسْمِكُمْ
النَّصْرُ الْوَجِيدُ وَالْأَخِيرُ (كَمَا قُلْتُمْ) :
هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ - بِالْعَةِ الْعُدُوبَةِ ، بِالْعَةِ الْفَطَاعَةِ - بِأَنَّ الْاِنتِصَارَاتِ بِلَا
وُجُودِ .

أَنْتُمْ ، وَلَا أَحَدَ سِوَاكُمْ ، مَنْ عَلَّقْتُمْ قُمْصَانَكُمْ الْحَاوِيَةَ عَلَى شَجَرَةٍ
لِتَضْلِيلِ الْعَابِرِينَ ، لِيَقُولُوا "إِنَّهُ مَيِّتٌ !"
مِنْ أَجْلِ أَنْ تُجَرَّبُوا - وَأَنْتُمْ مُحْتَفُونَ وَرَاءَ الْأَجْمَاتِ ،
تَسْمَعُونَ أَنَّكُمْ تُعْتَبَرُونَ مَيِّتِينَ -
كَمَالَ حَسَاسِيَّتِكُمْ ، وَفِيمَا بَعْدَ
تَتَقَمَّصُونَ قَمِيصَ الْمَوْتِ الرَّائِفِ
إِلَى أَنْ أَصْبَحْتُمْ (كَمَا تُصْبِحُونَ) الصَّمْتِ الْعَظِيمِ لِكَيْنُونَتِكُمْ .

رُوحٌ قَدِيمٌ مُلَطَّخٌ بِالدَّمِ - مُعْتَزِلًا الْمَعْرَكَةَ ،
يَنْتَصِبُ وَجِيدًا مَهْجُورًا ، هَادِئًا ، بِلَا جَدْوَى ،
مُسْتَنْدِدًا إِلَى صَخْرَةٍ ضَخْمَةٍ بِرَأْسِهِ الْبُرُونِزِيَّةِ
مَطْبُوعًا عَلَى الْقَمَرِ وَمُنْحَرِفًا فِي الْأَشِعَّةِ -
سِيْحِنِي نَفْسَهُ بِبُطْءٍ كَأَصْبَعٍ مُدْعِنِ
عَلَى قَيْثَارَةٍ : الْقَيْثَارَةُ الْأَبَدِيَّةُ الَّتِي ذَكَرْتَهَا . الْآنَ
يُمْكِنُنِي الْإِحْسَاسُ ، فِيمَا أَظُنُّ ، بِإِلَى أَيْنَ يَتَوَجَّهُ بِالتَّحْدِيدِ عِرْفَانُكُمْ .

لَقَدْ تَذَكَّرْتُ لِلتَّوَّعَسَقَا مَجِيدًا عَلَى الْبَحْرِ الْمَفْتُوحِ ، سَكِينَةً مَيِّتَةً مُدْهِلَةً
كُنْتُ قَدْ نَسَيْتُهَا : اللَّاتِنَاهِي الْمَرِي
لِلسَّمَاءِ وَالْمَاءِ ؛ لَا جَزِيرَةً صَغِيرَةً أَوْ لِسَانًا صَخْرِيًّا ؛
السُّفُنُ الْمُبْهَمَةُ ثَلَاثِيَّةُ الْمَجَازِيْفِ فَحَسَبَ ، مُحَلَّقَةٌ أَوْ مُنْسَابَةٌ
فِي حَدِيقَةٍ وَرْدٍ كَثِيفَةٍ وَخَيَالِيَّةٍ ، وَالْمَجَازِيْفُ الصَّامِتَةُ

مُتَمَائِلَةٌ فِي الشَّكْلِ ، عَرِيضَةٌ ، مَائِلَةٌ ، كَأَشِعَّةِ شَمْسٍ مُنْدَاةٍ .
حَاوَلْ بَحَارُ الْغِنَاءِ ؛ ظَلَّ عَلَى هَذَا النَّحْوِ ،
فَمُهْ مَفْتُوحٌ عَنِ آخِرِهِ كُحْفَرَةٌ
فِيهَا تَبَدَّى مِنْ جَدِيدٍ وَمِيضُ الْمُحِيطِ .

وَأَنَا ، بِدَوْرِي ، خَلَعْتُ حِزَامِي آتِيذٍ ؛ أَحَسَسْتُ
بِحَرَكَتِي هَادِئَةً ، لَا مَفَرَّ مِنْهَا ، بِلَا تَفْسِيرٍ ،
مُتَمَلِّكًا يَقِينِ الْمِيْتَا فِيزِيْقِيَّاتِ - كَأَنِّي كُنْتُ أَخْلَعُ
أُنْشُوطَةً بِدَائِيَّةٍ مِنْ حَوْلِ رَقَبَتِي . أَمْسَكْتُ بِحِزَامِي قَلِيلًا ،
ثُمَّ وَضَعْتُ أَحَدَ طَرْفَيْهِ عَلَى الْمَاءِ وَرَأَقَبْتُهُ يَرْسُمُ
خَطًّا هَادِيًّا فِي اللَّائِنِهَائِي ، فِيمَا بِالتَّزَامِنِ مَعَهُ
رَنٌّ فِي أَصَابِعِي نَبْضٌ سَاكِنٌ لِابْتِهَاجٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ .
فِيمَا بَعْدَ ، سَحَبْتُ حِزَامِي مِنَ الْمَاءِ وَأَحْكَمْتُ رَبْطَهُ
مِنْ جَدِيدٍ ، مَبْلُورًا كَمَا هُوَ ، حَوْلَ خَصْرِي .

بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ ، يُنِيرُ ضَوْءُ الْغَسَقِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ -
مُنْعَكِسًا بِصُورَةٍ مُبْهَرَةٍ فِي الْمَاءِ ، مُتَوَحِّدًا
بِصُورَتِهِ ، مُسْتَقِيلًا بِدَائِهِ
عَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، تَوَلِيفَةً مُسْتَقِيلَةً تَمَامًا
لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ . هَذَا الْوَمِيضُ
الْحَاطِطُ وَالْأَبْدِيُّ مَعَ ذَلِكَ هُوَ دِرْعٌ مِنَ الذَّهَبِ الْحَالِصِ

مُحَكِّمٌ حَوْلَ صُدُورِنَا ، وَالْأَهْمُ
أَنَّهُ الطَّبَقَةُ الأَرْهَفُ مِنَ الأَثِيرِ المَنِيعِ ،
بَيْنَ الدَّرْعِ وَأَجْسَادِنَا ، الَّتِي تُوجَّهُ إِلَى دَوَاخِلِنَا مِنْ جَدِيدِ
الحَرَكَةِ الحَارِجِيَّةِ لَتَنَفُّسِنَا . أحيانًا ،
خِلَالَ الشَّهيقِ الأَعْمَقِ ، نُحِسُّ بِأَطْرَافِ صُدُورِنَا
تَقْضُمُ فِي الحَقَاءِ مَعَدَنَ الدَّرْعِ البَارِدِ فِي المَسَاءِ ، نُحِسُّ بِهَا
تُلَامِسُ اللُّأُجُودَ بِالبَهْجَةِ القُصُوى لِلشَّبَقِيَّةِ المَلْمُوسَةِ .

يُمْكِنُنِي أَنْ أُرِيكُمْ عَلَامَةَ الحِزَامِ عَلَى جَسَدِي ،
عَجَلَةٌ صَغِيرَةٌ مَطْبُوعَةٌ فِيهِ ، وَنَقْشُ المِشْبِكِ .
الحُرِّيَّةُ - آه ، حَقًّا - هِيَ دَائِمًا مَشْدُودَةٌ وَمُحَكَّمَةٌ
حَوْلَ الجَسَدِ الكُلِّيِّ ، وَصُولاً بِالتَّأَكِيدِ إِلَى الكَعْبِ .
وَالعِنَاقُ المُحَكَّمُ لِلحِزَامِ ، فَضلاً عَنِ ذَلِكَ ، يُجِيرُ الصَّدْرَ عَلَى الاتِّسَاعِ .
إِنَّهُ ذَلِكَ الإِقْصَاءُ العَمِيقُ وَالأَلِيمُ الَّذِي يُصْبِحُ طَيِّعًا مَعَ الزَّمَنِ .

فَلَعَلَّ الآلِهَةَ ، مَعَ ذَلِكَ ، تَحْفَظُنَا مِنَ السُّقُوطِ أُسْرَى
حَتَّى لِأَجْمَلِ الإِلَهَامَاتِ ، خَشِيَّةٌ أَنْ نَفْقِدَ إِلَى الأَبَدِ
السَّدَاجَةَ المُرَهْفَةَ الَّتِي تُشَكِّلُ الحَقِيقَةَ ،
وَالفِعْلَ النِّهَائِيَّ : الكَلَامُ . رَبِّمَا كَانَ ذَلِكَ وَحْدَهُ قَدْ أَرَعَبَكُمْ
فِي عَزَلَتِكُمُ المُطْلَقَةِ ؛ أَيْضًا ، أَوْدُ القَوْلِ ، الِانْتِقَارُ إِلَى دَوَافِعِ ،
لَا مِنْ أَجْلِ اسْتِخْدَامِكُمْ ، بَلْ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ التَّوَاصُلِ ؛ مِنْ أَجْلِ

المُقَارَنَاتِ وَالتَّمثِيلَاتِ ؛

مِنَ أَجْلِ الصُّورِ الأَخَوِيَّةِ لِلأَمْحُودِ وَحِسَابَاتِ العَصِيِّ عَلَى الحِسَابِ .

فَلتَعُودُوا مَعَنَا ، حَتَّى لَوْ كَانَ مِن أَجْلِ ذَلِكَ وَحده . سَأخُونُ - لَا مِن أَجْلِ
أَحَد-

العَذَابَاتِ الجَلِيلَةِ لِظَهَارَةِ بِلَا نَظِيرِ .

لَا أَحَدَ سَيَفْهَمُ البَهْجَةَ الخَالِصَةَ لِجُرِّيَّتِكَ

أَوْ يَرْتَعِبُ مِنْهَا أَبَدًا . قِنَاعُ الفِعْلِ ،

الذِي جِئْتُ بِهِ إِلَيْكَ مُحِبًّا فِي صُرَّتِي ، سَيُخْفِي

وَجْهَكَ البَعِيدَ ، الشَّفَافَ . فَلَتَضَعَهُ . وَلتَمِضُ .

وَعِنْدَمَا نَصِلُ إِلَى طُرُودِهَا ، سَيَكُونُ جَاهِزًا الحِصَانُ الخَشِيُّ

الذِي وَصَفْتُهُ لَكَ . سَأخْتَبِي فِيهِ ، مَعَ أَسْلِحَتِكَ . ذَلِكَ سَيَكُونُ

تَنَكُّرِي ، قِنَاعِي ، وَقِنَاعُ أَسْلِحَتِكَ أَيضًا . عَلَى هَذَا التَّحْوِ فَقَطْ

سَنُحَقِّقُ النِّصْرَ . سَتَكُونُ هَذِهِ الحِيلَةُ

انْتِصَارِي - انْتِصَارَكَ أَيضًا ، ذَلِكَ مَا أَعْنِيهِ . سَتَكُونُ انْتِصَارَ

جَمِيعِ اليُونَانِيِّينَ وَاللَّهُمَّ . مَا الذِي تَوَقَّعْتَهُ ؟

فَمِثْلُ هَذِهِ الانْتِصَارَاتِ هِيَ الانْتِصَارَاتُ الوَحِيدَةُ . فَلنَمِضُ فِي طَرِيقِنَا .

انْتَهَتْ السَّنَوَاتُ العَشْرُ الآنَ . التَّهَيَّأَةُ قَرِيبَةً .

فَلتَأْتِ لِتَرَى مَا تَنبَأَتْ بِهِ . لِتَرَى أَيْةَ تَشْكِيلَةٍ مِنَ الغَنَائِمِ

قَائِضِنَاهَا بِالْكَثِيرِينَ مِنْ قَتْلَانَا ، أَيْةَ أَحْقَادٍ دَاخِلِيَّةٍ
قَائِضِنَاهَا بِأَعْدَائِنَا السَّابِقِينَ . وَسَطِ الْأَنْقَاضِ
الَّتِي سَيَّصَاعِدُ دُخَانُهَا فِي أَعْمِدَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ نَحْوَ الشَّمْسِ ،
وَسَطِ الْمَذْبُوحِينَ ، وَالذَّرُوعِ الْمَرْمِيَّةِ ، وَعَجَلَاتِ الْمَرْكَبَاتِ ،
وَسَطِ أَنْاتِ الْغَالِبِ وَالْمَغْلُوبِ ،
سَتَكُونُ ابْتِسَامَتُكَ الدَّمِيئَةُ ، الْمُتَوَقِّدَةُ ، ضَوْءًا لَنَا ،
وَرَحْمَتُكَ وَصَمْتُكَ بَوَصْلَةٍ .

هَيَّا . فَتَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَيْكَ لَا مِنْ أَجْلِ النَّصْرِ ، بَلْ خَاصَّةً لِمَا بَعْدَهُ ،
عِنْدَمَا صَعَدْنَا إِلَى السُّفُنِ مِنْ جَدِيدٍ (أَوْلَيْكَ الَّذِينَ نَجَّوْا) لِنَعُودَ
مَعَ هَيْلِينَ - هَيْلِينَ أَكْبَرَ بَعَشْرِ سِنَوَاتٍ ،
تَغَيَّرَتْ نَبْرَتُهَا ، وَمَشَاهِدُ مُخْتَلِفَةٍ فِي رُؤْيَتِهَا ،
مُخْفِيَةً ابْتِعَادَهَا عَنِ الْوَطَنِ وَكِبَرِ السَّنِّ وَرَاءَ
أَوْشَحَةٍ طَوِيلَةٍ ، مُطَرَّرَةٍ بِالذَّهَبِ ، مُخْفِيَةً
ابْتِعَادَنَا أَيْضًا عَنِ الْوَطَنِ وَرَاءَ أَوْشَحَتِهَا ، وَنَدَمَنَا ، وَيَأْسَنَا ،
وَالْخَوْفِ الْهَائِلِ الَّذِي لَا مَفَرَّ مِنْهُ مِنَ السُّؤَالِ
عَنْ سَبَبِ ذِهَابِنَا ، وَسَبَبِ قِتَالِنَا ، وَسَبَبِ عَوْدَتِنَا إِلَى الْوَطَنِ - وَأَيْنَ .
حَتَّى أَجْمَلَ النِّسَاءِ يُصْبِحْنَ إِلَى حَدِّ مَا شَبِيهَاتٍ بِالْأُمَّهَاتِ ، فِيمَا أَظُنْ ،
حِينَ يَكْبُرْنَ ، مُفَعَّمَاتٍ بِالْأَنْحَادِ وَالْمُتَابِرَةِ الْحَزِينَةِ ،
مُفَعَّمَاتٍ بِالْحَتَانِ وَالْمَحَبَّةِ الْأُمُومِيَّةِ - ذَلِكَ مَا تَحْوَلُ
إِلَى الْعَدَالَةِ الْقَاطِعَةِ الْمُفْتَرَضَةَ لِلْخَطِّ الَّذِي لَا مَفَرَّ مِنْهُ ،

الخسارة التي لا مفر منها، السنوات العشر التي لا مفر منها .
تتشبث النساء بحلقة المفتاح في أحزمتهن بكلتا اليدين آنثذ
بإيماءة عادية تمامًا ، كأنهن يتعدبن بالأم مفاجئة في البطن -
النساء الجميلات كبرن، أمهات أسطوريات
ذوات إيماءة نهائية لظاهرة بلا شائبة ،
خشية أن ندرك أن تلك المفاتيح لا يمكن أبدًا أن تفتح أي شيء من
جديد .

نظرة هيلين : كيف سيمكن أن نحتملها
وراء أوشحتها الداكنة ، المتألقة ،
وسط الإشراق الشهي للنجوم في ليلة بلا أغوار ،
فيما المجذفون يحملون صمتهم والمجازيف تضرب
دُفوف العودة السرية الصغيرة للمحيط في سرعة كل الأشياء التي لا تعود؟

فلتبق معنا ، على الأقل الآن . ذلك ما نحتاجه
أكثر حتى من حاجتنا لأسلحتك - كما تعرف جيدًا .
ها هو القناع الذي جئتُ به لك . ضعه على وجهك . فنحن راجلون .

(ياخذ الرجل الساكن الملتحي القناع ويضعه على الأرض. لا
يضعه على وجهه. شيئًا فشيئًا يتحول وجهه، يصبح أصغر، أكثر

إيجابيةً، أكثر حضورًا- يبدو كأنه يضاعف القناع. وقفةً طويلة. توقعاتٌ عظيمة. نجمةٌ تنطلق عبر السماء. يحس الشاب بنسمة واهية على وجهه، وشعره مقسوم بأناقة في المنتصف، بصورة عفوية، كأنما بمشط ذهبي رهيف. غناء الطاقم مسموعٌ من الشاطئ في الأسفل: أغنية شعبية متواضعة تحتوي الحبال، والصواري، والمجازيف، والنجوم، والأسى الكثير، البسالة والمثابرة، والبحر الضبابي الوامض كله، واللانهائية كلها، في الأبعاد الإنسانية. ربما هي نفس الأغنية التي عرفها الزاهد بطرائق أخرى. وربما كان ذلك سبب اتخاذ لقراره. ينهض بهدوء، يأخذ أسلحته من القبو، يسلمها إلى الشاب، يسمح له بالخروج أمامه، ويتبعه نحو الشاطئ. فيما يتقدمان بين الصخور والأشواك، يرى أسلحته تومض في ضوء النجوم وهي تتقدمه، ويسمع أغنية الطاقم الشعبية يتردد صداها على معدنها. هكذا يبدو أنه لا يتبع الشاب بل أسلحته نفسها، متخذًا الاتجاه الذي تشير إليه دائمًا أطرافها اللامعة، المشحودة جيدًا: ضد الموت. بقي القناع فوق الصخور، خارج القبو. هو أيضًا يومض في غبطة ليلية غامضة- بيقين غريب عصي على الفهم).
أثينا، ساموس، مايو 1963- أكتوبر 1965

أَحْجَار

(1968)

1- انحلال

الأشكال انحلّت ، انطلقت - فيضانٌ من قلبي وتياراتٌ غادرة - صوتُ
الماء يلحقُ بك ،
عصياً ، مُستعصياً ، عميقاً ؛ أنت أيضاً مُستعص ، حرٌ تقريباً .
قَبَلٌ قَلِيلٌ ، وَصَلَتْ نِسَاءُ فَضُولِيَّاتٍ ،
وَبِالتَّأَكِيدِ رِجَالٌ عَجَائِزٌ أَيْضًا ، بِأَبَارِيقٍ ، وَعُغْلِبِ صَفِيحٍ ، وَأَنِيَّةٍ
لِيَأْخُذُوا المَاءَ لاحتياجاتهم المنزلية . اتَّخَذَ المَاءُ شَكْلًا .
هَذَا النَّهْرُ وَهُوَ يَنْسَابُ بَعِيدًا . حَلَّ اللَّيْلُ . أُغْلِقَتِ الأبْوَابُ .
امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ ظَلَّتْ بِالخَارِجِ فِي الحَدِيقَةِ ، وَحِيدَةً ، بِلَا إِبْرِيقٍ ،
مَاءٌ مُقْمِرٌ ، شَفَّافٌ ، وَوَرْدَةٌ فِي شَعْرِهَا .

15 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

2- لَا تَكُون

غُيُومٌ عَلَى الْجَبَلِ . مَنْ أَوْ مَا الْمَلُومُ ؟ صَامِتًا وَمُتَعَبًا ،
يَنْظُرُ إِلَى الْأَمَامِ ، يَسْتَدِيرُ لِلْوَرَاءِ ، يَخْطُو ، يَنْحَنِي .
الْأَحْجَارُ تَكْمُنُ فِي الْأَسْفَلِ ، الطُّيُورُ فِي الْأَعْلَى . جَرَّةٌ مُنْتَصِبَةٌ
فِي التَّافِذَةِ . أَشْوَاكٌ فِي الْأَيْدِي الْمَفْتُوحَةِ . أَيْدٍ فِي الْجُيُوبِ .
تَتَوَسَّلُ وَتَتَوَسَّلُ . الْقَصِيدَةُ لَا تَجِيءُ . رَحَلَتْ .
وَالكَلِمَةُ الصَّرُورِيَّةُ لَوْصِفِ ذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ تَحْتَوِي بَعْضَ الْحَوَاءِ .

15 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

3- فآل

سَرَعَانَ مَا اخْتَفَتِ التَّمَائِيلُ فِي الْأَعشَابِ . لَمْ نَعْرِفِ
مَا إِذَا كَانَتِ التَّمَائِيلُ قَدْ تَقَلَّصَتْ ، أَمْ إِنْ الْأَعشَابَ قَدْ كَبَّرَتْ .
لَمْ يَبْقَ مَرثِيًا سِوَى يَدِ ضَخْمَةٍ مِنْ نُحَاسٍ ، مِثْلَ مَنْجِ بَرَكَةٍ فِظِيغَةٍ ،
فَوْقَ تَشَابُكِ الْأَشْكَالِ الْبَشِيعَةِ . مَرَّ الْحَطَّابُونَ
عَلَى الطَّرِيقِ السُّفْلِيِّ - لَمْ يَلْتَفِتُوا أَبَدًا .
لَمْ تَعُدِ النِّسْوَةُ يَرْقُدَنَّ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ . وَكُنَّا نَسْتَطِيعُ سَمَاعَ اللَّيْلِ
يُسَاقِطُ تُفَاحَاتِهِ فِي النَّهْرِ - وَاحِدَةً وَاحِدَةً ؛ وَفِيمَا بَعْدَ
التُّجُومِ وَهِيَ تَقْطَعُ بِمَنْشَارٍ بِهْدُوِّ تِلْكَ الْيَدِ التُّحَاسِيَّةِ الْمَرْفُوعَةِ .

16 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

4- بلاغات

وَجُوهٌ غَائِمَةٌ ، يُضِيئُهَا انْعِكَاسٌ مِنْ مِرَاةٍ كَبِيرَةٍ .
سَمِعَ صَوْتَ مِطْرَقَةِ الْبَابِ . لَمْ يَتَحَرَّكَ أَحَدٌ لِلرَّدِ . عَادَ
الصَّوْتُ خَارِجَ النَّوَافِذِ إِلَى اللَّيْلِ ، إِلَى أَنْ التَّقَى بِالشَّخْصِ
الَّذِي يَطْرُقُ الْبَابَ . آتَيْدِ ، كَأَنَّمَا حَقَّقَ مُهْمَّتَهُ ،
هَذَا هَذَا الرَّجُلُ وَتَحَرَّكَ نَحْوَ الْبَوَابَةِ ، وَهُوَ يَقْطُرُ بِالتَّدَى .
قَطَفَ وَرْدَةً ، وَشَبَّكَهَا فِي صَدْرِهِ .

"لِحْسَنِ الْحِظِّ" ، قَالَ ،

"لِحْسَنِ الْحِظِّ أَنَّهُمْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَى طَرَقِ الْبَابِ" . فَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
يَبْحَثُ عَنْ أَحَدٍ ،

وَمَا مِنْ أَحَدٍ أَرْسَلَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَا يُبْلِغُهُ ؛ سِوَى
تِلْكَ الطَّرَقَاتِ الْعَمِيقَةِ عَلَى الْبَابِ ، لِكُلِّ مَنْ بِالْدَّخْلِ وَلِنَفْسِهِ .

16 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

هَذِهِ الْأَحْجَارُ الْجَمِيلَةُ الْبَطُولِيَّةُ (الْبِدَائِيَّةُ إِلَى حَدِّ مَا ، ذَلِكَ صَحِيحٌ -
بِرَغْمِ أَنَّهَا تَظَلُّ جَمِيلَةً)

الْهَائِلَةُ الْبَيْضَاءُ وَالشَّوَاكِيشُ ، وَهَذِهِ الْكَاثِنَاتُ الْعَارِيَّةُ
فِي وَرِشِ الْعَمَلِ (غَالِبًا مُصَارِعُونَ ، وَمُلَاكِمُونَ أَشِدَّاءُ) تَقْلِيدًا لِأَفْعَالِ
أَشْخَاصٍ آخَرِينَ ، - ذِرَاعٌ مَرْفُوعَةٌ بِقُوَّةٍ ،
وَالْقَدَمَانِ مُنْفَرِجَتَانِ فِي تَوَازُنٍ زَائِدٍ . لَا ، لَا - قَالَ -
فَذَلِكَ لَيْسَ مَوْضِعَ سُخْرِيَّةٍ ، وَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ الْأَسَى ؛
ذَلِكَ الْكَلْبُ الْأَجْرَبُ ، الْمَعْطَى بِالْقُرَادِ وَالْبُثُورِ ،
الَّذِي يَشْرَبُ مَاءً قَدْرًا مِنْ دَلْوِ الْاِغْتِسَالِ
عِنْدَ قَاعِدَةِ تَمَائِيلَ غَيْرِ مُكْتَمِلَةٍ لِأَبْطَالِ رَاحِلِينَ .

17 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

6- حصار

بِحُرِّ مُسَالِمٍ بِلَا هَبَّةٍ رِيحٍ تَقْرِيْبًا : ضَوْءُ زَائِفٍ
يُلَوِّنُ الْغُيُومَ الْحَفِيْضَةَ . لَوْ لَمْ تَتَذَكَّرْ ،
فَلَنْ تَنْسَى . الْحَاضِرُ - يَقُولُ - لَكِنْ مَا الْحَاضِرُ ؟ لَقَدْ أَتَى هُنَالِكَ ،
فِي اللَّيْلِ ، مَنْدُوبُونَ صَامِتُونَ جَلَسُوا عَلَى الدَّرَجَاتِ الْحَجْرِيَّةِ ،
أَخْرَجُوا مَتَادِيْلَ قُمَاشٍ ، وَفَرَدُوهَا عَلَى رُكْبِهِمْ ،
وَبَعْدَ قَلِيْلِ ، أَعَادُوا طَيِّهَا وَنَهَضُوا وَرَحَلُوا . كَانَتْ بِأَحَدِهِمْ نُدْبَةٌ تَمْتَدُّ مِنْ
صِدْغِهِ إِلَى ذَقْنِهِ . نَهَضَ
وَأَشَارَ نَاحِيَةَ الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَحْكَمَ حِزَامَهُ .
خَفَضْنَا مَصَابِيْحَنَا إِلَى الْأَرْضِ وَشَاهَدْنَا ظِلَالَنَا
تَتَدَافَعُ عَلَى الْجِدَارِ الْأَبْيَضِ - ضَخْمَةً ، مُشْعِرَةً ، بِلَا عِظَامِ .

18 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

7- طمانينة

ليس الأمر أنه لم يكن ثمة ما يتعلّق بالمكّانة ، بالإطراء ، بالقُدوة -
صوت مفتاح في القفل - تمامًا ذلك الصوت في الليل ، فكرة ما عن شكل
المفتاح ، عن آليته البسيطة ،

وذلك التناغم والطاعة السريّان . واضح أنه لم يكن يتعلّق بالمكّانة : ولو
لم يكن كذلك ، فماذا إذن ؟ فأية سمة ينبغي تمييزها من أجل
المديح ؟ -

إنّهُ الشّخصُ المجهولُ الذي يُمسِكُ بالمفاتيحِ والبَابِ المجهولِ .
رُبّما ذاتٌ وحيدةٌ : فحين تُمسِكُ بِذلكِ الصوتِ ، لِبُرْهَةٍ ، في الطرفِ البعيدِ
من الشارعِ ، يقومُ البوّابُ العجوزُ بجولاتِهِ عارياً تماماً وقد عَطَى
رأسَهُ بِمنشَفَةٍ بيضاء .

18 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

8 - بِلاَ جَوَاب

إِلَى أَيْنَ تَأْخُذُنِي؟ إِلَى أَيْنَ يُؤَدِّي هَذَا الطَّرِيقُ؟ قُلْ لِي .
لَا يُمَكِّنُنِي رُؤْيَا أَيِّ شَيْءٍ . فَلَيْسَ ذَلِكَ طَرِيقًا إِطْلَاقًا . فَلَيْسَ سِوَى
أَحْجَارٍ .

عَوَارِضُ خَشَبِيَّةٌ سَوْدَاءُ . مِصْبَاحُ شَارِعٍ . لَيْتَ كَانَ عِنْدِي فَحَسَبَ
ذَلِكَ الْقَفْصِ - لَيْسَ مِنْ نَوْعِ أَقْفَاصِ الْعَصَافِيرِ ، بَلْ ذَلِكَ النَّوْعُ
يُقْضَبَانِ أَثْقَلُ ، مَعَ تَمَائِيلِ عَارِيَّةٍ . وَعِنْدَمَا
يَرْمُونَ إِلَى أَسْفَلِ بِمَا يَمُوتُ مِنْ ذَلِكَ السَّطْحِ الْمَسْطَّحِ ، لَمْ أَقُلْ أَيُّ شَيْءٍ ،
مَلَّمْتُ تِلْكَ التَّمَائِيلِ - أَحْسَسْتُ بِالْحُزْنِ عَلَيْهَا .
الآنَ أَعْرِفُ :

إِنْ آخِرَ مَا يَمُوتُ هُوَ الْجَسَدُ . لِهَذَا تَكَلَّمْتُ مَعِي .
فَالِي أَيْنَ تَأْخُذُنِي؟ لَا يُمَكِّنُنِي رُؤْيَا أَيِّ شَيْءٍ . وَمِنْ الْأَفْضَلِ أَلَّا أَرَى .
فَالْعَائِقُ الْأَكْبَرُ لِلتَّفَكِيرِ فِي النَّهَائَةِ ، هُوَ الْمَجْدُ .

19 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

9 - اختناق

عَلَى الْمُنْضَدَةِ الْمَجَاوِرَةِ ، كَانَ بَائِعُ الطَّبَاقِ يَتَكَلَّمُ -
يَدَانِ كَثِيفَتَا الشَّعْرِ ، كُوُوسُ شُرْبٍ مُغْبَسَّةٌ . ذُبَابٌ
يَتَلَاصِقُ فِي مَجْمُوعَاتٍ عَلَى الصَّحِيفَةِ . تَحْتُ نَافِذَةِ تَوْصِيلِ الطَّعَامِ
قِطْعَةٌ قُمَاشٍ مَعَ خُصَلَةِ شَعْرٍ . وَفِي النَّافِذَةِ
قِطْعَةٌ مُلَطَّخَةٌ مِنْ سَمَاءٍ ، غَيْمَةٌ
مُعَلَّقَةٌ فِي مَكَانِهَا بِخُمْسَةِ مَسَامِيرٍ صَدِئَةٍ .
" طِفْلِي ، طِفْلِي " ، (لَمْ يَكُنْ حَتَّى صَوْتِهِ) . كَانَتْ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ
تَعْرُجُ فِي الْبَابِ ؛ عَمَزَتْ بِعَيْنِهَا عَنْ عَمْدٍ -
فِي فَكِّهَا الْأَسْفَلَ ، سِنَّةٌ كَبِيرَةٌ عَطِنَةٌ .
أَنْبِذَ سَمِعْنَا صَوْتَ الْبَابِ يَتَسَمَّرُ مِنَ الْخَارِجِ .

19 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

مُلْتَبِسٌ - يَقُولُ - غَائِمٌ، مُبْهَمٌ؛ لَا أُسْتَطِيعُ اسْتِخْلَاصَ الْمَعْنَى .
الْعُشْبُ يُصْدِرُ حَفِيفًا . نِسَاءٌ عَجَائِزٌ، فِي التَّوَافِذِ، يَنْفُضْنَ
مَلَأَاتٍ كَبِيرَةً سَوْدَاءَ . بَائِعُ اللَّيْنِ يَبُولُ عَلَى الْعَتَبَةِ الْحَجْرِيَّةِ .
الْمَسْلُوكُ يَشْحَذُ سِكِّينًا . وَفَجَاءَ تُنْكَسُ الْأَعْلَامُ
عَلَى السَّفِينَةِ الْحَرْبِيَّةِ . طُبُولٌ ضَخْمَةٌ جَهِيرَةٌ تَتَعَثَّرُ
وَتَتَدَحْرَجُ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ . الْحِرَّاسُ يَتَسَابَقُونَ
وَرَاءَ رَجُلٍ عَارِ بِرَأْسِ حَلِيقَةٍ . "مَجْنُونٌ"، يَصِيحُونَ .
"لَا تَسْتَمِعُوا إِلَيْهِ ! فَهُوَ مَجْنُونٌ" . الرَّجُلُ يَجْرِي . يُطَارِدُونَهُ .
"إِنَّهُ يَطْرُقُ آنِيَّةً نُحَاسِيَّةً طَوَالَ اللَّيْلِ" . الْحِرَابُ تُومِضُ .
النِّسَاءُ يَرْفَعْنَ أُرْدِيَّتِهِنَّ لِيُعْطِينَ عُيُونَهُنَّ .
"لَا تَسْتَمِعُوا إِلَيْهِ !" وَلَا تَدْرِي مَا إِذَا كَانَ لَكَ أَنْ تَضْحَكَ أَمْ تَبْكِي .

19 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

11 - إدراك متأخر

لَا لَوْمَ عَلَى أَحَدٍ ، قُلْنَا ، فِي الطَّرِيقَةِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ . وَاجِدُ بَقِي ؛
وَأَخْرُقْتِيل ؛ وَالْآخَرُونَ - كَيْفَ لَكَ الْآنَ أَنْ تُعَوَّلَ عَلَيْهِمْ ؟
تَمِضِي الْفُضُولُ فِي أَشْغَالِهَا كَالْمُعْتَادِ . الدَّفْلَى تُزْهِرُ .
الظَّلُّ يَدُورُ وَيَدُورُ حَوْلَ الشَّجَرَةِ . الْجِرَّةُ ، الْمَتْرُوكَةُ ،
بِلَا جِرَاكِ فِي الشَّمْسِ الْحَارِقَةِ ، انْسَفَعَتْ بِرَغْمِ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِي الْمَاءَ .
رَغْمَ ذَلِكَ ، قَالَ ، كَانَ يُمَكِّنُنَا تَحْرِيكَ الْجِرَّةِ كُلِّ سَاعَةٍ ،
لِتَتَوَكَّبَ مَعَ الظَّلِّ ، حَوْلَ الشَّجَرَةِ وَحَوْلَهَا ،
فَنَدُورُ إِلَى أَنْ نُمَسِكَ بِالْإِيْقَاعِ ، رَاقِصِينَ ، نَاسِينَ
الْجِرَّةَ ، وَالْمَاءَ ، وَحَتَّى عَطَشْنَا - لَمْ نَعُدْ عَطَاشَى ، نَرْقُصُ فَحَسَبَ .

20 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

12 - عُزِّي

سَحَالِي ، كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ ، فِي شُقُوقِ الْجِدَارِ . عَنَّاكِبُ ،
أَكْوَامٌ مِنْ عَنَّاكِبٍ فِي سِلَالِ الصَّيْفِ الْفَائِتِ .
كَانَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَكُونَ أَقْلَ اهْتِمَامًا بِالتَّمَائِيلِ - دُونَ أَنْ يَكُونَ أَحَدَهَا .
يَدَاهُ مَهْجُورَتَانِ عَلَى رُكْبَتَيْنِ عَارِيَتَيْنِ . أَظَافِرُ ،
شَعْرُ ، الْحَاتِمِ (أَي نَوْجٍ مِنَ الْحَوَاتِمِ ؟) ، كُلُّ ذَلِكَ بَدَا بِالِغِ الْغَرَابَةِ .
وَلِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يُخْفِيهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يَكْشِفُهُ .

22 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

13 - فَلَاحَة

هَوَّلَاءِ الْأَشْخَاصِ الْمُبْرَقُشُونَ بِالشَّمْسِ تَحْتَ الْأَشْجَارِ ، فِي غَايَةِ الْجَمَالِ ،
جَالِسِينَ عَلَى أَثَاثٍ مُعْطَى ، عَلَى مَقَاعِدَ عَالِيَةٍ ، عَلَى كَرَّاسِي ، أَمَامَ السِّيَاحِ
السَّلْكِيِّ ،

كَأَنَّمَا مِنْ أَجْلِ اسْتِعْرَاضِ مَا ، مَعَ أَنَّكَ يُفْتَرَضُ أَنْ تَرُسْمَهُمْ - يَلْعَبُونَ
"الطَّائِلَةَ" ، يَقْرَأُونَ وَهُمْ هَادِثُونَ - لَا يَسْمَعُونَ ؛

وَبِتِلْكَ الرُّقْعَةِ مِنْ بَحْرِ أَرْزَقِ فِضِّي كَخَلْفِيَّةٍ ، فَهَمْ فَاتِنُونَ
وَلَا حَاجَةَ لِطَرَجِ أَسْئَلَةٍ مَا ، لِمَعْرِفَةِ مَا . وَفِي الطَّرْفِ الْأَقْصَى مِنَ الطَّرِيقِ
الْمَحْفُوفِ بِالأَشْجَارِ ،

يَظْهَرُ وَلَدٌ نَحِيلٌ ، وَمِنْشَفَةٌ قَدِرَةٌ عَلَى كَتِفِهِ ،
وَهُوَ يَنْحَنِي ، يُلْمِلِمُ زُجَاجَاتِ لَيْمُونٍ فَارِغَةٍ ، مُغْبَشَةً وَسَاخِنَةً فِي الشَّمْسِ .

22 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

14 - غير المقبول

شَيْئًا فَشَيْئًا، أَصْبَحَ بَعِيدًا عَنَّا، كَأَنَّهُ حَزِينٌ بَعْضَ الشَّيْءِ ،
وَهَادِيٌّ بِغَرَابَةٍ ، كَأَنَّهُ اِكْتَشَفَ
شَيْئًا مَا كَبِيرًا وَعَصِيًّا عَلَى الْبُوجِ بِهِ - تِمْنَالًا بِلَا رَأْسَ ، نَجْمَةٌ مَا ، حَقِيقَةٌ
مَا ،

الحَقِيقَةُ الْوَحِيدَةُ . سَأَلْنَا عَمَّا كَانَ .
لَمْ يَكُنْ لَيَتَكَلَّمُ . كَأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّنَا لَا قَادِرِينَ
وَلَا رَاغِبِينَ فِي الْمَعْرِفَةِ . وَنَحْنُ ، أَصْدِقَاءَهُ ،
رَمِينَا بِالْأَحْجَارِ الْأُولَى . وَمَا كَانَ لِأَعْدَائِهِ أَنْ يَكُونُوا أَسْعَدَ حَالًا . عِنْدَ
الْمَحَاوَلَةِ

سَأَلُوهُ وَاسْتَجُوبُوهُ ثَانِيَةً . وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا كَلِمَةَ . وَالرَّئِيسُ
دَقَّ بِمِطْرَقَتِهِ ، صَاحَ ، وَهُوَ يَسْتَحِيلُ أَكْثَرَ غَضَبًا فَأَكْثَرَ - "هُدُوءًا! هُدُوءًا!
لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الصَّمْتِ مِنَ الْمُتَهَمِ" . كَانَ الْحُكْمُ بِالْإِجْمَاعِ .
اسْتَدْرَنَا وَاحِدًا وَاحِدًا وَوَضَعْنَا جِبَاهَنَا عَلَى الْحَائِطِ .

24 مايو 1968؛ معسكر اعتقال بارثيني

15 - نَحْوَ مَاذَا؟

مَعَ الْكِبَرِ بَدَأَ فِي الْكَلَامِ بِمَرَارَةٍ (وَهُوَ أَمْرٌ غَرِيبٌ - فَلَمْ أَنْتَظِرْ
الْأَفْضَلَ مِنْ شَخِصٍ بَالِغِ التَّقَانِي، وَالْإِخْلَاصِ، وَاللِّتِمَامِ) دُونَ تَأَكُّدِ أَبَدًا
مِنَ الْوُجُوهِ وَالْأَحْدَاثِ - كَلَامٍ عَامٍ وَغَائِمٍ بَعْضُ الشَّيْءِ، وَأَخْرَقَ فِي جَمِيعِ
الْأَحْوَالِ،

رُبَّمَا حَتَّى خَائِفٌ عَلَى نَحْوِ مَا يَدَاهُ
مُلْتَوِيَتَانِ، كَجُذُورِ شَجَرَةٍ فِي مَغَارَةٍ غَرِيبَةٍ،
فِي مَكَانٍ مَا عَمِيقٍ، بِلَا شَبَهٍ بِأَيْدِينَا. لَا أَحَدٌ
يُصَدِّقُهُ بَعْدَ الْآنِ؛ لَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فِي عَيْنَيْهِ -
يَتْرُكُونَهُ يَقُولُ أَيًّا مَا يُرِيدُ.

لَيْسَ الْأَمْرُ أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ مَا يَخْشَاهُ - إِطْلَاقًا. زُجَاجٌ نَافِذَةٌ
عَالِيًا، فِي الطَّابِقِ الْخَامِسِ، يُصَدِرُ الْقَارِئُ رَقِيقًا،
يُضِيءُ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ يَضَعُ قِنَاعًا مِنْ زُجَاجٍ. وَنَحْنُ
نَرْفَعُ أَيْدِينَا إِلَى وُجُوهِنَا كَأَنَّهُمَا يُمَكِّنُ أَنْ نُخْفِينَا
أَوْ نُصَيِّحَ جُزْءًا مِنْ جِدَارِ. كِسْرٌ مِنْ جِبْسٍ،

أَحْجَارٌ، قَادُورَاتٌ، عُمَلَاتٌ مُخَاسِيَّةٌ صَغِيرَةٌ تَهْوِي مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِنَا؛
تَنْخِي لِئَلْمَلِمَهَا - لَا نَرُكِعُ أَمَامَهُ .

وَفِي الْمِرَاةِ، الْمَقَابِلَةِ، شَيْءٌ مَا أَبْيَضُ، أَبْيَضٌ بِلَا حُدُودٍ -
مِشْطٌ عَاجٌ قَدِيمٌ فِي كُوبِ مَاءٍ،
وَالِاتِمَاعَةُ الْهَادِئَةُ لِلْمَاءِ فِي الْكُوبِ، فِي الْمِرَاةِ، فِي الْهَوَاءِ .

24 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

16 - غريزة

طَرِيحًا - وَجْهُهُ فِي الْأَسْفَلِ ، فَكُّهُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَرَقَبَتُهُ
مُثَبَّتَةٌ بِقُوَّةٍ بَيْنَ رُكْبَتَيْ الْأَخْرِ - يَتَحَوَّلُ وَجْهُهُ إِلَى الزُّرْقَةِ ، وَتَنْتَفِخُ شَرَايِينُهُ
فِي صِدْغِيهِ . لَا حَرَكَةَ .
ثُمَّ انْتِفَاضَةً - أَهْيَ تَشْنُجٌ أَخِيرٌ ؟ أَعْمِضْ عَيْنَيْكَ . لَا ، لَا .
هُوَ بَبْسَاطَةٌ اسْتِسْلَامٌ جَمِيلٌ . الْجَسَدُ يَرْتَجِي . شَيْئًا فَشَيْئًا
تَنْتَشِرُ ابْتِسَامَةٌ عَلَى الْوَجْهِ ، مِثْلَ شَخِصٍ مَا يَنْظُرُ إِلَى الْبَحْرِ
مِنْ نَافِذَةٍ (نَافِذَةٌ ضَيْقَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ ، حَقًّا) أَوْ مِثْلَ
رَأْسٍ مَقْطُوعَةٍ ، جَلِيلَةٍ - مَا تَزَالُ تَحْتَ تَأْثِيرِ تَعْبِيرِهَا ؛
نَعَمْ ، نَعَمْ ، تَنْتَشِرُ ابْتِسَامَةٌ مَا . وَالسَّكِينُ الْحَمْرَاءُ فِي الصَّيْنِيَّةِ .
وَعَلَى كُلِّ جَانِبٍ إِصْبُصُ زُهُورٍ .
نَابُهُ الْعُلُويُّ يَوْمِضُ فِي الشَّمْسِ - ذَهَبِيًّا ، طَوِيلًا ،
وَحَرَبَتَانِ صَغِيرَتَانِ تَحْرُسَانِ الْبَقَايَا الْفَانِيَّةَ
عَلَى بَوَابَةِ الْحُلُودِ ، الْعَتِيقَةِ ، الْمَاكِرَةِ .

25 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

17 - بَسِيطٌ وَعَصِي

لَا جَدِيدَ - يَقُولُ . فَالْتَّاسُ يُقْتَلُونَ أَوْ يَمُوتُونَ بِبَسَاطَةٍ .
أَسْنَانٌ ، شَعْرٌ ، أَيْدٍ ، مَرَايَا - يَشِيخُونَ .
مِدْخَنَةُ الْمَصْبَاحِ الزُّجَاجِيَّةُ انْكَسَرَتْ - أَلْصَقْنَاهَا بِجَرِيدَةٍ .
وَالْأَسْوَأُ ، أَنْتَكَ فِيمَا تَتَعَلَّمُ شَيْئًا ذَا بَالٍ ، يَكُونُ الْأَوَانُ قَدَفَاتٍ فَعَلًا . أَنْيِذِ
صَمْتُ هَائِلٍ . يَجِلُ الصَّيْفُ . وَالْأَشْجَارُ
تُصْبِحُ طَوِيلَةً وَخَضِرَاءَ - آهٍ اسْتِفْزَازِيَّةٌ لِلْعَايَةِ . وَزَيْزُ الْحَصَادِ يَصْرُخُ .
فِي الْمَسَاءِ ، تُصْبِحُ الْجِبَالُ زَرْقَاءَ . وَمِنْهَا ،
يَهْبِطُ رِجَالُ الظِّلِّ ، يَتَرَنِّحُونَ وَهُمْ يَشْقُونَ طَرِيقَهُمْ لِلْأَسْفَلِ (فِي الْحَقِيقَةِ ،
يَتَظَاهَرُونَ بِأَنَّهُمْ يَتَرَنِّحُونَ) .
يَرْمُونَ فِي التَّهْرِ بِكِلَابٍ مَيِّتَةٍ . فِيمَا بَعْدَ ، مُفْعَمِينَ بِالْحُزَنِ وَالْغَضَبِ
الْمَبْرَّرِ ، يَلْمُونَ أَكْيَاسَهُمُ الْخَيْشَ ،
يَهْرُسُونَ مَخَاصِيَهُمْ ، وَيَتَأَمَّلُونَ ضَوْءَ الْقَمَرِ فِي الْمِيَاهِ . وَهُنَاكَ فَحَسَبِ
ذَلِكَ الشَّيْءِ الْوَحِيدِ الْعَصِيُّ عَلَى التَّفْسِيرِ ؛ التَّظَاهَرُ بِأَنَّهُمْ عُرِجٌ ،
دُونَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَنْ يَرَاهُمْ .

18 - منهج التفاؤل

انتقائيّة - كلّ الشائعات السّوداء المثارّة - منحها التأكيد ،
نشرها ، جاعلاً منها اعتباريّة وقاطعة في نفس الوقت - منهج
عميق ، ملتبس ، ولا شكّ أنّه كان موضع إمعان تفكير . كلّ شيء قائم ،
تقريباً أسود -

الأثاث ، الوجوه ، التوافد ، الزمن . ومع ذلك ظلّ وجهه
مشرقاً ، مبرقشاً بسعادة ما سيريّة - ربّما من موهبته
للرؤية في الظلام ، لإختراق الظلام نفسه ، لرؤية
أغلفة الرّصاص النحاسيّة الأربعة وامضة بعيداً في الأسفل على السّربير
الكبير

حيث يرقد جثمانان جميلان كأنهما يتناكحان .

26 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

ط

19 - تَأْجِيلَات

مَضَّتْ الأَيَّامَ . شِرَاعُ السَّفِينَةِ تَمَرَّقَ فِي الرِّيحِ .
الْحَبْلُ تَهَرَّأَ تَمَامًا . اسْتَسَلَمْنَا وَنَحْنُ نُرْوِي الأَشْجَارَ . ذَبَلْتُ فِي الْحَالِ ، دُونَ
أَنْ تُخَلَّفَ ثَمَرَةٌ وَلَا وَرَقَةٌ .
شَاخَتِ النِّسْوَةُ . وَحَلَزُونَاتٌ صَغِيرَةٌ
اتَّخَذَتْ طَرِيقَهَا عَلَى الْحَائِطِ . وَحِينَ هَبَطْنَا فِي النِّهَائَةِ
لِتَنْظِيفِ البِئْرِ - لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ
سِوَى رُطُوبَةٍ عَفِنَةٍ وَكُومَةٍ مِنْ دِلَائِ صَدِئَةٍ .
أَزَلْنَاهَا . لَكِنَّ المَاءَ كَانَ قَدْ جَفَّ .

29 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

20 - بهذه الأحجار

هَبَّتْ رِيحٌ قَوِيَّةٌ . فَرَقَعَتْ الْمَصَارِيعُ الثَّقِيلَةَ .
تَطَايَرَتْ أَوْرَاقُ الشَّجَرِ مِنَ الْأَرْضِ . طَارَتْ بَعِيدًا ، بَعِيدًا .
لَمْ يَبْقَ سِوَى الْأَحْجَارِ . لَمْ يَعُدْ لَدَيْنَا إِلَّا أَنْ نَسْتَخْدِمَهَا الْآنَ -
ظَلٌّ يُرَدَّدُ - نَسْتَخْدِمُهَا ، نَسْتَخْدِمُهَا . حِينَ هَبَّطَ اللَّيْلُ
مِنَ الْجَبَلِ الْكَبِيرِ ، الْقَاتِمِ ، رَمَى بِمَقَاتِيحِنَا فِي الْبِئْرِ -
آه ، أَيُّهَا الْأَحْجَارُ - قَالَ - يَا أَحْجَارِي ، وَاحِدًا وَاحِدًا سَوْفَ أَنْحَتَ
الْوُجُوهَ الْمَجْهُولَةَ الْأَثِيرَةَ وَجَسَدِي ، بِإِحْدَى يَدَيَّ
وَهِيَ مُطَبَّقَةٌ بِإِحْكَامٍ ، مَرْفُوعَةٌ عَالِيًا أَعْلَى الْجِدَارِ .

30 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

21 - شِيخُوخَة

السَّبْت ، الأَحَد ، السَّبْت مِن جَدِيد - وَقَبْلَ أَنْ تَعْرِفَهُ ، الاثْنَيْن .
عَسَقُ هَادِيُّ بِلَا لَوْن ، أَوْ أَشْجَار ، أَوْ كَرَّاسِي .
لَيْسَ لَدَيْنَا مَا نُنْفِقُهُ . الإِبْرِيْقُ الْقَدِيمُ عَلَى مَائِدَةِ الْغَدَاء ؛
الْأَطْبَاقُ ، الْأَكْوَابُ ، الْأَيْدِي الْحَزِينَةُ ، الْمَهْجُورَةُ -
الْمَلْعَقَةُ تَرْتَفِعُ ؛ فَمُ آخِرُ يَجِدُهَا - لَكِنَّ أَيَّ فَمٍ ؟
مَنْ يَأْكُلُ ؟ مَنْ الَّذِي يُصْبِحُ سَاكِنًا ؟ فِي الثَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ
قَمَرٌ صَغِيرٌ ، مَنْسِيٌّ ، يَبْتَلِعُ لُعَابَهُ .
لَيْسَ الْأَمْرُ أَنْتَنَا لَمْ نَعُدْ نَسْمَنُ ، بَلْ إِنَّنَا لَمْ نَعُدْ نَجُوعُ .

4 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

22 - توسع

كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَبْقَى هُنَا - مَنْ يَدْرِي إِلَى مَتَى . شَيْئًا فَشَيْئًا
نَسِينَا الزَّمْنَ ، وَفَقَدْنَا مَسَارَ التَّمَايُزِ بَيْنَ الشُّهُورِ ، وَالْأَسَابِيعِ ،
وَالْأَيَّامِ ، وَالسَّاعَاتِ . رَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ . كَانَتْ هُنَاكَ نَبَاتَاتٌ دِفْلَى
بَعِيدًا فِي الْأَسْفَلِ ، وَأَشْجَارٌ سَرَوِي فِي الْأَعْلَى ، وَأَحْجَارٌ فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ .
أَسْرَابُ طُيُورٍ مَرَّتْ فَوْقَنَا ؛ ظِلَالُهَا جَعَلَتْ الْأَرْضَ دَاكِنَةً .
فِي شَبَابِي ، قَالَ الْعَجُوزُ ، حَدَّثَ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ تَمَامًا . فَالْقُضْبَانُ الْحَدِيدِيَّةُ
كَانَتْ حَقًّا فِي التَّوَافِدِ ؛ اسْتَطَعْتُ رُؤْيَتَهَا طَوِيلَةً قَبْلَ تَرْكِيبِهَا . وَالْآنَ ،
إِذَا رَأَاهَا كُلَّ يَوْمٍ ، أَبْدَأُ فِي التَّفْكِيرِ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ . لَمْ أَعُدْ أَرَاهَا .
أَتَسَاءَلُ مَا إِنْ كُنْتَ تَرَاهَا ؟ - آئِنْدِ ، صَاحَ الْحِرَّاسُ وَفَتَحُوا الْبَابَ .
أَدْخَلُوا عَرَبَتِي يَدِ مُحْمَلَتَيْنِ بِالْبَطِّيخِ . أَكْمَلَ الْعَجُوزُ :
أِهْ ، وَلَوْ بَقِيَ الْبَصَرُ ، فَلَنْ يُمَكِّنَكَ رُؤْيَةَ شَيْءٍ .
تُحَدِّقُ فِي الْفَرَاغِ ، كَمَا يَقُولُونَ - طِلَاءٌ ، شَمْسٌ ، رِيحٌ ، مِلْحٌ -
تَدْخُلُ الْمَنْزِلَ - بِلَا مِقْعَدٍ أَوْ سَرِيرٍ - تَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ ؛
عَنَّا كِبُ صَغِيرَةٌ تَمْشِي عِبْرَ شَعْرِكَ ، عِبْرَ مَلَابِسِكَ ، إِلَى فَمِكَ .

5 يونيو 1968 ؛ معسكر اعتقال بارثيني

23 - بلا ثَقِيلٍ مُوَازِن

خَرَاءَ ! - قَالَ - مُتَقَرِّزًا . أَغْلَقَ أُذُنَيْهِ ، وَمِنْخَارِيهِ ، وَعَيْنَيْهِ .
مَاذَا ؟ مَاذَا تَسْمَعُ ؟ مَاذَا تَرَى ؟ سَبْعُ رَصَاصَاتٍ ، ثَمَانِي رَصَاصَاتٍ .
حَتَّى الْقَتْلَةُ قُتِلُوا ، وَأَشْيَاءٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ
هُنَا وَهُنَاكَ . نَحْوَ مَاذَا تَلْتَفِتُ ؟ مَا الَّذِي سَتُقَدِّمُهُ بَدِيلًا لِذَلِكَ ؟
كُلُّ الْأَعْلَامِ تَمَزَّقَتْ مِرْقًا خِلَالَ الزَّمَنِ
وَمَا مِنْ وَاحِدٍ فِي شُرْفَةٍ فِي الْأَعْلَى سَيَتِمُّ خَفْضُهُ إِلَى نِصْفِ الصَّارِي .
وَالْجَرَائِدُ الْقَدِيمَةُ تَنْجَرِفُ عَلَى الْمِيَاهِ ، بِجِوَارِ الضَّحِيَّةِ الْغَرِيقِ .

5 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

24- فُوتُوغْرَافِيَا

الْجَمِيعُ دَاخِلُ جِرَارٍ أَرْضِيَّةٍ ضَخْمَةٍ - كُلُّ وَاحِدٍ فِي جَرَّتِهِ .
يَأْكُلُونَ ، يَنَامُونَ ، يَتَبَرَّزُونَ ، يُنْجِبُونَ ، يَمُوتُونَ فِي الْجِرَارِ .
أَحْيَانًا يَقْرَأُونَ جَرِيدَةً قَدِيمَةً - فَلَا تَصِلُ أَبَدًا جَرِيدَةٌ جَدِيدَةً .
قَتِيلٌ ، قَتِيلٌ - كَمَا تَعْرِفُونَ - تَوَدُّونَ لَوْ تَقْتُلُوا الْجِرَارَ . وَلَيْسَ سِوَى
سُوتِيَانِ كَبِيرٍ ، وَرِدِيِّ اللَّوْنِ ، يَمْتَصُّ الشَّمْسَ عَلَى السَّلَكِ الشَّائِكِ .
وَذُبَابٌ كَبِيرٌ يَتَجَوَّلُ مِرَارًا عَلَى جَرَّةٍ "بِيكِيَتِ" .

5 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

25 - إدانةٌ مزدوجة

أَهْكَذَا إِذَنْ؟ أَهُوَ كَذَلِكَ - قَالَ - فَهَلْ يَقُومُ فَخْرُنَا
عَلَى أَخْطَاءِ الْآخِرِينَ؟ وَلَيْسَ عَلَيَّ فَضَائِلُنَا؟ أَيُّ فَخْرٍ؟ وَمَا الْمَبْرَّرُ؟
أَهْ مُعَلِّمِي الْعَزِيزِ، كَمْ رَأَيْنَا جَيِّدًا
فِي إِيمَاءَاتِكِ: الْعَدْلَ، الْحُرِّيَّةَ؛ وَابْتِسَامَتِكَ -
السَّمَاوِيَّةَ (كَمَا أَسْمَيْنَاهَا) - حِينَ فُتِحَتِ الْأَبْوَابُ، وَقَاضَ الْحَشْدُ إِلَى
الْخَارِجِ،

جَرَوْا وَرَاءَكَ مُتَهَلِّلِينَ، تَارِكِينَ مَنَازِلَهُمْ مَفْتُوحَةً
لِلشَّمْسِ، وَالرَّيْحِ، وَاللُّصُوصِ. وَحِينَمَا، فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثِيَّةِ،
رَفَعَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ عَشَرَ كَأْسَهُ، أَدْرَكْنَا فِي التَّهَيَّاتِ
أَنْ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ سَابِقَ التَّجْهِيزِ. كَانَ الْمَوْتَى يَرْقُدُونَ فِي أَسْرَتِهِمْ،
وَتَحْتَ الْأَسِيرَةِ، أَحْذِيَّتِكُمْ الْكَرْتُونِيَّةُ طَوِيلَةُ الرَّقَبَةِ،
حَمْرَاءَ، مَهِيْبَةً، بِمَرَايَا صَغِيرَةٍ مُلْتَصِقَةٍ بِهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ.

6 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

26 - الجرس

مَنْ الَّذِي عَلَّقَ هَذَا الْجَرَسَ الْأَسْوَدَ (وَمَتَى؟) فَوْقَ الْمُنْصَدَةِ مُبَاشَرَةً
مِنْ مُنْتَصَفِ السَّقْفِ؟ - أَكَانَ مِنْذُ شَهْرٍ مَضَى؟ - مِنْذُ أَعْوَامٍ؟
وَنَحْنُ مُنَحْنُونَ عَلَى أَطْبَاقِنَا لَمْ نَلْحِظْ . لَمْ نَرْفَعْ أَبَدًا رُؤُوسَنَا ، وَلَوْ قَلِيلًا -
فَلِمَاذَا نَرْفَعُهَا؟ لَكِنَّ الْآنَ
نَحْنُ نَعْرِفُ - إِنَّهُ هُنَاكَ ، ثَابِتٌ . فَمَنْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ رَأَاهُ؟ مَنْ أَخْبَرَنَا بِوُجُودِهِ ،
ظَالِمًا أَنَّنَا لَمْ نَتَحَدَّثْ أَبَدًا عَنْهُ؟ رُبَّمَا ، ذَاتَ لَيْلَةٍ ،
إِذْ شَرِبْنَا آخِرَ قَطْرَةِ نَبِيدٍ مِنْ كُوبِنَا ، التَّقَطَّتْ عَيْنُنَا لِمَحَّةٍ خِلَالَ الْكُوبِ
الغائم . وَعَلَى الْفُورِ
أَحْنِينَا رُؤُوسَنَا مِنْ جَدِيدٍ لِأَسْفَلِ ، أَبْعَدَ مِنْ ذِي قَبْلِ . جَائِعِينَ أَوْ لَا ،
أَكَلْنَا ، مُتَوَقِّعِينَ
أَنْ يُقْرَعَ الْجَرَسُ فِي آيَةٍ لِحَظَةٍ بِيَدِ مَا عِمْلَاقَةٍ وَخَفِيَّةٍ -
تِسْعَ مَرَّاتٍ أَوْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ، رُبَّمَا مَرَّةً وَاحِدَةً فَحَسَبَ ، لَكِنَّ بِلَا انْتِهَاءٍ
وَبِهَمَجِيَّةٍ ،
وَوَظَلَّلْنَا نُحْصِي عَدَدَهَا ، خَشِيَّةً أَنْ نُصْبِحَ مُغْرَمِينَ بِإِفْرَاطٍ بِرَيْنِيهِ .

14 يونيو 1968 - معسكر اعتقال بارثيني

27 - مَصِيرُ عَادِي

مِنْ عُرْفَةٍ مُسْتَأْجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى - حَقِيبَةُ سَفَرٍ ،
مِنْضَدَةٌ ، سَرِيرٌ بِأَلْغِ الْقَدَمِ ، كُرْسِيٌّ ،
الْمَرْتَبَةُ الْقَشِ الْمَلَطَّخَةُ بِبَقِّ الْفِرَاشِ وَالْمَنِيِّ .
لَا أَحَدٌ لَدَيْهِ مَنْزِلٌ خَاصٌّ بِهِ - كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَتَنَقَّلُ دَائِمًا .
مَصِيرُنَا الْعَادِي - يَقُولُ - إِنَّهُ مُطْمَئِنٌّ . تَمَامًا مِثْلَمَا هَذِهِ الشَّجَرَةُ ،
ثَابِتَةٌ ، هَادِئَةٌ ، مُزْهِرَةٌ ، فِي عَالَمٍ خَاصٍّ بِهَا ؛
مَشْغُولَةٌ تَمَامًا بِإِزْهَارِهَا - لَا تَتَطَّلَعُ إِلَى شَيْءٍ -
وَمُنْعَكِسَةٌ فِي الْبَابِ الزُّجَاجِيِّ الْكَبِيرِ ، الْعَصِي عَلَى التَّفْسِيرِ .

14 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

28 - مُنْتَصَف اللَّيْلِ

فِيمَا تَرْتَدِي الْأَسْوَدَ وَالْأَيْرِي - كَانَتْ خُطْوَاتُهَا غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ .
كَانَتْ تَمْشِي فِي الرُّوَاقِ ذِي الْأَعْمِدَةِ . لَا أَضْوَاءَ مُشْتَعِلَةٍ . وَإِذْ صَعَدَتْ
الدَّرَجَاتِ الْحَجْرِيَّةَ ، صَاحُوا : "تَوَقَّفِي !" وَجْهَهَا
غَشَاوَةٌ بَيْضَاءُ فِي الظَّلَامِ . نَحَتْ مِثْرَهَا ،
كَانَتْ تُخْفِي آلَةَ كَمَانَ . "مَنْ هُنَاكَ !" لَمْ تَتَكَلَّمْ .
هُوتَ مَيِّتَةٌ ؛ يَدَاهَا مَرْفُوعَتَانِ ، وَذَلِكَ الْكَمَانَ
تَنَسَّبَتْ بِهِ بَيْنَ رُكْبَتَيْهَا . وَكَانَتْ تَبْتَسِمُ .

15 يونيو 1968

معكسر اعتقال بارثيني

29 - سرطان البحر

وَفِي الْحَالِ تَمَامًا تَلَا شَيْ كُلُّ شَيْءٍ - الْأَشْكَالُ ، الْأَشْجَارُ ، الْبَحْرُ ،
الْأَحْدَاثُ ، الْوَقَائِعُ ، الشُّعْرُ - بَعِيدًا ، بَعِيدًا لِلْغَايَةِ ،
إِلَى شَاطِئِ بَعِيدٍ - كَانَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَرَاهُمْ وَأَلَّا يَرَاهُمْ . فَهَلْ
سَيَرْحَلُونَ وَيَهْجُرُونَهُ عَلَى هَذَا التَّحْوِ؟ سَاكِنًا ، يُرَافِقُهُ الْمَوْتَ ،
حَتَّى حَافَةِ أَظْفَارِهِ . فِي اللَّيْلِ
سَمِعَ الْكَائِنَ الْهَائِلَ ، السَّاكِنَ بِدَاخِلِهِ . دَائِمًا هُنَاكَ ،
قَبْلَ النَّوْمِ وَبَعْدَ الْيَقَظَةِ ، كَانَ يَقُومُ
بِدَعِكِ أَسْنَانِهِ بِالْفُرْشَاءِ الْعَتِيقَةِ ، الْمُتَهَالِكَةِ ،
كَاشِفَةً الْإِبْتِسَامَةَ الْأَخِيرَةَ - هَادِئَةً ، بَيْضَاءَ ، وَاثِقَةً .

27 يوليو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

30 - خاتمة

الحياة؟ - جرح في القدم.

27 يوليو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

31- صت

جَسَدٌ آخِرُ دَاخِلِ جَسَدِهِ ، كَبِيرٌ ، غَامِضٌ ،
أَبْكُمْ - بُكُمْ شُمُوءِي الْمَقْدِرَةِ . فِي الظَّهِيرَةِ
أَوِ الْمَسَاءَاتِ ، إِلَى الْمَائِدَةِ ، مَعَ الْمَصْبَاحِ الْهَادِي ، فِيمَا يَرْفَعُ يَبْطِءُ
وَيَجْرِصُ الشُّوَكَةَ إِلَى فَمِهِ ، يَعْرِفُ
أَنَّهُ يُطْعِمُ الْآخَرَ ، ذَلِكَ الْقَمَّ الْمَجْهُولَ ، الشَّرَّهَ .

27 يوليو 1968 .

أشجارُ كينا طويلاً وقمرٌ كبيرٌ .
نجمَةٌ توميضُ على الماء .
السَّمَاوَاتُ بِيضَاءُ ، فَضِيَّة .
أحجارٌ ، أحجارٌ مُهَشَّمَةٌ ، على طولِ الصُّعُودِ .
بالجوار ، في المياهِ الضَّحَلَةِ ، سَمَكَةٌ
تُسمعُ مُتَقَافِزَةً ، وَثَانِيَةً ، وَثَالِثَةً ...
دارُ أيتامٍ مُنْتَشِيَّة - حُرِّيَّة .

21 أكتوبر 1968

معسكر اعتقال بارثيني



أَجَامْمُنُون

(1970-1966)

أجاممنون: في الأساطير الإغريقية، هو ابن الملك أتريوس، ملك
ميسينا، والملكة أيروب؛ وشقيق مينيلوس، وزوج كليتمسترا.
عندما اختطفت هيلين - زوجة مينيلوس - على يد باريس
الطروادي، كان أجاممنون قائد الأخيين في حرب طروادة. لدى عودته
من طروادة، قُتل - وفقًا لأوديسا هوميروس - على يد أيجيسثوس،
عشيق زوجته كليتمسترا. ووفقًا للوصف الذي أورده "بندار" وكتاب
التراجيديا، فقد قُتل أجاممنون على يد زوجته وحدها في الحمام، بأن
ألقت عليه بطانية من القماش أو شبكة لتمنعه من المقاومة. وقد
قُتلت أيضًا كاساندر، محظية أجاممنون. وبعد قتل أجاممنون، قامت -
مع أيجيسثوس - بحكم مملكة أجاممنون. وقام بالانتقام منهما -
بالقتل أيضًا - أورديست ابن أجاممنون بتشجيع من شقيقته إليكترا.

[المترجم]

(مرة أخرى، من أعلى السُّلَم الحجري، المُعْطَى كُلَّهُ بسجَّادٍ أرجواني، يُجَيِّ القائدُ العسكري، بحركة قلق تقريباً، الحشد الذي يصيح. في ضوء شمس الشتاء الصافي، تُسمع طبولٌ في الميدان البعيد في الأسفل، مع صخب سنابك الأحصنة، ورفرفة الأعلام وصيحات العبيد الذين يُنزلون الغنائم من المركبات. في الأروقة، يظل الحراس وحدهم بلا حراك، كأنهم ينتمون إلى عالم آخر. تموج رائحةٌ لاذعة من الأكاليل المهروسة في الهواء. وكثيراً ما تبرز الصيحات النبوية العالية لامرأة هاذية ترقد على كومة أسفل السُّلَم وَسَطَ التصفيق والهدير العام- صيحاتٌ بلا تفسير، بلغة أجنبية. انسحب القائد العسكري وزوجته. مرّاً خلال الرواق الطويل. عبرا القاعة حيث أُعدت المائدة للإفطار. يخلع ملابسها العسكرية. يضع خوذته الضخمة ذات الخصلة من ذيل الحصان على الخزانة، أمام المرأة. فتعكس المرأة الخوذة، وكأنهما جمجمتان من معدن فارغتان، ومشوهران تحافظ كل منهما على صحبة الأخرى. يمشي متراخياً إلى أريكة. يغمض عينيه. في الخارج، لا يزال ممكناً سماع تصفيق الحشد وصيحات المرأة الأجنبية. يغطي أذنيه بكفّي يديه. وزوجته، الجميلة، الصارمة، المهيبة، تنحني بتواضع لا يتوافق مع سلوكها، لتربط صندله. يضع يده اليسرى على شعرها، حريصاً على

ألا يفسد تسربحتها الجميلة. تنسحب بعيداً. تقف منتصبه، عن
بعد قليل. تبدو ابتسامته بعيدة، مرهقة. يتكلم إليها. لا تدري ما
إذا كانت تنصت).

اطلبي منهم الهدوء ، أرجوك . لِمَاذَا لَا يَزَالُونَ يَصِيحُونَ؟
لِمَاذَا يُصَفِّقُونَ؟ مَا الَّذِي يَبْتَهِجُونَ لَهُ؟ أَوْ رُبَّمَا يَجْلَادِيهِمْ؟ بِمَوَاتِهِمْ؟
أَوْ لِيَتَأَكَّدُوا أَنَّ لَدَيْهِمْ كُفُوفًا وَيُمْكِنُ أَنْ يُصَفِّقُوا بِهَا ،
أَنَّ لَهُمْ أَصْوَاتًا وَيُمْكِنُ أَنْ يَصِيحُوا لِيَسْمَعُوا أَصْوَاتَهُمْ؟

فَلتَدْفَعِيهِمْ إِلَى الْهُدُوءِ . انظري ، نَمَلَةٌ تَهْبِطُ الْحَائِطَ -
كَمْ تَمَشِي بِثِقَةٍ وَبَسَاطَةٍ عَلَى هَذَا الْعُمُودِي ،
بِلَا شُبْهَةِ غَطْرَسَةٍ ، كَأَنَّهَا تُؤَدِّي عَمَلًا مَا - رُبَّمَا لِأَنَّهَا وَجِيدَةٌ ،
رُبَّمَا لِأَنَّهَا بِلَا أَهَمِّيَّةٍ ، بِلَا وَزْنٍ ، بِلَا وُجُودٍ تَقْرِيبيًا؛ - إِنَّنِي أَحْسِدُهَا .

فَلتَدْعِيهَا وَجِيدَةً ؛ لَا تَطْرُدِيهَا ؛ إِنَّهَا تَصْعَدُ الْمَائِدَةَ ؛ تَأْخُذُ كِسْرَةَ ؛
حُمُولَتُهَا أَكْبَرُ مِنْهَا ؛ - انظري إِلَيْهَا ، - ذَلِكَ صَاحِبِ ،
الْعِبَاءِ الَّذِي نَحْمِلُهُ أَكْبَرُ دَائِمًا مِنَّا .

لَنْ يَهْدُوا أَبَدًا . وَالتَّيْرَانُ فِي الْمَدَابِحِ - هَذَا الدُّخَانُ
وَرَائِحَةُ الشُّوَاءِ ؛ - دُورُ الْبَحْرِ ، - لَا ، لَيْسَ أَبَدًا مِنْ عَوَاصِفِ الْبَحْرِ -
شَيْءٌ مَا مَرِيرٌ فِي الْقَمِّ ، خَوْفٌ

في الأناجيل ، على الجلد ؛ مثل تلك المرة ذات ليلة خلال الصيف
حين أوقظت من النوم - كان شيء ما دبق يزحف على كل جسدي ؛
لم أستطع العثور على الثقب ؛ تحببت ؛ أشعلت الثور الوامض ؛
على الحيمة ، على الأرض ، على الملاءات ، على الدرع ، على خوذتي ،
آلاف اليرقات ؛ بقدمي الحافيتين خطوت عليها ؛ ذهبت إلى الخارج -
كان نمة ضوء قمر واهن ،

جنود غراء كانوا يمثلون الحرب ، يضحكون ، يمزحون
بهذه الزواحف المقرزة - كان الجنود أنفسهم قبيحين ؛ وأيورهم
محتاجة كاليرقات . ارتميت في البحر ؛ لم تغسلني المياه ؛
جرجر القمر نفسه على امتداد خذي الأيسر كالمخاط ، أيضا ،
أصفر ، أصفر ، كئيفا . والآن تلك الهتافات -

حمام ساخن جاهز لي ، ساخن جدا ؛- هل أعددتيه حقا ؟
بأوراق الآيس والمشملة ؟ أتذكر أريجها ،
منشط ، مقو - يصفى الدهن ؛ كأنك التقطت الرائحة ذات مرة أخرى
في الطفولة ، مع الأشجار ، مع الأنهار ، مع الجداجد . وبناتنا
بدون لي ككائنات ضالة ؛- ألا حظت ؟- إحداهن
أمسكت بذقني خلال لحيتي كأنها عمياء . لقد فعلت خيرا
بإرسالهن بعيدا إلى غرفهن - لم أستطع احتمال رؤيتهن .
أما الغنائم ، فلتحتفظي بها جميعا أو اقتسميها - لا أريد شيئا .
أما تلك المرأة التي تنبئ في السلم ، فلتجعلها خادمة لك

أَوْ مُرِّيَّةً لَابِنْنَا (- أَيْنَ هُوَ ، حَقًّا ؟- إِيَّانِي لَمْ أَرَهُ) - وَلَيْسَتْ لِإِعْدَادِ
سَرِيرِي ، لَا ،

الآن أنا بحاجة إلى سرير فارغ تمامًا لأغوص فيه ، لأفقد نفسي ، لأكون ،
لأنام بلا مراقبة على الأقل ، ألا أبالي
بما إذا كان وجهي صارمًا كما ينبغي أن يكون ،
أو أن عضلات بطني وذراعي قد ارتخت . الآن
ليس سوى ذاكرة الحب هي ما تعمل بصورة شهوانية ، ملغية
ذلك اللا تناسب الكبير (وهو ما ليس موضع إطرء) بين
ذبول الجسد وعناد الشهوة .

وَحَقًّا ، أَتْرُكُ سَرِيرَنَا لَكَ . لَا أُرِيدُ أَبَدًا
أَنْ أَشْهَدَ التَّغْيِيرَاتِ الَّتِي يُحْدِثُهَا الزَّمَنُ فِي قَوَائِمِكَ الْجَمِيلِ ،
فِي فَخْذَيْكَ وَتَدْيِيكَ . لَا كَرَاهِيَّةً عِنْدِي لِأَنَّ أَقْتَاتِ
مِنْ مِثْلِ هَذَا الْعَرَضِ . عَلَى الْعَكْسِ ، حَتَّى الْآنَ ، أُوَدُّ
(مِنْ أَجْلِي ، لَا مِنْ أَجْلِكَ) أَنْ يَظَلَّ
قَوَائِمُكَ الشَّهْوَانِيُّ بِلا مَسَاسٍ ، فِيمَا وَرَاءَ الزَّمَنِ ، كَتِمْتَالٍ جَمِيلِ
يَحْتَفِظُ بِطَرِيقَةٍ مَا بَالِقِ وَرُوعَةٍ شَبَابِي .

لَا أُرِيدُ سِوَى تِلْكَ الْمِنْفِضَةِ ذَاتِ الْقَاعِدَةِ الْمَنْحُوَّةِ ثَلَاثِيَّةِ الْقَوَائِمِ (إِنْ
كَانَتْ لَا تَزَالُ قَرِيبَةً) ،
حَيْثُ أَتْرُكُ أَحْيَانًا ، فِي اللَّيْلِ ، سِيَّجَارَتِي وَحَدَهَا لِتَحْتَرِقَ

كَمِدْخَنَةٍ بَعِيدَةٍ عَلَى إِيْثَاكَ بِالِغَةِ الصَّغَرِ ، أَوْ
كَنْجَمَةٍ خَاصَّةٍ تَمَامًا بِي ، وَأَنْتِ نَائِمَةٌ بِجَوَارِي .

احْتَفِظِي بِالْبَاقِي ؛ حَتَّى الصَّوْلِحَانِ الثَّقِيلِ المُرْصَعِ بِالمَاسِ -
هُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ - لَا أَحْتَاجُهُ ؛ - فَهُوَ غَيْرُ مُحْتَمَلٍ . أَحْسُ اليَوْمِ
بِالْعَضْبِ مِنْ أَخِيل ؛ لَا يَسَبِّبُ النِّزَاعَ بَيْنَنَا أَبَدًا - بَلْ كَانَ التَّعَبُ ،
تَعَبُ نُبُوِي ، تَعَبُ يُسَاوِي بَيْنَ النَّصْرِ وَالْهَزِيمَةِ ،
بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ . وَحِيدًا تَمَامًا عَلَى الشَّاطِئِ فِي الْأَسْفَلِ ،
مَعَ رَفِيقِهِ الكَلْبِ الْأَسْوَدِ الَّذِي أَلْصَقَ نَفْسَهُ بِهِ بِلَا تَفْسِيرٍ
ذَاتِ مَسَاءٍ خَرِيفِي بِقَمَرٍ مُكْتَمِلٍ (هَكَذَا يَقُولُونَ) [٢] .

رُبَّمَا كَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ الحُضُورِ الكَثِيبِ
ذَلِكَ الَّذِي لَا يَسْأَلُ ، لَا يَرْفُضُ ، لَكِنَّهُ دَائِمًا يُصَدِّقُ وَيُوَافِقُ
بِهَرٍّ ذَيْلِهِ ، بِعَمْرَةٍ مِنْ عَيْنَيْهِ ،
أَوْ أَحْيَانًا يَوْضِعُ خَطْمَهُ فِي عِرْقَانِ
عَلَى صَنْدَلِ سَيِّدِهِ ، بِالانتِظَارِ بِنَفْسِ السَّعَادَةِ
لِلْفَتَةِ تَافِهَةٍ أَوْ سِبَابٍ ؛ وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى ، بِاللُّهَاتِ ، لَا يَفْعَلُ المُطَارَدَةَ ،
بَلْ مِنَ الإِخْلَاصِ ، مُدَلِّيًا لِسَانَهُ
كَأَنَّهُ يَحْمِلُ بَيْنَ أَسْنَانِهِ قِطْعَةً دَامِيَةً مِنْ رُوحِهِ
وَيُرِيدُ أَنْ يَهَبَهَا . هَذَا الإِخْلَاصُ بِلَا حُدُودٍ ، أَتَخَيَّلُ ،

[٢] المقصود: باتروكلوس، رفيق أخيل.

يُمْكِنُ أَنْ يُنْقِذَ إِنْسَانًا أَوْ حَتَّىٰ إِلَهًا . كَانَ بَاتِرُوكْلُوسَ غَيُورًا ؛

وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ فِي حَثِّ أَخِيلِ عَلَى الْعَوْدَةِ إِلَى الْمَعْرَكَةِ
وَرُبَّمَا كَانَ السَّبَبُ فِي قَتْلِهِ . كَمَ مِنَ الدَّمَاءِ أُهْرِقَتْ -
لَمْ أَعْرِفْ أَبَدًا السَّبَبَ - لَا أُدْرِي ؛ - كَانَ ثَمَّةَ أَوْقَاتٍ لَمْ أُجْرُ فِيهَا
عَلَى لَمْسِ الْخُبْزِ - كَانَ الْخُبْزُ أَحْمَرَ . وَذَلِكَ الْكَلْبُ
كَانَ يَهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَجِدًّا عَلَى الشَّاطِئِ حِينَ قُتِلَ أَخِيلُ ،
يَنْظُرُ إِلَى السُّفْنِ ، وَالغُيُومِ ، يَتَشَمَّمُ الصُّخُورَ
حَيْثُ حَطَّتْ قَدَمَا سَيِّدِهِ ، يَتَشَمَّمُ مَلَأَيْسَهُ فِي الْحَيْمَةِ ،
يَأْكُلُ ، يَجُوعُ - فَمَنْ الَّذِي سَيْرَعَاهُ ؟ - اتَّخَذَ الطَّرِيقَ ،
مُتَخَبِّطًا فِي أَقْدَامِنَا ؛ الْكَثِيرُونَ مِنَّا رَكَّلُوهُ ؛ جَلَسَ
وَرَأَى الْجُنُودَ فِي سَاعَةِ غَدَائِهِ ؛ لَمْ يَتَذَمَّرَ .

ذَاتَ يَوْمٍ ، رَمَى أَحَدُهُمْ عَظْمَةً لَهُ ؛ لَمْ يَأْكُلَهَا ؛
قَبِضَ عَلَيْهَا بِأَسْنَانِهِ وَاخْتَفَى . بَعْدَ مُدَّةٍ لَيْسَتْ طَوِيلَةً ، وَجَدُوهُ
عِنْدَ قَبْرِ أَخِيلِ ، - تَرَكَ الْعَظْمَةَ هُنَاكَ
كَقُرْبَانٍ صَغِيرٍ ؛ كَانَ يَبْكِي بِدُمُوعٍ كَبِيرَةٍ ،
رُبَّمَا لِأَنَّهُ فَقَدَ سَيِّدَهُ ، أَوْ رُبَّمَا كَانَ يَشْعُرُ بِالْحِزْبِ مِنَ جُوعِهِ .
فِيمَا بَعْدَ ، أَخَذَ الْعَظْمَةَ مِنْ جَدِيدٍ ، وَاخْتَبَأَ خَلْفَ الصُّخُورِ
وَبَدَأَ فِي الْقَضْمِ . وَعَلَى طُولِ الْقَضْمِ كُنَّا نَسْمَعُ
انْتِحَابَهُ ، - يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ تَأْوُهُاتِ الْجُوعِ الْأَبَدِيِّ .

كَمْ هُمَا غَرِيبَتَانِ عَيْنَاكِ ؛ وَصَوْتُكَ كَانَ غَرِيبًا ، عِنْدَمَا قُلْتِ :
 "أَيُّهَا الْخَدَمُ ، لِمَذَا تَقْفُونَ هُنَا هَكَذَا ؟ لَقَدْ نَسَيْتُمْ تَعْلِيمَاتِي ، إِذَنْ ؟
 أَخْبَرْتُكُمْ بِفَرِشِ السَّجَاجِيدِ مِنَ الْمَرْكَبَةِ إِلَى الْمَنْزِلِ ، وَأَنْ تُحَوَّلُوا الطَّرِيقَ
 إِلَى أَحْمَرَ تَمَامًا لِيَمُرَّ سَيِّدِي " . فِي صَوْتِكَ
 كَانَ يَنْسَابُ نَهْرٌ عَمِيقٌ ، وَأَحْسَسْتُ أَنِّي أَطْفُو فِيهِ . عِنْدَمَا خَطَوْتُ
 عَلَى السَّجَاجِيدِ الْأَرْجَوَانِيَّةِ ، التَوْتُ رُكْبَتَايَ . اسْتَدْرْتُ
 وَرَأَيْتُ الْأَثَرَ التُّرَابِيَّ لِصَنْدَلِي عَلَى الْأَرْجَوَانِ الْعَظِيمِ
 كَقِطْعِ فِلْدِينِ الصِّيَادِينَ الطَّافِيَّةِ
 فَوْقَ الشَّبَكَةِ الْخَفِيَّةِ ، الْمَغْمُورَةِ . أَمَامِي ، رَأَيْتُ الْخَدَمَ
 يَفْرِشُونَ الْمَزِيدَ مِنَ السَّجَادِ الْأَحْمَرِ ، كَأَنَّهُمْ يَدْفَعُونَ
 عَجَلَاتِ الْقَدْرِ الْحَمْرَاءَ . انْسَابَتْ رِعْدَةٌ
 فِي عَمُودِي الْفِقْرِيِّ . ذَلِكَ هُوَ سَبَبُ طَلْبِي مِنْكَ
 أَنْ تُعِدِّي لِي حَمَامًا سَاخِنًا . هَذِهِ الرَّعْدَةُ - الرُّجَاجِيَّةُ ، الرُّجَاجِيَّةُ - تَعْرِيفِينَ ،
 فَلَا أَحَدَ يُرِيدُ الْمَوْتَ ، مَهْمَا كَانَ مُرْهَقًا .

هَذَا التَّعَبُ هُوَ مَكَانِي الْآنَ ، هُوَ كِيَانِي ؛ كَأَنِّي كُنْتُ أَتَسَلَّقُ عَالِيًا
 بِلَا مَجْهُودٍ ، تَقْرِيْبًا بِلَا اسْتِخْدَامٍ لِقَدَمِي ، الْجَبَلَ ذَا الزُّرْقَةِ السَّمَاوِيَّةِ
 حَيْثُ سَأَحْدُقُ (أَرَاهَا بِالْفِعْلِ) فِي
 التَّلَالِ ، وَالْمُرُوجِ ، وَالْمُدُنِ فِي الْأَسْفَلِ هُنَاكَ - دُخَانٌ طَفِيفٌ يَتَحَوَّلُ إِلَى
 الدَّهْيِيِّ فِي الشَّمْسِ - الْمَوَانِي
 وَقَوَارِبُ عَوْدَتِنَا الْمَرِيرَةِ فِي الشَّاطِئِ الْمَهْجُورِ

شِبْهِ الدَّائِرَةِ - قَوَارِبُ بَيْضَاءُ ، بَعِيدَةٌ ، صَغِيرَةٌ
كَقَلَامَاتِ أَظْفَارِ أَطْفَالٍ - مِثْلَ أَظْفَارِ أُخْتِنَا الأُخْرَى - أَتَذْكُرِينَ ؟ -
كُنْتِ تُقْلَمِينَهَا لَهَا عِنْدَ بَابِ الحَمَّامِ ؛ - وَلَمْ تَكُنِ تُرِيدُ ذَلِكَ ؛ فَكَانَتْ
تُبْكِي ؛ - مُنْذُ أَعْوَامِ بَعِيدَةٍ .

كَيْفَ تَرَكَنَا الزَّمَانَ يَنْزَلِقُ بَعِيدًا ، مُحَاوِلِينَ بِبِلَاهَةِ تَأْمِينِ مَكَانَةٍ
فِي عُيُونِ الأَخْرِينَ . مَا مِنْ لِحْظَةٍ
وَاحِدَةٍ لَأَنْفُسِنَا ، فِي مِثْلِ تِلْكَ الأَوْقَاتِ الصَّيْفِيَّةِ الفَسِيحَةِ ، لِنَرَى
ظِلَّ طَائِرٍ عَلَى حُقُولِ القَمْحِ - قَارِبًا صَغِيرًا بِمَجَازِيفِ ثَلَاثَةِ
فِي بَحْرِ ذَهَبِيٍّ تَمَامًا ؛ كَانَ بِمَقْدُورِنَا الإِبْحَارُ هُنَاكَ
مِنْ أَجْلِ مُكَافَأَتِ مُجْزِيَةٍ ، وَمَزِيدٍ مِنَ الغَزَوَاتِ المَجِيدَةِ . لَكِنَّا لَمْ نُبْجِر .

مِنْ وَقْتِ لآخر ، أَعْتَقِدُ أَنَّ رَجُلًا مَيِّتًا أَرَى بِهَدُوءٍ
وُجُودِي الحَمِيمِ ؛ بِعَيْنَيْهِ الخَاوِئَتَيْنِ ، يَتَّبَعُ
حَرَكَاتِي ، وَإِيمَاءَاتِي ؛ - تَمَامًا مِثْلَمَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الشَّتَائِيَّةِ
فِي الأَسْفَلِ هُنَاكَ ، خَارِجَ الجُدْرَانِ ، فِي ضَوْءِ قَمَرٍ بَارِدٍ فَوْقَ الوَصْفِ
حِينَ بَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ رُخَامِيًّا ، مُجْبُولًا مِنْ قَمَرٍ وَمَاءٍ كِلْسِي .

شَهِدْتُ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلِي بِانْفِصَالِ شَخِصِ خَالِدٍ
بِالْكَادِ يَحْتَسِي المَوْتَ أَوْ يُقْلِقُ نَفْسَهُ بِمُخْلُودِهِ . حَقًّا ،
كَمِيَّتٍ وَسِيمٍ يَتَمَشَّى فِي الضَّوِّءِ الأَبْيَضِ لِلَّيْلِ وَيَنْظُرُ

إلى التُّقُوشِ الجَبِسيَّةِ عَلَى المَنَازِلِ . فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالدَّاتِ ،
صَفَرَ سَهْمٌ بِجَوَارِ أُذُنِي ، وَانغَرَسَ فِي الجِدَارِ وَتَدَبَّدَبَ
كَوْتَرٍ وَحِيدٍ فِي آلَةٍ مَجْهُولَةٍ ، كَعَصَبٍ
فِي جَسَدِ الفِرَاعِ ، يَرِنُ بِبَهْجَةٍ غَيْرِ مُدْرَكَةٍ .

كَذَلِكَ تَمَامًا ، أحيانًا ، كَانَ يَسْتَوْقِفُنَا شَيْءٌ مَا ، هُنَاكَ - لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَا
كَانَ يَجْرِي -

انْعِكَاسٌ مِنَ شُرُوقِ الشَّمْسِ عَلَى سَيْفٍ ، صُورَةُ المِرَاةِ المُصَغَّرَةِ
لِغَيْمَةٍ سَاكِنَةٍ عَلَى خُوذَةٍ ،
لِعَادَةِ بَاترُوكُلُوسِ لَمَسِ طَرَفِ أُذُنِهِ
بِإِصْبَعِيهِ وَقَتَّمَا يَكُونُ هَادِتًا وَيُغْرِقُ نَفْسَهُ فِي حُلْمٍ يَقَظَةٌ
شَبَقِيٍّ ، وَحِيدًا . ذَاتَ يَوْمٍ ، أَخَذَ أَخِيلُ يَدَهُ ، نَظَرَ
إِلَى أَصَابِعِهِ كَعَرَافٍ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أُذُنِهِ . "الْحَرِيفُ قَادِمٌ" ، قَالَ ؛
"سَيَكُونُ عَلَيْنَا مُحْسِنٌ قُوَانَا" . وَذَلِكَ "التَّحْسِينُ"
كَانَتْ لَهُ عِلَاقَةٌ غَرِيبَةٌ بِالحَرَكَةِ الوَسِيمَةِ لِبَاترُوكُلُوسِ .

أَتَيْدُ خَرَجَ بَاترُوكُلُوسِ مِنَ الحَيْمَةِ ، ذَهَبَ إِلَى حِصَانِي صَدِيقِهِ ،
"قَالِيُو" وَ"زَانْتُو" ، وَقَفَ بَيْنَهُمَا ، وَمَرَّرَ كِلَا ذِرَاعِيهِ
حَوْلَ رَقَبَتَيْهِمَا الرَّهيفَتَيْنِ ، وَهَكَذَا وَقَفَ ثَلَاثَتُهُمْ ،
سَاكِنِينَ تَمَامًا ، وَجْهًا لِوَجْهِ ، يُشَاهِدُونَ الغُرُوبَ . أَظُنُّ أَنِّي رَأَيْتُ
هَذِهِ الصُّورَةَ كَحْفَرِ بَارِيزِ عَلَى قَوْصَرَةٍ مَا ، وَفَجَاءَتْ أَدْرَكْتُ

كَيْفَ يُمَكِّنُ التَّضْحِيَّةُ بِشَخِصٍ مَا مِنْ أَجْلِ رِيحٍ مُوَاتِيَّةٍ نَوْعًا مَا .

شَيْئًا فَشَيْئًا ، تَعَرَّى كُلُّ شَيْءٍ وَأَصْبَحَ هَادِيًا ، شِبْهَ زُجَاجِي ؛

الْجُدْرَانُ ، الْأَبْوَابُ ، شَعْرُكَ ، يَدَاكَ -

شَفَافِيَّةٌ زُجَاجِيَّةٌ ، رَهِيْفَةٌ - لَا تُعَكِّرُهَا وَلَا حَتَّى أَنْفَاسُ الْمَوْتِ ؛ وَيُمْكِنُ

تَمْيِيزُ

الْعَدَمَ اللَّامِرِّيَّ وَرَاءَ الزُّجَاجِ - شَيْءٌ مَا كَلِّي ، فِي النَّهَآيَةِ -

تِلْكَ الْوِحْدَةُ الْأَصْلِيَّةُ ، الْمَنِيْعَةُ ، كَعَدَمِ الْوُجُودِ .

قَبْلَ أَنْ أَضْعَ يَدِي عَلَى مِقْبِضِ الْبَابِ ، قَبْلَ أَنْ أَفْتَحَ الْبَابَ ،

قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ الْقَاعَةَ ، رَأَيْتُ فِعْلًا الْفِرَاشَ وَالْمَقَاعِدَ

وَالْمِرَاةَ الَّتِي تَعَكِسُ الْحَائِظَ الْمُقَابِلَ مَعَ لَوْحَةٍ

إِحْدَى الْمَعَارِكِ الْبَحْرِيَّةِ الْقَدِيْمَةِ . قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ الْحَمَّامَ

أَرَى أَوْرَاقَ الْآيسِ طَافِيَّةً عَلَى الْمَاءِ وَالْوُجُوهَ الْمُنْتَفِخَةَ

لِلْبُخَارِ الْمُتَصَاعِدِ إِلَى السَّقْفِ ، الْمُحْتَشِدَةَ أَمَامَ ضَوْءِ السَّمَاءِ .

عَلَى نَحْوِ مَا ، يُمَكِّنُنِي أَنْ أَرَى حَتَّى سَاعَةَ مَوْتِي .

فَلْتَغْفِرِي هَذِهِ الرُّؤْيَا ، ذَلِكَ الْاعْتِرَافَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ -

إِنَّهَا طَرِيقَةٌ لِجَعْلِكَ كُلِّكَ تَرِيْنِي ، لِيُمْكِنَ لَنَا أَنْ نَتَسَاوَى فِي الْقُوَّةِ - كَمَا

نَحْنُ الْآنَ فِعْلًا -

كُلُّنَا عَزَلٌ ، بِمَعْنَى آخَرَ . وَمَعَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي أَسْأَلُ نَفْسِي مِنْ جَدِيدٍ

مَا الَّذِي يُمَكِّنُ لِي أَنْ أَجْنِيهِ ، أَوْ أَتَفَادَاهُ ، أَوْ أَخْفِيهِ
بِاعْتِرَافِي هَذَا ؛ - أَيُّ قِنَاعٍ جَدِيدٍ مُحْتَمَلٍ
مِنْ زُجَاجٍ لَا يَنْكَسِرُ عَلَى وَجْهِهِ الزُّجَاجِيِّ ، الْهَشِّ -
قِنَاعٌ كَبِيرٌ ، أَجَوْفٌ ، كَامِتِدَادٍ لِمَلَامِحِي ، لِتَعْبِيرِي ،
مُعَلَّقٌ عَالِيًا ، أَمَامَ الْقُصُورِ ، عَلَى إِفْرِيزِ الْبَوَابَاتِ ،
شِعَارَ نَبَالَتِي الشَّخْصِي ، بِلَا عِلَاقَةٍ بِالسَّلَالَةِ الْحَاكِمَةِ . أحيانًا مَا أَعْتَقِدُ
أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَمْ يَحْدُثْ إِلَّا لِأَنَّكَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ
أَوْ ، بِالْأَحْرَى ، رُبَّمَا لِيُمَكِّنِي اكْتِشَافَ بَطْلَانِهِ الْأَبَدِيِّ .

وَقْتُ أَثِيرٍ - أَحْتَفِي بِهِ . أَنْظِرْ إِلَى يَدِي -
إِنَّهَا لَيْسَتْ لِلسَّيْفِ أَوْ الْمُدَاعَبَةِ ؛ - مَوْهُوبَةٌ ، فَحَسَبِ
- مَوْهُوبَةٌ أَيْنَ ؟ - لِأَوْتَارٍ مَا لَا مَرْتِيَّةَ ، كَيْدِ
الْمُنْشِدِ عَلَى الْقِيَارَةِ - وَإِذَا مَا أَمْسَكَتَ بِيَدِهِ
لِلْحِظَّةِ فَحَسَبِ ، فَسَتَتَوَقَّفُ الْمَوْسِيقَى ، مُرْتَبِكَةً ، - وَالصَّوْتُ
نِصْفُ الْمُكْتَمِلِ لَا يَصْفَحُ عَنِ الْآخِرِ ؛ كَخَاتَمِ
فِضِّيِّ مُعَلَّقٍ يُخَيِّطُ فِي الْهَوَاءِ ، يَضْرِبُ كَتِفَكَ بِلَا تَفْسِيرِ .

يَسْقُطُ الْآخَرُونَ - شُبَّانُ شُجْعَانٍ حَقًّا (لَكِنْ مَنْ يَدْرِي
كَمْ مِنَ الْمَرَارَةِ ، كَمْ مِنَ الْخَوْفِ حَتَّى أَحْسُوا بِهِ) . لَا أَحْسِدُ مِيتَاتِهِمْ .
وَإِذَا مَا امْتَدَحْتُ بُطُولَتَهُمْ ، فَذَلِكَ لِأَخْفِي
عِرْقَانِي السَّرِّيِّ بِأَنِّي عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ - لَسْتُ بَطْلًا أَبَدًا .

ها أنذا هنا ، إذن ، ولم أمنحك حتى تلك المتعة - مجد القاب كثيرة ،
كما يُسمونها ،
التي ربّما حوّلت ، للأسف !
عقدنا الصّامت الخالص إلى صياغة عاصفة وكاذبة ،
إلى آلاف حالات القتل ، سواء العلنية أو المخفية ، آلاف الأخطاء
والقُبور .

يُمكنني الحياة بدون هذه البطولية ؛ - ثمة شخص ما آخر ،
يومي لي الآن ، بصورة خفية ، بلا صوت . ذات مرة ، في الغسق ،
رأيت ورقة الشجر الذهبية الأخيرة على شجرة سوداء تمامًا
وكانت الكيف العارية لعداء وسيم ، هادي ،
رفع - منحنيًا - عبتنا جميعًا ، لينزلة برفق إلى الأرض . في تلك اللحظة
جعل جوع جديد ، شهية أخرى ، ريق يجرى
ومن أركان فمي أحسستُ
باللبن المهدي ، العذب للعرقان ينساب . بلا إرادة ،
رفعت يدي إلى البقعة لأمسحه ،
قبل أن أفصح نفسي ، قبل أن يُمكن لرجالي أن يروا طفولتي الثانية ،
رضاعتي الجديدة للحلمة الأولى للخلق .
أتبيد كان لهم أن يدركوا كم أنني قوي ، كم أنني عاجز -

شَيْءٌ مُثِيرٌ فِي الْحَالَتَيْنِ . وَذَاتَ أَصِيلٍ مُتَأَخَّرٍ كُنْتُ أَتَمَشَّى عَلَى امْتِدَادِ
الشَّاطِئِ ؛

بَحْرٌ ذَهَبِيٌّ هَادِيٌّ ؛ وَرِدْيِي اللَّوْنُ ؛ وَمَضَّ مَجْذَافٌ مَا . عَلَى صَخْرَةٍ ضَخْمَةٍ
وَنَشَرُوا شِرَاعًا كَبِيرًا أَحْمَرَ . مِنْ الْمُحَيِّمِ ، فِي الْأَعَالِي ،
بَلَّغْتَنِي أُغْنِيَّةً حَزِينَةً ، مَعزُولَةً ،
دَافِنَةً وَمَشْحُونَةً بِالْعَاطِفَةِ كَثُوبٍ خَلَعَهُ فِي التَّوَجَسُدِ رَائِعٍ -
أُغْنِيَّةُ حَرْبٍ . كُنْتُ مُمَسِّكًا بِهَا فِي يَدَيَّ وَأَنَا أَتَمَشَّى
فِي بُرُودَةِ الْمَسَاءِ ، قُرْبَ السُّفْنِ . وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ،
رَاحِحَةٌ تُشْبِهُ الذَّرَّةَ الْمَشْوِيَّةَ وَالطَّحَالِبَ .
لَا بُدَّ أَنْ مَاءٌ مَغْلِيًّا قَدْ سَقَطَ عَلَى قِطْعَةٍ خَشَبٍ تَحْتَرِقُ . خَارِجَ الْحِيَامِ ،
نِيرَانٌ كَبِيرٌ أُشْعِلَتْ لِطَعَامِ الْمَسَاءِ .

بَدَا الْمَوْتُ بِأَلِغِ السُّهُولَةِ . تَذَكَّرْتُ فِيلِيمُونَ الْهَادِيَّ ؛ فَذَاتَ لَيْلَةٍ ،
حِينَ كَانَ جَمِيعُ الْمَخْمُورِينَ يُثْرَثِرُونَ فِي الْحَيْمَةِ وَيَهْذِرُونَ
عَنِ الْأَلْعَابِ ، وَالنِّسَاءِ ، وَالْأَحْصِنَةِ ، اسْتَنَارَ أَنْتِيلُوْخُوسُ
سَكِينَةً فِيلِيمُونَ وَرَصَانَتَهُ بِحُبِّهِ . أَمَّا فِيلِيمُونَ فَقَالَ : "إِنِّي أُعِدُّ نَفْسِي ؛
لَا أَكْثَرُ ؛

وَبَقِيَ هَكَذَا ، مَحْنِيًّا ، بِلَا شُرْبٍ ، وَمِرْفَقَاهُ عَلَى الْمَائِدَةِ ،
مُحْتَمِلًا بَوَاجِهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَرَاءَ أَصَابِعِهِ
وَمَضَتْ بِسْمَةٍ غَرِيبَةٍ ، "إِنِّي أُعِدُّ نَفْسِي" . عِنْدَ الشُّرُوقِ ،
غَادَرَ أَنْتِيلُوْخُوسُ الْحَيْمَةَ ، اسْتَدَارَ نَاحِيَةَ الشَّرْقِ ، وَتَلَا صَلَاتَهُ

إِلَى الشَّمْسِ بِرُوعَةٍ مُّمَثِّلٍ وَعُقُوقِي فِتِي .

لَسْتُ أُدْرِي كَيْفَ كَانَ لِي أَنْ أَتَذَكَّرَ كَلِمَاتِهِ الْأَخِيرَةَ . "أَيُّهَا الشَّمْسُ" ،
قَالَ ،

"أَنْتِ الَّتِي تَفْتَحِينَ بِإِصْبَعِكَ فَجْوَةً ذَهَبِيَّةً فِي الْجِدَارِ الْأَسْوَدِ
وَمِنْهَا يَنْطَلِقُ طَائِرَانٌ ، أَحَدُهُمَا أَحْمَرٌ ، وَالْآخَرُ أَزْرَقٌ -
الْأَحْمَرُ يُحِطُّ عَلَى رُكْبَتِي ، وَالْأَزْرَقُ عَلَى كَتِفِي -" . وَفِي الْحَقِيقَةِ ،
فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، انْطَلَقَ نَحْوَهُ طَائِرَانٌ كَبِيرَانٌ -
كَانَا غُرَابَيْنِ . وَلَمْ يَعُدْ هُوَ وَلَا فِيلِيمُونُ .
وَعَلَى جَرَّةٍ بَيْضَاءَ نَقَشْنَا طَائِرَيْنِ جَمِيلَيْنِ - الْأَحْمَرُ وَالْأَزْرَقُ .

أَه لَا بُدَّ أَنْ حَيَاتِنَا مَعًا سَتَكُونُ صَعْبَةً بِالتَّأَكِيدِ . فِي الصَّبَاحِ
سَأَعُودُ إِلَى (وَضِعِي - أَرْضِي - مَقَاطِعَتِي) . لَا تَهْتَمِّي بِذَلِكَ . أَعْرِفِ :
رُبَّمَا ذَاتَ يَوْمٍ سَيَغْفِرُونَ لَنَا كُلَّ شَيْءٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ
فَلَوْ عَرَفُوا أَنَّكَ تَرِينَهُمْ وَأَنَّكَ تَرِينَ نَفْسَكَ ،
فَلَا أَحَدٌ - لَا عَدُوٌّ وَلَا حَتَّى صَدِيقٌ - يُمَكِّنُ أَنْ يَغْفِرَ ذَلِكَ .
وَلَا يُمَكِّنُ لَكَ أَنْ تُخْفِي نَفْسَكَ ، أَيُّضًا : فَفِي مُنْتَصَفِ جَبِينِكَ تَكْمُنُ
تِلْكَ الْعَيْنُ الثَّلَاثَةُ

الَّتِي ، أَيًّا مَا كَانَ مَدَى خَفَائِهَا أَوْ إِغْمَاضِهَا ، تَسْمُكُ بِأَلْتِ
الْوَحْدَةِ وَالْفَرَادَةِ - الْعَطْرَسَةُ الْقُصُوصَى وَالْوَضَاعَةَ .

الأعوامُ تمضي . نحنُ راحلون . نسيخُ ؛- لا أنت . تعرفين ، عندما سقطت
المدينة ،

جلست هيلين لساعاتٍ بلا انقطاع أمامَ المرأةِ الكبيرةِ
التي دفعتهم للإتيانِ بها خصيصةً لها إلى السفينة ؛- امرأةٌ غريبةٌ :
كيوبيدانِ حبيشانِ ذهبيانِ ، منقوشانِ على جانبي الإطارِ ،
عارينِ ، بلا جعبتينِ ، بلا سهامِ ، ينظرانِ بشكِّ
إلى أيِّ شخصٍ ينظرُ في المرأةِ . حسناً إذن ،

فهيلين تُزيّنُ وجهها الآنَ وفقاً للنموذجِ المحفوظِ في الذاكرةِ - بل ربّما
بصورةٍ أجملِ

بالذاكرةِ ، والمعرفةِ والرغبةِ (والعنادِ أيضاً)
بالصبغةِ الغامضةِ - كيميائيةٍ كاملةٍ - بالأحمرِ ، والوردِيّ ، والبنفسجيّ ،
والفضّيّ ،

بالأسودِ الداكنِ حولَ عينيها الرماديتينِ ،
بمجرةِ الثوبِ الداكنةِ على شفّتيها التاعمتينِ ، الشهرانيتينِ .

إنّها تجعلُ فمها ، بالصبغةِ ، أكبرَ الآنَ ؛ كأنّها على وشكِ الصياحِ
بـ"لا" غيرِ مفهومةٍ من الشرفةِ ، أو تقبيلِ إلهٍ ما . لكن لا يهمُّ من
يكونُ ، فوجهها

لم يعد الوجهَ الذي خرجنا من أجله ، الوجهَ الذي قاتلنا من أجله ،
ونحنُ نبدُرُ البحرَ والسَّهْلَ بالحطامِ ، بالعجالاتِ والجماجمِ .

إِنَّهُ وَجْهٌ آخِرٌ فِعْلًا - رَبَّمَا يَنْتَمِي إِلَيْهَا أَكْثَرُ - آخِرٌ، عَلَى أَيْةِ حَالٍ .
إِنَّهَا، نَحَتْ اللَّمَسَاتِ الرَّهِيْفَةَ لِبَرَاعَتِهَا الْأَنْثَوِيَّةِ ،
كَأَنَّهَا تُنْخِفِي أَوْ تَتَأَهَّبُ بِمَرَارَةِ لِلْمَوْتِ . وَهِيَ تَعْرِفُ ذَلِكَ .

ذَاتَ يَوْمٍ ، فِي وَليْمَةِ الْاِنْتِصَارِ ، عِنْدَ الشَّاطِئِ فِي الْأَسْفَلِ ،
بَعْدَ أَنْ دَفَنَّا الْقَتْلَى ، وَمِنْ طَرْفٍ إِلَى آخِرِ كَانَتْ الْمَدِينَةَ
لَا تَزَالُ تَنْفُكُ الدُّخَانَ فِي عَسَقِي خَرِيْفِي هَادِي ،
صَاحَتْ هَيْلِينَ ، وَهِيَ تُمَسِكُ بِالْكَأْسِ إِلَى شَفَتَيْهَا :
"فَلْتَسْمَعُوا صَوْتَ قَلَائِدِي ؛ فَأَنَا مَيِّتَةٌ" -
وَمِنْ أَسْنَانِهَا سَقَطَ ضَوْءٌ أَبْيَضٌ صَافٍ ، وَفَجَاءَتْ
أَصْبَحَ كُلُّ شَيْءٍ رُخَامًا وَعِظَامًا . تَسَمَّرَتِ الْأَيْدِي وَالْأَصْوَاتُ فِي الْهَوَاءِ .

كُلُّ شَيْءٍ أَبْيَضٌ ، أَبْيَضٌ صَافٍ - حَتَّى الصَّوَارِي وَالْبَحْرُ ؛
هَوَى نَوْرَسٌ بِلَا صَوْتٍ ، كَأَنَّهُ ضُرِبَ بِسَهْمٍ لَا مَرِي ،
فِي مُنْتَصَفِ الْمَائِدَةِ ، قُرْبَ قَوَارِيرِ الْخَمْرِ .
أَخَذَتْهُ هَيْلِينَ فِي يَدَيْهَا ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ دُونَ أَنْ تَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ ،
بَلَّلَتْ إِصْبَعَهَا الْأَصْغَرَ بِدَمِهِ وَرَسَمَتْ
دَائِرَةً مُكْتَمِلَةً عَلَى مَفْرَشِ الْمَائِدَةِ - رَبَّمَا كَانَ صِيفْرًا ، رَبَّمَا أَيُّ شَيْءٍ . فِيمَا
بَعْدَ ،

وَهِيَ تَنْزِعُ بِحَرَكَةٍ فَاتِنَةٍ لَا تُصَدِّقُ حُصْلَةَ رِيشٍ
مِنْ صَدْرِ الطَّائِرِ وَتَضْحَكُ ، نَثَرَتْهَا فِي شَعْرِنَا . نَسِينَا .

لَمْ يَبْقَ سِوَى مَذَاقِ الْبَيَاضِ وَتِلْكَ الدَّائِرَةُ الْغَامِضَةُ .

أثناء عَوْدَتِنَا ، فِي بَحْرِ إِيْجِه ، لَيْلَةٌ عَاصِفَةٌ بَحْرِيَّةٌ هَائِلَةٌ ،
انكسرت الدَّفَقَةُ . آنذاك تمامًا أصبحتُ واعيًّا بِحُرِّيَّةِ مُرْعَبَةٍ
وَسَطِ هَذِهِ الْحَالَةِ بِلا اتِّجَاهٍ . كُنْتُ أبحثُ
فِي الظَّلَامِ بِرُؤْيِي ثَاقِبَةٍ بِصُورَةٍ لَا تُصَدِّقُ . اكتشفتُ طوقَ نَجَاةٍ مَرْمِيًّا فِي
الأمواجِ .

بَلْ كَانَ بِمَقْدُورِي تَمييزَ كَلِمَةٍ "لَاخِيسِيْس" [٢] فِي الصَّوِّءِ الْكَاثِبِ لِلْمَسَاعِلِ .

وَطُوقِ النَّجَاةِ هَذَا ، وَذَلِكَ الْإِسْمُ ، وَحَقِيقَةُ أَنِّي رَأَيْتُهُمْ
مَنْحُونِي قُوَّةً وَسَكِينَةً غَرِيبَتَيْنِ ؛ وَقُلْتُ لِتَفْسِي:
"لَوْ لَمْ يَتِمَّ إِنْقَاذُ سِوَى طُوقِ النَّجَاةِ هَذَا ، فَلَنْ يَكُونَ شَيْءٌ قَدْ ضَاعَ ."

فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ، أَصْبَحَ بَحْرُ إِيْجِه هَادِيًّا . رَأَيْتُ طُوقَ النَّجَاةِ يَطْفُو
وَسَطَ الْوِاجِ الْحَشْبِ الْمَكْسُورَةِ وَالْمَرْمِيَّةِ . التَّقَطُّتُهُ .
وَلَا يَزَالُ بِحُوزَتِي فِي حَقِيبَتِي ، كَطُوقِ نَجَاةٍ سِرِّي . إِنْ أَرَدتِ ،
يُمْكِنُكَ أَنْ تُعَلِّقِيهِ كَتِدْكَارٍ فِي غُرْفَةٍ مَا
أَوْ أَنْ تَتَخَلَّصِي مِنْهُ - فَلَمْ أَعُدْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ - إِنَّهُ يَقُولُ "لَاخِيسِيْس" .

[٢] لَأَخِيسِيْس: إحدى ربوات الأقدار الثلاث في الأساطير الإغريقية: كلوثو، لأخيسيس،
أتروبوس.

كُلُّ الْأَشْيَاءِ لَا تُصَدَّقُ ، خَادِعَةٌ ؛ - ذَلِكَ الْحِصَانُ الْحَشِي ، الْعَنِيدُ
أَمَامَ الْحَوَائِطِ ؛ بِعُيُونِهِ تِلْكَ الزُّجَاجِيَّةُ الصَّخْمَةُ الَّتِي تَعَكِسُ الْبَحْرَ -
حِصَانٌ مِنْ خَشَبٍ ، بِعَيْنَيْنِ زَرْقَاوَيْنِ بِالْحَيَاةِ . وَكَانَ لَكَ أَنْ تَطْنِي
أَنَّ الْبَحْرَ نَفْسَهُ كَانَ يُشَاهِدُ نَفْسَهُ بِعَيْنِي الْحِصَانِ ،
كَانَ يُشَاهِدُ فِي الرَّقْتِ نَفْسَهُ حَتَّى دَوَّخَلَ الْحِصَانِ ، فَاجْمَعَةَ السَّوَادِ ، الْجَوْفَاءِ ،
بِالْمُقَاتِلِينَ ، الْمُدَجِّجِينَ بِالسَّلَاحِ ، الْمَحْبُوسِينَ بِالذَّاخِلِ . عَلَى آيَةٍ حَالِ ،
فَقَدْ احْتَفَظْتُ

بِتِلْكَ الصُّورَةَ الزَّرْقَاءِ لِلْبَحْرِ ، اللَّانِيهَائِي ،
الرَّحِيمِ ، الْمُنْهَكِ . بِلَا شُبْهَةَ اسْتِيَاءٍ مِنَ الْقَدَرِ :
لَيْسَ سِوَى الْإِحْسَائِسِ بِقَانُونٍ غَيْرِ رَادِعٍ مَحَا
الْأَخْطَاءِ وَالذُّنُوبِ لِكُلِّ مِنَّا وَاحِدًا وَاحِدًا وَمَسْئُولِيَّتِنَا جَمِيعًا .
أَحْيَانًا مَا يُؤَدِّي بِكَ التَّعَبُ إِلَى الْحَدِيسِ بِمَا هُوَ خَالِدٌ - أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

فِي حَفْلِ شَرَابٍ ، هُنَاكَ فِي الْأَسْفَلِ ، خِلَالَ هُدْنَةٍ لِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ،
حِينَ كَانَ كُلُّ الْمَخْمُورِينَ (لَا مِنْ الْحَمْرِ بِقَدْرِ مَا هُوَ مِنَ الْمَوْتِ)
يُطِيحُونَ بِكُؤُوسِهِمْ إِلَى الصُّخُورِ ، بَدَا لِي كَأَنِّي أَرَى الْكُؤُوسَ الْمُهَشَّمَةَ
تَتَوَهَّجُ ، جَمِيعًا مَرَّةً أُخْرَى ، بِلَا أَيِّ خَدِيشٍ ، فِي صَفِّ مُسْتَقِيمٍ إِلَى حَوَافِّ
الْأُفُقِ

وَأَمِضَةٌ فِي لَهَيْبِ الْمَشَاعِلِ ؛ وَفِي النَّهَائِيَةِ الْقُصُوصِ
تَوَهَّجَ الْهَلَالُ - كَكُؤُوبِ فِضِّي ، يَنْفُثُ الْبُخَارَ فِي سَلَامٍ
مُتْرَعًا بِلَدْنِ فَاتِرِ .

وَأَنْثِيذِ رَمَى إِيُون ، ذُو الْعِشْرِينَ عَامًا ،
 رِدَاءَهُ ، عَارِيًا تَمَامًا كِإِلِهِ ، وَقَفَزَ عَلَى الْمَائِدَةِ ،
 رَكَلَ الْأَطْبَاقَ وَالْقَوَارِيرَ ، وَصَبَّ جَرَّةَ خَمْرٍ عَلَى شَعْرِهِ الْمُجَعَّدِ ،
 مُبَلِّلاً نَفْسَهُ مِنَ الرَّأْسِ إِلَى الْقَدَمِ ، وَكَانَ يَقْطُرُ ، كَانَ يَتَوَهَّجُ . " مَا يَسْتَعِصِي
 عَلَى التَّحْطِيمِ مَوْجُودٌ ،
 مَا يَسْتَعِصِي عَلَى التَّحْطِيمِ مَوْجُودٌ " ، صَاح . رَمَى بِكَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ - فَلَمْ
 تَنْكَسِرْ ؛

أَعَادُوهَا إِلَيْهِ ؛ صَوَّبَ إِلَى هِلْبٍ ؛ رَمَاهَا مِنْ جَدِيدٍ ؛
 مَرَّةً رَابِعَةً ، خَامِسَةً ، عَاشِرَةً ، - لَمْ تَنْكَسِرْ ؛ (رُبَّمَا صُنِعَتْ مِنْ
 مَادَّةٍ أُخْرَى - زَائِفَةٌ - مَنْ يَدْرِي ؟ أَوْ رُبَّمَا مَرَّةً أُخْرَى
 أَقْحَمْنَا سُكْرُنَا فِي مَا لَا يُمَكِّنُ تَحْقِيقَهُ) . وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِي
 قُتِلَ إِيُونٌ فِي مَعْرَكَةٍ . بَحَثْتُ عَنْ كَأْسِهِ فِي الْحَيْمَةِ ، فِي مِخْلَاتِهِ ؛
 بَحَثْتُ فِي كُلِّ مَكَانٍ . لَمْ أَجِدْهَا . لَكِنِّي أَتَذَكَّرُ كَلِمَاتِهِ .

لَا أَظُنُّ أَنَّكَ تُصْغِينِ ؛ - تَبْدِينِ كَأَنَّكَ مُتَعَجِّلَةٌ . لَكِنَّنَا ، بِالطَّبْعِ ، جَمِيعًا عَلَى
 عَجَلٍ

لَأَنْ يَتَوَقَّفَ شَخْصٌ مَا آخِرَ ، لِيُمْكِنَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ . وَكُلُّ مِنَّا
 لَا يَسْمَعُ سِوَى كَلِمَاتِهِ . فَمَا جَدَوَى الْكَلِمَاتِ ؟ وَحَدَهَا الْمَآثِرُ
 هِيَ الَّتِي تُرْصَدُ وَيُرْصَدُهَا الْآخَرُونَ - فَيَمَا أَنْتِ دَائِمًا مُجْهَدَةٌ .

هَلْ تَظُنِّينِ

أَنَّ الْمَاءَ الَّذِي أَحْضَرْتَهُ لِي أَصْبَحَ بَارِدًا ؟ لَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعِي :

فَيُمْكِنُنِي أَنْ أَرْحَلَ وَحْدِي - لَقَدْ اعْتَدْتُ عَلَى ذَلِكَ هُنَاكَ ؛ وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ
أَفْضَلَ .

وَأَيْضًا ، عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ ، أَظُنُّ أَنِّي يَنْبَغِي لِي أَنْ أُحَسَّ بِالْحِزْبِي فِي وُجُودِكَ .

أَعْوَامٌ كَثِيرَةٌ مَرَّتْ - خَارِجَ الْبَصْرِ ، خَارِجَ الْعَقْلِ . وَالْجَسَدِ
(لَا الرُّوحَ وَحَدَهَا) يَبْدُو أَنَّهُ فَقَدْ ذَلِكَ الْإِحْسَاسَ الْقَدِيمَ بِالْيَقِينِ :
الثَّلَاحِمَ بِقُوَّةٍ وَالْإِنْتِصَابَ فِي بَهْجَتِهِ الْحَمِيمَةِ بِأَنْ يُوجَدَ وَأَنْ يُرَى . الْآنَ
(بِلَا ثِقَةٍ وَعَجُوزًا) لَا يَرَى بَعْضُ مَخْتَلِفَةٍ

إِلَّا الْجَمَالَ الْوَائِقَ الْأَبَدِيَّ لِلْعَالَمِ ، الَّذِي لَمْ يَعُدْ يَنْتَمِي إِلَيْهِ .

لَا أَحَدٌ يَغْفِرُ هَذِهِ الرُّؤْيَةَ . وَهُوَ بِالْفِعْلِ مُتَحَرِّرٌ ،

عَمِيقٌ وَمُكْتَفٍ بِذَاتِهِ وَلَا نِهَائِي ، وَأُظُنُّ أَنَّهُ يَعُوقُنَا

نَحْنُ وَالْآخِرِينَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ - عَبَثٌ .

هَذِهِ الرَّعْدَةُ - غَيْرُ الزُّجَاجِيَّةِ الْآنَ ،

أَسْفَلَ عَمُودِي الْفِقْرِي هُنَا - هِيَ مُخْتَلِفَةٌ . فَمُنْذُ بُرْهَةٍ فَحَسَبَ ،

كَانَ كُلُّ شَيْءٍ زُّجَاجِيًّا - الْوُجُوهُ ، الْأَجْسَادُ ، الْأَشْيَاءُ ، الْمَشَاهِدُ الطَّبِيعِيَّةُ ،

أَنْتِ ، أَنَا ، أَطْفَالُنَا -

زُّجَاجِيًّا ، غَارِيًّا ، مُلْتَمِعًا - مِنْ زُّجَاجٍ قَوِيٍّ ، صَافٍ . لَقَدْ شَهِدْتُ دَوَاخِلَهُمْ

بِاهْتِمَامٍ ،

بِبَهْجَةٍ ، تَقْرِيْبًا - كَحَرَكَةِ سَمَكَةٍ جَمِيلَةٍ ، صَغِيرَةٍ ، غَرِيبَةٍ فِي حَوْضِ مَاءٍ

أَوْ حَتَّى سَمَكَةٍ كَبِيرَةٍ ، قَبِيحَةٍ ، كَثِيبَةٍ وَمُتَعَطِّشَةٍ لِلدَّمَاءِ - غَرِيبَةً دَائِمًا .

وَأْتِيذٍ ، فَجَاءَهُ ،

وَكَأَنَّ الرَّجَالَ قَدْ لَانَ - لَا يَحْتَفِظُ بِشَكْلِهِ ، يَفْقِدُ شَفَافِيَّتَهُ ،
كَأَنَّهُ لَمْ يَتَوَفَّرْ أَبَدًا عَلَى شَكْلٍ وَشَفَافِيَّةٍ - يَهْوِي فِي كَوْمَةٍ ،
مَعَ مَا كَانَ يَحْتَوِيهِ - كُتْلَةً مُخْتَلِطَةً ، كَكَيْسٍ قَدِيرٍ
لَمَلَمَ فِيهِ النَّاسُ بِلَا اكْتِرَاطٍ مَلَابِسٍ دَاخِلِيَّةٍ لِعَسَلِهَا ذَاتَ يَوْمٍ
وَلَا يَغْسِلُونَهَا - يَضَجُّرُونَ ؛ يَنْسُونَهَا هُنَاكَ (يُرِيدُونَ نِسْيَانَهَا) ، مَرْمِيَّةً
عَلَى الْأَرْضِ ، جَنْبَ الْبَابِ ؛- يَتَعَتَّرُونَ بِهَا ، يَرَكُّوْنَهَا وَهُمْ يُغَادِرُونَ
وَمِنْ جَدِيدٍ وَهُمْ يَدْخُلُونَ الْمَنْزِلَ . لَقَدْ نَسَوَهَا فِعْلًا ،
وَمَاذَا سَيَفْعَلُونَ لِيَتَذَكَّرُوا ؟- لَقَدْ بَلَيْتِ الْمَلَابِسُ بِالْفِعْلِ ، مَسْجُونَةً
فِي رَأْيِهَا الَّتِي تَفُوحُ بِعَرَقٍ قَدِيمٍ ، وَبُولٍ وَدَمٍ . إِلَى الْحَمَّامِ ، إِلَى الْحَمَّامِ ،
فَالْمَاءُ سَيُصْبِحُ بَارِدًا ، لِأَبَدٍ أَنَّهُ أَصْبَحَ بَارِدًا . أَنَا ذَاهِبٌ . فَابْقِي ؛- لَا
ضُرُورَةَ . أَتُصِرِّينَ ؟- هَيَّا .

(ينهض الرجل. يتقدم- نحو الحمام بالطبع. بلا كلام، تتبعه المرأة.
يخرجان. القاعة، الخاوية الآن، تبدو أكثر اتساعًا. الإفطار يظل على
المائدة. الأكواب أصبحت على نحو ما كامدة. الخوذة دائمًا هناك أمام
المرأة. صمتٌ ثقيلٌ يحل بداخل المنزل وخارجه. نملةٌ تقوم بجولة
مرةً أخرى على مفرش المائدة الأبيض. في أعقاب النملة، يمكنك
ملاحظة دائرة مطرزة في منتصف المائدة- إكليل زهور حمراء.
فجأة، يُسمع صوت المرأة الأجنبية من الخارج، عند السلم الرخامي،
في يونانية واضحة: "يا مواطني أرجوس، يا مواطني أرجوس، السمكة

الذهبية الكبيرة في الشبكة السوداء، والسيف ارتفع. يا مواطني أرجوس، السيف ارتفع، بلسان مزدوج، يا مواطني أرجوس، يا مواطني-". طبول عالية، أبواق، ضوضاء، تغرق صوتها. رجل، وسيم، عاري الرأس، في لباس المعركة، بسيف كبير، ملطخ بالدم في يده، يدخل القاعة الخاوية. في يده اليسرى، يأخذ الخوذة من الخزانة. يضعها في الخلف. في وجهه نبات ذئب الخيل. كقناع. يرحل. صوت المرأة الهاذية: "يا مواطني أرجوس، لقد فات الأوان الآن، فات الأوان، يا مواطني أرجوس-". تتوقف. الطبول تعلقو أكثر. تدخل المرأة الأولى إلى القاعة. شاحبة، طويلة، بالغة الفتنة. تصعد على كرسي. تعلق طوق نجاة في مسمار بالحائط. مكتوب عليه "لأخييسيس". ثم تقترب من المرأة، وتضبط شعرها).

أثينا، سيكيون، هيرايون، ساموس

ديسمبر 1966-أكتوبر 1970





تكرارات

(1969 – 1968)

1 - قُبُورِ الْأَسْلَافِ

عَلَيْنَا أَنْ نَحْرُسَ مَوْتَانَا وَقُوَّتَهُمْ ، خَشِيَّةً
أَنْ يَنْبِشَهَا أَعْدَاؤُنَا وَيَأْخُذُوهَا بَعِيدًا . وَأَنْبِذِ ،
دُونَ حِمَايَتِهِمْ ، سَنَقَعُ فِي مُحَاطَرَةِ مُزْدَوَجَةٍ . فَكَيْفَ سَنَعِيشُ بَعْدَ ذَلِكَ
دُونَ بُيُوتِنَا ، وَأَثَانِنَا ، وَحُقُولِنَا ، وَخَاصَّةً دُونَ
قُبُورِ أَسْلَافِنَا ، الْمُقَاتِلِينَ وَالْحُكَمَاءَ ؟ فَلْتَتَذَكَّرْ
كَيْفَ سَرَقَ السَّرَطِيُّونَ عِظَامَ "أُورِيسْت" مِنْ "تِيْجِيَا" . وَلَا بُدَّ أَنْ أَعْدَاءُنَا
لَا يَعْرِفُونَ أَبَدًا أَيْنَ دَفَنَانَهُمْ . لَكِنَّ
كَيْفَ سَنَعْرِفُ أَصْلًا مَنْ هُمْ أَعْدَاؤُنَا
أَوْ مَتَى وَمِنْ أَيْنَ سَيَظْهَرُونَ ؟ لَا ، لِهَذَا ، فَلَا نُصَبُ تِدْكَارِيَّةً شَاهِقَةً ،
لَا زِينَةَ اسْتِعْرَاضِيَّةً - فَمِثْلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تَسْتَثِيرُ الْإِنْتِبَاهَ وَالْبَغْضَاءَ . وَلَا
حَاجَةَ لِمَوْتَانَا
بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ - زَاهِدِينَ ، مُتَوَاضِعِينَ ، وَالْآنَ صَامِتِينَ ،
هُمْ الْآنَ لَا مُبَالُونَ بِالْحَمْرِ ، وَقَرَابِينَ الثُّدُورِ ، وَالتَّكْرِيْمَاتِ الْفَارِغَةِ .
فَأَفْضَلُ مِنْهَا
حَجْرٌ عَارٍ ، وَإِصْبُصٌ جِيرَانِيَوْمٍ ، شَارَةٌ سِرِّيَّةٌ ،

أَوْ حَتَّى لَا شَيْءٍ . وَمِنْ قَبِيلِ التَّأَكِيدِ ، يُمَكِّنُنَا أَنْ نَحْمِلَهُمْ بِدَاخِلِنَا ، إِنْ
اسْتَطَعْنَا ،

وَذَلِكَ أَفْضَلُ حَتَّى لَوْ كُنَّا لَا نَعْرِفُ أَيْنَ يَرْقُدُونَ .
تِلْكَ طَرِيقَةُ الْأَشْيَاءِ فِي زَمَانِنَا - مَنْ يَدْرِي -
فَقَدْ نَنبِشُهُمْ نَحْنُ أَنْفُسَنَا ، ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ نُطِيحُ نَحْنُ أَنْفُسَنَا بِهِمْ .

20 مارس 1968

2 - بعد الهزيمة

فِيمَا بَعْدَ ، بَعْدَ التَّدْمِيرِ الْكَامِلِ لِلأَثِينِيِّينَ فِي "أَيْجُوسْبُوتَاي" ^[1] ، وَبَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ ،

بَعْدَ هَزِيمَتِنَا التَّهَائِيَّةِ ، أَنْيذِ تَوَقَّفَتْ مُنَاقَشَاتُنَا الْحُرَّةَ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ أَيْضًا الْمَجْدُ الْبَرِيكَلِيسِي ^[2] ،

وَأَزْدَهَارُ الفُنُونِ ، وَقَاعَاتُ الرِّيَاضَةِ ، وَمُنْتَدَيَاتُ حُكْمَانِنَا . وَالآنَ ، ثَمَّةَ صَمْتٍ وَجَهَامَةٍ وَبِيلَانٍ فِي "الْمَلْتَقَى" ، وَفُجُورُ "الطُّغَاةِ الثَّلَاثِينَ" ^[3] . وَكُلُّ شَيْءٍ (وَخَاصَّةً الأَكْثَرُ حَمِيمِيَّةً لَنَا) يَحْدُثُ غِيَابِيًّا ، يَدُونِ أَيْةٍ إِمْكَانِيَّةٍ لِأَيِّ مَلَاذٍ ، أَوْ حِمَايَةٍ ، أَوْ دِفَاعٍ ، نَاهِيكُمْ عَن أَيِّ احْتِجَاجٍ شَكْلِي . صُحُفُنَا وَكُتُبُنَا تُحْرَقُ ،

^[1] هي المعركة البحرية التي وقعت عام 405 ق.م، وكانت آخر معركة رئيسية في حرب البيلوبونيز، وفيها دمر الأسطول السبرطي الأسطول الأثيني.

^[2] نسبة إلى بريكليس (495-429 ق.م)، رجل دولة بارز وناقد، وخطيب وقائد عسكري لأثينا خلال عصرها الذهبي.

^[3] الطغاة الثلاثة (404-403 ق.م): هم الأقلية الحاكمة لأثينا، المفروضة من قبل سبرطة بعد انتصارها في حرب البيلوبونيز.

وَشَرَفُ أَرْضِ أَجْدَادِنَا فِي سَلَّةِ الْمَهْمَلَاتِ . وَلَوْ أَنَّهُ سُمِحَ لَنَا فِي أَيِّ وَقْتٍ
بِالِإِتْيَانِ بِصَدِيقٍ قَدِيمٍ لِيَمِثُلَ كَشَاهِدٍ ، فَلَنْ يَقْبَلَ ،
خَوْفًا مِنْ مُعَانَاةِ نَفْسٍ مَصِيرِنَا - وَسَيَكُونُ مُحِقًّا تَمَامًا . لِهَذَا السَّبَبِ ،
فَمِنْ الْأَفْضَلِ أَنْ تَكُونَ هُنَا - فَلَعَلَّنَا نَكْتَسِبُ تَوَاصُلًا جَدِيدًا مَعَ
الطَّبِيعَةِ ،
وَمَنْ نَتَطَّلَعُ مِنْ وَرَاءِ الْأَسْلَاقِ الشَّائِكَةِ إِلَى جُزْءٍ صَغِيرٍ مِنَ الْبَحْرِ ،
وَبَعْضِ الصُّخُورِ ، وَالتَّبَاتَاتِ ،
أَوْ غَيْمَةٍ مَا فِي الْعُرُوبِ ، كَثِيفَةٍ ، بِنَفْسَجِيَّةٍ ، عَابِرَةٍ . وَرُبَّمَا
يَأْتِي " كِيمُون " جَدِيدَ ذَاتِ يَوْمٍ ، يَقُودُهُ فِي السَّرِّ
النَّسْرُ نَفْسُهُ ، لِيَحْفَرَ وَيَعْتُرَّ عَلَى الرَّأْسِ الْحَدِيدِيَّةِ لِحْرَبَتِنَا ،
صَدِئَةً ، نَحِيلَةً بَالِيَةً ، لِيَحْمِلَهَا بِصُورَةٍ احْتِفَالِيَّةٍ
فِي مَوْكِبٍ ، جِنَائِزِيٍّ أَوْ ظَافِرٍ ، مَعَ الْمَوْسِيقَى وَأَكَالِيلِ الْغَارِ إِلَى أَثِينَا .

21 مارس 1968

3 - آلِيسِيمِين^[1]

هِيَ ، الَّتِي رَقَدَتْ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى مَعَ إِلَهٍ دُونَ أَنْ تَعْرِفَهُ ،
- بِرَأْسِهَا الدُّنْيَوِيَّةَ الْكَثِيفَةَ وَصَدْرِهِ الْعَرِيضَ كَثِيفَ الشَّعْرِ ،
كَزَوْجِهَا تَقْرِيبًا ، لَكِنَّ كَمَ هُوَ مُخْتَلِفٌ أَيْضًا ، كَأَنَّهَا
خَمِنَتْ شَيْئًا مَا ، أَحَسَّتْ بِشَيْءٍ مَا - حَسَنًا ، كَيْفَ يُمَكِّنُهَا الْآنَ أَنْ تَرْقُدَ
مَعَ شَخِصٍ فَايَ؟ وَلِمَاذَا عَلَيَّهَا أَنْ تَهْتَمَّ بِهَدَايَا أَمْفَتْرِيُونِ ، بَلْ
وَبِمَهَامِ ابْنَيْهَا الْإِثْنَتَيْنِ عَشْرَةَ وَخُلُودِهِ ، إِلَى جَانِبِ مَا يُخْصُصُهَا ؟
فَهِيَ لَا تَتَذَكَّرُ سِوَى لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، لَا تَنْتَظِرُ سِوَى لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، فِي وَقْتِ
مُتَأَخَّرٍ ، فِي السَّاعَةِ

الَّتِي يَتَنَزَّلُ فِيهَا ، فِي الْحَدِيقَةِ بِالخَارِجِ ، الدُّبِّ ، وَبِجَوَارِ أَوْرِيُونِ^[2]
يَكْشِفُ عَنْ ظَهْرِهِ الْفِضِّيِّ (أَيُّهَا الْإِلَهَ الْعَزِيزِ ، كَمَ هِيَ عَطِرَةٌ الْوُرُودِ) -
وَهِيَ ، جَاهِزَةٌ تَمَامًا ، حِينَ كَانَ زَوْجُهَا فِي رِحْلَةِ الصَّيْدِ ، دَائِمًا جَاهِزَةً ،
مَتَحَمَّةً ،

^[1] آلِيسِيمِين Alcméne: زوجة أمفتريون، لكنها مشهورة بأنها أم هرقل، ابن زيوس؛ حيث زارها زيوس - في هيئة أمفتريون - وضاهاها..

^[2] أوريون Orion: صياد عملاق وضعه زيوس ضمن النجوم، في كوكبة أوريون.

عَارِيَّةٌ ، تَضَعُ أَقْرَاطَهَا مِنْ جَدِيدٍ ، وَأَسَاوِرَهَا ، وَتَتَوَانَى أَمَامَ الْمِرَاةِ ،
مُمَشِّطَةً شَعْرَهَا الطَّوِيلَ ، الْكَثِيفَ لَا يَزَالُ ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ جَائِفٌ
وَمَصْبُوعٌ .

23 مارس 1968

4 - تفاحات هيسبريديس I [1]

لَمْ نُحِبْ أَبَدًا أَنْصَافَ الْآلِهَةِ ، وَالْآلِهَةِ ، وَالْأَبْطَالَ الْحَارِقِينَ ، وَالْأَسْطُورَةَ
الْمَبَالِغَةَ فِي تَعْقِيدِهَا

بِالْكَثِيرِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - لَمْ نَسْتَطِعِ التَّقَاطُ مَعَنَاهَا ؛
بِبَسَاطَةٍ فَكَّرْنَا كَمْ أَنْ الْكَثِيرَ مِنْهَا تَأْفَهُ ، وَمُشَوَّشٌ ؛ كَانَتْ تَفْتَقِرُ
إِلَى ذَلِكَ الصَّفَاءِ الْقَاسِي لِلْمَجْهُولِ وَالْعَصِيِّ عَلَى التَّفْسِيرِ . وَمَعَ ذَلِكَ
أَحْبَبْنَا الْمَكَانَ - ذَلِكَ الْمَكَانَ الَّذِي يَلْتَقِي فِيهِ النَّهَارُ بِاللَّيْلِ
وَتَنْمُو أَشْجَارُ التُّفَاحِ بِيَضَاءِ بِالزُّهُورِ ، أَوْ تَنْحَنِي مُثْقَلَةً
بِتُقَاحِهَا الدَّهْبِي . وَأَحْبَبْنَا كَيْفَ
رَأَى "بِحَارَةَ أَرْجُو" [2] مِنْ سَفِينَتِهِمْ مَا وَرَاءَ الْبُحَيْرَةِ بِقَلِيلٍ ،
أَوْ "تْرِيتُونِيدَا" ، جُثْمَانَ التَّنِّينِ ، وَحُورِيَّاتِ الْهَيْسْبِرِيدِيسِ الْحَزِينَاتِ .
لَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ

[1] تفاحات هيسبريديس Hesperides: موجودة في حديقة بالحافة الشمالية من العالم، لا يجرسها فحسب تنين ذو مائة رأس، بل أيضًا الحوريات بنات أطلس، العملاق الذي يحمل السماء والأرض على كتفيه.

[2] مجموعة من البحارة الأبطال في الأساطير اليونانية.

أَحْبَبْنَا تِلْكَ "الْوِسَادَةَ" الصَّغِيرَةَ الَّتِي طَلَبَهَا هِرَقْلٌ لِئُرِيحَ رَأْسَهُ عَلَيْهَا
مِنْ عِبَاءِ السَّمَاءِ . وَهَذَا الدَّهَاءُ الصَّغِيرُ ،
الْإِنْسَانِي ، الَّذِي انْتَصَرَ عَلَى الْإِرَادَةِ الشَّرِيرَةِ لِأَطْلَسِ ،
يَسْمَحُ لَنَا بِالْإِمْسَاكِ بِالْأُسْطُورَةِ كُلِّهَا ، وَيُعَيِّرُهَا أَيْضًا
نَوْعًا مِنْ ضَوْءِ ضَبَائِيٍّ ، مَأْلُوفٍ ، نَوْعًا جَمَالِيًّا مِنْ التَّالِقِ .

31 مارس 1968

5 - تفاحات هيسيريديس II

كُلْ هَذِهِ الْفَوْضَى الْعَارِمَةَ ، وَالكَثِيرَ مِنَ الْقَتْلِ الْمَجَانِي . أَخَذَ
بَطْل "تِيرينس"^[1] التُّفَاحَاتِ الذَّهَبِيَّةَ إِلَى إِيُورِيسْتِيُوس . أَعَادَهَا .
ثُمَّ قَدَّمَهَا إِلَى "أَثِينَا" . ثُمَّ أَعَادَتْهَا هِيَ
إِلَى حَدِيقَةِ الْهَيْسِيرِيدِيس - مَصْدَرِهَا الْأَصْلِي . رُبَّمَا كَانُوا يَقْصُدُونَ بِهَذِهِ
الطَّرِيقَةَ

كَمْ هِيَ عَبَثِيَّةُ الْمَكَابِدَاتِ ، الدَّائِرَةُ اللَّانِهَائِيَّةُ - فَلَسَفَاتُ بَلِيدَةٍ .
وَنَحْنُ - فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ - جِئْنَا لِنَتَّصِرَ هَذِهِ التُّفَاحَاتِ تُومِضُ
فِي إِنَاءٍ أَبْيَضٍ ، عَلَى الْمَائِدَةِ الشَّاسِعَةِ ، الْمَعْدَّةِ بِجَمَالٍ
بِمَفْرَشٍ مُطْرَزٍ مِنَ الْكِتَانِ - ذَاتَ ظَهِيرَةٍ صَيْفِيَّةٍ يُونَانِيَّةٍ
حِينَ يَنْدَفِقُ الضُّوءُ الثَّابِتُ عَبْرَ التَّوَاغِذِ ، وَبِالْخَارِجِ
يُسْمَعُ زِيْرُ الْحِصَادِ الْمُحْمُومِ ، وَالسَّبَّاحُونَ بِالْأَسْفَلِ عَلَى الشَّاطِئِ .
وَمَعَ شَيْءٍ مَا لَا يَزَالُ مُهْمَلًا : جَرَّتَا "مِيدِيَا" وَ"أَخِيمُورُوس" .

31 مارس 1968

[1] تِيرينس Tiryns: عاصمة كبرى لميسينا، وفيها التحق هرقل بخدمة الملك
إيوريستوس، وقام - من أجله - بالمهام الاثنى عشرة.

6 - بعد انهيار معاهدة
اللاكيديمونيين^[1] والأثينيين

وفقاً لثوسيديدس

كورنثه ، أرجوس ، سبرطة ، سيكيون ، وما أكثر "المدن-الدول" الصغرى
الأخرى -

أصبح اليونانيون ألف شظية ؛ والمعاهدة الكبرى تهشمت ؛
كل واحد كان غاضباً من الآخر - قناصل جدد ، ومداولات ، ومؤتمرات ؛
وهؤلاء الذين كانوا بالكاد بالأمس أصدقاء وجيراناً لن يقوموا بتحية
بعضهم البعض في الشارع -

الصغائر القديمة أصبحت في الصدارة ؛ تحالفات جديدة ،
مناقضة تماماً للسابقة ، تسبر أغوار بعضها البعض ، وتشرع في
الاستعدادات .

المبعوثون يلتقون خفية في منتصف الليل ؛ ويغادر آخرون . وتمثيل
الأبطال

مهملة في الميادين ، وفي الحدائق يُعطيها ذراق العصافير ،

^[1] هم أهل "لاكيديمونيا" ، سبرطة القديمة .

7 - الرَّقْصَةُ الْجَدِيدَةُ

لَيْسَتْ ادِّعَاءَاتٍ فَحَسَبَ، بَلْ دَوَافِعَ حَقِيقِيَّةً وَنَتَائِجَ عَظِيمَةً -
آلَامٌ، مَكَايِبُ، أخطَارٌ، مَخَافٍ - بِاسِيفَايَ، وَالْمُونِيْتُورَ،
الْمَتَاهَةَ وَأَرِيَاذِنِي بِمُخِيطِهَا الشَّهَوَانِيَّ، الْجَمِيلَ^[*]
الَّذِي تَقَرَّرَ كَدَلِيلٍ فِي الظَّلَامِ الْحَجْرِيِّ. وَفِيمَا بَعْدَ،
عَوْدَةُ "ثَيْسِيُوسَ" الظَّافِرِ^[**]. فِي دِيلُوسَ، تَوَقَّفَ،
وَهُنَاكَ حَوْلَ "الْكَبِيرَاتُونِ" (الْمَذْبَحِ الشَّهِيرِ الْمَبْنِيِّ بِكَامِلِهِ
مِنْ قُرُونِ الْحَيَوَانَاتِ - الْقُرُونِ الْيُسْرَى فَقَطَ)، رَقَصَ "ثَيْسِيُوسَ"،
مَعَ الْفَتِيَانِ الْأَثِينِيِّينَ كَمُرَافِقِينَ لَهُ،
رَقْصَةً جَدِيدَةً مُثِيرَةً، بِمُخَطَوَاتٍ مُتَقَاطِعَةٍ رُبَّمَا صَوَّرَتْ،

[*] بِاسِيفَايَ: مَلِكَةُ كَرِيْتِ، فِي الْأَسَاطِيرِ الْيُونَانِيَّةِ. وَهِيَ أُمُّ أَرِيَاذِنِي وَالْمُونِيْتُورِ؛ الْمُونِيْتُورُ: كَاتِنٌ
بِرَأْسِ ثُورٍ وَجَسَدِ رَجُلٍ، وَيَقِيمُ وَسَطَ الْمَتَاهَةِ؛ الْمَتَاهَةُ: بِنَاءٌ صَمَمَهُ وَأَقَامَهُ الْمَخْتَرِعُ الْأَسْطُورِيُّ
دَايْدَالُوسَ لِمَلِكِ كَرِيْتِ مِينُوسَ؛ أَرِيَاذِنِي: ابْنَةُ مِينُوسَ، مَلِكِ كَرِيْتِ، وَبِاسِيفَايَ. وَقَدْ كَلَفَهَا
أَبُوهَا بِالسُّؤُولِيَّةِ عَنِ الْمَتَاهَةِ. وَخِيطُ أَرِيَاذِنِي لَيْسَ خِيطًا مَادِّيًّا، بَلْ هُوَ نَهْجٌ مَنْطِقِيٌّ لِلتَّعَامَلِ
مَعَ أَيَّةِ مَشْكَلَةٍ.

[**] الْمَلِكُ الْأَسْطُورِيُّ، وَالْبَطْلُ الْمُوَسَّسُ لِأَثِينَا.

فِي ضَوْءِ الظَّهِيرَةِ القَوِي ، الانعِطَافَاتِ المِظْلِمَةِ لِلْمَتَاهَةِ ، وَرُبَّمَا -
مَنْ يَدْرِي - كَانَتْ الطُّيُورُ وَرِيزُ الحِصَادِ يَصْحَبُونَ مِنْ غَابَةِ الصُّنُوبِ
الصَّغِيرَةِ -

لَا تَعْرِفُ - فَالشَّمْسُ تَجْعَلُكَ مُشَوِّشًا وَالانْعِكَاسَاتُ القَادِمَةُ مِنَ البَحْرِ ،
شَطَايَا زُجَاجٍ دَقِيقٍ - وَالحَرَكَاتُ المِشْرِقَةُ لِلأَجْسَادِ العَارِيَةِ -
رَقْصَةٌ عَجِيبَةٌ ، جَدِيدَةٌ . وَفِيمَا بَعْدَ نَسِينَا تَمَامًا
المِينُوتُورَاتِ ، وَالبَاسِيفَايَاتِ ، وَالمِتَاهَاتِ ، وَحَتَّى أَرِيَاذِنِي التَّعْيِيسَةَ
مَهْجُورَةً وَحِيدَةً تَمَامًا لِتَمُوتَ فِي نَاكُوسٍ . وَعَلَى أَيْتِهِ حَالٌ ،
فَسَرَعَانَ مَا انْتَشَرَتِ الرَّقْصَةُ ، وَبَقِيَتْ . وَمَا نَزَالُ نَرُقُصُهَا اليَوْمَ . وَمُنْذُ
ذَلِكَ الحِينِ ،

تَقَرَّرَ أَنْ تَكُونَ سَعْفَةً جَائِزَةً لِلْمُبَارَايَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ فِي " دِيلِي " .

6 أبريل 1968

8 - فيلوميل^[*]

هَكَذَا ، حَتَّى بَعْدَ قَطْعِ لِسَانِهَا ، رَوَتْ فِيلُومِيلَ عَذَابَاتِهَا
بِنَسِجِهَا وَاحِدًا وَاحِدًا فِي سُتْرَتِهَا بِصَبْرٍ وَإِخْلَاصٍ ،
بِالْوَانِ مُتَقَشِّفَةً - بِنَفْسَاجِيَّةٍ ، رَمَادِيَّةٍ ، بَيْضَاءَ ، وَسَوْدَاءَ - كَالْعَادَةِ
فِي الْأَعْمَالِ الْفَنِّيَّةِ - ثَمَّةً أَسْوَدَ بَغْزَارَةٍ . وَالْبَاقِي كُلهُ -
"بُرُوسِي" وَ"تِيرِيَّاس" مَعَ الْقَاسِ وَمُطَارَدَتَيْهِمَا فِي "دُولِيَس" ،
حَتَّى قَطَعَ اللِّسَانَ - نَعْتَبِرُهُ بِلَا أَهْمِيَّةٍ ، وَنَنْسَاهُ . فَسُتْرَتُهَا تِلْكَ
كَافِيَةٌ ، خَفِيَّةٌ ، دَقِيقَةٌ ؛ وَتَنَاسُخُهَا
فِي اللَّحْظَةِ الْفَاصِلَةِ إِلَى عِنْدَلِيَب . لَكِنَّا ، نَقُولُ : بِدُونِ الْبَاقِي كُلهُ ،
تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا أَهْمِيَّةَ لَهَا الْآنَ ، أَكَّانَ يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَدَ تِلْكَ السُّتْرَةُ
الرَّائِعَةُ وَالْعِنْدَلِيَب ؟

9 أبريل 1968

[*] فيلوميل، أو فيلوميلا: "أميرة أثينا" - في الأساطير اليونانية - والابنة الصغرى لملك أثينا بانديون الأول. فبعد اغتصابها وقطع لسانها من قبل زوج شقيقتها، ملك ثيراسي، "تيرياس"، قامت بالانتقام البشع منه بمعاونة شقيقتها، ثم تحولت إلى عندليب أخرس.

9 - نِيُوبِي^[1]

هَذَا التَّمثالُ ، المَجْبُولُ بِبَرَاغَةٍ رَفِيعَةٍ ، مِنْ حَجَرٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ ،
لَمْ يَنْحَتْهُ مَثالٌ - بَلْ امْرَأَةٌ أَبِيَّةٌ ، فَوْقَ صِغَارِهَا السَّبْعَةِ المَذْبُوحِينَ ، وَالسَّهَامُ
مَا تَزَالُ فِي صُدُورِهِمْ ،
وَبَنَاتِهَا السَّبْعِ المَذْبُوحَاتِ . هُنَا ، حِينَ اسْتَنْفَدَتْ
اسْتِغَائِثَتَهَا الأَخِيرَةَ ، لَعْنَتَهَا الأَخِيرَةَ ضِدَّ الآلِهَةِ وَالنَّاسِ ،
صَاعِدَةٌ مَدَارِجَ الصَّمْتِ وَالسُّكُونِ ، خُطْوَةً خُطْوَةً ،
أَصْبَحَتِ التَّمثالُ الأَخِيرَ لِتَنْفِيسِهَا - حَجَرًا حَالِكِ السَّوَادِ
مَعَ جَدَوْلَيْنِ صَافِيَيْنِ يَنْحَدِرَانِ أَسْفَلَ وَجْهَهَا العَظِيمِ
حَتَّى يُمَكِّنَ لِلرُّعَاةِ الصَّغَارِ فِي سِيْبِيلُوسِ الجُرْدَاءِ - فِي أَوْقَاتِ الظَّهِيرَةِ
الصَّيْفِيَّةِ - أَنْ يَجِدُوا بَعْضَ المَاءِ ،
وَخِرَافَتُهُمْ ، وَالْمُوسِيقِيُّونَ المَحْزُونُونَ ، وَالرَّحَالَةُ التَّائِهُونَ . اليَوْمِ ، بِالطَّبَعِ ،
يَزْعُمُ الكَثِيرُونَ أَنَّ الجَدَوْلَيْنِ التَّابِعِينَ مِنْ عَيْنِهَا لَيْسَا أَكْثَرَ

[1] هي ابنة تانتالوس، ملك فريجيا، في الأساطير اليونانية. ووفقًا لإلياذة هوميروس، فقد عاقبتها "ليتو" - أم أبوللو - على كبريائها، حيث أرسلت أبوللو وأرتيميس فقاما بذبح أبنائها.

مِن مَّاءِ الْجَدَاوِلِ الْقَرِيبَةِ الَّذِي يَنْسَابُ ، عَبْرَ أَنْبِيَبٍ نَحِيلَةٍ ، مَخْفِيَّةٍ ،
إِلَى عَيْنَيْهَا ؛ وَهُنَاكَ آخَرُونَ يَقْتَرِحُونَ بِإِصْرَارٍ
أَنْ نُحَظَّمَ التَّمَثَالَ الرَّائِعَ ذَاتَهُ - فَخَرَّ بَلَدِنَا الْفَقِيرَ -
مِنَ أَجْلِ مُتَعَةٍ اِكْتِشَافِ الطَّرِيقَةِ الْبَارِعَةِ .

10 أبريل 1968

10 - الْجِزَّةُ الذَّهَبِيَّةُ

مَاذَا كُنَّا نُرِيدُ بِهَذِهِ الْجِزَّةِ الذَّهَبِيَّةِ؟ - تَجْرِبَةٌ جَدِيدَةٌ - رَبَّمَا الْأَعْظَمُ؛
مَيْتَاتٌ، صُخُورُ السَّمْبَلِيَجَادِ^[*]، اغْتِيَالَاتٌ؛ وَهَرَقْلُ مَنَسِيِّ فِي "مَيْسِيَا"،
وَهِيْلَاسُ^[**] الْجَمِيْلُ غَرِيْقٌ فِي النَّبَعِ؛ وَمَا مِنْ مِجْدَافٍ جَدِيدٍ
وَلَا أَيْةَ رَاحَةٍ أَبَدًا. كَلُوشِي، آبِيْتِ، مَيْدِيَا. الثَّوْرُ ذُو الْحَوَافِرِ الثُّحَاسِيَّةِ.
الْجُرْعَةُ وَالْمَنَافَسَاتُ الْعَبْيِيَّةُ. وَأَخِيرًا أُسْبِيرْتُوسُ - شَيْئًا فَشَيْئًا
يُلْمِلِمُهُ أَبُوهُ مِنَ الْبَحْرِ.

وَتِلْكَ الْجِزَّةُ -

هَدَفُ اكْتِمَالِ الْآنِ - خَوْفُ آخَرَ؛ خَشْيَةٌ أَنْ يَسْرِقَهَا إِنْسَانٌ أَوْ إِلَهٌ مِنْكَ.
ذَاتَ مَرَّةٍ، فَتُمْسِكُهَا فِي يَدِكَ، وَفِرَاؤُهَا الذَّهَبِيُّ يُشْرِقُ عَلَيْكَ فِي لَيْالِيكَ؛
ذَاتَ مَرَّةٍ، عَلَى كَتِفِكَ، تُضِيؤُكَ كُلُّكَ، فَتَلْفِتُ الْإِنْتِبَاهَ إِلَيْكَ - هَدَفُ
لِهَذَا الشَّخِصِ أَوْ ذَاكَ؛ وَلَنْ تَسْمَعَ لَكَ حَتَّى بِلِحْظَةٍ فِي الظَّلِّ؛
فِي رُكْنٍ صَغِيرٍ لَكَ وَحَدِّكَ لِتَخْتَبِي، لِتَتَعَرَّى، لِتَتَحَقَّقَ.

[*] صخور تطفو على سطح الماء، عند مدخل البحر الأسود، كانت تلتصق بالسفن العابرة،
وتهوي بها إلى قاع البحر (أوفيد: مسخ الكائنات، ترجمة د. ثروت عكاشة، طبعات مختلفة).
[**] هيلاس: مرافق هرقل وخادمه.

وَمَعَ ذَلِكَ ، فَمَاذَا سَتَكُونُ حَيَاتِنَا دُونَ هَذَا الْعَذَابِ الدَّهْبِيِّ (كَمَا نَصِفُهُ)؟

5 مايو 1968

11 - تَالُوسٌ^[١]

تَكَرَّرَاتٌ - يَقُولُ - تَكَرَّرَاتٌ بِلَا انْتِهَاءٍ؛ - يَا لَهُ مِنْ إِرْهَاقٍ ، يَا إِلَهِي ؛
التَّغْيِيرُ الْوَحِيدُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا فِي الْأَلْوَانِ - جَاسُونُ ، أُودِيسِيُوسُ ، كَلُوشِي ،
طُرُودَةُ ،

الْمِينُوتُورُ ، تَالُوسُ - وَفِي هَذِهِ الْأَلْوَانِ ذَاتِهَا
يَكْمُنُ الْخِدَاعُ كُلُّهُ وَالْجَمَالُ أَيْضًا - وَهُوَ عَمَلٌ يُخْصِنُنَا نَحْنُ .
لَا أَرَا أَلَّا أحتَفِظُ بِصُورَةِ ذَلِكَ الْعِمْلَاقِ مِنْ سُلَالَةِ نَائِسِ الْبُرُونزِ ،
وَشِرْيَانُ وَحِيدٌ مِنْ حَنْجَرَتِهِ حَتَّى كَعْبِيهِ - شِرْيَانُ وَاحِدٌ فَحَسْبُ ،
مَسْدُودٌ بِمَسْمَارٍ بَرُونزِيٍّ فِي نَهَائِيهِ تَمَامًا . وَحِينَ انْتَزَعُوا
ذَلِكَ الْمَسْمَارَ ، فَاضَ دَمُهُ وَرُوحُهُ إِلَى الْخَارِجِ .

وَرَبَّمَا ، أَقُولُ ،
إِنَّنَا جَمِيعًا لَيْسَ لَدَيْنَا سِوَى شِرْيَانٍ وَاحِدٍ ، مَسْدُودٍ بِمَسْمَارٍ ،
وَنَحْنُ جَمِيعًا لَدَيْنَا الْخَوْفُ نَفْسُهُ .

[١] شخص عملاق، وفقًا للأساطير اليونانية، قام بحماية أوروبا من القراصنة والغزاة في كريت، بالدوران حول شواطئ الجزيرة ثلاث مرات يوميًا، خلال حراسته لها.

فِي الْمَقَابِلِ ، عَلَى الْجِدَارِ الْكَبِيرِ الْمَطْلِيِّ بِالْأَبْيَضِ ،
عَلَى مَسَامِيرَ مَدْفُوقَةٍ فِي صُفُوفٍ (أُرَبَّمَا مِنْ شَرَائِينَ غَيْرِ مَسْدُودَةٍ؟) نُعَلِّقُ
مَعَاظِفَنَا ، قُبَّعَاتِنَا ، مِظَلَّاتِنَا ، مَلَابِسَنَا الدَّاخِلِيَّةَ ، وَأَقْنِعَتَنَا .

6 مايو 1968

12 - أُخِيلُ بَعْدَ الْمَوْتِ

كَانَ بِالذَّخْلِ تَمَامًا؛ - مَا جَدَوِي الْأَمْجَادِ لَهُ الْآنَ ؟ - كَفَى .
كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ الْأَعْدَاءَ وَالْأَصْدِقَاءَ جَيِّدًا - الْأَصْدِقَاءَ الْمَفْتَرِضِينَ ؛ -
فِيَمَا وَرَاءَ الْحُبِّ وَالْإِعْجَابِ ، أَخْفَوْا مَصَالِحَهُمْ ،
أَحْلَامَهُمُ الْمَشْبُوهَةَ ، التَّعَالِبِ ، وَالْأَبْرِيَاءِ .

وَالْآنَ ،

عَلَى جَزِيرَةِ "لِيوس" ، وَجِيدًا فِي التَّهَيَّاتِ ، هَادِيًا ، بِلَا ادِّعَاءَاتِ ،
بِلَا مَسْئُولِيَّاتٍ وَلَا ذُرُوعٍ مَحْبُوكَةٍ عَلَيْهِ ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، بِلَا
نِفَاقِ الْبُطُولَةِ الْحَسِيْسِ ، يُمَكِّنُهُ ، لِسَاعَاتٍ وَسَاعَاتٍ ، أَنْ يَسْتَمْتِعَ
بِبَحْرِ الْمَسَاءِ ، وَالتَّجُومِ ، وَالصَّمْتِ ، وَذَلِكَ الشُّعُورِ ،
الرَّهِيْفِ وَاللَّا نِهَائِي ، بِلَا جَدَوِي الْأَشْيَاءِ عُمُومًا ،
بِلَا رِفْقَةٍ مَعَهُ سِوَى الْمَاعِزِ .

لَكِن هُنَا ، أَيضًا ، حَتَّى بَعْدَ مَوْتِهِ ،

لَا حَقَّهُ مُعْجَبُونَ جُدُدَ - غَاصِبُونَ لِذِكْرِهِ هَذِهِ الْمَرَّةَ -
مَنْ نَصَبُوا مَذَابِحَ وَتَمَائِيلَ لِأَجْلِهِ ، صَلُّوا ، وَرَحَلُوا .

لَمْ يَبْقَ مَعَهُ سِوَى طُيُورِ الْبَحْرِ؛ - وَكُلَّ صَبَاحٍ ، يَحُطُّونَ عَلَى الشَّاطِئِ ،
يُيَلَّلُونَ أَجْنِحَتَهُمْ وَيُسَارِعُونَ بِالْعُودَةِ لِيَغْسِلُوا
أَرْضِيَّةَ مَعْبَدِهِ بِحَرَكَاتٍ سَلِسَةٍ ، رَاقِصَةٍ . هَكَذَا ،
تَسْتَثِيرُ الْأَثِيرَ لِمَحَّةٍ مِنَ الشَّعْرِ (رُبَّمَا كَانَتْ تَبْرِيرَهُ الْوَجِيدَ)
وَتَعْبُرُ شَفْتَيْهِ ابْتِسَامَةً مُتَنَازِلَةً ، لِكُلِّ وَاحِدٍ وَكُلِّ شَيْءٍ ،
إِذْ يَنْتَظِرُ مِنْ جَدِيدٍ حُجَّاجًا جُدْدًا (وَيَعْرِفُ أَنَّهُ يُحِبُّ ذَلِكَ)
بِكُلِّ صَخْبِهِمْ ، وَزَادِهِمْ ، بَيْضٍ ، وَفُؤُوغَرَافَاتٍ ،
فِيمَا يَنْتَظِرُ الْآنَ "هَيْلِينَ" - نَعَمْ ، هِيَ نَفْسُهَا الَّتِي مِنْ أَجْلِ جَمَالِ
جَسَدِهَا وَحُلْمِهَا أُبَيْدَ الْكَثِيرُونَ مِنَ الْأَخْيَيْنِ وَالطُّرُودِيِّينَ (وَهُوَ نَفْسُهُ مِنْ
بَيْنِهِمْ).

19 سبتمبر 1968

13 - يَأْسُ بِنِيلُوبِ^[١]

لَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ أَنَّهَا لَمْ تَتَعَرَّفْ عَلَيْهِ عَلَى ضَوْءِ النَّارِ؛ وَلَا كَانَ
أَسْمَالَ الشَّحَاذِ، كَقِنَاعٍ لَهُ؛ لَا؛ كَانَ ثَمَّةَ عِلَامَاتٍ وَاضِحَةٍ -
الرُّكْبَةُ ذَاتِ الثُّدْبَةِ، مَتَانَةُ الْجَسَدِ، الْمَكْرُ فِي الْعَيْنَيْنِ. مَفْزُوعَةٌ،
مُسْنِدَةٌ ظَهَرَهَا إِلَى الْحَائِطِ، بَحَثَتْ عَنْ تَبْرِيرٍ مَا،
تَأْجِيلٍ مَا لِضُرُورَةِ التَّجَاوُبِ، وَخِيَانَةِ نَفْسِهَا.
أَكَانَ مِنْ أَجْلِهِ إِذْنُ أَنْ أَضَاعَتْ عِشْرِينَ عَامًا؟
عِشْرِينَ عَامًا مِنَ الْحَلْمِ وَالْإِنْتِظَارِ، مِنْ أَجْلِ هَذَا الْبَائِسِ،
وَهَذِهِ اللَّحِيَّةُ الْبَيْضَاءُ الْمَنْقُوعَةُ فِي الدَّمَاءِ؟ غَاصَتْ بِكَمَاءٍ فِي الْمِقْعَدِ،
يُطِءُ حَدَقَتِ فِي الْحُطَّابِ الْمَذْبُوحِينَ عَلَى الْأَرْضِ، كَأَنَّهَا تَرَى
رَغَبَاتِهَا الْمَكْبُوتَةَ. وَنَطَقَتْ. "أَهْلًا"،
مُنْتَبِهَةً إِلَى صَوْتِهَا الْغَرِيبِ، النَّائِي. وَفِي الرُّكْنِ،
يُغَطِّي نَوَلُهَا السَّقْفَ بِشَبَكَةٍ مِنْ ظِلَالٍ؛ وَتِلْكَ الطُّيُورُ، الْمَنْسُوجَةُ

[١] هي زوجة أوديسيوس، ملك إيثاكا (وفقًا لأوديسة هوميروس)، نموذج الإخلاص الزوجي، حيث انتظرت عودة زوجها من حرب طروادة عشرين عامًا، رافضة الخطاب الكثيرين المتكالبين عليها.

عَلَى أَوْزاقِ شَجَرِ خَضْرَاءِ بِخُيُوطِ حَمْرَاءِ زَاهِيَّةٍ ، فَجَاءُ
اسْتَحَالَتْ سَوْدَاءَ وَرَمَادِيَّةً فِي لَيْلَةِ الْعَوْدَةِ إِلَى الْوَطَنِ هَذِهِ ،
مُرْفَرَفَةً فِي السَّمَاءِ الْمُسْتَدِيمَةِ لِحَنْتِهَا التَّهَائِيَّةِ .

21 سبتمبر 1968

14 - اختيَار مَارِيَسَا^[٢]

لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبِيلِ الصُّدْقَةِ أَنْ فَضَّلَتْ مَارِيَسَا "إِيدَا" عَلَى أَبُولُو،
بِالرَّغْمِ مَنْ شَغَفَهَا بِالْإِلَهَ، بِالرَّغْمِ مِنْ جَمَالِهِ الْفَرِيدِ،
الَّذِي جَعَلَ الْآسَ يُزْهِرُ وَيَرْتَعِشُ لَدَى مُرُورِهِ .
لَمْ تَكُنْ لَتَجْرُؤُ أَبَدًا عَلَى رَفْعِ عَيْنَيْهَا لِأَعْلَى مِنْ رُكْبَتَيْهِ؛ -
مِنْ أَظْفِيرِ قَدَمَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، يَا لَهُ مِنْ عَالَمٍ لَا نِهَائِي،
يَا لَهَا مِنْ دُرُوبٍ وَاكْتِشَافَاتٍ رَائِعَةٍ - مِنْ أَظْفِيرِ قَدَمَيْهِ حَتَّى رُكْبَتَيْهِ .
لَكِنْ،

فِي اللَّحْظَةِ الْأَخِيرَةِ لِاخْتِيَارِهَا، انْتَابَهَا الْهَلَعُ؛ مَا الَّذِي سَتَفَعَلُهُ
بِكُلِّ هَذِهِ الْهَيْبَةِ؟ فَهِيَ، كَانِسَانَةٍ، سَوْفَ تَشِيخُ ذَاتَ يَوْمٍ .
فَكَرَّتْ فَجَاءَةً فِي مِشْطِهَا، بِمُحْصَلَةٍ مِنْ شَعْرِ أَبْيَضٍ، الْمَنَسِيَّ
عَلَى كُرْسِيِّ مَا، بِجِوَارِ أَرِيكَتَيْهَا، حَيْثُ اسْتَرَحَى الرَّائِعُ، الْحَالِدُ؛
فَكَرَّتْ أَيْضًا فِي بَصَمَاتِ الزَّمَنِ عَلَى فَخْذَيْهَا، وَحَلَمَتَيْهَا الْمُتَهَدَّلَتَيْنِ

^[٢] هي ابنة إيفينوس (إله النهر). أحبت البطل "إيدا" وأحبها، وفضلته على الإله أبوللو، الذي كان يتودد إليها.

أَمَامَ الْمِرَاةِ الْمَعْدِنِيَّةِ السُّودَاءِ . آه ، لَا ؛ وَكَشَّخِصِ مَيِّتَ مَالَتِ
عَلَى كَيْفِ "إِيدَا" الْإِنْسَانِي . وَرَفَعَهَا بِذِرَاعِيهِ مِثْلَ عِلْمٍ
وَأَدَارَ ظَهْرَهُ إِلَى أُبُولُو . لَكِنَّهُ فِيمَا كَانَ يَرَحَلُ ، بَعَطْرَسَةِ تَقْرِيْبًا ،
سُمِعَ شَيْءٌ مَا يُشْبِهُ فَرْقَعَةً ، صَوْتُ تَمْزِيْقِ الثُّوبِ (صَوْتُ غَرِيْبٍ) -
فَحَافَةُ الْعِلْمِ انْشَبَكَتْ ، عَلِقَتْ تَحْتَ قَدَمِ الْإِلَهِ .

28 أكتوبر 1968

15 - عازف الناي

كَمْ هِيَ جَيِّدَةٌ ، الْقَصَبَةُ الْمَجْوُوفَةُ - وَهِيَ تَمْنَحُنَا الْأَصْوَاتَ الرَّائِعَةَ
لِلنَّافُورَةِ وَالرَّيْحِ الَّتِي نَفْتَقِدُهَا . وَتِلْكَ الـ"آه" الَّتِي كَثِيرًا مَا تُلْفَظُ :
طَمَأْنِينَةٌ وَبَهْجَةٌ .

لَكِنَّ الشَّخْصَ الَّذِي يَنْفُخُ فِي الْقَصَبَةِ
يُصْبِحُ قَبِيحًا ؛ - خَدَاهُ يَنْتَفِخَانِ ، وَعَيْنَاهُ تَصْغُرَانِ
دَعْوَةً لِلْحُبِّ ؛ - يَقْبَلُهَا الْآخَرُونَ ، وَيَمْنَحُونَ
الْحُبَّ الَّذِي يَطْلُبُهُ عَازِفُ النَّايِ .

وَهَكَذَا

يَرْمِي الْقَصَبَةَ فِي الْمَاءِ ؛ يُحْمَلِقُ حَوَالِيهِ ؛ - لَا أَحَدَ .
يُحَدِّقُ فِي وَجْهِهِ فِي الْيُنْبُوعِ ، وَحِيدًا ، يَتَنَازَعُهُ
النَّايُ الَّذِي يَتَلَأَلُ فِي الْقَاعِ ، وَامِضًا مِثْلَ سِكِّينٍ .

29 أكتوبر 1968

16 - القضية الفعلية

لَا ، لَيْسَ الْأَمْرُ أَنْ أُبُولُوا قَدْ نَكَّثَ بِوَعْدِهِ
وَأَنْ بُصَاقَهُ عَلَى فَمِ كَاسَانَدْرَا^[1] قَدْ أَرَالَ
كُلَّ الْإِقْتِنَاعِ مِنْ حَدِيثِهَا ، مُحْيِلًا بِذَلِكَ
كُلَّ كَلِمَاتِهَا التَّبُوئِيَّةِ بِلَا فَاعِلِيَّةٍ لِنَفْسِهَا وَلِلْآخَرِينَ - لَا . بَلْ فَحَسَبَ
إِنْ أَحَدًا لَا يُرِيدُ أَنْ يُصَدَّقَ الْحَقِيقَةَ . وَحِينَ تَرَى
الشَّبَكَةَ دَاخِلَ الْحَمَّامِ ، تَظُنُّ أَنَّهَا قَدْ أُعِدَّتْ
مِنْ أَجْلِ رِحْلَةِ صَيْدِكَ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ وَلَا تَسْمَعُ أَبَدًا ، بِدَاخِلِكَ وَخَارِجِكَ ،
فِيمَا تَهَيِّطُ السُّلَّمَاتِ الرَّخَامِيَّةَ لِلْقَصْرِ ،
التَّذِيرَ الْأَسْوَدَ فِي التِّمَاسِ كَاسَانَدْرَا الْمُنْحُوسِ .

^[1] كَاسَانَدْرَا: ابنة بريام ملك طروادة، في الأساطير اليونانية. وقد منحها أبوللو- على سبيل الإغواء- القدرة على التنبؤ. وحين رفضت الاستجابة له، بصق على فمها كلغنة تمنع الجميع من تصديق نبوءاتها. وقد تنبأت بمصير حرب طروادة، وبقية التفاصيل التراجيدية المتتالية؛ لكن- بفعل لعنة أبوللو (البصقة)- لم يصدقها أحد. أما "الشبكة"، فإشارة إلى الشبكة التي استخدمت في عملية قتل "أجاممنون"، على يد زوجته كليتمسترا بمساعدة عشيقها إيجيستوس.

17 - حرف العطف "أو"

آنثذ هدر "أريس" الويخ بصوت عالٍ كصوت تسعة
أو عشرة آلاف رجل يصرخون وهم يشتبكون في المعركة.
الإلياذة

حين اخترق سهم "ديوميديس"، الموجه بيد الربة،
جنب الإله الهمي، آنثذ هدر "أريس" ذو الخوذة
بصوت عالٍ جدًا إلى حد أن ارتعب كل من الآخيين والطرواديين،
لأنه كان (كما يقول الشاعر) كأن تسعة أو عشرة آلاف
مقاتل مسعور قد هدرُوا معًا.

يا ليلك الـ "أو" -

تعبير عن كل من الدقة الساخرة والتبيلة،
الابتسامه المتبسمة لحكمة متحفظة وبلا مشاركة
تستدير بسخرية في مواجهة نفسها والآخرين
مدركة تمامًا أن الدقة لا يمكن أن تتحقق،
أن الدقة بلا وجود (وذلك هو سبب
أن نبرة اليقين الرنانة بلا غفران - فليعيننا الرب).

فَيَا "أو"، يَا حَرْفَ الْعَطْفِ ، التَّيِّحَةَ الْمُتَوَاضِعَةَ لِلْغَزْرِ الْإِلْتِبَاسِ ،
الْإِرْتِبَاطِ الْعَمِيقِ ضِمْنَ تَعَدُّدِيَّةِ الْمَاهِيَّاتِ وَالظَّوَاهِرِ ،
بِكَ سَنَتَكَيَّفُ مَعَ صُعُوبَاتِ الْحَيَاةِ وَالْحُلْمِ ،
مَعَ الْفُرُوقِ الدَّقِيقَةِ وَالتَّحَوُّلَاتِ الْكَثِيرَةِ فِيمَا بَيْنَ الْأَسْوَدِ إِلَى الْأَبْيَضِ
الْخَفِيِّ .

18 يونيو 1969

عَلَيْنَا أَلَّا نَنْسَى أَبَدًا - قَالَ - الدُّرُوسَ الْجَيِّدَةَ الَّتِي تَعَلَّمْنَاهَا
مِنْ فُنُونِ الْيُونَانِيِّينَ . فَدَائِمًا ، السَّمَاوِيُّ
بِحُجُورِ الْيَوْمِيِّ . بِحُجُورِ الْإِنْسَانِ : الْحَيَوَانُ وَالشَّيْءُ -
سَوَارٌ فِي ذِرَاعِ الرَّبِّةِ الْعَارِيَةِ ؛ زَهْرَةٌ
سَاقِطَةٌ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ . فَلَنْتَذَكُرَ التَّمْثِيلَاتِ الْجَمِيلَةَ
عَلَى جِرَارِنَا الطَّيْنِيَّةِ - آلِهَةٌ مَعَ طُيُورٍ وَحَيَوَانَاتٍ ،
مَعَ الْقَيْثَارَةِ ، وَشَاكُوشَ ، وَتُفَاحَةَ ، وَالصُّنْدُوقِ ، وَالْكَمَّاشَةَ ؛
أَهْ ، وَتِلْكَ الْقَصِيدَةُ حَيْثُ الْإِلَهَ ، لَدَى إِنْهَائِهِ لِأَشْغَالِهِ ،
يَأْخُذُ الْكَبِيرَ مِنَ الثَّارِ ، وَيُلْمَلِمُ أَدْوَاتِهِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً
وَيَضَعُهَا فِي صُنْدُوقِهِ الْفِضِّيِّ ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِاسْفِنْجَةٍ
وَجْهَهُ ، وَيَدِيَهُ ، وَرَقَبَتَهُ الْقَوِيَّةَ ، وَصَدْرَهُ الْكَثِيفَ .
وَهَكَذَا ، نَظِيفًا مَدْعُوكًا ، يَخْرُجُ فِي الْمَسَاءِ ، كَعَادَتِهِ ، مُتَكِنًا
عَلَى أَكْتَابِ مُرَاهِقِينَ ذَهَبِيِّينَ - نِتَاجِ يَدِيهِ
الَّذِينَ يَتَمَتَّعَانِ بِالْقُوَّةِ وَالْفِكْرِ وَالصَّوْتِ - يَخْرُجُ إِلَى الشَّارِعِ ،
الْأَكْثَرَ مَهَابَةً مِنَ الْجَمِيعِ ، الْإِلَهَ الْأَعْرَجَ ، الْإِلَهَ الْعَامِلَ .

الآلهة دائماً منسيون؛ وإذا ما تذكّرنا الليلة بوسايدون^[*]،
وهو يتجول على شواطئ "كالافريا" الخاوية،
فذلك لأن هناك، في البستان المقدس، ذات ليلة من يوليو،
فيما كانت المجاذيف تومض في ضوء القمر، وجيتارات
شبان متوجين باللباب تصدح من زوارق التجديف،
هناك، في غابة الصنوبر هذه، تجرّع ديموسثينيس السم^[**] -
هو، المتدلج، الذي جاهد حتى أصبح الخطيب الأول لليونانيين،
وبعداً، أدين من قبل المقدونيين والأثينيين، وفي ليلة واحدة
تعلم الفن الأصعب، والأعظم: أن تصمت.

26 يونيو 1969

^[*] إله البحر والمياه، والزلازل، والخيول، في الأساطير اليونانية.

^[**] ديموسثينيس: رجل دولة وخطيب في أثينا القديمة، خلال القرن الرابع قبل الميلاد.

20 - إلى أورفيوس

هَذَا الصَّيْفِ ، تَحْتَ كَوَكَبَةِ الْقِيَارَةِ ، نَبَقَى مُتَأَمِّلِينَ .

مَاذَا كَانَتْ جَدْوَى التَّعْنِي بِـ "هَادِيس" وَ"بِيرْسِيفُون" فِي أُغْنِيَتِكَ ؟
بِمُؤَافَقَتِهِمَا عَلَى إِعَادَةِ "إِيُورِيدِيس" إِلَيْكَ ؟ وَأَنْتِ ، مُتَشَكِّكًا فِي قُوَّتِكَ ،
تَرَاجَعْتَ لِتُعِيدَ تَأْكِيدَ ذَاتِكَ ، وَضَاعَتِ هِيَ مِنْ جَدِيدٍ فِي مَمْلَكَةِ الْأَطْيَافِ
تَحْتَ أَشْجَارِ الْحُورِ .

أَنْثِيذٍ ، مُنْحَنِيًا بِمُخَاوَلَةِ الْمُسْتَحِيلِ ، أَعْلَنْتِ

لِلْقِيَارَةِ الْعُزْلَةَ كَحَقِيقَةٍ نِهَائِيَّةٍ . لِهَذَا

فَلَا الْآلِهَةَ وَلَا النَّاسُ نَسُوكَ . وَتَابِعَاتُ بَاخُوسِ مَزَقْنَ جَسَدَكَ
أَشْلَاءً عَلَى شَوَاطِئِ "هَيْبَرُوس" . وَلَمْ تَصِلْ إِلَى لَيْسَبُوسِ سِوَى قِيَارَتِكَ
وَرَأْسِكَ

مُنْسَاقَتِينَ مَعَ التِّيَّارِ .

فَمَا هُوَ إِذَنْ تَبْرِيرُ أُغْنِيَتِكَ ؟

أَهْوَالِ امْتِزَاجِ اللَّحْظِيِّ (صُورَةٌ زَائِفَةٌ فِي ذَاتِهَا) لِلنُّورِ وَالظُّلَامِ ؟

أَمْ، رُبَّمَا، عَلَّقَتْ عَرَائِصُ الشَّعْرِ قِيَارَتَكَ فِي مُنْتَصَفِ النُّجُومِ تَمَامًا؟

تَحْتَ هَذِهِ الكَوْكَبَةِ، فِي صَيْفِ هَذَا العَامِ، نَبَقَى مُتَأَمِّلِينَ .

كارلوفاسي، ساموس، 27 يونيو 1969

الحائِط في المرآة

(1971 - 1967)

1 - رؤية عامّة

الآن ، كما ترى ، فهنا هنا ستعيش - قال . هنا . ماذا يهّم ،
هنا أو هناك ؟- البعض يهبطون ، والآخرون يصعدون
نفس السّلم ،- لا يُحيون بعضهم البعض . نافذة تُصد ،
وأخرى تفتح . الرؤية ذاتها : وادٍ ، تل ،
فيه يمضي عَجُوزٌ في الغُروب ، وجيّدًا مع عكّازِه ،
زيتون ، كُروم ، أشجارُ سرورٍ وحرور ،
بُرجُ جرس ، الثَّهر ، الكلب ، الأثوبيس ، إبريق ،
تمائيل ، تَمائيل ، ذاتُ أجنحةٍ كبيرةٍ من رُخام -
وحتى لو كانت لديك في كَيْفِيكَ ، فهل تظن أنّك ستستطيع الطيران ؟

67/11/3

2 - بِيَاض

وَضَعَ يَدَهُ عَلَى الصَّفْحَةِ
حَتَّى لَا يَرَى الصَّفْحَةَ الْبَيْضَاءَ .
رَأَى فَوْقَهَا يَدَهُ الْعَارِيَةَ . هَكَذَا
أَغْمَضَ أَيْضًا عَيْنَيْهِ الْاِثْنَتَيْنِ ، وَسَمِعَ
يَصَاعِدُ بِدَاخِلِهِ ، خَفِيَّةً ،
الْبِيَاضَ الظَّلَائِيَّ ، الْعَصِيَّ عَلَى الوَصْفِ .

ليروس، 67/11/10

3- امتياز

إِنِّي لَا أَفْهَمُ - قَالَ - هَذِهِ الْهَزَاتِ الْمَفَاجِئَةِ .
وَكَيْ أَنْسَى أَنْظُرُ فِي الْمِرَاةِ الصَّغِيرَةِ ،
أَلَمْحُ النَّافِذَةَ السَّاكِنَةَ ، أَرَى الْحَائِطَ -
لَا شَيْءَ يَتَغَيَّرُ ، سِوَاءِ فِي دَاخِلِ الْمِرَاةِ أَوْ خَارِجِهَا .
أَتْرُكُ وَرْدَةً عَلَى الْكُرْسِيِّ (فِي وَقْتِ ذُبُولِهَا) .
هَذَا هُنَا أَقِيمُ ، فِي هَذَا الرَّقْمِ ، فِي مِثْلِ هَذَا الشَّارِعِ . حِينَ رَفَعَانِي فَجَاءَ
(الْكُرْسِيُّ بِالْوَرْدَةِ) وَذَلِكَ مَا عَاوَدَاهُ ، بِتَقَافُزٍ ،
إِلَى الْأَسْفَلِ ، إِلَى الْأَعْلَى ، - لَا أُدْرِي . وَحَسْبِ الْحِظِّ
كَانَ لَدَيَّ وَقْتُ لَأَنْ أَضَعُ الْمِرَاةَ الصَّغِيرَةَ فِي جَيْبِي .

4- ابتهاج

وَاحِدًا وَاحِدًا ، تَفَرَّغُ الْأَشْيَاءَ
وَلَيْسَ هُنَاكَ أَبَدًا مَا يُمَكِّنُ فِعْلَهُ . يَبْقَى وَحِيدًا ،
يَنْظُرُ إِلَى يَدَيْهِ ، إِلَى أَظْفَرِهِ - بِالِغَةِ الْغَرَابَةِ -
يُرَبِّتُ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى ذَقْنِهِ ، يَنْتَبِهُ :-
ذَقْنٌ أُخْرَى ، بِالِغَةِ الْغَرَابَةِ بِبَسَاطَةٍ تَمَامًا ،
غَرِيبَةٌ بِصُورَةٍ بِالِغَةِ الْعُمُقِ وَالطَّبِيعِيَّةِ ، حَتَّى أَنَّهُ هُوَ نَفْسَهُ
تَمَلَّكَتْهُ الْبَهْجَةُ بِسِيمَائِهِ الْمَكْتَمِلَةِ .

67/11/22

5 - تنازلات مُتبادلة

عَيْنَاهِ بِلَا تَعْبِيرٍ وَثَابِتَتَانِ - كَانَ يَتَّظَاهَرُ بِالْعَمَى . فِي جَاكِيتٍ مُرَقَّعٍ ،
بَاهِتِ اللَّوْنِ ، فَضْفَاضٍ عَلَيْهِ ، وَعُكَّازٍ فِي يَدِهِ ، تَقَدَّمَ ،
مُتَخَبِّطًا فِي الْحَوَائِطِ . وَالْجَمِيعِ - أَطْفَالٌ ، رِيَاضِيُّونَ ، رَجَالٌ عَجَائِزُ ،
نِسَاءٌ جَمِيلَاتٌ ، ضَبَّاطٌ - عَرَضُوا بِلَهْفَةٍ أَنْ يَقُودُوهُ ،
لَا إِلَى مَا يُرِيدُونَ ، بَلْ - لِلْغَرَابَةِ الشَّدِيدَةِ - إِلَى مَا طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَذْهَبُوا بِهِ ،
هُنَاكَ بِالتَّحْدِيدِ . فِي الْمَقَابِلِ ، وَبِطَرِيقَةٍ مُرْهَفَةٍ ،
لَمْ يَتَحَدَّثْ أَبَدًا تَقْرِيْبًا ، عَمَّا لَاحَظَهُ . وَلَوْ تَكَلَّمَ ،
فَإِنَّهُ كَانَ دَائِمًا مُنْتَبِهًا لِتَغْيِيرِ الْمَكَانِ ، وَالْأَسْمَاءِ ، وَالتَّوَارِيخِ
مُخْفِيًا لَهَا جَمِيعًا ، وَمُخْفِيًا نَفْسَهُ أَيْضًا فِيمَا وَرَاءَ الْمُخْفِيِّ
(أَمْ إِنَّهُ كَانَ ، عَلَى الْعَكْسِ ، يَكْشِفُ بِالمَصَادَقَةِ ، المَجْهُولَ المَشْتَرَكَ بَيْنَهُمْ ؟).

يناير 1968

6 - اعتدال

الكلمات أشبه ما تكون بالأحجار . فيمكنك بناء
منازل آمنة بأثاث أبيض ، بأسرة بيضاء ،
جاهزة فحسب لشخص ما يسكنها ، أو على الأقل
ليقف وينظر من خلال سياج الحديقة في اللحظة
التي يتخذ فيها زجاج التوافيد اللون البني المحروق ، وغالياً على الثلال
ترن أجراس المساء ، وبعد برهة
يخبط حبل الجرس المرتخي بالجدار من تلقاء نفسه .

يناير 1968

7- دُمِّي من شَمع

دَخَلَ القَاعَةَ . كَانَ ثَمَّةَ ضَوْءٍ شَهِيقٍ . أَمَعَنَ التَّنَظَرَ
فِي الدُّمِّي الشَّمعِيَّةِ العَارِيَّةِ، المَلَوْنَةِ بِجَمَالٍ - أَحَبَّهَا :
بِشَغْفٍ مَا ، شَهَوَانِيَّ تَقْرِيْبًا . أَجْسَادُ بَدِيْعَةٍ ، كَأَنَّهَا مَجْبُولَةٌ كُلُّهَا
وَفَقَّ نَفْسِ التُّمُوذِجِ ، فِي أَعْمَارٍ مُخْتَلِفَةٍ . حِينَ رَفَعَ عَيْنَيْهِ ،
تَعَرَّفَ عَلَى وَجْهِهِ فِي وُجُوْهِهَا . فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ،
سَمِعَ وَقَعَ خُطَى فِي الرُّوَاقِ . خَلَعَ مَلَابِسَهُ عَلَى عَجَلٍ ، ثُمَّ وَقَفَ سَاكِنًا .
دَخَلُوا ، رَكَضُوا عَبْرَ القَاعَةِ ، وَفِي التَّهَيِّاتِ وَقَفُوا أَمَامَهُ . " هَذَا التَّمَثَالُ
يَبْدُو طَبِيعِيًّا عَلَى الأَقْلِ " ، قَالَتِ امْرَأَةٌ ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ .
سَمِعَ رُمُوشَهُ وَهِيَ تَنْخَفِضُ . انغَلَقَتْ .

يناير 68

8 - الألم الخفي للديكور

لِيُنْقِذَ حَقِيقَتَهُ ، نَطَقَ بِأَلْفِ كِذْبَةٍ .
وَفِي التَّهَيَّاتِ لَمْ يَعُدْ قَادِرًا عَلَى تَذَكُّرِ مَا كَانَ يُرِيدُ إِنْقَاذَهُ .
وَالْآخَرُونَ ، قُبِيلَ الدَّهَابِ إِلَى الْفِرَاشِ ، وَضَعُوا أَحْذِيَّتَهُمْ
فِي الْحِزَانَةِ ؛ وَعَالِيَتُهُ النَّاسِ ، النَّاسِ الْأَبْسَطِ ،
وَضَعُوهَا تَحْتَ الْأَسِرَّةِ ؛ وَالبَعْضُ ، الْأَكْثَرُ نُدْرَةً ،
وَضَعُوهَا عَلَى الْكَرَاسِيِّ ؛ لَكِنَّ الْجَمِيعَ ، بِإِلَا اسْتِثْنَاءٍ ،
كَانُوا يَمُوتُونَ ذَاتَ نَهَارٍ أَوْ آخَرَ (أَوْ فِي اللَّيْلِ) .
وَقَدْ تُرِكَ جِذَاءُ نِسَائِي ، أَبْيَضَ ،
أَمَامَ نَافِذَةٍ مَفْتُوحَةٍ . الْهَوَاءُ يَهْبُ بِرِقَّةٍ .
وَالسَّتَارَةُ الطَّوِيلَةُ الْبَيْضَاءُ تُلَامِسُهُ بَيْنَ آنٍ وَآخَرَ .

أكتوبر 71

9- عَرَضًا

مَا إِنْ يَنْتَهِي - قَالَ - حَتَّى تُصْبِحَ الْحَوَاشِي مُضْجِرَةً :
الإيماءات ، الكَلِمَات ، التَّكْرَارَات ، الأَعْلَامُ الْمُنتَفِخَةُ ،
لَكِنْ بِفِعْلِ الْمَرَاجِحِ وَحَدَهَا ، - سَتْرُونَ فِي نِهَائِيَةِ الْحَفْلِ .
هُنَاكَ ، الدَّيْلُ الْمُتْرِبُ لِلَّيْلِ الَّذِي يَتَجَرَّجِرُ وَسَطَ الْأَشْوَاكِ ،
وَهُوَ ، عِنْدَ الْبَابِ ، يَدْعُكَ أُذُنُهُ بِعُودِ ثِقَابِ .

ليروس ، 67 / 11 / 24

10 - عَوْدَةٌ

فِي الْبِدَايَةِ رَحَلَتِ التَّمَاثِيلُ . فِيمَا بَعْدَ بَقْلِيلِ
الْأَشْجَارِ ، وَالنَّاسِ ، وَالْحَيَوَانَاتِ . تُرِكَتِ
الْأَرْضُ مَهْجُورَةً تَمَامًا . كَانَ ثَمَّةَ رِيحٍ تَهْبُ .
جَرَائِدُ وَأَشْوَاكُ تَرُكُضُ عَبْرَ الشَّوَارِعِ .
فِي الْمَسَاءِ أُضِيئَتِ الْأَنْوَارُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا .
عَادَ رَجُلٌ وَحْدَهُ ، نَظَرَ حَوَالِيهِ ،
أَخْرَجَ مِفْتَاحَهُ ، غَرَسَهُ فِي الْأَرْضِ
كَأَنَّمَا يُسَلِّمُهُ إِلَى يَدِ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ ،
كَأَنَّمَا يَزْرَعُهُ شَجَرَةً . ثُمَّ صَعَدَ
السَّلَالِمَ الرُّخَامِيَّةَ وَنَظَرَ لِأَسْفَلِ عَلَى الْمَدِينَةِ .
يَحْذِرُ ، وَاحِدًا وَاحِدًا ، كَانَتْ التَّمَاثِيلُ تَعُودُ .

11 - نوفمبر

شَجَرَتَا الْكَيْنَا تَحْتَ الْمَطَرِ، وَالْمَنَاضِدُ الْحَشِيَّةُ .
الْمَخْرَنُ الْقَدِيمُ خَاوٍ . الْحَائِظُ ذُو بَلَلٍ أَحْمَرُ .
لَا نَجَّارَ، لَا غَامِلَ زُجَّاجَ، لَا كَهْرَبَائِيَّ - لَا أَحَدَ .
وَاحِدَ، اثْنَانِ، سَيِّدِي، - لِمَاذَا؟ أَرْبَعَةٌ، سَبْعَةٌ، يَا سَيِّدِي، - كَمَ الْعَدَدُ؟
السَّلَالِمُ تَلْتَمِعُ . الْحَارِسُ يَهْبِطُ التَّلَّ .
الْآخِرُ بَقِيَ هُنَاكَ، فِي مَوْقِعِ الْحِرَاسَةِ، مَعَ رَادِيُو تِرَانِزِسْتُورِ، يَا سَيِّدِي .
شَعْرُكَ مُبَلَّلٌ - آه، اسْمَحْ لِي بِلَمْسِ شَعْرِكَ .
الرِّيحُ أَطْفَأَتْ سِيَجَارَتِي فِي يَدِي وَأَطَاحَتْ بِهَا إِلَى الطِّينِ .
آه، يَا سَيِّدِي، كَمَ الْعَدَدُ؟ - خَمْسَةٌ، سَبْعَةٌ، وَخَمْسَةٌ، سَبْعَةٌ، وَمِنْ
جَدِيدِ خَمْسَةٍ .

67/11/28

12- بِمَعْنَى أَوْ بَأْخَرَ

كَأَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ ، يَتَنَاقَشُونَ ،- فِي هَذِهِ الصُّوَصَاءِ كُلِّهَا ، لَمْ يَكُنْ يَتِمُّ تَمْيِيزُ شَيْءٍ . شَخْصٌ مَا

يَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ ، يَأْخُذُ حَجْرًا وَيَسْتَخْدِمُهُ فِي كَسْرِ لَوْزَةٍ . الْفَرْقَةُ
وَاضِحَةٌ ، مُحَدَّدَةٌ ،- مِثْلَمَا حِينَ صَعَدَ الْآخِرُ السُّلْمَ الْحَشَبِي
لِيُعَلِّقَ أَعْلَى الْبَابِ لَوْحَةً كَبِيرَةً مَقْلُوبَةً . آتَيْدِ

صَمِتَ الْجَمِيعَ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، نَظَرُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَنَظَرُوا :-
كَانَ يُمَكِّنُ رُؤْيَةَ الْمَسَامِيرِ الصَّدِئَةِ الصَّغِيرَةِ ، وَجُثَّتِ الذُّبَابُ ،
بِالْمَقْلُوبِ ، نَعَمْ .- كَارْتُونِ رَمَادِي بِبُقْعٍ مِنَ الرُّطُوبَةِ . وَرَبَّمَا
لَمْ يَكُنْ مَطْلُوبًا قَطُّ إِخْفَاؤُهَا ، بَلْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِالذَّاتِ مَرْتَبًا .

67/12/1

13 - شذرات

كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا .- تَحْتَ الْأَعْلَامِ ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لِيَفْكَرَ .
فِيمَا بَعْدَ ، حِينَ لَمَلَمْنَا الْأَعْلَامَ لِتَضَعَهَا فِي صُنْدُوقِهَا ،
أَضَاعُوا الْحَيْطَ ؛- قَدَمٌ مَقْطُوعَةٌ أَوْ يَدٌ ،
وَأَحْيَانًا الرَّأْسَ . كَانَ الْمُنْبَهَ يَرِنُ وَحْدَهُ فِي الْمَطْبَخِ ،
وَالْمَاءُ يَغْلِي ، يَفِيضُ عَنِ الْحَاقَّةِ . وَالْجَرِيحُ ، جَعَلُوهُ يَجْتَازُ
فِي الْحَقَاءِ الرُّوَاقَ ، مَخْفِيًّا فِي بَطَانِيَّةِ .
وَفَجَاءَ ، فِي الْعُرْفَةِ الْأَخِيرَةِ ، سُمِعَتِ الصَّرْحَةُ .
وَضَعُ الْجَمِيعُ أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ كَأَنَّمَا هُمْ مَنْ صَرَخُوا .

67/12/12

14 - حُدُود

لَدَى مُرُورٍ مُنْتَصِفِ اللَّيْلِ ، دَوَّى البُوقُ . لَا أَحَدٌ
كَانَ يَعْرِفُ مَا يَجْرِي . كَانَ الْجَمِيعُ يَنْظُرُونَ ، مِنْ وَرَاءِ التَّوَاغِدِ .
الْأَضْوَاءُ مُطْفَأَةٌ ، السِّتَائِرُ مُسَدَّلَةٌ . وَحَدَهُ حَارِسُ الْحِزَّانِ مَنْ خَرَجَ ،
صَعَدَ السَّلَالِيمَ ، وَعَاوَدَ الْهَبُوطَ . وَكَلَبَهُ
يَأْخُذُ فِي التُّبَاحِ فِي الْقَمَرِ . خَمْسَةَ رِجَالٍ بِأَقْنِعَةٍ
دَخَلُوا قَاعَةَ الْحَمَّامَاتِ ، نَزَعُوا أَوَّلًا الْفَوَاصِلَ ،
وَالْبَنْطَلُونَاتِ وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَالْقَمَصَانَ ، وَالسَّرَاوِيلَ الدَّاخِلِيَّةَ ، وَالْأَحْذِيَّةَ ،
وَخَمْسَ سَاعَاتٍ يَدَ . أَمَّا أَقْنِعَتُهُمْ ، فَلَمْ يَخْلَعُوهَا .

67/12/12

15- أداة تعبير

لَمْ يَكُنْ يُجِبُ الْأَشْيَاءَ ، وَالْكَلِمَاتِ ، وَالظُّيُورَ الَّتِي كَانَتْ قَدْ أَصْبَحَتْ
شِعَارَاتٍ أَوْ رُمُوزًا (وَلَا شَيْءَ أَوْ تَقْرِيبًا أَفَلَتَ مِنْ هَذَا الْمَصِيرِ) .
وَأَيْضًا لَمْ يَعُدْ يُفَضَّلُ أَنْ يَفْتَحَ فَمَهُ ،
بَلْ يَقُومُ ، كَالْخُرَيْسِ ، بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْإِيمَاءَاتِ الْغَرِيبَةِ ،
الْهَادِئَةِ ، الْمَلْتَبِسَةِ ، الْمَرِيرَةِ أَوْ بِالْأَحْرَى الْمَضْحَكَةِ . وَهُمْ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ ،
بَعْدَ عِدَّةِ أَعْوَامٍ ، كَانُوا قَدْ أَصْبَحُوا شِعَارَاتٍ .

67 / 12 / 12

تَسَلَّقْنَا التَّلَّ لِئُلْقِي نَظْرَةً عَلَى بَلَدِنَا :
حُقُولٌ قَلِيلَةٌ وَفَقِيرَةٌ ، صُخُورٌ ، أَشْجَارُ زَيْتُون .
مَزَارِعُ كُرُومٍ تَمْتَدُّ إِلَى الْبَحْرِ . وَبِجَوَارِ الْمِحْرَاثِ
نَارٌ صَغِيرَةٌ تَنْفُثُ الدُّخَانَ . صَنَعْنَا مِنْ ثِيَابِ الْجَدِّ الْعَجُوزِ
خِيَالَ مَاتَةٍ لِمُوَاجَهَةِ الْغُرَبَانِ . وَأَيَّامُنَا
تَتَقَدَّمُ نَحْوَ خُبْزٍ قَلِيلٍ وَضَوْءٍ كَثِيرٍ .
تَحْتَ أَشْجَارِ الْحُورِ تَلْتَمِعُ قُبْعَةٌ مِنْ قَشٍ .
الدَّيْكَ فَوْقَ السِّيَاحِ . الْبَقْرَةُ صَفْرَاءُ .
كَيْفَ تَوْصَلْنَا إِلَى تَنْظِيمِ بُيُوتِنَا وَحَيَاتِنَا بِيَدٍ مِنْ حَجَرٍ ؟
وَحَتَّى عَتَبَاتِ أَبْوَابِنَا ، هُنَاكَ أَيْضًا سِنَاجٌ -
مِنْ شُمُوعِ أَعْيَادِ الْفِصْحِ -
وَصُلْبَانٌ صَغِيرَةٌ هُنَاكَ رَسَمَهَا عَامًا بَعْدَ عَامٍ
الْمَوْتَى الْعَائِدُونَ مِنْ صَلَاةِ النُّشُورِ .
هَذِهِ الْأَرْضُ مَفْتُونَةٌ بِالصَّبْرِ وَالْكَرَامَةِ .

وَكُلَّ لَيْلَةٍ ،
تَشْرَبُ التَّمَاثِيلُ مِنَ الْبَيْرِ الْجَافِّ فِي حَذَرٍ ،
وَتَتَسَلَّقُ الْأَشْجَارَ .

ليروس ، 67/12/13

17- الحاجة للتعبير

مَعَ الْوَقْتِ وَالْتَعَبِ ، تَمُوتُ أَيْضًا الْكَلِمَاتُ - قَالَ .
لَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ شَيْءٌ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْأَشْيَاءِ . أَصَابِعُهُ
أَصْبَحَتْ مَحِيلَةً لِلْغَايَةِ . خَاتَمُهُ يَسْقُطُ . يَرْبِطُهُ بِقِطْعَةِ خَيْطٍ ،
يَرْمِي بِهِ فِي الْآبَارِ ، وَيَصْعَدُ بِهِ . لَا شَيْءَ . قَالَ آبَارُ
لَمْ يَعُدْ بِهَا مَاءً ، وَلَا لِلْخَيْطِ أَيُّ مَعْنَى . وَمَعَ ذَلِكَ
قَاصِدًا هَذَا الْخَاتَمِ بِالصُّخُورِ ، كَمَا لَوْ أَنَّهُ كَانَ يَرُصِدُ شَيْئًا مَا ،
شَيْئًا مَا يَنْبَغِي رَصْدُهُ بِأَيِّ ثَمَنٍ ، فَلَرُبَّمَا ، مَعَ حُلُولِ الْمَسَاءِ ،
يَتِمُّ التَّوَصُّلُ إِلَى الْعَدَدِ الْفَرْدِيِّ نَفْسِهِ الْمَنْقُوشِ وَرَاءَ الْبَابِ .

67/12/17

يَقُومُ بِالْوُقُوفِ عَلَى السَّقْفِ . "الآن ، سَوْفَ أَقْفِزُ" ، صَاح .
النَّاسُ بِالْأَسْفَلِ ، سَاكِنِينَ ، كَانُوا يَلْتَقِطُونَ أَنْفَاسَهُمْ . قَامَ
بِإِيمَانَةٍ أُنَيْقَةٍ - كَاسْتِعْدَادٍ لِلْقَفْزِ - ، غَيْرَ رَأْيِهِ ،
هَبَطَ بِهُدُوءٍ ، وَظَهَرَهُ مُسْتَدِيرٌ إِلَى السُّلَمِ . وَخِلَالَ بَضْعِ ثَوَانٍ ،
دُونَ مَعْرِفَةٍ بِالْمَوْقِفِ الْوَاجِبِ اتِّخَاذِهِ ، ضَحِكَ النَّاسُ ، وَاعْتَاطُوا . فِي
النَّهَائَةِ صَفَّقُوا .
امْرَأَتَانِ فَحَسَبَ كَانَتَا تَنْظُرَانِ فِي اتِّجَاهِ آخَرَ . وَالثَّالِثَةُ كَانَتْ قَدْ وَلَّتْ .

67/12/23

19 - قصيدة صغيرة

كَانَ الْكَلْبُ يَقْبِضُ عَلَى الطَّائِرِ فِي فَمِهِ .
وَقَطَرَاتُ صَغِيرَةٍ مِنَ الدَّمِ تَسِيلُ عَلَى الصُّخُورِ .
الصِّيَادُ وَسَطَ الْأَعْشَابِ ، - كَانَ وَسِيمًا .
وَتُقْبُ أَحْمَرُ فِي صِدْغِهِ . وَالْكَلبُ
كَانَ وَاقِفًا بِقُرْبِهِ ، يَنْظُرُ بِحُزْنٍ -
وَيَحْتَفِظُ بِالطَّائِرِ مُحْكَمًا أَسْنَانَهُ عَلَيْهِ .

67/12/25

20 - حُزْن

كَانَتْ تَصْعَدُ السُّلَّمِ الْخَارِجِيَّ ، حِينَ أَطَاحَتِ الرِّيحُ بِمَنْدِيلِ يَدِهَا .
هَبَّطَتْ ، عَثَرَتْ عَلَيْهِ بِسُهُولَةٍ . وَشَيْءٌ مَا ، مَعَ ذَلِكَ ،
كَانَ يُبْقِي شَفَتَيْهَا مَزْمُومَتَيْنِ ، - رُبَّمَا كَانَ ضَرُورَةً أَنْ تَصْعَدَ السُّلَّمِ مِنْ
جَدِيدٍ ،

أَوْ بِالْأَحْرَى بِسَبَبِ أَنَّهَا هَبَّطَتْ .

وَالْتَمَثَالُ هُنَاكَ ، بِجِوَارِ الْبَابِ ،
عَارٍ فِي وَقْدَةِ الشَّمْسِ (عَمَّ كَانَتْ تَبْحَثُ ؟) ، مُمَسِّكَةً كَمَا لَوْ بِصَوْلَجَانِ
بِقَانُوسٍ مَا يَزَالُ مُضَاءً .

اقْتَرَبَتْ ، نَظَرَتْ ،

رَبَّطَتْ الْمَنْدِيلَ حَوْلَ كَاحِلِهَا ، وَدَخَلَتْ الْمَنْزِلَ .
وَرَاءَ الْبَابِ ، كَانَ يُسْمَعُ صَمْتُهَا . وَفِي الْخَارِجِ ، شَدُو زَيْزِ الْحَصَادِ فِي
الْحَدِيقَةِ .

21- موكب المساء

أراضٍ فقيرةً، فقيرةٌ للغاية . أدغالٌ مُحترقةٌ ، وصُخورٌ -
مُجْبهاً ، هذه الصُّخورُ ، عَكفنا عليها . والزَّمنُ يَمُرُ .
غُرُوبُ الشَّمسِ مُتَوَهِّجٌ . زُجَاجُ التَّوَاغِيذِ قَاتِمٌ ، قُرْمُزِيٌّ .
وَرَاءَ آيَةِ الزُّهُورِ ، ثَمَّةٌ فَتَيَاتٌ يَنْتَظِرُنَ .
ضَبَابٌ يَتَصَاعَدُ مِنْ بُسْتَانِ الزَّيْتُونِ . حِينَ يَهْوِي فِي الْمَسَاءِ ،
وَرَاءَ أَشْجَارِ السَّرْوِ يَصْعَدُ الْمَوْكِبُ الْبَطِيءُ لِحَامِلَاتِ الْأَشْرَعَةِ ،
مُحْطَوَاتُهُنَّ شَيْءٌ مَا مِنَ الْخَشُونَةِ ، كِبْرِيَاءٌ عَتِيقٌ وَحَزِينٌ ، -
وَفَجَاءَهُ تَدْرِكٌ مِنَ الْخُطْيِ : أَنَّ رُكْبَهُنَّ
مِنْ رُخَامٍ ، مُتَكَسِّرٍ ، وَمُتَلَاصِقٍ بِالْأَسْمَنِ .

22 - تَغْيِيرَاتٌ فِي الْعَادَاتِ

أَمَامَ الْبَابِ ، ثَمَّةَ قَائِمَةً . هُوَ لَاءُ
مِمَّنْ كَانُوا يَسْمَعُونَ أَسْمَاءَهُمْ كَانُوا يَسْتَعِدُّونَ عَلَى عَجَلٍ ، -
حَقِيبَةً مُمَزَّقَةً ، صُرَّةً - أَمَّا غَيْرَ الضَّرُورِيِّ ، فَكَانُوا يَتْرُكُونَهُ .
كَانَ الْمَكَانُ يَخْلُو ، يَتَقَلَّصُ . وَأُولَئِكَ الَّذِينَ بَقُوا ، كَانُوا يَتَقَارَبُونَ .
مُنْبَهُ مَنَسِي ، وَضَعُوهُ فِي رُكْنٍ مِنَ الْمَكَانِ ، بِشَكْلِ وَاضِحٍ ،
يَاذَعَانِ مَا وَاهْتِمَامٍ خَاصٍ .
مُنذُ ذَلِكَ الْحِينِ ، وَطَوَالَ الْأُمْسِيَّاتِ ،
كَانَ كُلُّ مِنْهُمْ يَصْعَدُ فِي دَوْرِهِ ، مُنْتَظِرًا فِي هُدُوءٍ
أَنْ يَرِنَ فِي السَّادِسَةِ وَالرُّبْعِ ، فِي الصَّبَاحِ الثَّالِي ، لِيَخْرُجَ وَيَغْتَسِلَ .
وَذَاتَ يَوْمٍ ،
رَنَّ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ . نَهَضُوا ، وَاغْتَسَلُوا (كَانَ الْقَمَرُ بَدْرًا) ،
ثُمَّ جَلَسُوا فِي حُلُقَةٍ حَوْلَ الْمُنْبَهِّ وَأَشْعَلُوا سَجَائِرَهُمْ .

23- أفق

ذَاتَ صَبَاحٍ مَعَ الْجُزْرِ وَالْأَسُودِ الرَّخَامِيَّةِ ،
هَذَا الْبَلَدُ التَّارِيفُ الَّذِي يُصِيبُكَ بِالْأَلَمِ ،
بِأَسْوَاكِهِ الصَّفْرَاءِ الْمَمْتَدَّةِ حَتَّى الْجُمْرُكِ ، فِي الْأَسْفَلِ تَمَامًا ،
حِينَ يَهْبِطُ الْحَمَلُ الثَّلْ ،
وَمِنْخَارَاهُ مُتَّسِعَانِ ، وَوَرْدَةٌ بَيْنَ أَسْنَانِهِ -
وَمِنْ وَرَائِهِ ، تَتَدَحْرَجُ الصُّخُورُ إِلَى الْبَحْرِ
حَيْثُ يَسْتَجِمُّ عَرَايَا الْجَانِحُونَ
الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْبَعِيدِ ، فِي الْأَمَامِ ، فِي الْمَاءِ الْأَبْيَضِ ،
إِلَى الْخَطِّ الْأَحْمَرِ لِلدُّوَلْفَيْنِ الْجَرِيحِ .

أثينا ، 71 / 3 / 24

24 - أخطار

الموتى مُسَمَّرُونَ إِلَى الجُدْرَانِ ، قُرْبَ مُلصَقَاتِ إعلَانَاتِ
القُرُوضِ الوَطَنِيَّةِ . الموتى وَاقِفُونَ عَلَى الأَرْضِ صِفَةً ،
عَلَى المنصَّاتِ الرَّسْمِيَّةِ ، بِالأَعْلَامِ وَالحِوْذَاتِ ،
بِأَقْنِعَةٍ مِنْ كَرْتُونِ .

الموتى

لَمْ يَعُدْ لَدَيْهِمْ مَا يُخْفُونَهُ ، فَلَيْسُوا سَادَةً
عِظَامِهِمُ اليَابِسَةَ (موتى قَائِلُونَ لِلتَّفَاوُضِ ، صِنَادِيْقُ
تَرْفَعُهَا الرِّوَافِعُ ، كَرْتُونُ أَصْفَرٌ بِدَبَابِيْسِ) . الموتى
يَتَحَمَّلُونَ المَخَاطِرَ الأَسْوَأَ .

وَذَاكَ ، المَتَنَّبِيُّ ، بِمِظَلَّتِهِ ،

الَّذِي يَسِيرُ عَالِيًا هُنَاكَ عَلَى أَسْلَاقِ الكَهْرَبَاءِ ، بِهِلَوَانًا
أَعْلَى العَرَضِ ، وَالعَيْنَانِ مَرْبُوطَتَانِ بِمِنْدِيلِ ،
فِيمَا تَنْهَلُ القَطْرَاتُ الأُولَى لِلْمَطْرِ .

بَعْدَهَا انْفَجَرَتِ العَاصِفَةُ .

نَادَى قَارِعُو الطُّبُولِ عَلَى النِّسَاءِ لِيُخَبِّتُوا الْأَعْلَامَ .
وَهَؤُلَاءِ النِّسَاءُ كُنَّ مَحْبُوسَاتٍ فِي الْكُهُوفِ وَقَدْ أَكَلْنَ مَفَاتِيحَهُنَّ .

أثينا، 25/3/77

25 - ملاحظة ربيعِيَّة

أَجْسَادُ مَهْجُورَةٍ ، أَحْرَقَتْهَا الشَّمْسُ ، عَارِيَةٌ تَمَامًا ،
عَدَا سَاعَةَ الْمِعْصِمِ الَّتِي تُومِضُ
وَسَطَ ضَرْبَاتِ الشَّاكُوشِ ، وَسَطَ
الْوَاجِ حَشْبِيَّةٍ مُنْتَصِبَةٍ ، مُسْتَوِيَةٍ ، تَعْكِسُ
كُلَّ شَمْسِ النَّهَارِ كَشَمْسِ مُصَغَّرَةٍ ،
وَتَطْفُو عَلَى الدَّمِ الْحَارِقِ الْجَامِحِ
كَلِيمُونَةٍ لَفْظَتَهَا سَفِينَةٌ تَغْرُقُ .

أثينا، 4/4/77

يَرَى الْغَوَاصَّ يَتَحَرَّكُ فِي الْمَاءِ الْعَمِيقِ
بِحَرَكَاتٍ طَفِيفَةٍ ، بِإِيْمَاءَاتٍ جَسَدِيَّةٍ . أَبْعَدَ قَلِيْلًا ،
يَرَى الْعُضْوَ الْجِنْسِيَّ لِلْأَرْضِ وَسَاقِي التَّمْثَالِ
الَّذِي كَانَ يَمْشِي بِمُحْطَى بَطِيئَةٍ فِي الْقَاعِ . يَرَى أَيْضًا ، مُمَدَّدَةً ، هُنَاكَ ،
دَاكِنَةً ، امْرَأَةً كَانَتْ تَنْتَظِرُ ،
وَرُكْبَتَهَا تَرْفَعُهَا سَمَكَةٌ كَبِيْرَةٌ ،
حَمْرَاءُ ، حَمْرَاءُ تَمَامًا ، إِلَى بَطْنِهَا . وَمَعَ ذَلِكَ ،
فَالطَّحَالِبُ لَمْ تَكُنْ تَتَحَرَّكُ ، لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ طَحَالِبٌ .
لَيْسَ سِوَى قِطْعَةٍ نَقْدٍ مَعْدِنِيَّةٍ تَمَّ قَذْفُهَا كَانَتْ تَهْبِطُ بِبُطْءٍ
وَحَطَّتْ فَوْقَ فَمِ الْمَرْأَةِ تَمَامًا .

27 - مكاسب إضافية

لَمْ يَسْمَعُهُمْ يَصْعَدُونَ السُّلْمَ .
بَلْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ وَقْتُ لِيَسْأَلَهُمْ كَيْفَ وَجَدُوا الْمِفْتَاحَ .
ذَلِكَ مَا كَانَ يُسَمِّيهِ تَوْقُفَ الْمَهَلَّةِ . وَلَمْ يَرَمَعْ ذَلِكَ
الشَّقَّ فِي الْأَرْضِيَّةِ . سَحَبَ أَمَامَهُ
سِتَارَةً سَوْدَاءَ كَبِيرَةً ، فِيمَا فِي الْأَعْلَى
يُسْمَعُ صَرِيرُ الْحَوَاتِمِ النَّيْكَلِ ،
هُنَاكَ فِي الْأَعْلَى ، عَلَى الْحَيْطِ الْحَفِيِّ الْمُدُودِ بِارْتِحَاءِ ،
فِي الْأَعْلَى تَمَامًا ، فِي سَمَاءٍ سِرِّيَّةٍ كَانَتْ فِي النَّهَائَةِ تَنْتَمِي إِلَيْهِ .

أثينا، 71/4/6

28 - لَيْلَةٌ مِنْ أBRIL

مَعَ الْمَصْبَاحِ الْمَتْرِبِ الْمُعَلَّقِ بِالسَّقْفِ ،
وَالْحُرَّائِسِ فِي السَّاحَةِ ، بِالْخَارِجِ تَحْتَ التُّجُومِ ،
وَقَدْ فَكَّرُوا أَرْبِطَةَ أَحْذِيَّتِهِمْ ، بِلَا أَيَّْةِ شُكُوكِ . وَالْآخَرُونَ
يَبْحَثُونَ بِعَمَى عَنِ تِلْكَ الْفَجْوَةِ بِالْحَائِطِ
الْمَنْقُوبَةِ مُنْذُ وَقْتِ طَوِيلٍ فِي السَّرِّ فِي الظَّلَامِ
بِمِلْعَقَةِ الْمَطْعَمِ - مُنْذُ وَقْتِ طَوِيلٍ لِلْغَايَةِ . بِالذَّائِلِ ،
تَفُوحُ رَائِحَةُ كَثِيفَةً لِشَجَرَةِ لَيْمُونٍ مَنْسِيَّةٍ
فِي رُكْنِ بُسْتَانِ بَرِّي ، مَعَ قَمَرِ حَزِينٍ
يَرِي بِرُهُورٍ بَيْضَاءٍ عَلَى أَكْتَاكِ امْرَأَةٍ
كَانُوا يُلقَّبُونَهَا عَنْ حَقِّ بِـ "الْجَمَالِ" أَوْ "الْحُرِّيَّةِ"
لَوْ لَمْ تَكُنْ كُلُّ الْكَلِمَاتِ قَدْ أَصْبَحَتْ حَصَى فِي الْقَمِ ،
وَلَوْ لَمْ يَأْتِ الْفَأْرُ الصَّغِيرُ ، عَلَى الْأَسْمَنْتِ ،
مُتَنَزِّهَا فِيمَا بَيْنَ أَنْيَّةِ الزَّبَادِيِّ الْفُخَّارِيَّةِ الْحَاوِيَّةِ .

أثينا، 71/4/9

سَا حَة هَادِئَةٌ ، صَامِتَةٌ . الْأَشْجَارُ حَزِينَةٌ وَمَرِيضَةٌ ،
سَامِقَةٌ دَاخِلَ الزَّمَنِ . رَائِحَةُ عَفْنٍ .
السَّحْلِيَّةُ ، الْآبَارُ الْمَسْتَنْزِقَةُ ، أَزْهَارُ الْجِيرَانِيَوْمِ . مِنْ هُنَاكَ ، قَرَابَةُ الْمَسَاءِ ،
الْأَعْرَجُ الشَّابِ . عَلَى الْبَابِ الْمَقَابِلِ
يَسْتَنْدُ الْأَكْتَعُ الشَّابِ . يَنْظُرُ فِي الْبَعِيدِ .
لَا يُجِيئِي أَحَدُهُمَا الْآخَرَ . يَكْرِزَانِ عَلَى أَسْنَانِهِمَا . يُرِيدَانِ نِسْيَانَ
ذَلِكَ الطَّائِرِ الْمَيِّتِ الَّذِي دَفَنَاهُ مَعًا ذَاتَ مَسَاءٍ ، فِي زَمَنِ
كَانَ الْأَوَّلُ مَا يَزَالُ سَلِيمَ السَّاقِينَ وَالْآخِرُ سَلِيمَ الدَّرَاعِينَ ،
وَمَقْعَدُ الْخُوصِ ، قُرْبَ دَعْلِ الْوُرُودِ ،
كَانَ سَاخِنًا مِنَ الشَّمْسِ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ جَالِسًا ،
وَكُلُّ شَيْءٍ بِلَا غَايَةَ ، حَزِينٌ وَثَابِتٌ ،
وَبِالْتَّالِيِ أَبَدِي ، فِي مَدِينَةِ
عَتِيقَةَ ، مُسَمَّرَةٌ بِبَسَاطَةٍ فِي الْمَسْتَقْبَلِ .

أثينا، 71/4/12

30 - سُوء فَهْم

ذَلِكَ لَا يُغَيِّرُ عَلَى آيَةٍ حَالٍ إِطْلَاقًا مِنْ قَوْلِ الْكَلِمَةِ
أَوْ إِسْكَاتِهَا - مُرَادِفَاتٌ بِمَعَانٍ مُزْدَوِجَةٌ
لِلْمَوْتِ أَوْ الْأَبَدِيَّةِ .

"مِثْلُ هَذَا فِي حَدِّ ذَاتِهِ فِي التَّهَيَّاتِ..." ، يَقُولُ

وَقَدَّمَ عَلَى الْكُرْسِيِّ ، فِي وَضْعِ
الْأَبْطَالِ الْمُنِيعِينَ ، الْمُتَوَاضِعِينَ ، الْمُطْلُوبِينَ بِقُوَّةٍ ، عُمُومًا -
(فِي هَذَا الْوَضْعِ تَمَّ تَصْوِيرُهُ ،
وَهَذِهِ الصُّورَةُ قَامُوا بِنَشْرِهَا فِي كُلِّ مُنَاسَبَةٍ)
وَهَكَذَا فَلَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ - فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ - نِيَّةٌ أُخْرَى
سِوَى أَنْ يَجِلَّ رِبَاطُ حِدَائِهِ الَّذِي كَانَ يُسَبَّبُ لَهُ الْأَلَمُ .

أثينا ، 15 / 4 / 71

31 - حُضُور

جِبَالٌ عَالِيَةٌ ، غُيُومٌ أَعْلَى أَيْضًا ، لِقَاءَاتُ
بَيْنَ الْأَشْجَارِ وَالْأَسَاطِيرِ ، عَلَى الْمُنْحَدَرَاتِ الْحَادَّةِ ،
هُنَاكَ حَيْثُ كَانَ يُدَوِّي ، بِقُوَّتِهِ الْكَامِلَةِ ، الْفِعْلُ
بِلَا خَوْفٍ مِنَ التَّشْدِيدِ ، فِيمَا فِي الْأَسْفَلِ قَلِيلًا ،
فِي صَفَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ ، كَانَتْ التَّمَائِيلُ صَامِتَةً
وَسَطَ الْغُيُومِ الصَّفْرَاءِ لِنَبَاتَاتِ الْوَزَالِ الْمَزْدَهْرَةِ ،
عَارِيَةً تَمَامًا ، وَالْأَثْدَاءُ مُنْتَصِبَةً أَعْلَى مِنَ الْمَوْتِ .

دلفي ، 71 / 4 / 19

32 - آثار خُطَى

بِامْتِدَادِ السِّيَاحِ السَّبْكِيِّ لِلْحَدِيقَةِ ، كَانَ الْجُنُودُ يَمْرُونُ .
فِي الْحَدِيقَةِ الظَّلَالُ المِيدَةُ لِالأشجارِ ،
وَالنَّدَى المِتَلَالِيُّ لِلقَمَرِ عَلَى الذِّكْرِ الرُّخَامِيَّةِ .
كَانَتْ هَيْلِينَ تَقْفُ سَاكِنَةً وَرَاءَ الزَّنَابِقِ الكَبِيرَةِ . فَجَاءَ ،
تُسْمَعُ طَلَقَاتُ الرِّصَاصِ فِي الشُّرْفَةِ المَجَاوِرَةِ .
ذَهَبَتْ هَيْلِينَ عَلَى عَجَلٍ دَاهِسَةً الزَّنَابِقِ . فِي المَنْزِلِ المَقَابِلِ ،
تَنْظِفِيهِ الأَنْوَارُ فَجَاءَ . كَانَ شَخْصٌ مَا يُلْقِي
بِالمَقَاعِدِ فِي الْحَدِيقَةِ . لَمْ يَبَقْ هُنَاكَ سِوَى بَطَانِيَّةٍ تَبَاطَأَ سُقُوطُهَا ،
وَأُنْجَرَفَتْ إِلَى عُصْنِ شَجَرَةٍ ، مُعَلَّقَةً
كَامْرَأَةٍ فِي اللَّيْلَةِ الأُولَى مِنَ الزَّوْجِ .

أثينا، 22 / 4 / 71

33- أخطاء طوعية

"مكاسبٌ وخسائرٌ"، أو "خسائرٌ ومكاسبٌ". فوحده نسقُ الكلمات
هو الجديرُ بالاعتبار - الكلمةُ، المسلّمةُ.

وذلك الشخص

واقفٌ بالفعلِ على الكُربي . وقد نسي
المسمارَ والشاكوش . لا يهبطُ ليأتي بهما .
يضغطُ بكِلتا يديه الصُّورةَ إلى الحائطِ .
ثم يهبطُ ، يتراجعُ .

الصُّورةُ

هناك ، في موضعها تمامًا . لا تهوي . يستبد به الغضب . لا ينطق .
ما يفتقرُ إليه هو صخبُ الزجاجِ المهشم - ينتظره
(أو بالأحرى هذا ما يبدو عليه ، وهل هذا هو ما يمتعه ؟).

ربّما كان هناك مِسْمارٌ في الحائطِ منذُ أمِدٍ بعيد .

أثينا، 71/5/16

34 - اختراع المركز

حَبَسُوهُ فِي دَائِرَةٍ . وَهُوَ كَانَ مُصِرًّا
عَلَى التَّفَكِيرِ ، وَعَلَى المَلاحَظَةِ . كَانَ يَسِيرُ
دَاخِلَ الدَّائِرَةِ ، عَلَى طُولِ الجِدَارِ ، فِي سَاحَةِ
السَّجَنِ الدَّائِرِيِّ . لَمْ يَقُلْ شَيْئًا . وَفِي المَسَاءِ ،
كَانَ يُوَاصِلُ جَوْلَتَهُ ، وَرَأْسُهُ خَفِيضَةٌ . رَبَّمَا كَانَ يُفَكِّرُ فِي شَيْءٍ مَا مُحَدَّدٍ ،
رَبَّمَا كَانَ يُدْرِكُ أَنَّ كُلَّ دَائِرَةٍ لَهَا مَرَكَزٌ
(أَمْ رَبَّمَا ثَمَّةَ مَرَكَزٍ وَاحِدٍ لِكُلِّ الدَّوَائِرِ ؟) .
عَلَى أَيَّةِ حَالٍ ،
كَانَ يَبْتَسِمُ مِنْ جِيبٍ لِآخِرٍ . وَوَرَاءَهُ ،
عَلَى الرَّقْمِ الكَبِيرِ الَّذِي خَطَّهُ ،
كَانَ يَقِفُ طَائِرٌ شَاهِقٌ البَيَاضِ ، لَا يَعْرِفُ بِهِ سِوَاهُ .

أثينا، 18 / 5 / 71

35 - لَا مَزِيدَ مِنْ ذَلِكَ

لَا مَزِيدَ مِنَ الشَّعْرِ، إِذْنٌ، لَا مَزِيدَ مِنَ الشَّعْرِ.
تَعْرِفُ الْآنَ فِيمَا كُنْتَ تَقُومُ بِإِنزَالِ
سَلَّةِ الْمَطْبِخِ الْقَدِيمَةِ
مِنَ الطَّابِقِ السَّابِعِ، مَرْبُوطَةً بِظَرْفِ حَبْلِ،
مَعَ مُوسَى الْحِلَاقَةِ، وَالْحُبْزِ، وَالْحِدَاءِ،
وَمِرَاةِ الْجَيْبِ، وَالكَنَّارِيِّ الْمَيْتِ.
وَقَدْ تَرَكْتَهُمْ هُنَاكَ. لَمْ تَصْعَدْ بِهِمْ. شَيْئًا فَشَيْئًا،
خَنَّقَ نَبَاتُ الْقُرَّاصِ السَّلَّةَ. وَوَحْدَهُ،
اِحْتَفَظْتَ بِالْحَبْلِ مَرْبُوطًا فِي قُضْبَانِ سَرِيرِكَ.

أثينا، 71/6/9

36 - أكان لهما وجود؟

الْبَعِيدُ الَّذِي يَقْتَرِبُ ، وَالْقَرِيبُ الَّذِي يَبْتَعِدُ -
أَسِيحَةٌ ، مَنَازِلُ ، نِسَاءٌ يَقْمُنُ بِالتَّسْوُقِ فِي الشَّارِعِ ،
مِرَاةٌ أَمَامَ الدُّكَّانِ ، دُكَّانُ الحَلَّاقِ ، عَرَبَةٌ كَارُو ،
التَّاجِيلُ ، القَرَارُ . مِظْلَةٌ مُسْتِنِدَةٌ إِلَى البَابِ الأَصْفَرِ ،
كَلْبٌ وَحَدَهُ فِي الشَّرْفَةِ - أَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَجَمِيلًا هَكَذَا؟
نَاسٌ ، أَشْجَارٌ ، دُخَانٌ ، - كَمَ هُوَ عَمِيقُ الرَّحِيلِ .
القَرِيبُ ، وَالْبَعِيدُ ، أَكَانَا مَوْجُودَيْنِ وَحَدَهُمَا؟

أثينا، 18، 6، 71

37 - قِصْر نَظَر

خَلَعَ نَظَارَتَهُ . تَمَدَّد . أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ .
حَطَّتْ دُبَابَةٌ عَلَى جَبِينِهِ . تَرَكَهَا وَشَانَهَا .
كَانَ يُرَاقِبُ بَاطِنَ الدُّبَابَةِ : مَسْرُوحٌ خَاوٍ ،
وَمُمَثَّلٌ ، وَحَدَهُ ، وَاقِفٌ عَلَى كُرْسِيِّ ،
يُكْرِّرُ بِلا صَوْتٍ دَوْرَ إِيْفِيْجِيْنِي [*] .

أثينا، 71/7/2

[*] ابنة الملك أجاممنون، والملكة كليتمنسترا، في الأساطير اليونانية.

38 - بَصِيرَة

كَلِمَاتٌ عَلَى وَرَقٍ ، قَصَائِدُ عَلَى وَرَقٍ . الْمَدِينَةُ
بِكَا مِيلِهَا عَلَى وَرَقٍ . كَانَ يَعْانِي مِنْ عُودِ ثِقَابٍ
يُجَاوِلُ إِشْعَالَهُ .

- "عُودُ ثِقَابٍ ، عُودُ ثِقَابٍ" .

أَعْوَادُ الثَّقَابِ رَطْبَةٌ ، لَا تَشْتَعِلُ - وَالْمَطْرُ ، بِلَا شَكِّ ،
أَوْ بِالْأَحْرَى أَلَمْ تَتْرُكْهَا مَسَاءً أَمْسَ بِالْحَمَّامِ ؟

أثينا، 71/7/9

39 - مع الرّيح

شَرَعَتِ الرِّيحُ فِي الهُبُوبِ ، فِي الرِّكْضِ عَلَى الطَّرِيقِ العَامَّةِ ، وَبِالمرج .
أَمَامَ الرِّيحِ كَانَتْ تَجْرِي الثَّيْرَانُ ، وَالفَلَّاحُونَ ، وَأَوْلَادُ القَابِلَةِ .
وَفِي الوَرَاءِ ، كَانِ الرَّبُّ يَأْتِي ، وَهُوَ يَعْرُجُ . مِنْ التَّافِذَةِ ،
نَظَرَتْ فِي عَيْنَيْهِ امْرَأَةً مِنْ وِرَاءِ الرُّجَاجِ .
ثُمَّ أَخْفَضَتْ عَيْنَيْهَا ، وَأَدَارَتْ لَهُ ظَهْرَهَا ،
اقْتَرَبَتْ مِنَ المَائِدَةِ وَرَاحَتْ تَقْطَعُ الخُبْزَ .

ساموس ، 71/8/15

40 - ملائكة الليل

مَرَّتِ الْغَيْمَةُ . فَظَهَرَ الْقَمَرُ ثَلَجِيًّا .
وَبَعْدَهُ الدَّرَجُ الرَّخَائِي وَالْكُرْسِيُّ .
وَأَخِيرًا الشَّجَرَةُ ، جَرْدَاءٌ ، بَعْنَاقِيدَ مِنَ الْحَقَافِيشِ .
الْحَقَافِيشِ ، هُوَ الْمَخْرُجُ مَنْ قَامَ بِتَعْلِيْقِهِمْ .
وَالْمَجْنُونُ كَانَ عِنْدَ الْبَابِ . وَضَعَ عَلَى الْأَرْضِ
بَاقَةً مُعَلَّقَةً فِي جَرِيدَةٍ دَبْقَةٍ .
إِنَّهَا عِظَامٌ - قَالَ - مِنْ أَجْلِ الْكَلْبِ .
كَانَ الْكَلْبُ قَدْ مَاتَ مِنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ . وَالْآخَرُونَ
اسْتَدَارُوا إِلَى الْحَائِطِ ، وَقَامُوا بِتَغْطِيَةِ رُؤُوسِهِمْ
بِبَطَّاطِينَ عَسْكَرِيَّةٍ عَتِيْقَةٍ مَسْرُوقَةٍ .

ساموس ، 71/9/3

41 - سِتَارَة

مِن تَمزِيقِ فِي الدَّيْكُورِ الْوَرَقِيِّ ،
يَرَى مَسْرَحًا عَمِيقًا ، مُظْلِمًا وَخَاوِيًا . هَكَذَا
دَخَلَ ، مُعِيدًا ارْتِدَاءَ سُتْرَتِهِ ، إِلَى الْحَشْبَةِ الْمُضَاءَةِ
وَمَزَّقَ السَّتَارَةَ نَفْسَهَا . هُنَاكَ
كَانَ دَوْرُهُ ، الْكَامِلَ وَالْأَخِيرَ . مِنَ الْمُقْصُورَةِ
سَقَطَ شَاكُوشُ الْكَهْرِبَائِيِّ . وَفَجَاءَ
أَعَادَتِ الْبَكَرَاتِ رَفَعَ الْغَابَةَ الْوَرَقِيَّةَ ،
وَالْقَصْرَ الْوَرَقِيَّ ، وَمِصْبَاحَ الشَّارِعِ .
وَحَدَّهُ الْقَمَرُ الزَّائِفُ ، الضَّخْمُ ، هُوَ مَا بَقِيَ فِي مَكَانِهِ .

ساموس ، 71/9/26

42 - سر البهلوان

على التلال ، الكنائس حاوية . في الأسفل ، بالمرج ،
الثيران ، والأحصنة ، والكروم . السماء ساكنة
وسط الغيوم التي تتبدل . بقعة سوداء ،
ساكنة على البحر ، - أكثر سوادًا في المرأة . وهو ،
يخكها بأظافره - تأكلت أظافره . آنيذ
ياخذ طلاءً ويطي الحائط بالذهبي . كأنما على سبيل الخطأ ،
يضرب نفسه بالفرشاة على الأنف ، وعلى الخدين . وحيث كل شيء مذهب
الآن ،
ينظر في المرأة . يضحك - تغمض عيناه -
هذا البهلوان الدائم للموت (مثلما نسميه) ،
الذي يخفي في جيبه ثلاثة مسامير ضخمة صدئة .

ساموس ، 71/10/9

43 - أرض مُحَرَّمَة

كَانَ دَائِمًا مَا يُفْتَشُ ، بِإِلَّا سَبَبٍ ، بِإِلَّا حَاجَةٍ .
فِي الرَّمَادِ عَثَرَ عَلَى جُزُرٍ صَغِيرَةٍ مَأْهُولَةٍ
بِكُنَائِسِهَا الْعَتِيقَةِ الْمَلِيئَةِ بِالرَّيْحِ .
خَارِجَ إِحْدَى الْكُنَائِسِ ، كَانَ نَمَّةٌ كُرْسِي .
فِي الْأَسْفَلِ ، عَلَى الصُّخُورِ ، قَنَافِدُ بَحْرِيَّةٍ كَبِيرَةٍ ،
تُظَلِّلُهَا غَيْمَةٌ سَاكِنَةٌ . فِيمَا بَعْدَ ،
لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يُضِيفُهُ . كَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ كَانَ بِجَرِيصٍ
يَتَحَاشَى أَنْ يَذْكَرَ كَلِمَةَ "مَوْت" .

مارس - أكتوبر 71

44 - حَمِيَّات

مَسَاءٌ مُظْلِمٌ كَجَيْبِ خَاوٍ . فِي قَاعِ الْحَيْبِ ،
ثُقْبٌ ، نَاعِمٌ وَأَمْلَسٌ . خِلَالَهُ ، تَدُسُّ فِي الْحَقَاءِ أَصَابِعُكَ لِتَلْمَسَ فَخْذَكَ
كَأَنَّكَ تَلْمَسُ جَسَدًا آخَرَ ، ضَخْمًا ، مُغَايِرًا -
الْجَسَدَ الْعَمِيقَ لِمَوْتِكَ أَوْ لِلَّيْلِ .
خِلَالَ ذَلِكَ الثُقْبِ تَنْزِلُ قِطْعُ الْعُمَلَةِ كُلُّهَا ،
وَخَاصَّةً تِلْكَ الذَّهَبِيَّةُ ذَاتَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ
لَأَمِيرِ الزَّنَابِقِ الْمَرَاهِقِ .

مارس - أكتوبر 71

ہیلین

(1970)



[399]

(حَتَّى عَنْ بُعْدٍ، فَالْبَيْ وَالرَّثَائِةُ وَاضْحَانٌ - حَوَائِظُ مُهْدَمَةٌ تَسَاقَطُ
عَنْهَا الْجِصُّ، مَصَارِيْعُ نَوَافِذَ مُتَلَاشِيَةً؛ سِيَاجُ الشَّرْفَةِ صَدِيٌّ. سِتَارَةٌ
تَهْتَرُ خَارِجَ النَّافِذَةِ فِي الطَّابِقِ الْعُلُويِّ، مُصَفَّرَةٌ، بَالِيَةٌ فِي الْأَسْفَلِ.
وَعِنْدَمَا يَتَمُّ الْاِقْتِرَابُ - بِتَرْدُدٍ - يَتَجَلَّى نَفْسُ الْإِحْسَاسِ بِالْخَرَابِ فِي
الْحَدِيْقَةِ: نَبَاتَاتٌ عَشْوَائِيَّةٌ، أَوْرَاقُ شَجَرٍ شَهْوَانِيَّةٌ، أَشْجَارٌ غَيْرِ
مُشَدَّبَةٍ؛ الْوَرْدَةُ الْبَاقِيَةُ مُخْتَنِقَةٌ فِي الْقَرَّاصِ؛ التَّافُورَاتُ الْجَافَةُ عَفِنَةٌ؛
نَبَاتُ الْأُسْنَةِ عَلَى التَّمَائِيلِ الْجَمِيْلَةِ. سِحْلِيَّةٌ قَابِعَةٌ بَيْنَ ثَدْيِي
أَفْرُودِيْتِ شَابَّةٍ، تَسْتَدْفِي فِي الْأَشْعَةِ الْأَخِيْرَةِ لِلشَّمْسِ الْغَارِبَةِ. كَم
مَرَّتِ السَّنِينِ! كَانَتْ شَابًّا آنَذَاكَ - فِي الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ؟ الثَّلَاثَةِ
وَالْعِشْرِينَ؟ وَهِيَ؟ لَا يُمْكِنُكَ الْقَوْلُ أَبَدًا - كَانَتْ تُشْعُّ بِكَثِيْرٍ مِنْ
الضِّيَاءِ، فَأَعْمَاكَ، اخْتَرَقَكَ كُلُّكَ - وَلَمْ تُعَدِّ تَسْتَطِيعَ الْقَوْلَ مَاذَا
كَانَتْ، إِنْ كَانَتْ، وَإِنْ كُنْتُ. دَقَّ جَرَسُ الْبَابِ. وَفِيْمَا كَانَ يَقْفُ فِي
الْمَكَانِ نَفْسِهِ الَّذِي عَرَفَهُ جَيِّدًا فِي الْمَاضِي، وَالَّذِي تَغَيَّرَ الْآنَ بِصُورَةٍ
بِالْعَةِ الْغَرَابَةِ بِالتَّشَابُكِ الْمَجْهُولِ لِأَلْوَانِهِ الدَّاكِنَةِ، سُمِعَ صَوْتُ
الْجَرِيْسِ يَرِنُ، وَجَيِّدًا. كَانُوا بِطِيْثِيْنِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْبَابِ. شَخْصٌ مَا لَاحَ
مِنْ النَّافِذَةِ الْعُلْيَا. لَمْ يَكُنْ هِيَ. خَادِمَةٌ، شَابَّةٌ. صَاحِكَةٌ فِيْمَا يَبْدُو.
تَرَكَتِ النَّافِذَةَ. لَا إِجَابَةَ لَا تَزَالُ عَلَى الْبَابِ. وَمِنْ بَعْدِ، سُمِعَ وَقَعٌ

أَقْدَامِ بِالذَّخِيلِ عَلَى السَّلَامِ. شَخْصٌ مَا فَتَحَ مَصَارِيحَ الْبَابِ. صَعَدَ.
 رَائِحَةُ غُبَارٍ، وَفَاكِهَةٌ عَطِئَةٌ، وَوَحْلٌ جَافٌ، وَبُولٌ فِي الْأَعْلَى. غُرْفَةٌ
 نَوْمٍ. خِزَانَةٌ مَلَأِيسٍ. مِرَاةٌ مَعْدِنِيَّةٌ. مِقْعَدَانٌ مُتَدَاعِيَانِ بِمَسْنَدَيْنِ
 مَنقُوشَيْنِ. مِئْزِدَةٌ صَغِيرَةٌ رَدِيئَةٌ مِنْ صَفِيحٍ عَلَيْهَا أَكْوَابُ قَهْوَةٍ
 وَأَعْقَابُ سَجَائِرٍ. وَهِيَ؟ لَا، لَا، مُسْتَحِيلٌ! امْرَأَةٌ عَجُوزٌ، عَجُوزٌ -
 مِئَةٌ، مِئَتَا عَامٍ مِنَ الْعُمُرِ لَكِنَّ مُنْذُ خَمْسِ سَنَوَاتٍ - آه لَا! الْمَلَائِكَةُ
 مَلِيئَةٌ بِالثَّقُوبِ. هُنَاكَ، بِلَا حَرَكَةٍ؛ جَالِسَةٌ عَلَى السَّرِيرِ، مُنْحَنِيَّةٌ.
 عَيْنَاهَا فَحَسَبَ - أَوْسَعُ مِنْ ذِي قَبْلِ، مُسْتَبَدَّتَيْنِ، نَافِذَتَيْنِ،
 خَاوِيَتَيْنِ):

نَعَمْ، نَعَمْ - هَا أَنْدَا. فَلْتَجْلِسِ بُرْهَةٌ. لَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى هَذِهِ النَّاحِيَةِ.
 إِنِّي أَبْدَأُ فِي نِسْيَانِ كَيْفِيَّةِ اسْتِخْدَامِ الْكَلِمَاتِ. وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ، فَالْكَلِمَاتُ لَا
 تَهُمُ. أَظُنُّ أَنَّ الصَّيْفَ قَادِمٌ،
 فَالْسَّائِرُ تَهْتَرُ بِصُورَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، مُحَاوَلَةٌ قَوْلِ شَيْءٍ مَا - مِثْلَ هَذِهِ الْبَلَاهَاتِ!
 إِحْدَاهَا طَارَتْ فِعْلًا مِنَ النَّافِذَةِ، مُسْتَمِيئَةً لِكَسْرِ الْحَلَقَاتِ،
 لِلطَّيْرَانِ فَوْقَ الْأَشْجَارِ - رُبَّمَا لِنَسْحَبِ مَعَهَا الْمَنْزِلَ كُلَّهُ بَعِيدًا -
 لَكِنَّ الْمَنْزِلَ يُقَاوِمُ بِكُلِّ أَرْكَانِهِ
 وَيِي أَيْضًا مَعَهُ، رَغْمَ إِحْسَاسِي بِأَنِّي تَحَرَّرْتُ مُنْذُ شُهُورٍ
 مِنْ مَوْتَايَ، مِنْ نَفْسِي؛ وَمُقَاوَمَتِي هَذِهِ،
 الْعَصِيَّةُ عَلَى الْفَهْمِ، الْأَبْعَدُ مِنْ إِرَادَتِي، الْعَرِيبَةُ عَلَيَّ، هِيَ كُلُّ مَا أَمْلِكُ -

اقتِرَانِي بِهَذَا السَّرِيرِ ، بِهَذِهِ السَّتَارَةِ - هِيَ أَيْضًا خَوْفِي ،
كَأَنَّ جَسَدِي كُلَّهُ مُسْتَنِدٌ إِلَى الْحَاتِمِ ذِي الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِي إِصْبَعِي السَّبَابَةِ .

الآنَ أَتَمَعْنُ فِي هَذَا الْحَجَرِ بِدِقَّةٍ ؛ الآنَ ، فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ هَذِي الَّتِي لَا
تَنْتَهِي -

سَوْدَاءَ ، بِلَا انْعِكَاسَاتٍ - يَكْبُرُ ، يَكْبُرُ ، يَمْتَلِئُ بِمَاءٍ أَسْوَدٍ -
يَفِيضُ الْمَاءُ ، يَتَزَايِدُ ، فَأَغُوصُ ،
لَا إِلَى الْقَاعِ ، بَلْ إِلَى عُمُقٍ أَعْلَى ؛ مِنْ الْأَعْلَى هُنَاكَ
يُمْكِنُنِي اكْتِشَافُ عُرْفَتِي فِي الْأَسْفَلِ ، وَنَفْسِي ، وَخِزَانَةِ الْمَلَأِسِ ،
وَالْحَادِمَاتِ مُرَاوَعَاتٍ بِلَا صَوْتٍ ؛ أَرَى إِحْدَاهُنَّ
مُقْعِيَةً عَلَى كُرْسِيِّ ، بِتَعْبِيرٍ قَاسٍ ، حَاقِدٍ ،
تَجَلُّو صُورَةَ "لِيدَا"^[*] ؛ أَرَى مِنْفِضَةَ الْغُبَارِ
تُخْلَفُ وَرَاءَهَا أَثْرًا مِنْ غُبَارٍ وَفُقَاعَاتٍ تَنْبِثُ وَتَنْفَجِرُ
بِهِمَمَةٍ رَهِيْفَةٍ حَوْلَ عِظَامِ كَاجِلِي أَوْ رُكْبَتِي .

الْمَحْكُ أَنْتَ أَيْضًا وَوَجْهَكَ مُرْتَبِكٌ ، مَشْدُوهُ ،
شَائِهًا بِفِعْلِ التَّمَاوُجَاتِ الْبَطِيئَةِ لِلْمَاءِ الْأَسْوَدِ - الَّتِي تَجْعَلُ وَجْهَكَ عَرِيضًا
حِينًا ، وَحِينًا مَمْطُوطًا
بِمُخْطُوطٍ صَفْرَاءَ . وَشَعْرُكَ يَلْتَوِي إِلَى أَعْلَى

[*] ليدا: ابنة ملك أيتوليا ثيستوس، وزوجة ملك سبرطة تينداريوس، وأم هيلين الطروادية
وكليمنسترا.

كَمِيدُورًا مَقْلُوبَةً رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ^[*] . لَكِنِّي آتِيذٌ أَقُولُ : إِنَّهُ لَيْسَ سِوَى
حَجَرٍ ،

حَجَرٍ كَرِيمٍ صَغِيرٍ . يَتَقَلَّصُ كُلُّ السَّوَادِ ،
ثُمَّ يَدْوِي وَيَسْتَقِرُّ فِي أَصْغَرِ عُقْدَةٍ مُمَكِّنَةٍ -
أُحْسُهُ هُنَا ، تَحْتَ حَلْقِي تَمَامًا . وَأَعُودُ مِنْ جَدِيدٍ
فِي عُرْفِي ، عَلَى سَرِيرِي ، بِجَوَارِ قَوَارِيرِي الْمَأْلُوفَةِ
الَّتِي تُحَدِّقُ فِيَّ ، وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، مُؤِمَّةً - لَا يُمَكِّنُهَا مُسَاعِدَتِي
إِلَّا عَلَى الْأَرْقِ ، وَالْحَوَفِ ، وَالذِّكْرِيَّاتِ ، وَالنَّسِيَّانِ ، وَالرَّبْوِ .

مَا الَّذِي تَفْعَلُهُ ؟ أَوْ لَا تَزَالُ فِي الْحَيْشِ ؟ انْتَبِهْ . لَا تَشْغَلْ نَفْسَكَ كَثِيرًا
بِالْبَطُولَةِ ، وَالْأَوَسَمَةِ ، وَالْأَمْجَادِ . فَمَاذَا سَتَفْعَلُ بِهَا ؟
أَلَا يَزَالُ لَدَيْكَ الدَّرْعُ الَّذِي نَقَشْتَ عَلَيْهِ وَجْهِي ؟ كُنْتَ مُضْحِكًا لِلْغَايَةِ
فِي خَوْذَتِكَ الطَّوِيلَةِ بِذَيْلِهَا الْمَدِيدِ - شَابًّا ، وَخَجُولًا
كَأَنَّكَ قَدْ أَخْفَيْتَ وَجْهَكَ الْوَسِيمَ
بَيْنَ الْأَرْجُلِ الْخَلْفِيَّةِ لِحِصَانٍ يُعْطِي ذَيْلَهُ فِي الْأَسْفَلِ
ظَهْرَكَ الْعَارِي . فَلَا تُجَنِّ مِنْ جَدِيدٍ . وَلْتَبَقْ مُدَّةً أُطُولُ .

زَمَنُ الْعَدَاءِ وَلَى الْآنَ ؛ وَالرَّغَبَاتُ ذَوَتْ ؛
رُبَّمَا يُمَكِّنُنَا الْآنَ ، مَعًا ، مُلَاحِظَةَ الْأَجْدَوَى نَفْسِيهَا -

[*] مِيدُورًا: كائن أنثوي بشع، تخرج من رأسها- بدلًا من الشعر- أفاع سامة. وكل من ينظر
إلى وجهها البشع يتحول لتوه إلى حجر، وفقًا للأساطير الإغريقية.

حَيْثُ اللَّقَاءَاتُ الْحَقِيقِيَّةُ وَحَدَّهَا ، فِيمَا أُظُنُّ - مَهْمَا كَانَتْ لَامْبَالِيَّةً ،
لَكِنَّ مَعَ ذَلِكَ مُهَدَّتَةٌ - قَدْ حَقَّقَتْ جَمَاعَتُنَا الْجَدِيدَةَ ، جَرْدَاءً ، هَادِئَةً ،
فَارِغَةً ،

دُونَ كَثِيرٍ مِنَ الْاسْتِبدَالِ وَالتَّعَارُضِ - فَلنُحَرِّكْ فَحَسْبَ رَمَادِ الْمِدْقَاءِ ،
فِيمَا نَصْنَعُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ جِرَارَ دَفْنٍ جَمِيلَةٍ ، طَوِيلَةً وَنَحِيلَةً
أَوْ نَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ وَنَضْرِبُهَا بِسَعْفٍ بِلا صَوْتِ .

شَيْئًا فَشَيْئًا ، فَقَدَتِ الْأَشْيَاءُ مَعْنَاهَا ، أَصْبَحَتْ فَارِغَةً ؛
فَهَلْ كَانَ لَهَا مِنْ قَبْلِ أَيِّ مَعْنَى ؟ - رَاكِدَةً ، جَوَاءً ؛
حَشُونَاهَا بِقَشٍّ وَتَبِينٍ ، لِتَمْنَحَهَا شَكْلًا ،
لِنَجْعَلَهَا سَمِيكَةً ، قَوِيَّةً ، وَاقِفَةً فِي ثَبَاتٍ - الْمَنَاضِدُ ، الْمَقَاعِدُ ،
السَّرِيرُ الَّذِي نَنَامُ عَلَيْهِ ، الْكَلِمَاتُ ؛ دَائِمًا جَوَاءً
مِثْلَ أَكْيَاسِ الْمَلَابِيسِ ، وَأَجْوَلَةِ الْبَاعَةِ الْخَيْشِ ؛
مِنَ الْخَارِجِ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُحْمَنَ فِعْلًا مَا بَدَاخِلِهَا ،
بَطَاطِسُ ، بَصَلٌ ، قَمْحٌ ، ذُرَّةٌ ، لَوْزٌ أَوْ طَحِينٌ .

أَحْيَانًا مَا يَعْلُقُ أَحَدُهَا فِي مِسْمَارٍ بِالدَّرَجِ
أَوْ فِي ظَرْفِ هِلْبٍ بِالمِينَاءِ فِي الْأَسْفَلِ ، فَتَنْشَقُّ مَفْتُوحَةً ،
فَيَتَنَاثَرُ الطَّحِينُ - نَهْرًا أَحْمَقَ . يُفْرِغُ الْجِوَالَ نَفْسَهُ .
يَلُمُّ الْفُقَرَاءُ الطَّحِينِ فِي حِفْنَاتِ
لِيَصْنَعُوا فَطِيرَةً أَوْ عَصِيدَةً . يَنْهَارُ الْجِوَالَ .

يَلْتَقِطُهُ شَخْصٌ مِمَّا مِنْ قَاعِهِ ، وَيَهْزُهُ فِي الْهَوَاءِ ؛
تَلْفُهُ غَيْمَةٌ مِنْ غُبَارٍ أبيض ؛ يُصْبِحُ شَعْرُهُ أبيض ؛
حَوَاجِبُهُ بِالذَّاتِ تُصْبِحُ بَيْضَاء . يَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ الْآخَرُونَ .
لَا يَفْهَمُونَ شَيْئًا ؛ يَنْتَظِرُونَ لِيَفْتَحَ فَمَهُ ، لِيَقُولَ شَيْئًا .
لَا يَفْعَلُ . يَطْوِي الْجَوَالَ طَيِّتَيْنِ ؛
يَرَحُلُ كَمَا هُوَ ، أبيض ، عَصِيًّا عَلَى التَّفْسِيرِ ، بِلَا كَلِمَةٍ ،
كَأَنَّهُ مُتَخَفٌّ كَرَجُلٍ دَاعِرٍ عَارٍ مُعْطَى بِمَلَاءَةٍ ،
أَوْ كَمَيِّتٍ مَا كَرِ بُعِثَ فِي كَفْنِهِ .

هَكَذَا ، فَلَيْسَ لِلْأَحْدَاثِ وَالْأَشْيَاءِ أَيُّ مَعْنَى - وَالشَّيْءُ نَفْسُهُ بِالنَّسْبَةِ
لِلْكَلِمَاتِ ،

رَغْمَ أَنَّنَا بِالْكَلِمَاتِ نُسَمِّي ، إِلَى حَدِّ مَا ، تِلْكَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي نَفْتَقِرُ إِلَيْهَا ،
أَو الَّتِي لَمْ نَرَهَا قَط - الْأَشْيَاءَ الْأَثِيرِيَّةَ ، الْأَبَدِيَّةَ ، كَمَا نَقُول -
كَلِمَاتٍ بَرِيئَةٍ ، مُضَلَّلَةٍ ، مُعَزَّيَّةٍ ، مُلْتَبِسَةٍ ،
مُحَاوِلِينَ دَائِمًا أَنْ تَكُونَ صَائِبَةً - يَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ رَهيب ،
أَنْ تُسَمِّي طَيْفًا ، فَتَسْتَدْعِيهِ فِي اللَّيْلِ إِلَى السَّرِيرِ
وَالْمَلَاءَةُ مَشْدُودَةٌ حَتَّى عُنُقِكَ ، وَإِذْ نَسَمِعُهُ ، نُنْظِنُ نَحْنُ الْحَمَقَى
أَنَّنَا نُوحِدُ أَجْسَادَنَا مَعًا ، وَأَنَّهُ يَدْعُمُنَا ، وَأَنَّنَا نَحْتَفِظُ بِسَيْطَرَتِنَا عَلَى الْعَالَمِ .
هَذِهِ الْأَيَّامُ أَنْسَى الْأَسْمَاءَ الَّتِي كُنْتُ أَعْرِفُهَا جَيِّدًا ، أَوْ أَتَذَكَّرُهَا مُخْتَلِطَةً -
بَاريس ، مِينِيلاؤس ، أَخِيل ، بروتوس ، ثيوكليمينوس ، تيفكروس ،

كَاسْتُورِ وَبُولِيدِيُوسِيسِ - أُخْرِي الْأَخْلَاقِيَيْنِ ، الَّذِينَ ، فِيمَا أَظُنْ ،
 تَحَوَّلُوا إِلَى نُجُومٍ - كَمَا يَقُولُونَ - فَنَارَاتٍ لِلسُّفْنِ - ثِيسِيُوسِ ، پِيرِيثِيُوسِ ،
 أَنْدَرُومَاكِ ، كَاسَانْدَرَا ، أَجَائِمُنُونَ - أَصْوَاتٍ ، مُجَرَّدِ أَصْوَاتٍ بِلاَ شَكْلِ ،
 صُورُهُمْ لَيْسَتْ مَحْظُوطَةٌ عَلَى رُجَاجِ نَافِذَةٍ
 أَوْ مِرَاةٍ مَعْدِنِيَّةٍ عَلَى المِيَاهِ الصَّحْلَةِ لِشَاطِئِ مَا ، مِثْلَمَا فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ
 ذَاتِ يَوْمٍ مُشْمِسٍ هَادِيٍّ ، مُحْشُودِ الصَّوَارِي ، بَعْدَ أَنْ تَحَدَّتِ المَعْرَكَةُ ،
 وَصَرِيرُ الحِيَالِ المَبْلُوءَةِ عَلَى البَكَرَاتِ قَدْ سَحَبَ العَالَمَ إِلَى أَعْلَى ،
 مِثْلَ عُقْدَةِ نَشِيحٍ مَحْبُوسٍ فِي حَلْقِ شَفَافٍ -
 يُمَكِّنُكَ أَنْ تَرَاهُ يَوْمِضُ ، يَرْتَعِشُ
 دُونَ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى صَرَخَةٍ ، وَفَجَاءَ يَغُوصُ كُلُّ المَشْهَدِ الطَّبِيعِيِّ ،
 السُّفْنِ ، وَالبَحَّارَةُ وَالمَرَكَبَاتُ ، فِي الضَّوئِ وَالمَجْهُولِ .

الآن ، ثَمَّةَ غَرَقٌ أَعْمَقُ ، أَكْثَرُ حُلْكَةٍ -

تَنْبِيهُ مِنْهُ بَيْنَ الحَيْنِ وَالحَيْنِ بَعْضُ الأَصْوَاتِ - عِنْدَمَا تَدُقُّ الشَّوَاكِيشُ

الحَشَبِ

وَتَسْمُرُ سَفِينَةٌ جَدِيدَةٌ فِي حَوْضِ سُفْنٍ صَغِيرٍ ،
 فِيمَا كَانَتْ مَرَكَبَةٌ بِأَرْبَعَةِ حُيُولٍ تَمُرُّ عَلَى الطَّرِيقِ الصَّخْرِيِّ ،
 مُضِيفَةً إِلَى دَقَّاتِ سَاعَةِ الكَاتِدِرَائِيَّةِ فِي دَيْمُومَةٍ أُخْرَى ،
 كَأَنَّ هُنَاكَ مَا هُوَ أَكْثَرُ ، أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَاعَةً
 وَالحُيُولُ تَدُورُ فِي السَّاعَةِ حَتَّى الاسْتِنزَافِ ؛
 أَوْ حِينَمَا كَانَ شَابَّانٍ وَسِيمَانٍ تَحْتَ نَوَافِذِي ،

يُغْنِيَانِ أُغْنِيَةً لِي ، بِلَا كَلِمَاتٍ - أَحَدُهُمَا بَعِينٍ وَاحِدَةً ؛
وَالْآخَرُ يَضَعُ حَلِيَّةً عَلَى حِزَامِهِ ، تُومِضُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ .

لَا تَأْتِي الْكَلِمَاتُ إِلَيَّ الْآنَ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهَا - أَجْحَثُ عَنْهَا
كَأَنِّي أُتْرَجِمُ عَنْ لُغَةٍ لَا أَعْرِفُهَا - وَمَعَ ذَلِكَ ، أُتْرَجِمُ .
بَيْنَ الْكَلِمَاتِ ، وَخِلَالَهَا ، فَجَوَاتٌ عَمِيقَةٌ ؛ أَحَدُ قَدْ فِيهَا
كَأَنِّي أَحَدُ قَدْ فِي الْعُقَدِ الَّتِي سَقَطَتْ مِنَ الْوَجْاحِ بَابِ
مُوصَدٍ تَمَامًا ، مُسَمَّرًا هُنَا مِنْذُ عُصُورٍ . وَلَا أَرَى شَيْئًا .

لَا كَلِمَاتٌ أَوْ أَسْمَاءٌ أُخْرَى ؛ يُمَكِّنِي فَحَسْبُ تَمْيِيزُ بَعْضِ الْأَصْوَاتِ -
يَرِنُ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهِ شَمْعَدَانٌ فَضِيٌّ أَوْ زُهْرِيَّةٌ كِرِيَسْتَالٌ وَيَتَوَقَّفُ فَجَاءَ
مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ لَا يَدْرِي شَيْئًا ، وَأَنَّهُ لَمْ يَرِنِ ، وَأَلَّا أَحَدَ طَرَقَهُ ، أَوْ مَرَّ بِهِ .
يَهْوِي ثَوْبٌ بِرِقَّةٍ مِنَ الْمِقْعَدِ إِلَى الْأَرْضِ ،

مُحَوَّلًا الْإِنْتِبَاهَ عَنِ الصَّوْتِ السَّابِقِ إِلَى بَسَاطَةِ الْعَدَمِ .

مَعَ ذَلِكَ ، فَفِكْرَةُ الْمُؤَامَرَةِ الصَّامِتَةِ ، رَغْمَ انْتِشَارِهَا فِي الْهَوَاءِ ،
تَطْفُو بِكَثَافَةٍ فِي الْأَعْلَى ، أُفْقِيَّةً غَالِبًا ،

حَتَّى لَتُحَسَّ بِالْخُطُوطِ الْمَحْفُورَةِ حَوْلَ فَمِكَ تُصْبِحُ أَعْمَقَ
بِالتَّحْدِيدِ بِسَبَبِ هَذَا الْحُضُورِ لِمُتَطَفِّلٍ يَحْتَلُّ مَكَانَكَ
فِيحَوْلِكَ إِلَى مُتَطَفِّلٍ ، هُنَا فِي سَرِيرِكَ ، وَفِي عُرْفَتِكَ .

آه ، أَنْ تُصْبِحَ مُغْتَرِبًا فِي مَلَابِسِكَ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي تَتَقَادَمُ ،

فِي جِلْدِكَ الَّذِي يَتَغَضَّنُ ؛ فِيمَا أَصَابِعُنَا
لَمْ تَعُدْ تَسْتَطِيعُ الْإِمْسَاكَ أَوْ حَتَّى إِحَاطَةَ أَجْسَادِنَا
بِالْبَطَانِيَّةِ الَّتِي تَرْتَفِعُ تِلْقَائِيًّا ، تَنْتَشِرُ ، تَتَلَاشَى ، لِتَتْرُكَنَا
عَرَايَا فِي الْفِرَاقِ . آتِنِيذٍ يَبْدَأُ الْحِيَتَارُ الْمَنَسِيُّ مُنْذُ سِنِينَ ، الْمُعَلَّقُ عَلَى
الْحَائِطِ

فِي الْارْتِعَاشِ ، بِأَوْتَارِهِ الصَّدِيئَةِ ،
كَفَّكَ امْرَأَةً عَجُوزًا يَرْتَعِشُ مِنَ الْبَرْدِ أَوْ الْخَوْفِ ،
وَيَكُونُ عَلَيْكَ أَنْ تَضَعَ كَفَّكَ مَفْرُودَةً عَلَى الْأَوْتَارِ
لِثَوْقِ الرَّعْدَةِ الْمُعْدِيَةِ . لَكِنَّكَ لَا تَعْتُرُ عَلَى يَدِكَ ، فَلَا يَدَ لَكَ ؛
وَفِي أَحْشَائِكَ تَسْمَعُ جَرَّتَكَ تَرْتَجِ .

الهُوَاءُ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ يُصْبِحُ ثَقِيلًا وَعَصِيًّا عَلَى التَّفْسِيرِ ،
رُبَّمَا بِسَبَبِ الْحُضُورِ الطَّبِيعِيِّ لِلْمَوْتِ . يَنْفَتِحُ صُنْدُوقُ ثِيَابِ ،
فَتَسَاقُطُ ثِيَابٌ قَدِيمَةٌ ، تُصَدِرُ حَفِيْفًا ، تَقِفُ مُنْتَصِبَةً
وَتَتَمَشَّى بِهَدُوءٍ ؛ تَبْقَى شُرَابَتَانِ ذَهَبِيَّتَانِ عَلَى الْبِسَاطِ ؛
سِتَارَةٌ تَنْفَرِجُ - لَا تَنْكَشِفُ عَنْ أَحَدٍ - لَكِنَّهَا مَا تَزَالُ هُنَاكَ ؛
سِيَجَارَةٌ تَشْتَعِلُ وَتَحْتَرِقُ فِي الْمِنْفِضَةِ ؛ وَالشَّخْصُ الَّذِي تَرَكَهَا هُنَا
مَوْجُودٌ بِالْغُرْفَةِ الْأُخْرَى ، أَخْرَقَ إِلَى حَدِّ مَا ،
ظَهْرُهُ مَحْنِيٌّ ، مُحْمَلِقًا فِي الْحَائِطِ ، رُبَّمَا فِي عَنَكِبُوتِ
أَوْ بُقْعَةٍ رَطْبَةٍ ، مُوَاجِهًا الْحَائِطَ ، لِهَذَا فَلَنْ يَبِينُ
التَّجْوِيفُ الدَّاكِنُ تَحْتَ عِظَامِ وَجَنَّتِيهِ النَّائِيَةِ .

لَمْ يَعُدِ الْمَوْتَى يُحْسُونَ بِالْأَلَمِ لَنَا - ذَلِكَ غَرِيبٌ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ -
لَيْسَ كَثِيرًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِثْلَمَا عَلَيْنَا - تِلْكَ الْحَمِيمِيَّةُ الْحَيَادِيَّةُ لَهُمْ
فِي مَكَانٍ أَنْكَرَهُمْ وَلَا يُسَاهِمُونَ بِشَيْءٍ فِي صِيَانَتِهِ ،
وَلَا يَشْغَلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِمُخْلَاصَةِ الْوَضْعِ ،
هُمْ ، مُكْتَمِلِينَ بِلَا قَابِلِيَّةٍ لِلتَّغْيِيرِ ، أَضْحَمُ قَلِيلًا مَا فَحَسَبَ .

ذَلِكَ مَا يُذْهِلُنَا أَحْيَانًا - تَرَائِدُ غَيْرِ الْقَابِلِينَ لِلتَّغْيِيرِ
وَإِكْتِفَاؤُهُمُ الدَّائِي الصَّامِتِ - بِلَا اسْتِعْلَاءٍ أَبَدًا ،
لَا يُجَاوِلُونَ إِجْبَارَكَ عَلَى تَذَكُّرِهِمْ ، عَلَى أَنْ تَكُونَ لَطِيفًا .
النِّسَاءُ يَتْرُكْنَ بَطُونَهُنَّ تَتَرَهَّلُ ، وَجَوَارِبُهُنَّ تَتَهَدَّلُ ،
يَأْخُذْنَ الْإِبْرَ مِنْ الْعُلْبَةِ الْفِضِّيَّةِ ، يَغْرِسْنَهَا فِي قَطِيفَةِ الْأَرِيكَةِ
وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، فِي صَفَّيْنِ مُسْتَقِيمَيْنِ ، ثُمَّ يَلْتَقِطْنَهَا
وَيَبْدَأْنَ مِنْ جَدِيدٍ بِعِنَايَةٍ مُهَدَّبَةٍ . يَنْبَثِقُ شَخْصٌ مَا بَالِغُ الطُّولِ
مِنَ الْقَاعَةِ - يَخْبِطُ رَأْسَهُ فِي الْبَابِ ؛
لَا يَقُومُ بِأَيَّةِ تَكْشِيرَةٍ - وَلَا الْخَبْطَةَ يُمَكِّنُ أَنْ تُسْمَعَ أَبَدًا .

حَقًّا ، فَهُمْ حَمَقَى مِثْلَنَا ؛ أَكْثَرُ هُدُوءًا فَحَسَبَ . وَاحِدٌ آخَرٌ مِنْهُمْ
يَرْفَعُ ذِرَاعَهُ بِصُورَةٍ احْتِفَالِيَّةٍ ، كَأَنَّهُ يُبَارِكُ شَخْصًا مَا ،
يَنْتَزِعُ قِطْعَةً كِرِيَسْتَالٍ مِنَ الشَّمْعِدَانِ ، وَيَضَعُهَا فِي فَمِهِ ،
بِبَسَاطَةٍ ، كَفَاكِهَةٍ زُجَاجِيَّةٍ - وَلَنْ تَنْظُنَّ أَبَدًا أَنَّهُ سَيَمْضُغُهَا لِيَسْتَعِيدَ مِنْ

جديد

وْظِيْفَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ - لَكِنَّ لَا ، فَهَوَ يُطَبِّقُ عَلَيْهَا بِأَسْنَانِهِ ، هَكَذَا ،
لِيَسْمَحَ لِلْكِرِسْتَالِ بِالِاتِّمَاعِ بِأَلْقِي عَبَثِي .
تَأْخُذُ امْرَأَةٌ بَعْضًا مِنَ الْقِشْدَةِ السَّطْحِيَّةِ مِنَ الْحَجْرَةِ الْبَيْضَاءِ الْمُسْتَدِيرَةِ

الصَّغِيرَةِ

بِالْحَرَكَةِ الْبَارِعَةِ لِإِصْبَعِيهَا ، وَتَكْتُبُ
حَرْفَيْنِ كَبِيرَيْنِ سَمِيكَيْنِ عَلَى زُجَاجِ التَّافِذَةِ - يُشْبِهَانِ D و L -
تُسَخِّنُ الشَّمْسُ زُجَاجِ التَّافِذَةِ ، فَتَذُوبُ الْقِشْدَةُ ، وَتَقْطُرُ عَلَى الْحَائِطِ -
وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي شَيْئًا - مُجَرَّدُ شَقَيْنِ دُهْنِيَيْنِ ، قَصِيرَيْنِ .

لَا أُدْرِي لِمَاذَا يَبْقَى الْمَوْتَى حَوْلَنَا هُنَا دُونَ أَيِّ تَعَاظِفٍ مِنْ أَحَدٍ ؛ لَا أُدْرِي
مَا يُرِيدُونَ ،

وَهُمْ يَهَيِّمُونَ فِي الْغُرْفِ بِأَبْهَى مَلَابِسِهِمْ ، وَأَفْضَلُ أَحْدِيَّتِهِمْ لَامِعَةٌ ، نَظِيفَةٌ ،
بِلَا صَوْتٍ مَعَ ذَلِكَ كَأَنَّهُمْ لَا يَمْسُونَ الْأَرْضِيَّةَ .
يَحْتَلُّونَ الْمَكَانَ ، يَدْبُونُ أَيْنَمَا يُجِبُّونَ ، فِي الْمِقْعَدَيْنِ الْهَرَازَيْنِ ،
أَسْفَلَ عَلَى الْأَرْضِ ، أَوْ فِي الْحَمَّامِ ؛ يَنْسُونَ فَيَتْرَكُونَ الصُّنْبُورَ يَقْطُرُ ؛
يَنْسُونَ قِطْعَ الصَّابُونِ الْمُعْطَّرَةَ تَذُوبُ فِي الْمَاءِ .
وَالْحَادِمَاتُ اللَّائِي يَعْبُرْنَ وَسَطَهُمْ ، يَكْنَسُونَ بِالْمِكْنَسَةِ الْكَبِيرَةِ ،
لَا يَلْحَظْنَهُمْ . أَحْيَانًا فَحَسَبَ ، ثَمَّةَ ضِحْكَةٍ لِخَادِمَةٍ ،
مَكْتُومَةٌ نَوْعًا مَا - لَا تَنْطَلِقُ خَارِجَ التَّافِذَةِ ،
تُشْبِهُ عُصْفُورًا مَرْبُوطًا مِنْ سَاقِهِ بِخَيْطٍ يَشُدُّهُ إِلَى الْأَسْفَلِ شَخْصٌ مَا .

أَنبِذِ تَغَضُّبُ مَنِّي الخَادِمَاتُ بِلَا تَفْسِيرٍ ، يَرْمِينِ المِكنَسَةَ هُنَا ،
 وَسَطَ غُرْفَتِي ، وَيَذْهَبْنَ إِلَى المَطْبَخِ ؛ أَسْمَعُهُنَّ
 يَصْنَعْنَ قَهْوَةً فِي قُدُورٍ كَبِيرَةٍ ، وَيَنْثُرْنَ السُّكَّرَ عَلَى الأَرْضِيَّةِ -
 يَنْسَحِقُ تَحْتَ أَحذِيَّتَيْهِنَّ ، وَرَائِحَةُ القَهْوَةِ
 تَدْفِقُ خِلَالَ المَدخَلِ ، تُغْرِقُ المَنْزِلَ ، تَلْمَحُ نَفْسَهَا
 فِي المِرآةِ مِثْلَ وَجْهِ سَخِيفٍ ، قَاتِمٍ ، وَصَفِيقٍ ، مُغَطَّى بِخُصَلِ شَعْرِ شَعْنَاءَ
 وَقُرْطَيْنِ زَائِفَيْنِ بِلَوْنِ زُرْقَةِ السَّمَاءِ ، يَنْفُثُ أَنْفَاسَهُ فِي المِرآةِ ،
 فَيَغْبِشُ الرُّجَاجَ . أَحْسُ بِلِسَانِي يَجُوسُ فِي فَمِي ؛
 أَحْسُ بِأَنِّي لَا يَزَالُ لَدَيَّ بَعْضُ اللُّعَابِ . "قَهْوَةٌ لِي أَيْضًا" ، أَصِيحُ بِالخَادِمَاتِ ؛
 "قَهْوَةٌ" (ذَلِكَ كُلُّ مَا أَطْلُبُ ، فَلَا أُرِيدُ شَيْئًا آخَرَ) .
 يَتَصَرَّفْنَ كَأَنَّهُنَّ لَا يَسْمَعْنَ . أَنَادِي مِرَارًا وَتَكَرَّرًا
 بِلَا مَرَارَةٍ وَلَا غَضَبٍ . لَا يُجِبْنَ . أَسْمَعُهُنَّ
 يَجْرَعْنَ القَهْوَةَ مِنْ أَكْوَابِي البُورْسِلِينَ ذَاتِ الخَوَافِّ المُدْهَبَةِ
 وَالوُرُودِ البَنْفَسَجِيَّةِ الرَّقِيقَةِ . أُرَكِنُ إِلَى الصَّمْتِ وَأُحْمَلِقُ
 فِي تِلْكَ المِكنَسَةِ المَرْمِيَّةِ عَلَى الأَرْضِ كَالجَسَدِ المِتَّصَلَبِ
 لَصَيِّ البَقَالِ التَّحِيلِ ، الطَّوِيلِ ذَاكَ ، الَّذِي أَرَانِي ،
 مُنْذُ سَنَوَاتٍ ، قَضِيبَهُ الكَبِيرَ مِنْ بَيْنِ قُضْبَانِ بَوَابَةِ الحَدِيقَةِ .
 أَوْ حَقًّا ، فَأَنَا أَضْحَكُ أَحْيَانًا ، وَأَسْمَعُ ضِحْكَي الأَجَشَّ يَنْطَلِقُ ،
 لَا مِنْ الصَّدْرِ كَالْعَادَةِ ، بَلْ أَعْمَقُ بِكَثِيرٍ ، مِنْ الأَقْدَامِ ؛ بَلْ حَتَّى أَعْمَقُ ،
 مِنْ الأَرْضِ . أَضْحَكُ . كَمَ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ تَأْفِهُا ،

بِلَا مَعْنَى ، غَابِرًا وَوَهِيًّا - التَّرَاءُ ، الخُرُوبُ ، الأَمْجَادُ ،
الغَيْرَةُ ، المُجَوَهَرَاتُ ، جَمَالِي الخَاص .

أَيَّةُ خُرَافَاتٍ حَمَقَاءُ ،

بَجَعٌ وَطُرُودِيُونَ وَعِلاَقَاتُ حُبِّ وَأَفْعَالُ جَسُورَةٍ .

لَقَدْ التَّقِيْتُ

بِعُشَائِي القَدَامَى مِنْ جَدِيدٍ فِي وَلَائِمٍ لَيْلِيَّةٍ جَنَائِزِيَّةٍ ، بِلِحَى بِيضَاءُ ،

بِشَعْرِ أَبْيَضٍ ، بِبُطُونٍ مُنْتَفِخَةٍ ،

كَأَنَّهُمْ حَبَالِي حَقًّا بِمَوْتِهِمْ ، يَلْتَهُمُونَ بِشَرَاهَةِ غَرِيْبَةٍ

المَاعِزِ المَشْوِيِّ ، دُونَ التِّفَاقِ إِلَى عَظْمَةٍ كَتِيفٍ - فَعَمَّ كَانَ لَهُمْ أَنْ

يَبْحَثُوا؟-

ظُلٌّ مُنْبَسِطٌ مُتَلَيٌّ بِبِضْعٍ بُقَعٍ بِيضَاءُ .

وَأَنَا ، كَمَا تَعْرِفُونَ ، احْتَفَفْتُ بِجَمَالِي السَّابِقِ

بِمَا يُشْبِهُ المَعْجِزَةَ (لَكِنِ أَيْضًا بِأَصْبَاغٍ ، وَأَعْشَابٍ وَمَرَاهِمٍ ،

بِعَصِيرِ اللِّيمُونِ وَمَاءِ الخِيَارِ) . كُنْتُ مَرْعُوبَةً مِنْ أَنْ أَرَى فِي وُجُوهِهِمْ

زَوَالَ أَعْوَامِي . فِي ذَلِكَ الحِينِ كُنْتُ أَشَدُّ عَضَلَاتِ بَطْنِي ،

كُنْتُ أَشَدُّ خَدَّيَّ بِابْتِسَامَةٍ مُفْتَعَلَةٍ ،

كَأَنِّي أَسْنِدُ جِدَارَيْنِ مُنْهَارَيْنِ بِدَعَامَةٍ نَحِيلَةٍ .

ذَلِكَ مَا كُنْتُه ، قَعِيدَةٌ ، حَبِيسَةٌ ، عَصَبِيَّةٌ - يَا إِلَهِي ، أَيُّ اسْتِنزَافٍ -

حَبِيسَةٌ كُلُّ دَقِيقَةٍ (حَتَّى فِي نَوْمِي) كَأَنِّي

كُنْتُ فِي دِرْعٍ يُثَلِّجُنِي أَوْ مِشَدِّ خَشْيِي يُحِيطُ بِجَسَدِي كُلَّهُ ،
أَوْ دَاخِلَ حِصَانِي الطُّرَوَادِيِّ الضِّيْقِ الْمُخَادِعِ ، مُدْرِكَةً أَنْثِي
تَفَاهَةَ الْخِدَاعِ وَخِدَاعِ الذَّاتِ ، تَفَاهَةَ الشُّهْرَةِ ،
تَفَاهَةَ وَزْوَالِ كُلِّ انْتِصَارٍ .

مُنْذُ بَضْعَةِ شُهُورٍ ،

عِنْدَمَا فَقَدْتُ زَوْجِي (أَكَانَ ذَلِكَ مُنْذُ شُهُورٍ أَمْ سَنَوَاتٍ ؟) ،
تَرَكْتُ حِصَانِي الطُّرَوَادِيِّ فِي الْحَظِيرَةِ إِلَى الْأَبَدِ ، مَعَ أَحْصِنَتِهَا الْعَجُوزِ ،
لِيُمْكِنَ لِلْعَقَارِبِ وَالْعَنَاكِبِ أَنْ تَمْرَحَ فِيهِ . وَلَمْ أَعُدْ أَصْبِغُ شَعْرِي بَعْدَ
ذَلِكَ .

تَنَامَتْ دَمَامِلُ كَبِيرَةٌ فِي وَجْهِ . وَشَعْرٌ كَثِيفٌ نَمَا حَوْلَ فَمِي -
أَتَشَبَّثُ بِهِ ، لَا أَنْظُرُ إِلَى نَفْسِي فِي الْمِرَاةِ -
شَعْرٌ طَوِيلٌ ، وَحِثِي - كَأَنَّ شَخْصًا آخَرَ قَدْ تَوَجَّحَ نَفْسَهُ دَاخِلِي ،
رَجُلٌ صَفِيْقٌ ، حَاقِدٌ ، وَتِلْكَ هِيَ لِحِيَّتُهُ
الَّتِي تَنْبِثُ مِنِّي جِلْدِي . وَأَنَا أَسْمَحُ لَهُ بِذَلِكَ - فَمَاذَا يُمَكِّنِي أَنْ أَفْعَلَ ؟ -
فَأَنَا أَخْشَى إِنْ طَرَدْتُهُ أَنْ يُجْرِجِرَنِي وَرَاءَهُ .

لَا تَرَحَّلْ . فَلْتَبَقْ قَلِيلًا . فَأَنَا لَمْ أَتَحَدَّثْ مُنْذُ عُصُورٍ .
وَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَأْتِي لِيَرَانِي . فَهُمْ جَمِيعًا يَتَعَجَّلُونَ الرَّجِيلَ ،
أَرَاهُ فِي عُيُونِهِمْ - يَسْتَعَجِلُونَ جَمِيعًا مَوْتِي . وَالزَّمَنُ لَا يَنْقُضِي .
تَتَفَرَّزُ الْحَادِمَاتُ مِنِّي . أَسْمَعُهُنَّ يَفْتَحْنَ أَدْرَاجِي فِي اللَّيْلِ ،
فَيَأْخُذْنَ الْأَشْيَاءَ الْمُزَخْرَفَةَ ، الْمُجَوْهَرَاتِ ، وَالْعَمَلَاتِ الدَّهْبِيَّةِ ؛

فَمَنْ يَسْتَطِيعُ التَّحْمِينَ إِنْ كَانُوا سَيَتْرُكُونِي بِثَوْبٍ وَجِيدٍ مُحْتَشِمٍ لِسَاعَةِ
الضَّرُورَةِ

أَوْ جِذَاءٍ وَجِيدٍ . بَلْ لَقَدْ أَخَذُوا مَفَاتِيحِي
مِنْ تَحْتِ وَسَادَتِي ؛ وَلَمْ أَحْرِكْ سَاكِنًا ؛ تَطَاهَرْتُ بِأَنِّي نَائِمَةٌ -
كُنَّ سَيَأْخُذْنَهَا عَلَى آيَةٍ حَالِ ذَاتِ يَوْمٍ - لَمْ أَكُنْ أُرِيدُ فَحَسَبَ أَنْ يَعْرِفَنَ
أَنِّي أَعْرِفُ .

فَمَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ أَفْعَلَ بِدُونِهِنَّ ؟ "صَبْرًا ، صَبْرًا" ، أَقُولُ لِنَفْسِي ؛
"صَبْرًا" - وَذَلِكَ أَيْضًا أَصْغَرُ شَكْلٍ لِلانْتِصَارِ ،
عِنْدَمَا يَقْرَأَنَّ الرَّسَائِلَ الْقَدِيمَةَ لِلْمُعْجَبِينَ بِي
أَوِ الْقَصَائِدِ الَّتِي أَهْدَاهَا لِي شُعْرَاءُ عِظَامٍ ؛ يَقْرَأْنَهَا
بِتَفْخِيمٍ أَبْلَهَ وَكَثِيرٍ مِنْ أَخْطَاءِ النُّطْقِ ، وَالتَّبَرُّ ، وَالْوِزْنَ
وَالْوَقْفَاتِ - لَا أَصْحَحُ لَهُنَّ . أَتَطَاهَرُ بِأَنِّي لَا أَسْمَعُ .
وَأَحْيَانًا مَا يَرُسِمَنَّ شَوَارِبَ كَبِيرَةٍ بِقَلَمِ حَوَاجِي الْأَسْوَدِ
عَلَى تَمَائِيلِي ، أَوْ يَضَعَنَّ خَوْذَةَ عَتِيقَةٍ أَوْ قِدْرًا
عَلَى رُؤُوسِهَا . أَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ فِي بُرُودٍ . فَيَغْضَبُنَّ .

ذَاتِ يَوْمٍ ، عِنْدَمَا شَعَرْتُ بِبَعْضِ التَّحْسُنِ ، طَلَبْتُ مِنْهُنَّ مَرَّةً أُخْرَى
أَنْ يُزَيِّنَنَّ وَجْهِي . فَعَلْنَ . طَلَبْتُ مِرَاةً .
كُنَّ قَدْ طَلَيْنَ وَجْهِي بِالْأَخْضَرِ ، مَعَ فِيمَ أَسْوَدٍ . "شُكْرًا" ، قُلْتُ لَهُنَّ ،
كَأَنِّي مَا رَأَيْتُ شَيْئًا غَرِيبًا . كُنَّ يَضْحَكُنَّ . إِحْدَاهُنَّ

تَعَرَّتْ أَمَامِي ، وَارْتَدَّتْ وَشَاحِي الذَّهَبِيِّ ، وَعَلَى هَذَا التَّحْوِ تَمَامًا ،
عَارِيَةَ السَّاقِينِ ، بَدَأَتْ الرَّقْصَ بِسَاقِيهَا السَّمِينَتَيْنِ ،
فَقَفَزَتْ إِلَى الْمِنْضَدَةِ - مُهْتَاجَةً ؛ رَقَصَتْ وَرَقَصَتْ ، مُنْحِنِيَّةً
فِي تَقْلِيدِ ، كَذَلِكَ ، لِجِرْكَاتِي الْقَدِيمَةِ . وَأَعْلَى فَخِذِهَا
كَانَتْ هُنَاكَ عَضَّةُ حُبِّ مِّنْ أَسْنَانِ رَجُلٍ قَوِيَّةٍ ، مُتَسَاوِيَةٍ .

تَفَرَّجْتُ عَلَيْهِنَّ كَأَنِّي فِي مَسْرَحٍ - بِلَا مَهَانَةٍ أَوْ حُزْنٍ ،
أَوْ نِقْمَةٍ - بِأَيَّةِ غَايَةٍ ؟ - لِكَيْتِي ظَلَلْتُ أَقُولُ لِنَفْسِي :
"ذَاتَ يَوْمٍ سَنُمُوتُ" ، أَوْ "سَتَمُتَنَّ ذَاتَ يَوْمٍ" ،
وَكَانَ ذَلِكَ انْتِقَامًا ، وَخَوْفًا وَعِزَاءً مُؤَكَّدًا .
كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّبَاشِرَةً فِي الْعَيْنِ بِوُضُوحٍ فَاتِرٍ ، يَفُوقُ الْوَصْفَ ،
كَانَتْ عَيْنَايَ مُسْتَقْلَتَيْنِ عَنِّي ؛ وَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى عَيْنِي
الَّتَيْنِ تَقَعَانِ عَلَى بُعْدِ مِثْرٍ مِّنْ وَجْهِ ، كَزُجَاجٍ نَافِذَةٍ مَخْلُوعٍ
يَجْلِسُ خَلْفَهُ شَخْصٌ مَا آخِرُ
وَيُرَاقِبُ الْمَارَةَ فِي شَارِعٍ مَجْهُولٍ
بِهِ مَقَاهِ مُوَصَّدَةٌ ، وَمَحَلَّاتُ تَصْوِيرٍ وَعُظُورٍ ،
وَكَانَ لَدَيْي الْإِحْسَاسُ بِأَنَّ قَارُورَةَ كِرِيَسْتَالٍ جَمِيلَةً قَدْ انكَسَرَتْ ،
وَأَنسَكَبَ الْعِطْرُ فِي وَاجِهَةِ الْعَرِضِ الْمُتْرِبَةِ ، وَكُلُّ مَارٍ ،
مُتَوَقِّفًا فِي عُمُوضٍ ، مُتَشَمِّمًا الْهَوَاءَ ، تَذَكَّرَ شَيْئًا مَا طَيِّبًا
ثُمَّ تَلَاشَى وَرَاءَ أَشْجَارِ الْفُلْفُلِ أَوْ فِي نِهَآيَةِ الشَّارِعِ .

بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ ، لَا يَزَالُ يُوسِعِي أَنْ أُحْسَّ بِالْأَرْبَعِ - أَعْنِي ، أَتَذَكَّرُهُ ؛
أَلَيْسَ ذَلِكَ غَرِيبًا ؟ - وَبِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كُنَّا عَادَةً مَا نَعْتَبِرُهَا عَظِيمَةً ،
مُنْتَهِيَةً ، مُتَلَاشِيَةً -

مَقْتُلُ أَجَائِمُنُونَ ، ذَبْحُ كَلِيْتَمِينِسْتِرَا (أَرْسَلُوا لِي
إِحْدَى قَلَائِدِهَا الْجَمِيلَةَ مِنْ مَيْسِينَايِ ،
الْمَصْنُوعَةَ مِنْ أَفْنَعَةٍ ذَهَبِيَّةٍ صَغِيرَةٍ ، مُلْتَحِمَةً بِرَوَابِطِ
مِنَ الْأَطْرَافِ الْعُلْيَا لِلْأَذَانِ - مَا ارْتَدَيْتُهَا أَبَدًا) . نُسِيْتُ ؛
بَعْضُ الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى تَبَقَى - أَشْيَاءٌ بِلَا أَهْمِيَّةٍ ، بِلَا مَعْنَى ؛
أَتَذَكَّرُ رُؤْيِي ذَاتَ يَوْمٍ لِطَائِرٍ يَجُثُّ عَلَى ظَهْرِ حِصَانٍ ، وَبَدَا لِي هَذَا الشَّيْءُ
الْمَحِيرُ
تَفْسِيرًا (وخاصة لي) لِعُمُوضٍ مَا جَمِيلٍ .

لَا أَزَالُ أَذْكَرُ ، وَأَنَا طِفْلَةٌ عَلَى شَوَاطِئِ إِيُورُوتَاسِ ، بِجِوَارِ أَشْجَارِ اللَّيْنَدَرِ
الْمُحْتَرِّقَةِ ،

صَوْتِ شَجَرَةٍ تُقَشِّرُ لِحَاءَهَا وَحِيدَةً ؛
يَسَاقُطُ اللَّحَاءُ بِرِقَّةٍ إِلَى الْمَاءِ وَيَطْفُو بَعِيدًا كَالْقَوَارِبِ ،
وَكُنْتُ أَنْتَظِرُ ، فِي عِنَادٍ ، فَرَاشَةَ سَوْدَاءَ ذَاتِ خُطُوطٍ بُرْتَقَالِيَّةٍ
أَنْ تَحُطَّ عَلَى قِطْعَةٍ لِحَاءٍ ، مَذْهُولَةً مِنْ حَرَكَتِهَا رَغْمَ سُكُونِهَا ،
وَمَزَقْنِي ذَلِكَ ، أَنَّ الْفَرَاشَاتِ ، رَغْمَ بَرَاعَتِهَا فِي الطَّيْرَانِ ،
لَا تَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ السَّفْرِ فِي الْمَاءِ ، أَوِ التَّجْدِيفِ . وَأَتَتْ .

هُنَاكَ لِحَظَاتٌ مُعَيَّنَةٌ غَرِيبَةٌ ، مَعزُولَةٌ ، وَغَالِبًا مُضْحِكَةٌ .
رَجُلٌ يَتَمَشَّى فِي الظَّهِيرَةِ ، وَاضِعًا سَلَّةً كَبِيرَةً فِي رَأْسِهِ ؛
تُخْفِي السَّلَّةُ وَجْهَهُ كُلَّهُ كَأَنَّهُ بِرَأْسِ ، أَوْ يَتَخَفَّى بِرَأْسِ ضَخْمَةٍ بِرَأْسِ عِيُونٍ ،
أَوْ مُتَعَدِّدَةِ العُيُونِ .

وَرَجُلٌ آخَرَ ، يَتَعَثَّرُ فِي شَيْءٍ مَا ، فِيمَا يَتَمَشَّى ، مُتَأَمِّلًا فِي العَسَقِ ، يَلْعَنُ ،
وَيَعُودُ ، يَبْحَثُ - فَيَجِدُ حَصَاةً ، يَلْتَقِطُهَا ؛ يَقْبَلُهَا ؛
ثُمَّ يَتَذَكَّرُ أَنْ يَنْظُرَ حَوْلَهُ ؛ وَيَمْضِي بِإِحْسَاسٍ بِالدَّنْبِ .
وَأَمْرَأَةٌ تَدُسُّ يَدَهَا فِي جَيْبِهَا ؛ لَا تَجِدُ شَيْئًا ؛ تُخْرِجُ يَدَهَا ،
تَرْفَعُهَا وَتَمَعِنُ النَّظَرَ فِيهَا كَأَنَّمَا لَفَحَهَا مَسْحُوقَ الخَوَاءِ .

أَمْسَكَ نَادِلٌ بِدُبَابَةِ فِي يَدِهِ - لَمْ يَسْحَقَهَا ؛
يُنَادِي عَلَيْهِ أَحَدُ الزَّبَائِنِ ؛ كَانَ مُسْتَعْرِقًا ؛ يَفْتَحُ قَبْضَتَهُ ؛
تَفَرُّ الدُّبَابَةُ وَتَحُطُّ عَلَى الرُّجَاجِ . قُصَاصَةٌ وَرَقٍ تَتَدَحْرَجُ أَسْفَلَ الشَّارِعِ
مُتَرَدِّدَةً ، مُتَشَنِّجَةً ، دُونَ أَنْ تَلْفِتَ انْتِبَاهَ أَحَدٍ -
مُسْتَمْتِعَةً تَمَامًا . لَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ ،

كثيرًا مَا تُصَدِرُ خَشْخَشَةً مَا تُكَدِّبُهَا ؛ كَأَنَّهَا تَتَطَلَّعُ
إِلَى شَاهِدٍ نَزِيهِ عَلَى طَرِيقِهَا السَّرِيِّ ، الْمُتَوَاضِعِ . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
لَهَا جَمَالٌ كَثِيبٌ ، بِرَأْسِ تَفْسِيرٍ ، وَأَلْمٌ عَمِيقٌ
بِسَبَبِ إِيمَاءَاتِنَا الغَرِيبَةِ المَجْهُولَةِ - أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟

البَقِيَّةُ ضَائِعَةٌ ، كَأَنَّهَا مَا كَانَتْ . أَرْجُوسُ ، أَثِينَا ، سَبْرَطَةُ ،

كُورِنْتَه ، طِبِيَّة ، سِيكِيُون - ظِلَالُ أَسْمَاء . أَنْطِقْهَا ؛
 يَتَرَدَّدُ صَدَاهَا كَأَنَّهَا تَغْوُصُ فِي التَّقْصَانِ .
 كَلْبٌ ضَالٌّ ، كَرِيمُ الْأَصْلِ ،
 أَمَامَ نَافِذَةِ مَحَلِّ الْبَانِ فَقِيرٍ . فَتَاهُ مَرَّةً تَنْظُرُ إِلَيْهِ ؛
 لَا يَسْتَجِيبُ ؛ يَمْتَدُّ ظِلُّهُ شَاسِعًا عَلَى الرَّصِيفِ .
 لَمْ أَعْرِفِ السَّبَبَ أَبَدًا . بَلْ أَشْكُ أَنَّهُ مَوْجُودٌ .
 لَيْسَ هُنَاكَ سِوَى تِلْكَ الْمُوَافَقَةِ الْمُلْزِمَةِ ، الْمُهَيَّنَةِ (مِمَّنْ ؟)
 إِذْ نُومِي "حَقًّا" كَأَنَّمَا نُحْيِي شَخْصًا مَا
 بِجُنُوعٍ لَا يُصَدِّقُ ، رَغْمَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَمُرُّ ، لَا أَحَدَ هُنَاكَ .

أَظَنَّ أَنَّ شَخْصًا آخَرَ ، ذَا صَوْتِ حَيَاتِي تَمَامًا ، أَخْبَرَنِي ذَاتَ يَوْمٍ
 بِتَفَاصِيلِ حَيَاتِي ؛ كُنْتُ نَاعِسَةً وَأَتَمَنَّى مِنْ كُلِّ قَلْبِي
 أَنْ يَتَوَقَّفَ ؛ أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ إِغْمَاضِ عَيْنِي ، وَأَنَامَ .
 وَإِذْ تَكَلَّمْتُ ، وَلَا فَعَلَ شَيْئًا مَا ، لِأَطْرَدَ التُّعَاسَ ،
 أَخَذْتُ أَحْصِي شُرَابَاتِ شَالِي ، وَاحِدَةً وَاحِدَةً ،
 بِنِعْمَةِ أَغْنِيَّةِ "عُمَيْضَةَ" طُفُولِيَّةِ سَخِيْفَةٍ ،
 إِلَى أَنْ ضَاعَ الْمَعْنَى فِي التَّكْرَارِ . لَكِنَّ الصَّوْتَ يَبْقَى -
 صَخْبٌ ، ارْتِطَامَاتٌ ، صَرِيرٌ - أَرِيزُ الصَّمْتِ ، نُحَيْبٌ نَشَازٌ ،
 شَخْصٌ مَا يَخْمِشُ الْحَائِطَ بِأَظْفَارِهِ ، مِقْصٌ يَسْقُطُ عَلَى الْوَجِ الْأَرْضِيَّةِ ،
 شَخْصٌ مَا يَكُحُّ - وَيَدُهُ عَلَى فَمِهِ ، حَتَّى لَا يُوقِظَ الْآخَرَ
 النَّائِمَ مَعَهُ - رُبَّمَا مَوْتَهُ - يَتَوَقَّفُ ؛ وَمِنْ جَدِيدٍ

ذَلِكَ الْأَزِيذُ اللَّوَلِيُّ الْمُتَّصِعِدُ مِنْ بئرِ خَاوِيَةِ ، مُوصَدَةٌ .

فِي اللَّيْلِ أَسْمَعُ الخَادِمَاتِ يَحْرَكْنَ قِطْعَ الْأَثَاثِ الضَّخْمَةِ ؛
يَنْقِلْنَهَا إِلَى الطَّابِقِ السُّفْلِيِّ - مِرَاءً ، مَحْمُولَةً كَنَقَالَةٍ ،
تَكْشِفُ تَصْمِيمَاتِ السَّقْفِ الجِبْسِيَّةِ البَالِيَةِ ؛
رُجَاجٌ نَافِذَةٌ يَرْتَطِمُ مِرَارًا بِالسِّيَاحِ - وَلَا يَنْكَسِرُ ؛
المِعْطَفُ القَدِيمُ عَلَى الحَامِلِ يَرْفَعُ ذِرَاعَيْهِ الخَاوِيَتَيْنِ لِبرْهَةٍ ، ثُمَّ يَدُسُّهُمَا فِي
الجَيْبَيْنِ ؛

العَجَلَاتُ الصَّغِيرَةُ لِسِيقَانِ الأَرِيكَةِ تُتَقَرِّعُ عَلَى الأَرْضِيَّةِ .
يُمْكِنُنِي مِنْ هُنَا أَنْ أَحِسَّ عَلَى كُوْعِي بِالخَرْنَشَاتِ الَّتِي تَصْنَعُهَا عَلَى الحَائِطِ
أَرْكَانُ خِزَانَةِ المَلَابِسِ
أَو المِنْضَدَةُ المَنْقُوشَةُ الكَبِيرَةُ . مَاذَا سَيَفْعَلْنَ بِهِمْ ؟ "وَدَاعًا" ،
أَقُولُ بِصُورَةٍ مِيكَانِيكِيَّةٍ غَالِبًا ، كَأَنِّي أَوَدِّعُ زَائِرًا يَظَلُّ غَرِيبًا .
لَيْسَ هُنَاكَ سِوَى ذَلِكَ الصَّرِيرِ الغَامِضِ الَّذِي يَبْقَى فِي الصَّلَاةِ
كَأَنَّمَا مِنْ تَفِيرِ أَمْرَاءِ صَيْدِ عَائِدِينَ مَعَ قَطْرَاتِ المَطَرِ الأَخِيرَةِ ، فِي غَابَةِ
مُحْتَرِّقَةٍ .

بِصَدْقٍ ، فَالكَثِيرُ مِنَ الأَشْيَاءِ العَقِيمَةِ المُتْرَاكِمَةِ بِشَرَاهَةِ كَبِيرَةٍ
قَدْ سَدَّتِ المَكَانَ - لَا نَسْتَطِيعُ الحَرَكَةَ ؛
تَرْتَطِمُ رُكْبُنَا بِرُكْبٍ خَشْبِيَّةٍ ، حَجْرِيَّةٍ ، مَعْدَنِيَّةٍ .
أَوْ ، سَيَكُونُ لَنَا حَقًّا أَنْ نَشِيخَ ، أَنْ نَشِيخَ لِلغَايَةِ ، أَنْ نُصْبِحَ مُسْتَقِيمِينَ ،

لِتَصِلَ إِلَى تِلْكَ النَّزَاهَةِ الْمُعْتَدِلَةِ ، انْتِفَاءً الْمَصْلَحَةِ الرَّهِيْفِ ذَاكَ فِي
الْمُقَارَنَاتِ وَالْأَحْكَامِ ،
حَيْنَمَا يُصْبِحُ قَدْرُنَا أَلَّا نُشَارِكُ إِلَّا فِي تِلْكَ السَّكِينَةِ .

آه حَقًّا ، كَمَ مِنْ مَعَارِكِ سَخِيْفَةٍ ، وَأَفْعَالٍ بُطُوْلِيَّةٍ ، وَطُمُوْحَاتٍ ، وَغَطْرَسَةٍ ،
وَتَضْحِيَّاتٍ وَهَزَائِمٍ ، وَمَعَارِكِ أُخْرَى لَا تَزَالُ مِنْ أَجْلِ أَشْيَاءَ
قَرَّرَهَا آخَرُونَ سَابِقُونَ عَلَيْنَا : أَنَاسُ أَبْرِيَاءَ
يَنْقُرُونَ عُيُونَهُمْ بِدَبَابِيْسِ الشَّعْرِ ، يَخْبِطُونَ رُؤُوسَهُمْ
فِي الْحَائِطِ الْعَالِيِ ، مُدْرِكِينَ تَمَامًا أَنَّهُ لَنْ يَنْهَارَ
أَوْ حَتَّى يَتَصَدَّعَ ، فَقَطَّ لِيَرَوْا عَلَى الْأَقْلِ مِنْ فُرْجَةٍ صَغِيرَةٍ
شَرِيْحَةً نَحِيْلَةً مِنْ زُرْقَةِ السَّمَاءِ بِلَا شَائِبَةٍ ، مُتَحَرِّرَةً مِنَ الزَّمَنِ وَظِلَالِهِمْ .
وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ - مَنْ يَدْرِي -

هُنَاكَ ، حَيْثُ شَخْصٌ مَا يُقَاوِمُ ، بِلَا أَمَلٍ ،
رُبَّمَا يَبْدَأُ هُنَاكَ التَّارِيخُ الْإِنْسَانِيَّ ، كَمَا يُقَالُ ، وَجَمَالُ الْإِنْسَانِ
وَسَطُ نِصَالِ حَدِيدٍ صَدِيئَةٍ وَعِظَامِ ثِيْرَانٍ وَأَحْصِنَةٍ ،
وَسَطُ مَرَاجِلَ لَا يَزَالُ يَحْتَرِقُ فِيهَا بَعْضُ الْغَارِ
وَالدُّخَانُ يَصَاعِدُ ، مُتَلَوِّيًّا فِي الْغُرُوبِ مِثْلَ صُوفٍ ذَهَبِي .

فَلْتَبَقْ مَدَّةً أَطْوَلَ . فَكُلُّ شَيْءٍ يَتَهَاوَى . وَالصُّوفُ الذَّهَبِيُّ الَّذِي تَحَدَّثْنَا عَنْهُ -
آه ،

فَالفِكْرَةُ تَأْتِي بِطَيْئَةٍ إِلَيْنَا نَحْنُ النَّسَاءُ - تُرِيحُ إِلَى حَدِّ مَا . وَمِنْ النَّاحِيَةِ

الأخرى ،

فَالرَّجَالُ لَا يَتَوَقَّفُونَ لِيَفْكُرُوا - رَبِّمَا كَانُوا خَائِفِينَ ؛
رَبِّمَا لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى خَوْفِهِمْ فِي الْعَيْنَيْنِ ، لِيَرَوْا تَعَبَهُمْ ،
لِيَسْتَرْجِحُوا-

جُبْنَاءَ ، مَغْرُورِينَ ، فَضُولِيِّينَ ، يَنْدَفِعُونَ إِلَى الظَّلَامِ .
يَثَابُهُمْ تَفُوحٌ دَائِمًا بِدُخَانِ حَرِيقِ مَرَّوٍ بِهِ أَوْ خِلَالَهُ بِلَا وَعِي .
يَتَعَرَّوْنَ بِسُرْعَةٍ ؛

يَرْمُونَ بِثِيَابِهِمْ إِلَى الْأَرْضِيَّةِ ؛ يَسْقُطُونَ فِي السَّرِيرِ .
لَكِنَّ حَتَّى أَجْسَادَهُمْ تَعَبُّ بِالذُّخَانِ - يُخَدِّرُهَا . كَانَ عَادِيًّا أَنْ أَجَدَ ،
عِنْدَمَا يَنَامُونَ فِي النَّهَائَةِ ،

أوراق شجرٍ مُحترَقةً دَقِيقَةً وَسَطَ شَعْرِ صُدُورِهِمْ
أَوْ بَعْضَ رَغَبٍ رَمَادِيٍّ مِنْ طُيُورٍ مَذْبُوحَةٍ .
آتِيذُ أَلْمَلِمَها وَأَحْتَفِظُ بِها فِي عُلْبَةٍ صَغِيرَةٍ -
الشَّارَاتُ الْوَحِيدَةُ لِمُشَارَكَةِ سِرِّيَّةٍ - لَمْ أَرها أَبَدًا لَهُمْ - فَلَمْ يَكُونُوا
لِيَتَعَرَّفُوا عَلَيْها .

أَحْيَانًا ، آهَ حَقًّا ، كَانُوا جَمِيلِينَ - عَرَايَا مِثْلَمَا كَانُوا ، مُسْتَسْلِمِينَ لِلنَّوْمِ ،
بِلَا آيَةٍ مُقاوِمَةٍ ، مُرْتَحِّينَ ، وَبُطُونُهُم الضَّخْمَةُ الْقَوِيَّةُ
هَامِدَةٌ وَطَرِيَّةٌ ، مِثْلَ أَنْهَارٍ هَادِرَةٍ تَنْدَفِقُ فِي الْأَسْفَلِ
مِنْ جِبَالٍ عَالِيَةٍ إِلَى سَهْلِ هَادِيٍّ ، أَوْ كَأَطْفَالٍ مَهْجُورِينَ .
فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْيَانِ ، كُنْتُ أُحِبُّهُمْ حَقًّا ، كَأَنِّي وَلَدْتُهُمْ . لَمَحَتْ رُؤُوسُهُمْ

الطويلة

وَأَرَدْتُ أَنْ أُعِيدَهُمْ إِلَى دَاخِلِي ، لِأَحْمِيَهُمْ ، أَوْ لِأَقْتِرَنَ بِأَجْسَادِهِمُ الْعَفِيَّةَ ،
بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ . كَانُوا نَائِمِينَ . وَالتَّوْمُ يَسْتَدْعِي احْتِرَامَكَ لَهُ ،
لأنَّهُ نَادِرٌ لِلغَايَةِ . كُلُّ ذَلِكَ انْتَهَى ، أَيْضًا . كُلُّهُ نُسِي .

لَيْسَ ذَلِكَ مَا لَمْ أَعُدْ أَتَذَكَّرُهُ - فَأَنَا أَذْكُرُهُ ؛ فَالْأَمْرُ فَحَسْبُ أَنَّ الذِّكْرِيَّاتِ
لَمْ تَعُدْ عَاطِفِيَّةً - لَا تَسْتَطِيعُ تَحْرِيكَنَا - إِنَّهَا لَا شَخْصِيَّةَ ، صَافِيَّةَ ،
وَاضِحَةً حَتَّى أُرْكَانِيهَا الْأَكْثَرَ دَمَوِيَّةً . إِحْدَاهَا فَحَسْبُ
لَا تَزَالُ تَسْتَبْقِي بَعْضَ الهَوَاءِ حَوْلَهَا ، وَتَتَنَفَّسُ . فِي ذَلِكَ الْأَصِيلِ الْأَخِيرِ ،
عِنْدَمَا كُنْتُ مُحَاطَةً بِصَرَخَاتِ الجِرْحَى اللَّائِيهَاتِيَّةِ ،
وَاللَّعْنَاتِ المَغْمَمَةِ لِلرِّجَالِ العَجَائِزِ وَانْدِهَاشِهِمْ مِنِّي ،
وَسَطَ رَائِحَةِ المَوْتِ الشَّامِلِ ، الَّذِي كَانَ يُومِضُ مِنْ آيٍ لِآخِرِ
عَلَى دِرْعٍ أَوْ سِنِّ حَرْبِيَّةٍ أَوْ وَاجِهَةٍ مَعْبِدٍ مُهْمَلِ
أَوْ عَجَلَةٍ مَرَكَبَةٍ - صَعَدْتُ وَحْدِي
إِلَى الجُدْرَانِ العَالِيَةِ وَرُحْتُ أَتَمَشَّى .
وَحْدِي ، وَحْدِي تَمَامًا ،

بَيْنَ الطُّرُودِ الَّذِينَ وَالْأَخِيَّينَ ، فِيمَا أُجِسُّ بِالرِّيحِ تَضَعُظُ أَوْشَحِي الرَّهِيْفَةَ
عَلَيَّ ،

تَدْعُكَ حَلْمَاتِي ، تَحْتَضِنُ جَسَدِي كُلَّهُ ،
العَارِي وَالْمُكْتَسِي بِجَزَائِمِ فِضِّي عَرِيضِ فَحَسْبُ
رَافِعَةً ثَدْيِي إِلَى أَعْلَى -

كُنْتُ هُنَاكَ جَمِيلَةً ، طَاهِرَةً ، مُتَمَرِّسَةً ،
فِيمَا كَانَ الْمُتَنَافِسَانِ عَلَى حُبِّي يَتَبَارَزَانِ وَمَصِيرُ الْحَرْبِ الطَّوِيلَةِ
كَانَ يَتَقَرَّرُ -

بَلْ لَمْ أَرِ رِبَاطَ خَوْذَةِ بَارِيسَ يَنْقَطِعُ -
بَلْ رَأَيْتُ أَلْقَا مِنْ نُحَاسِهَا ،
أَلْقَا دَائِرِيًّا ، حِينَمَا ضَرَبَهَا غَرِيمُهُ فِي غَضَبٍ
مُتَدَلِّيَّةٍ مِنْ رَأْسِهِ - كَصِيفٍ مُضِيءٍ .
لَمْ تَكُنْ تَسْتَحِقُّ النَّظَرَ إِلَيْهَا -
فَارَادَةُ الْآلِهَةِ قَدْ شَكَّلَتْ الْأَشْيَاءَ مِنْذُ الْبِدَايَةِ ؛
وَبَارِيسَ ، مُجَرَّدًا مِنْ صَنْدَلِهِ الْمُتْرَبِ ، سَرَعَانَ مَا سَيَكُونُ فِي السَّرِيرِ ،
مُغْتَسِلًا بِيَدَيِ الرَّبِّ ، فِي انْتِظَارِي ، مُفْتَعِلًا الْإِبْتِسَامِ ،
مُخْفِيًّا فِي ادِّعَاءِ نُدْبَةٍ زَائِفَةٍ فِي جَنْبِهِ بِرِبَاطِ قَرْنُفِي .

لَمْ أَعُدْ أَشَاهِدُ ، وَبِالْكَادِ كُنْتُ أَسْمَعُ صَرَخَاتِهِمُ الْقِتَالِيَّةَ -
فَأَنَا ، عَالِيًا فَوْقَ الْجُدْرَانِ ، أَعْلَى رُؤُوسِ الْبَشَرِ ، أَثِيرِيَّةً ،
بِلَا انْتِمَاءٍ لِأَحَدٍ ، بِلَا احْتِيَاجٍ لِأَحَدٍ ،
كَأَنِّي كُنْتُ (أَنَا الْمُسْتَقِلَّةُ) حُبًّا مُطْلَقًا ،
مُتَحَرِّرَةً مِنَ الْخَوْفِ مِنَ الْمَوْتِ وَالزَّمَنِ ، بِوَرْدَةٍ بَيْضَاءَ فِي شَعْرِي ،
بِوَرْدَةٍ بَيْنَ نَدْيِي ، وَأُخْرَى بَيْنَ شَفْتِي
تُخْفِي ابْتِسَامَةَ الْحُرِّيَّةِ لِي .

كَانَ بِمَقْدُورِهِمْ أَنْ يُصَوِّبُوا

سَهَامُهُمْ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ .

كُنْتُ هَدَفًا سَهْلَ الْمَنَالِ

أَتَمَشْتِي الْهُوَيْنَى عَلَى الْجُدْرَانِ ، مُنْطَبِعَةً بِكَامِلِي

عَلَى سَمَاءِ الْمَسَاءِ الْقَرْمُزِيَّةِ الْوَرْدِيَّةِ .

أَبْقَيْتُ عَيْنِي مُغْمَضَتَيْنِ

لِأَسْهَلِ عَلَيْهِمْ آيَةَ إِيمَاءٍ عَدَائِيَّةٍ - مُدْرِكَةً بِعُمُقِ

أَلَّا أَحَدَ مِنْهُمْ سَيَجْرُؤُ . ارْتَعَشْتَ أَيَادِيهِمْ بِالرَّهْبَةِ

إِزَاءَ جَمَالِي وَخُلُودِي -

(رُبَّمَا يُمَكِّنُنِي التَّحَكُّمُ فِي ذَلِكَ :

لَمْ أَخْشَ الْمَوْتَ لِأَنِّي أَحْسَسْتُ بِهِ بَعِيدًا عَنِّي) .

أَنْثِيذِ

أَطَحْتُ بِالْوَرْدَتَيْنِ مِنْ شَعْرِي وَثَدِيَّ - مُحْتَفِظَةً بِالثَّالِثَةِ

فِي فَمِي - أَطَحْتُ بِهِمَا إِلَى جَانِبِي الْجِدَارِ

بِإِيمَاءَةٍ مُحَايِدَةٍ تَمَامًا .

أَنْثِيذِ ، رَمَى الرَّجَالُ ، فِي الدَّاخِلِ وَالخَارِجِ ، بِأَنْفُسِهِمْ

عَلَى بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، أَعْدَاءَ وَأَصْدِقَاءَ ،

لَاخْتِطَافِ الْوَرْدَتَيْنِ ، لِتَقْدِيمِهِمَا لِي - وَرَدَّتِي .

لَمْ أَرْ شَيْئًا آخَرَ بَعْدَ ذَلِكَ - سِوَى ظُهُورِ مَحْنِيَّةٍ ، كَأَنَّهُمْ جَمِيعًا

كَانُوا رَاكِعِينَ إِلَى الْأَرْضِ ، حَيْثُ كَانَتْ الشَّمْسُ تُجَقِّفُ الدَّمَ -

بَلْ رُبَّمَا سَحَقُوا الْوَرْدَتَيْنِ .

لَمْ أَرَ .

رَفَعْتُ ذِرَاعِي

وَفِيمَا أَشِبُّ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِي إِلَى أَعْلَى ،

تَرَكْتُ الْوَرْدَةَ الثَّالِثَةَ تَسْقُطُ مِنْ شَفَتِي .

كُلُّ ذَلِكَ لَا يَزَالُ بَاقِيًا مَعِي - نَوْعٌ مِمَّا مِنَ الْعَزَاءِ ، تَبْرِيرٌ مَا بَعِيدٌ ،

وَرُبَّمَا سَيَبْقَى ذَلِكَ ، فِيمَا أَمْلُ ، فِي مَكَانٍ مَا فِي الْعَالَمِ - حُرِّيَّةٌ مُؤَقَّتَةٌ ،

خَادِعَةٌ ، أَيْضًا ، بِالطَّبَعِ - لُعْبَةٌ حَظَّنَا وَجَهْلِنَا .

فِي هَذَا الْوَضْعِ بِالتَّحْدِيدِ (مِثْلَمَا أَذْكَرُ) عَمِلَ التَّحَاثُونُ

فِي تَمَائِيلِي الْأَخِيرَةِ ؛ مَا تَزَالُ هُنَاكَ بِالخَارِجِ فِي الْحَدِيقَةِ ؛

لَا بَدَّ أَنَّكَ رَأَيْتَهَا عِنْدَمَا جِئْتَ . أحيانًا (عِنْدَمَا تَكُونُ الْحَادِمَاتُ فِي مِرَاجِ

طَيْبٍ

وَيُمْسِكُنِي مِنْ ذِرَاعِي لِيَأْخُذَنِي إِلَى ذَلِكَ الْمَقْعَدِ أَمَامَ النَّافِذَةِ) ،

يُمْكِنُنِي أَيْضًا أَنْ أَرَاهَا . تَلْتَمِعُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ .

تَنْبَعِثُ حَرَارَةٌ بَيْضَاءُ مِنَ الرُّخَامِ مُتَصَاعِدَةً إِلَى هُنَا . لَا أَتَمَعَّنُ فِيهَا طَوِيلًا .

تُنْهِكُنِي ، أَيْضًا ، بَعْدَ بُرْهَةٍ . أَفْضَلُ الْفُرْجَةِ عَلَى جَانِبِ مِنَ الشَّارِعِ

حَيْثُ يَلْعَبُ وَلَدَانُ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِكُرَّةٍ مِنْ خِرْقِي ، أَوْ فَتَاهُ

تُدَلِّي سَلَّةً بِحَبْلِ مِنَ الشُّرْفَةِ عَبْرَ الشَّارِعِ .

أحيانًا مَا تَنْسَى الْحَادِمَاتُ أَنِّي هُنَاكَ . لَا يَأْتِينِ لِإِعَادَتِي إِلَى السَّرِيرِ .

أَظَلُّ طَوَالَ اللَّيْلِ أَحْمَلِقُ فِي دَرَاجَةٍ قَدِيمَةٍ

أَمَامَ النَّافِذَةِ الْمُضَاءَةِ لِمَحَلِّ حَلْوَى جَدِيدٍ ،
إِلَى أَنْ يَنْظِفِي الضَّوءَ ، أَوْ أَعْرَقَ فِي التَّوَمِ عَلَى عَتَبَةِ النَّافِذَةِ .
وَبَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ أَفْكَرُ فِي أَنَّ نَجْمًا يُوقِظُنِي ، مُتَهَاوِيًا خَلَالَ الْفَضَاءِ
مِثْلَ اللَّعَابِ مِنْ فِيمَ رَخْوٍ ، بِلَا أَسْنَانٍ ، لِرَجُلٍ عَجُوزٍ .
مَرَّتِ الْآنَ عُصُورٌ مُنْذُ أَخَذْتَنِي إِلَى النَّافِذَةِ . أَبْقَى هُنَا فِي السَّرِيرِ
جَالِسَةً أَوْ رَاقِدَةً - يُمَكِّنُنِي أَنْ أَنْصَرِّفَ . وَلَقَطَعَ الْوَقْتَ
أُمْسِكُ بِوَجْهِهِ - وَجْهٌ غَرِيبٌ - أَتَلَمَّسُهُ ، أَتَحَسَّسُهُ ،
أَعْدُّ الشُّعَيْرَاتِ ، وَالْعُضُونَ وَالذَّمَامِيلَ - مَنْ يَدْخُلُ
هَذَا الْوَجْهَ ؟

شَيْءٌ مَا لَا ذِعُّ يَصَاعِدُ فِي حَلْقِي - غَثِيَانٌ وَخَوْفٌ ،
خَوْفٌ سَخِيفٌ ، يَا إِلَهِي ، حَتَّى الْغَثِيَانُ يُمَكِّنُ أَنْ يَضِيعَ . يَبْقَى مُدَّةً
أَطْوَلَ -

ضَوْءٌ صَغِيرٌ يَأْتِي مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ - لَا بَدَّ أَنَّهُمْ قَدْ لُضَاءُوا مَصَابِيحَ
الشَّوَارِعِ .

أَلَا تُرِيدُ أَنْ أَدُقَّ الْجَرَسَ لِأَجِيءَ لَكَ بِشَيْءٍ مَا ؟ - بَعْضُ الْكَرَزِ الْمَحْفُوظِ
أَوْ بُرْتُقَالٍ لِأَذِيعَ مُحَلَّى - رَبَّمَا تَبَقَّى شَيْءٌ مَا فِي الْجِرَارِ الْكَبِيرَةِ ،
تَحَوَّلَ الْآنَ إِلَى سُكَّرٍ مَعْقُودٍ - إِذَا مَا تَرَكْتَ الْحَادِمَاتُ الشَّرِهَاتِ
شَيْئًا ، بِالطَّبَعِ . فِي الْأَعْوَامِ الْقَلِيلَةِ الْأَخِيرَةِ كُنْتُ مَشْغُولَةً
بِصْنَعِ الْحَلْوَى - فَمَا الَّذِي يُمَكِّنُ فِعْلُهُ هُنَا غَيْرُ ذَلِكَ ؟
بَعْدَ طُرُودِهَا - كَانَتْ الْحَيَاةُ فِي سَبْرَةِ

مِملَّةٌ لِلغَايَةِ - رِيفِيَّةٌ حَقًّا ؛ حَبِيسَةَ الدَّارِ طُولَ النَّهَارِ ،
وَسَطَ الغَنَائِمِ المُتْرَاكِمَةِ لِجُرُوبِ كَثِيرَةٍ ؛ وَالدَّكْرِيَّاتِ
الدَّاويَّةِ وَالمُزْعِجَةِ ، تَشُبُّ وَرَاءَكَ فِي المِرَاةِ
وَقد مَشَطْتَ شَعْرَكَ ، أَوْ فِي المَطْبِخِ تَخْرُجُ
مِنَ البُخَارِ الدُّهْنِيِّ لِلقِدْرِ ؛ وَتَسْمَعُ فِي غَلْيَانِ المَاءِ
بِضَعِ تَفَاعِيلِ سُدَاسِيَّةٍ مِنَ الرَّابِسُودِيَّةِ الثَّالِثَةِ
فِيمَا يَصِيحُ دِيكَ مَا فِي نَسَازٍ مِنْ قُنِّ مُجَاوِرٍ قَرِيبٍ .

وَأَنْتِ تَعْرِفُ بِالتَّأَكِيدِ كَمْ أَنَّ حَيَاتِنَا رَتِيبَةٌ . حَتَّى الجَرَائِدِ
لَهَا نَفْسُ الشَّكْلِ ، وَالحَجْمِ ، وَالعَنَاوِينِ - لَمْ أَعُدْ أَقْرَأَهَا . مِرَارًا وَتَكَرَّرًا
أَعْلَامٌ فِي الشُّرْفَاتِ ، احْتِفَالَاتٌ وَظَنِيَّةٌ ، اسْتِعْرَاضَاتٌ
لِجُنُودِ الدُّمَى - الفُرْسَانُ وَحَدَهُمُ احْتَفَظُوا بِشَيْءٍ مَا مُرْتَجَلٌ ،
بِشَيْءٍ مَا شَخِصِي - رُبَّمَا بِسَبَبِ الأَحْصِنَةِ . ارْتَفَعَ الغُبَارُ كَغَيْمَةٍ ؛
فَأَوْصَدْنَا التَّوَاغِدَ - فِيمَا بَعْدَ سَيَكُونُ عَلَيْنَا القِيَامُ بِنَفِضِ الغُبَارِ ، قِطْعَةٌ
قِطْعَةٌ ،

الزُّهْرِيَّاتِ ، وَالعَلْبُ الصَّغِيرَةُ ، وَإِطَارَاتُ الصُّوْرِ ، وَالتَّمَاثِيلُ البُورِسِلِينِ
الصَّغِيرَةُ ، وَالمَرَايَا ، وَخِزَانَاتِ أَدْوَاتِ المَائِدَةِ .
وَقد تَوَقَّفْتُ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الاحْتِفَالَاتِ . كَانَ زَوْجِي عَادَةً مَا يَعُودُ
عَرْقَانًا ،

يَنْدَفِعُ إِلَى طَعَامِهِ ، لِأَعْقَابِ شَرَايِحِ اللِّحْمِ ، مُجْتَرًّا مِنْ جَدِيدِ
أَمْجَادًا غَابِرَةً مُضْجِرَةً وَاسْتِيَاءَاتٍ تَصَاعَدَتْ كَدُخَانٍ . حَدَّقَتْ

في أزرارٍ معظفه التي كانت على وشك أن تتفتق - لقد أصبح سمينًا .
تحت ذقنه اضطربت بقعة قاتمة كبيرة .

أنثى ، يكون لي أن أسند ذقني ، في حيرة ، فيما أوصل طعامي ،
مستشعرةً فكّي الأسفل يتحرك في يدي
كأنه انفصل عن رأسي وأنا أمسكه عارياً في كفي .
ربما بسبب ذلك أصبحت بدينة . لا أدري . كان الجميع يبدو خائفين -
كنت أراهم أحياناً من التوافذ - يسرون مائلين ،
في نوح من العرج ، كأنهم يخفون شيئاً ما تحت أذرعهم . وكل أصل
تدق الأجراس في كآبة . يطرق المتسولون الأبواب . وفي البعيد ،
عندما يحل الليل ، تبدو واجهة مستشفى الولادة المطليّة بالأبيض أكثر
بياضاً ،

أبعد ، ومجهولة . نضيء المصابيح بسرعة .
استبدل ثوباً قديماً . أنثى تتعطل ما كينة الخياطة ،
ياخذونها إلى الطابق الأرضي مع تلك اللوحات الزيتية الرومانتيكية
القديمة

المليئة بمشاهد أسطورية مبتدلة - انبثاق أفروديت من البحر ، النُور
وشُخص جانيميد .

واحدًا واحدًا يرحل معارفنا القدامى . يتناقض البريد .
لا أكثر من كارت بريدي في المناسبات الخاصة ، في أعياد الميلاد -

مَنْظَرُ نَمَطِي لِحَبْلِ تَائِجِيْتُوسِ بِقِمَمٍ مُتتَالِيَةٍ ، زَرْقَاءَ لِلغَايَةِ ،
جَانِبُ مِنْ نَهْرِ إِيورُوتَاسِ بِحَصَى أبيضَ وَنَبَاتِ الْوَرْدِيَّةِ ،
أَوْ أَطْلَالِ مِيستَرَسِ ذَاتِ أَشجارِ التَّينِ الْبَرِّيَّةِ . لَكِنَّ مَا هُوَ أَكْثَرُ ،
تِلغَرافاتُ التَّعْزِيَّةِ . لَا رَدَّ يَأْتِي .
رُبَّمَا تُوفِّي الْمُسْتَقْبِلُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ - لَمْ تُعَدِّ تَصِلُنَا أَخْبَارُ .

لَمْ يَعُدِّ زَوْجِي يُسَافِرُ . لَا يَفْتَحُ كِتَابًا . فِي أَعْوَامِهِ الْأَخِيرَةِ
أَصْبَحَ أَكْثَرَ عَصَبِيَّةً . كَانَ يُدَخِّنُ بِلَا انْقِطَاعٍ . يَتَمَشَّى فِي اللَّيْلِ
فِي غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ السَّاسِعَةِ ، بِحُفَّةِ الْبَيْتِ الْبَالِي
وَتَوْبِ نَوْمِهِ الطَّوِيلِ . فِي الظَّهيرةِ ، عَلَى الْمِنْضَدَةِ ، يَسْتَعِيدُ
ذِكْرِيَّاتِ خِيَانَةِ كَلِيْتِمِينِسْتِرَا وَكَمْ كَانَتْ صَائِبَةً أَفْعَالُ أوريست^[١] ،
كَأَنَّهُ يُهَدِّدُ شَخْصًا مَا . فَمَنْ كَانَ يُبَالِي ؟ فَلَمْ أَكُنْ حَتَّى لِأَسْمَعُ .
لَكِنَّهُ عِنْدَمَا تُوفِّي ، افْتَقَدْتُهُ كَثِيرًا - افْتَقَدْتُ تَهْدِيدَاتِهِ السَّخِيفَةَ أَكْثَرَ مِنْ
أَيِّ شَيْءٍ ،

كَأَنَّهَا قَدْ جَمَدَتْنِي فِي وَضْعٍ سَاكِنٍ عَلَى مَدَى الزَّمَنِ ،
كَأَنَّهَا قَدْ مَنَعَتْنِي مِنْ أَنْ أَشِيخَ .

أَنْثِيذِ اعْتَدْتُ أَنْ أَحْلُمَ

[١] وفقًا للأساطير الإغريقية، أقامت كَلِيْتِمِينِسْتِرَا زوجة أجاممنون علاقة حب، خلال مشاركته في حرب طروادة، مع أيجيستوس، ابن عم أجاممنون. وخطط الاثنان للتخلص من أجاممنون لدى عودته، وتم قتله. وخلف أيجيستوس أجاممنون في الحكم، مع كَلِيْتِمِينِسْتِرَا كملكة، التي قُتلت - في النهاية - على يد "أوريست"، ابنها من أجاممنون.

بأوديسوس ، وهو يتلك الأبدية نفسها ، يقبَعته المثلثة الأنيقة ،
مؤخرًا رجوعه ، ذلك الرجل الماكر - بدعوى أخطار خيالية ،
فيما كان يرمي بنفسه (المحطمة فيما يفترض) في أحضان ساحرة أحيانًا ،
وأحيانًا

في أحضان أميرة ، ليزيل عن صدره الدبق ، ليتحتم
بصابون وريدي ، ليتم تقبيل الثدي على ركبته ، ليمسح جسده بالزيت .

أظن أيضًا أنه وصل إلى إيثاكا - ولا بد أن بينيلوب الفاترة ، البدينة ، قد
أحمدته

في تلك الأشياء التي تنسجها . لم تصلني قط رسالة منه منذ ذلك -
ربما تكون الخادِمات قد مزقنها - فما الذي عادَ بهم ؟ صخور

السَمِيلِيَجَاد

انتقلت إلى مكانٍ آخر ، أعمق ، يمكنك أن تحس بها ،
ساكنة ، مرَّحِيَّة - أسوأ من ذي قبل - لا تُحطم ،
بل تُغرِّقك في سائلٍ كثيف ، أسود - بلا مفر .

يمكنك أن تذهب الآن . الليل حل . وأنا ناعسة . آه ، ليتني أغمض عيني ،
أنام ، لا أرى شيئًا في الخارج أو الداخل ، أنسى
الخوف من النوم واليقظة . لا أستطيع . أقفز -
فأنا خائفة من ألا أصحو أبدًا مرةً أخرى . أبقي يقظي ، فيما أسمع
غطيظ الخادِمات من غرفة المعيشة ، والعناكب على الجدران ،

وَالصَّرَاصِيرَ فِي المَطْبَخِ ، وَالغَطِيطَ المَيِّتِ
بِأَنْفَاسٍ عَمِيقَةٍ ، كَأَنَّ الصَّوْتِ يَنَامُ ، يَهْدَأُ .
إِنِّي الآنَ أَفْقِدُ حَتَّى مَوْتَايَ . لَقَدْ فَقدْتُهُمْ . مَضُوا .

أحيانًا ، بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، يُمكنُ سَمَاعُ وَقَعِ حَوَافِرِ أَحصِنَةِ
عَرَبِيَّةٍ مُتَأَخَّرَةٍ ، كَأَنَّهُمْ يَعُودُونَ
مِنْ عَرَضِ كَثِيبٍ بِمَسْرَحِ مَا مُنْهَارٍ فِي الجِوَارِ
وَالجِصِّ سَاقِطٍ عَنِ سَقْفِهِ ، وَحَوَائِطِهِ مُتَقَشَّرَةٍ ،
وَسِتَارَتُهُ الضَّخْمَةُ الحَمْرَاءُ البَاهِتَةُ مَسْحُوبَةٌ ،
مُنْكَمِشَةٌ مِنْ كَثْرَةِ العَسِيلِ ، مُخْلَفَةٌ مَحْتَهَا فَرَاغًا
لِتَكشِفَ القَدَمَ الحَافِيَةَ لِمُدِيرِ الحَشْبَةِ الشَّاسِعَةِ أَوِ الكَهْرَبَائِي
الَّذِي قَدْ يُرَاكِمُ غَابَةً مِنْ وَرَقٍ لِيُمْكِنَ إِطْفَاءُ الضَّوْءِ .

تِلْكَ الفَتْحَةُ لَا تَزَالُ مُضَاءَةً . فِيمَا فِي القَاعَةِ
تَلَاشَى التَّصْفِيقُ وَالتَّرِيَاتُ مُنْذُ وَقْتِ طَوِيلٍ .
الهَوَاءُ ثَقِيلٌ بِأَنْفَاسِ الصَّمْتِ ، وَهَمَمَةٌ الصَّمْتِ
تَحْتَ المَقَاعِدِ الحَاوِيَةِ ، مَعَ قُشُورِ لَبِّ عَبَادِ الشَّمْسِ وَالتَّذَاكِيرِ المُكْرَمِشَةِ ،
وَبِضْعَةِ أَرْزَارٍ ، وَمِنْدِيلٍ مُطْرَرٍ ، وَقِطْعَةٍ مِنْ حَيْطٍ أَحْمَرٍ .

... وَذَلِكَ المَشْهَدُ ، عَلَى جُدْرَانِ طُرُودَةِ - هَلْ حَقًّا عَانَيْتُ الصُّعُودَ ،
لَأَتْرُكَهُ يَسْقُطُ مِنْ شَفْتِي - ؟ أحيانًا حَتَّى الآنَ ،

وَأَنَا أَسْتَلْقِي هُنَا فِي السَّرِيرِ، أُحَاوِلُ رَفْعَ ذِرَاعِي، أَنْ أَقِفَ
عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِي - أَنْ أَقِفَ فِي الْهَوَاءِ - الْوَرْدَةُ الْقَالِقَةُ -

(تَوَقَّفْتُ عَنِ الْكَلَامِ. سَقَطَتْ رَأْسُهَا إِلَى الْوَرَاءِ. رُبَمَا نَامَتْ. نَهَضَ
الشَّخْصُ الْآخَرُ. لَمْ يَقُلْ "تُصَبِّحِينَ عَلَيَّ خَيْرًا". كَانَ الظَّلَامُ قَدْ حَلَّ.
وَإِذ سَارَ فِي الْمَرِّ، أَحَسَّ بِالْخَادِمَاتِ مُلْتَصِقَاتٍ بِالْحَائِطِ، مُسْتَرْقَاتٍ
السَّمْعِ. بِلَا حِرَاكٍ. هَبَطَ السَّلْمُ الدَّاخِلِيَّ كَأَنَّهُ فِي بَيْتٍ عَمِيقَةٍ،
بِإِحْسَاسٍ أَنَّهُ لَنْ يَعْتُرَ عَلَيَّ أَيُّ مَخْرَجٍ - أَيُّ بَابٍ. بَحِثْتُ أَصَابِعُهُ
الْمَتَشَنِّجَةَ عَنِ مَقْبِضِ الْبَابِ. بَلْ تَخَيَّلَ يَدَيْهِ طَائِرِينَ يَشْهَقَانِ بِحُثَا
عَنِ هَوَاءٍ، مُدْرِكًا رَغَمَ ذَلِكَ - فِي نَفْسِ الْوَقْتِ - أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ
أَكْثَرَ مِنْ تَعْبِيرٍ عَنِ رِثَاءِ الذَّاتِ الَّذِي نُشِبَّهُهُ عَادَةً بِالْخَوْفِ الْغَامِضِ.
وَفَجْأَةً، سُمِعَتْ أَصْوَاتٌ مِنْ أَعْلَى الدَّرَجِ. أُضِيئَتْ الْأَنْوَارُ الْكَهْرَبَائِيَّةُ
فِي الرُّوَاقِ، فِي الدَّرَجِ، فِي الْعُرْفِ. صَعَدَ مِنْ جَدِيدٍ. كَانَ مُتَأَكِّدًا الْآنَ.
كَانَتْ الْمَرْأَةُ جَالِسَةً فِي الْفِرَاشِ وَكُوْعُهَا مُسْتَنَدٌ عَلَى الْمُنْضَدَةِ
الْقَصْدِيرِ، وَخَدُّهَا مُسْتَرِيحٌ فِي كَفِّهَا. كَانَتْ الْخَادِمَاتُ يَدْهَبْنَ وَيَجِيئْنَ
فِي صَخَبٍ. وَشَخْصٌ مَا يُجْرِي مُكَلَّمَةً تَلِيْفُونِيَّةً فِي الصَّلَاةِ. انْدَفَعَتْ
نِسَاءُ الْجَوَارِ إِلَى الدَّاخِلِ: "أَه، آه"، صَرَخْنَ، وَهُنَّ يَخْفَيْنَ أَشْيَاءَ تَحْتَ
ثِيَابِهِنَّ. مُكَلَّمَةٌ أُخْرَى. سَرَعَانَ مَا أَتَى الْبُولِيسُ. أَبْعَدَ الْخَادِمَاتِ
وَالنِّسَاءَ، لَكِنَّ الْجَيْرَانَ كَانَ لَدَيْهِمْ مُتَسَعُّ مِنَ الْوَقْتِ لِيَأْخُذُوا
أَقْفَاصَ الطُّيُورِ بِالْكَنَارِيَا، وَبَعْضُ أَصْحَابِ الزُّهُورِ ذَاتِ الثَّبَاتَاتِ
الْعَرَائِبِيَّةِ، وَرَادِيُو تِرَانزِسْتُورِ، وَسَخَانَا كَهْرَبَائِيًا. أَحَدُهُمْ أَخَذَ إِطَارَ

صُورَةَ ذَهَبِي. وَضَعُوا الْمِرْأَةَ الْمِيْتَةَ عَلَى نَقَالَةٍ. أَوْصَدَ الشَّخْصُ الْمَسْتَوْلُ
الْمَنْزِلَ بِالشَّمْعِ - "إِلَى أَنْ يَتَمَّ الْعُثُورُ عَلَى الْمَلَائِكِ الشَّرْعِيِّينَ"، قَالَ -
رَغْمَ مَعْرِفَتِهِ بِعَدَمِ وُجُودِ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَسَيَبَقَى الْمَنْزِلُ هَكَذَا، مُوَصَّدًا
بِالشَّمْعِ لِأَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَبَعْدَهَا، سَتُعْرَضُ مِمْتَلَكَاتِهِ فِي مَزَادٍ لِصَالِحِ
الْمَنْفَعَةِ الْعَامَّةِ. "إِلَى الْمَشْرِحَةِ"، قَالَ لِلْسَّائِقِ. انْطَلَقَتِ السَّيَّارَةُ. فَجَاءَتْ
تَلَأَشَى كُلُّ شَيْءٍ. صَمْتُ مُطْبِقٍ. كَانَ وَحِيدًا. اسْتَدَارَ وَتَطَلَّعَ حَوْلَهُ.
الْقَمْرُ مُشْرِقٌ. وَالتَّمَائِيلُ فِي الْحَدِيقَةِ مُضَاءٌ بِصُورَةٍ كَأَيَّةِ -
وَتَمَائِيلُهَا، مُنْعَزَلَةٌ، بِجَوَارِ الْأَشْجَارِ، خَارِجَ الْمَنْزِلِ الْمَوْصَدِ. وَقَمْرٌ
صَامِتٌ، مَخَادِعٌ. فَإِلَى أَيْنَ يَمْكِنُ الذَّهَابُ الْآنَ؟).

مايو-أغسطس 1970



الرُّوَّاقُ وَالسَّلَامُ

(1970)

1 - فَحَسَب

لَمْ أَعُدْ قَادِرًا عَلَى الْإِدْعَاءِ بَعْدَ الْآنَ :
مَقَاعِدُ ، نَاسٌ ، أَطْفَالِي ، سَجَائِرِي ،
هُوَ الْمَوْتُ ، أَنْتَ الْمَوْتُ . أَنَا الْمَوْتُ ؛
أَعْضَعُ الْمَسَوَاكَ الْمَتْرَبَ عَلَى صَحْنِ الْفِنْجَانِ ؛
هُوَ الْمَوْتُ ؛ يَنْظُرُ لِي ، أَنْظِرْ لَهُ - الْمَوْتُ فَحَسَب ؛
زُهُورُ الْجِيرَانِيَوْمِ الْمَبْرَقِشَةِ ، عَصَافِيرُ الْكَنْارِي فِي الْقَفْصِ -
فَلَا تَحْدَعُوا أَنْفُسَكُمْ - رُوقٌ ، مِصْبَاحُ زَيْتِ الْبَارَافِينِ ،
صُورٌ قَدِيمَةٌ عَلَى الْحَائِطِ ، مِظَلَّةٌ سَوْدَاءُ ،
مِيَاهُ مَكْتُومَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِيَّةِ ؛ الْمَنْزِلُ يَرَحَلُ
بِالْمُسْتَأْجِرِينَ ، بِالْأَرِيكَةِ -
الْمَنْزِلُ يَرَحَلُ ، يَتَلَاشَى ، تَلَاشَى - إِلَى أَيْنَ يَمِضِي ؟

2 - اللّٰمُخْبُوء

لَيَالٍ ، شَوَارِعَ ، وَجُوهٌ ، أَضْوَاءَ -
أَقْنَعَةٌ لِلْمَوْتِ ؛
بَابٌ يَنْفَتِحُ ، نَافِذَةٌ تَنْغَلِقُ ؛
ثَلَاجَةُ الْمَرْأَةِ الْمَيْتَةِ مَلِيئَةٌ بِالطَّعَامِ ؛
عِمْيَانٌ يَصْطَفُونَ فِي مَحْطَةِ قِطَارِ الْأَنْفَاقِ ؛
"اسْمَحْ لَنَا بِشِرَاءِ شَقَّةٍ جَدِيدَةٍ" ؛
"اسْمَحْ لَنَا بِشِرَاءِ سَيَّارَةٍ جَدِيدَةٍ" ؛
الظَّلُّ يَخْتَبِئُ وَرَاءَ السَّتَارَةِ ؛
السِّرْكُ نُصِبَ فِي الْمِيدَانِ ؛
وَالْمَيْكْرُوفُونَ تَدْوِي ؛
النَّاسُ يَرْكُضُونَ ، يَتَوَقَّفُونَ ،
يَأْكُلُونَ وَاقِفِينَ ، يُجَامِعُونَ وَاقِفِينَ ؛
"إِنَّهُمْ يُضَاعِفُونَ الْمَوْتَ" ، قَالَ ،
(مُسْتَدِيرِينَ إِلَى الْحَائِطِ) ، وَحَدَّاهُمُ الْمَوْتَى

يَظْلُونَ مُسْتَيْقِظِينَ حَيْثُ يَرْقُدُونَ - هُمْ وَحْدَهُمْ ؛
عُيُونُهُمْ فُوسْفُورِيَّةٌ ،
ثُقُوبٌ مَحْفُورَةٌ فِي اللَّيْلِ ؛ نَنْظُرُ ؛
وَخِلَالَ هَذِهِ الثُّقُوبِ نَرَى -
وُجُوهاً ، أَضْوَاءً ، حِرَابًا ، أُتُوبِيَّاتٍ ،
الْحَوْضَ الْفُخَّارِيَّ ، السَّلَالِمَ الْحَدِيدِيَّةَ ،
الْخُبْزَ ، وَالسَّكِّينَ ، وَالْبُرَازَ ، وَالْمِنِيَّ ، وَالْعِظْمَةَ ،
وَالْمَرَأَةَ مَعَ السَّمَكَةِ الْكَبِيرَةِ الْمَيْتَةِ ،
وَالْحَوْضَ الْمَكْسُورَ وَالسَّلَالِمَ الْمُسْتَعَارَةَ .

3 - مَا الْجَدْوَى ؟

كُلُّ شَيْءٍ يَشِيخُ ، يَبْلَى ، يُصْبِحُ بِلَا جَدْوَى - قَالَ -
دُخَانٌ خَفِي ، غُرْفٌ مُوصَدَةٌ ،
أَعْلَامٌ ، قَتْلَى ، تَصْرِيحَاتٌ ، تَمَائِيلُ -
السَّتَارَةُ الْبَيْضَاءُ اسْتَحَالَتْ صَفْرَاءُ ،
المرأةُ مَخْدُوشَةٌ بِالْوَجْهِ ،
عَيْتُهُ اسْتَقَرَّتْ
عَلَى الثَّوْبِ الْجَمِيلِ الَّذِي ارْتَدَّتْهُ تِلْكَ اللَّيْلَةُ ،
وَالْمَقْهَى فِي الرُّكْنِ أُغْلِقُ ،
وَالشُّرْفَةُ هَوَتْ عَلَى وَجْهَيْهَا فِي الْأَشْوَاكِ ،
وَالتَّمَائِيلُ فِي الْحَدِيقَةِ بِلَا أَعْضَاءَ ذُكُورِيَّةٍ -
فَمَا جَدْوَى الْأَسَى إِذْنُ ، مَا جَدْوَى الْكِرَاهِيَّةِ ،
وَالْحُرِّيَّةِ ، وَغِيَابِ الْحُرِّيَّةِ ،
وَمَلَاعِقِ الْقَهْوَةِ الْفِضِّيَّةِ ، وَحِسَابِ الْبَنْكِ ،
وَالْأَسْنَانِ الصَّنَاعِيَّةِ لِلْمَرْأَةِ الْمَيْتَةِ ، وَالشَّمْسِ ،

وَالشَّمْعَدَانَيْنِ عَلَى الْمَائِدَةِ ، وَأَقْرَاصِ الْأَسْبَرِينَ ،
مَا جَدَوِي الْحُبِّ وَالشَّعْرِ ؟

كَانَتْ الشَّمْسُ مُشْرِقَةً - كَانَ شَهْرُ يُولْيُو -
كَانُوا يَلْقَوْنَ الْحُبْزَ فِي الْمَفْرَشِ ،
وَالْقَارِبُ الصَّغِيرُ يَرَحَلُ ،
وَكَانُوا يُحْرِقُونَ الْجَرَائِدَ فِي قُبَعَةٍ مِنْ قَشِ
وَسَطِ الْمِيَاهِ .

4 - بصورة محتومة

عَلَى امْتِدَادِ الشَّارِعِ الخَلْفِيِّ ، عَلَى الجَانِبِ الآخرِ ، عَلَى السَّلَالِمِ الحَدِيدِيَّةِ ،
هُنَاكَ ، مَعَ أَصْصِ الزُّهُورِ المَكْسُورَةِ ، وَالجِرَارِ المَكْسُورَةِ ،
هُنَاكَ ، مَعَ الكِلَابِ المَيْتَةِ ، وَالدَّيْدَانِ ، وَالدُّبَابِ الأَخْضَرِ ،
هُنَاكَ ، مَعَ بَوْلِ الحَدَّادِينَ ، وَالجِرَّارِينَ ، وَالخَرَاطِينَ -
الأَطْفَالُ خَائِفُونَ فِي اللَّيْلِ ؛ فَالتُّجُومُ تَصِيحُ كَثِيرًا ،
تَصِيحُ عَن بُعْدِ كَبِيرٍ ، كَأَنَّ الجَمِيعَ قَدْ رَحَلُوا -
لَا تُكَلِّمَنِي مَرَّةً أُخْرَى عَن التَّمَاثِيلِ - قَالَ - فَلَا أَحْتَمِلُ ذَلِكَ ، أَقُولُ
لَكَ ؛

لَا أَعْدَارَ بَعْدَ الآنِ - فِي القَبْرِ الكَبِيرِ بِالأَسْفَلِ
نِسَاءٌ نَحِيلَاتٌ بِأَيْدٍ طَوِيلَةٍ يَكْشِطُن السُّخَامَ عَن الآنِيَةِ ،
يُلَطِّخْنَ عُيُونَهُنَّ ، وَأَسْنَانَهُنَّ ، وَبَابَ المَطْبِخِ ، وَالجِرَّةِ ،
وَيَتَخَيَّلْنَ بِذَلِكَ أَنَّهِنَّ قَدْ أَصْبَحْنَ خَفِيَّاتٍ أَوْ - عَلَى الأَقْلِ - لَا يُمَكِّن
التَّعَرُّفَ عَلَيهِنَّ ،

فِيمَا المَرَاةُ فِي الرُّوَاقِ ، عَظْمِيَّةٌ ، تَتَقَدَّمُ نَحْوَهُنَّ

لَحْظَةً أَنْ يَدْخُلْنَ أَوْ يَخْرُجْنَ فِي السَّرِّ، مُتَشَبِّهَاتٍ بِالْحَائِطِ،
وَالْكَشَافَاتِ تُجَمِّدُهُنَّ فِي مُنْتَصَفِ الْمَرْجِ الْأَصْفَرِ.

5 - حُلُول وَسَطِيَّة

السَّلْكُ الشَّائِكُ ، الجِبْسُ ، التَّوَاغِدُ السَّاقِطَةُ .
المرأةُ تصيحُ مِنَ الشُّرْفَةِ ، "كَاتِنَا ! كَاتِنَا !"
الحُضْرَوَاتِي يَهْرُشُ خِصِيَّتِيهِ .
خَمْسَةٌ آخَرُونَ تَمَّ اسْتِدْعَاؤُهُمْ إِلَى قِيسِ الشُّرْطَةِ .
عَشْرَةٌ آخَرُونَ حُمِلُوا عَلَى الكَارُو إِلَى المَقْبَرَةِ .
مَبْنِيَانِ سَكْنِيَّانِ جَدِيدَانِ ارْتَفَعَا .
الأشجارُ لَا تَفْهَمُ أَيَّ شَيْءٍ - تُحْمَلِقُ .
"بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى ، سَنَمُوتُ جَمِيعًا" ، قَالَ .
عَارِضَهُ الأَخْرَ ، "لَيْسَ الأَمْرُ سِيَّانِ" .
قَالَ الأَوَّلُ ، "المَعَارِضَةُ هِيَ مُجَرَّدُ ذَرِيعَةٍ" .

أَنْبِذِ هَبَّ غُبَارِ رِيحٍ .
المَفَارِشُ الوَرَقِيَّةُ تَنَاطَرَتْ مِنَ المَطْعَمِ .
تَفَرَّجَ العُمَّالُ مِنَ المَدَاخِلِ .

"أَلَا تُشْبِهُ الطُّيُورَ؟"، وَأَشَارَ إِلَى الْمَفَارِشِ .
قَبْلَ الْأَوَّلِ بِالْحَلِّ الْوَسَطِ . لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

6 - لِمَ السُّؤَالُ ؟

هَلْ سَتَعُودُ اللَّحْظَةُ مَرَّةً أُخْرَى
إِلَيْكَ لِتَقُولَ الْكَلِمَاتِ مِنْ جَدِيدٍ ، الْمُسْتَهْلَكَةَ مِنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ ،
لِتُوسِّعَ مِنْ خُطَاكَ كَأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ ،
كَأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ أَنَّ الطَّرِيقَ مُغْلَقٌ ،
لِتَطْرُقَ الْبَابَ نَفْسَهُ بِصَبْرٍ
فِيمَا لَا أَحَدَ هُنَاكَ لِيَفْتَحَ ،
فِيمَا لَا تَمْلِكُ الْوَسَائِلَ وَلَا الْقَابِلِيَّةَ لِاِقْتِحَامِهِ ،
فِيمَا التَّمَاثِيلُ الطَّيْنِيَّةُ فِي الْحَدِيقَةِ
مُنْتَصِبَةٌ فِي صَفِّ وَرَاءَ السِّيَاحِ ،
تَتَاكَلَّهَا الْكُرُومُ الْمَتَسَلِّقَةُ وَالْيَرَقَاتُ
مُخْرَمَةٌ ، كَثِيرَةُ الْعُيُونِ ، عَمِيَاءُ ،
وَعُيُونُهَا الرُّجَاجِيَّةُ سَاقِطَةٌ
بِالْأَسْفَلِ ، عَمِيْقًا ، فِي فَجَوَاتِ الْأَقْدَامِ ،
بَلْ أْبَعَدَ فِي الْأَسْفَلِ ، بَلْ أَعْمَقَ ، فِي الْمِيَاهِ وَالْتُّرْبَةِ الْعَطِنَةِ ؟

7 - الدَّرَاج

هَآ هُوَ الشَّابُّ البرُونزِي
بِالعِصَابَةِ الْمَسْتَوِيَةِ عَلَى جَبِينِهِ ،
بَعَيْنَيْهِ السَّاكِنَتَيْنِ -
مُتَرْقِعًا وَمُغَايِرًا ،
فِيمَا يُمَسِّكُ بِالمَقْوَدِ الْمَكْسُورِ
بِيَدِ هَادِئَةٍ ،
مُنْتَصِبًا
فَوْقَ غِيَابِ عَجَلَتِهِ -
هَلْ قُلْتَ : مُنْتَصِبًا ؟
مُنْتَصِبًا . البَاقِي
تَحْتَ الْأَحْجَارِ وَالْأَعْوَامِ ،
ضَائِعٌ ، بِإِلَاحِ إِصْلَاحِ ، بِإِلَاحِ اسْتِعَادَةٍ .
"وَحَدَهُ الْعَدَمُ كُلُّهُ لَا يَتَجَزَّأُ" ، قَالَ ،

وَفِيمَا يَلْعَقُ إِصْبَعِيهِ ،
لَمَسَ السُّتْرَةَ الْبُرُونِيَّةَ لِلدَّرَاجِ .

9 - عَرَضًا

فِيمَا وَرَاءَ الْجِدَارِ الْقَدِيمِ ،
وَسَطَ الْأَسْوَارِ ذَاتِ الْفَتَحَاتِ ،
وَسَطَ الْفَجَوَاتِ الَّتِي خَلَفَتْهَا الْأَحْجَارُ الْمَتَسَاقِطَةُ ،
كَانَ الْمَيْتُ ،

بِعَيْنَيْنِ وَحَشِيَّتَيْنِ ، مَفْغُورَتَيْنِ ،

يَرَى

الصَّيَّادَ الشَّابَّ يَبُولُ
عَلَى الْقَوْصَرَةِ الْمَهْشَمَةِ .

هَكَذَا ، إِذَنْ ، إِذَا كَانَتْ الْحَيَاةُ مُسْتَلْقِيَةً ،

فَالْمَوْتُ أَيْضًا يَسْتَلْقِي .

10 - المعنى نفسه

كَلِمَاتٌ مُتَمَرِّسَةٌ ، كَثِيفَةٌ ، مُحَدَّدَةٌ ،
غَيْرُ مُحَدَّدَةٍ ، مُلِحَّةٌ ، بَسِيطَةٌ ، مُرْتَابَةٌ -
ذِكْرِيَّاتٌ ، ذَرَائِعُ ، ذَرَائِعُ ،
التَّشْدِيدُ عَلَى التَّوَاضُعِ - أَحْجَارٌ مُفْتَرَضَةٌ ،
مَسَاكِينُ مُفْتَرَضَةٌ ، أَسْلِحَةٌ مُفْتَرَضَةٌ - مِقْبَضُ الْبَابِ ،
مِقْبَضُ الْحِجْرَةِ ، مِنْضَدَةٌ عَلَيْهَا زُهْرِيَّةٌ ،
سَرِيرٌ مُرْتَّبٌ - دُخَانٌ . كَلِمَاتٌ -
تَضْرِبُهَا بِالْهَوَاءِ ، بِالْحَشَبِ ، بِالرُّخَامِ ،
تَضْرِبُهَا بِالْوَرَقِ - عَدَمٌ ؛ مَوْتٌ .

فَلْتَعْقِدْ رِبْطَةَ عُنُقِكَ بِإِحْكَامٍ أَكْبَرَ . هَكَذَا .
اصْبِتْ . هَكَذَا . هَكَذَا .

يَهْدُوهُ ، يَهْدُوهُ ، فِي الرُّكْنِ الضَّيِّقِ ، هُنَاكَ
وَرَاءَ السَّلَالِمِ ، مُسْتَوِيًّا بِجِذَاءِ الْحَائِطِ .

11 - المرفُوض

يَقْفُ عِنْدَ الْمُنْضَدَةِ الرَّخَامِيَّةِ . يُثَابِرُ ،
وَهُوَ يَكْسِرُ كُتْلَةَ ثَلْجٍ بِشَاكُوشٍ .
تَتَطَايَرُ شَطَايَا ، تَذُوبُ . الْبَرْدُ .
يُسَيِّطِرُ عَلَى أَصَابِعِهِ ، عَلَى جَسَدِهِ . يُثَابِرُ .
تِمَثَالٌ لِلدَّفءِ ، يَقُولُ - لِلدَّفءِ الْعَائِبِ ،
لِلدَّفءِ الْمَشْتَهَى ، يَقُولُ . الثَّلْجُ يَذُوبُ . التَّمَثَالُ يَذُوبُ .
الْمَاءُ يَنْسَابُ مِنَ الرَّخَامِ . يُقْرِقِرُ
فِي الْمَوَاسِيرِ الْمَدْفُونَةِ بِالْحَوَائِطِ ، تَحْتَ الْأَرْضِيَّةِ ،
تَحْتَ الْبَلَاطِ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ بِالْمَطْبَخِ ، بِالْخَارِجِ
فِي الْمَصْرِفِ الطِّينِيِّ بِالْحَدِيقَةِ ، تَحْتَ الْأَرْضِ
وَسَطَ الْجُدُورِ الشَّرِيهِةِ . الْمِرَاةُ الْعَلِيلَةَ
تُنَادِي مِنَ الْعُرْفَةِ الْخَلْفِيَّةِ . وَهُوَ
يَمْسَحُ يَدَيْهِ عَلَى عَجَلٍ فِي مِئْشَقَةٍ ،
يُشْعَلُ الْمَصْبَاحَ . الثَّقَابُ يَرْتَعِشُ .

"هِيَ جَاهِزَةٌ" ، يَقُولُ ، "سَأُحْضِرُهَا بَعْدَ لِحْظَةٍ" .
الضَّوءُ يُومِضُ عَلَى السَّرِيرِ الْكَبِيرِ
وَالْبَطَّاطِينَ الْبَالِيَةَ ، الْمَهْلَهَةَ .
الْمَاءُ يَنْسَابُ عَمِيقًا فِي الْبَالُوعَاتِ . وَالْاِثْنَانِ يَعْرِفَانِ ذَلِكَ .

12 - الشَّخص المنحاز

مَعَ انْحِيَاذِ شَخِصٍ مَا غَيْرِ مُذْعِنٍ لِلْمَوْتِ ،
مُرَاوِغٍ ، مُنَافِقٍ ، عَنِيدٍ ،
يُسَدِّدُ عَلَى الْأَشْيَاءِ التَّافِهَةَ أَوْ غَيْرِ الْمَوْجُودَةِ -
سُقُوطِ الطَّائِرِ بِالطَّلَقَةِ عَلَى الْأَشْجَارِ الشُّوكِيَّةِ ،
فَتْحَةِ نَافِذَةٍ فِي الْحَائِطِ الْحَاوِي ،
الشُّقُوقِ فِي الْحَائِطِ - الرَّسْمِ عَلَى جَرَّةٍ مَا -
الرَّايِ الْوَسِيمِ مَعَ الزَّنَابِقِ الْكَبِيرَةِ ،
ذَلِكَ الشَّيْءِ الْحَقِيِّ الَّذِي يُصَوَّبُ عَلَيْهِ الرَّايِ فِي الْبَعِيدِ ،
فِيمَا الْمَيْتَانِ ، وَظَهْرَاهُمَا مَقْلُوبَانِ ،
يَرْفَعَانِ بِعِنَايَةِ أَمَامِ النَّافِذَةِ
الْمَلَأَةَ الْبَيْضَاءَ ، الْمَرْبَعَةَ ، الْمَفْرُودَةَ .

13 - الأساسيات

بِحِرَاقَةٍ ، بِإِبْرَةِ سَمِيكَةٍ ، بِحَيْطِ سَمِيكٍ ،
يَحْيِطُ الْأَزْرَارَ فِي سُتْرَتِهِ . يُكَلِّمُ نَفْسَهُ :

هَلْ أَكَلْتُ خُبْزَكَ ؟ هَلْ نِمْتُ فِي سَكِينَةٍ ؟
هَلْ كُنْتُ قَادِرًا عَلَى الْكَلَامِ ؟ عَلَى أَنْ تَفْرِدَ ذِرَاعَكَ ؟
هَلْ تَذَكَّرْتُ أَنْ تَنْظُرَ مِنَ النَّافِذَةِ ؟
هَلْ ابْتَسَمْتُ عِنْدَ الطَّرْقِ عَلَى الْبَابِ ؟

لَوْ كَانَ هُوَ الْمَوْتُ - فَهَوِيَ فِي الْمَقَامِ الثَّانِي .
فَالْحُرِّيَّةُ دَائِمًا أَوْلَى .

تَحْتِ الْمَنَازِلِ هُنَاكَ قُبُورٌ غَابِرَةٌ .
تَحْتِ الْقُبُورِ هُنَاكَ مَزِيدٌ مِنَ الْمَنَازِلِ .
سَلَّمَ حَجْرِيَّ هَائِلٌ يَجْتَازُ
الْمَنَازِلَ وَالْقُبُورَ . يَصْعَدُ الْمَوْتَى ،
وَيَهْبِطُ الْأَحْيَاءَ . تَتَقَاطَعُ مَسَارَاتُهُمْ ؛
لَا يُحْيِي بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ - رُبَّمَا لَا يَعْرِفُ بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ ،
رُبَّمَا حَتَّى يَتَظَاهَرُونَ بِذَلِكَ . أَرِيحُ
بُسْتَانَ بُرْتُقَالٍ غَيْرِ مَرِيٍّ عَلَى التَّلِّ . وَالْأَطْفَالُ
يُدْحَرِجُونَ إِلَى الْأَسْفَلِ أَطْوَاقَ بَرَامِيْلٍ . امْرَأَتَانِ
تَتَحَادَثَانِ عِنْدَ التَّبَعِ . صَوَاتُهُمَا يَدْخُلَانِ
الْحِجْرَةَ مَعَ الْمَاءِ . عِنْدَ حُلُولِ اللَّيْلِ
تَعُودَانِ بَيْنَ صَفَيْنِ مِنْ أَشْجَارِ السَّرْوِ ،
حَامِلَتَيْنِ الْحِجْرَةَ كَطِفْلِ غَيْرِ شَرِيعِي .
وَفَوْقَهُمَا تُومِضُ النُّجُومُ بِحُبِّثِ .

اليدُ الحَجْرِيَّةُ المَرَاهِقَةُ عَلَى الكُرْسِيِّ ؛
الجِدْعُ بِلا رَأْسِ أَمَامَ المَرَاةِ ؛
بَاطِنُ قَدَمٍ وَحِيدَةٍ فِي صَنْدَلِهَا الرُّخَامِيِّ
تَتَمَشَّى فِي مَكَانٍ آخَرَ (غَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ) وَسَطِ
أَشْيَاءِ مَهْجُورَةٍ ، وَرُودُ وَرَقِيَّةٍ ،
زَنَابِقُ نَاضِرَةٍ .

"هَذِهِ الأَشْيَاءُ ، عَلَى الأَقْلِ" - قَالَ -
"هَذِهِ الأَشْيَاءُ لَمْ تَضَعْ ؛ لَمْ يَضَعْ كُلُّ شَيْءٍ ، كَمَا تَدْرِي" .
"لَا شَيْءَ ضَاعَ" ، أَضَافَ (وَبَّانَتْ
العُرُوقُ فِي يَدَيْهِ) .

"لَا شَيْءَ ضَاعَ" ،
ظَلَّتِ النِّسْوَةُ العَجَائِزُ يَقْلُنَ ، وَهُنَّ يُنْظَفْنَ القَمَحُ
فِي أَطْبَاقٍ بَيْضَاءَ كَبِيرَةٍ ، وَيَغْلَيْنَ القَمَحُ
فِي الإِنَاءِ التُّحَايِي الوَاسِعِ . "لَا شَيْءَ ، لَا شَيْءَ" ،

كَّرْنَ وَبَكَيْن ، مُخْنِيَاتِ رُؤُوسَهُن
عَلَى أَكْتَاكِ الْبُخَارِ السَّاكِنِ بِالْمَطْبَخِ .

دَخَلَتِ الْعَمَّةُ "لَاهُو" بِالصِّينِيَّةِ وَالسُّكَّرِ ،
وَضَعَتَهَا عَلَى الْمُنْضَدَةِ ، وَانْتَحَتِ جَانِبًا ،
اسْتَدَارَتْ إِلَى الْحَائِطِ وَلَعَقَتْ أَصَابِعَهَا .

16 - في الحديقة القديمة

بَعْدَ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ ، نَهَضَتِ الْمَرْأَةُ الْعَلِيلَةَ ،
ذَهَبَتْ إِلَى الْحَدِيقَةِ . شَرُوقُ شَمْسِ الشِّتَاءِ . سَكِينَةٌ مُغْلَقَةٌ -
عَلَيْهَا يَطْفُو دَوِيُّ الْمَسَامِيرِ الَّتِي تَنْعَرِسُ فِي سَقَّالَاتِ
جَدِيدَةٍ ، لَا مَرْتِيَّةَ . الْعُشْبُ يَفُوحُ . أَصْصُ الزُّهُورِ ، الشَّرْقَاتُ ،
تَتَاكَلَّهَا النَّبَاتَاتُ وَالْجُذُورُ الرَّعِيْبِيَّةُ . شَجَرَةُ الرُّمَّانِ
أَطْوَلُ مِنَ السَّرْوِ . الْبَيْتُ مُوَصَّدٌ . غُبَارٌ أَصْفَرٌ
شَبِيهُ بِالْغُبَارِ الْمَتَسَاقِطِ وَرَاءَ الْأَيْقُونَاتِ الْمَلِيئَةِ بِالثُّقُوبِ . وَفَجَاءَ
تَأْتِي رَائِحَةُ اللَّقَاحِ الْبَعِيدَةِ لِزُهُورِ الْبُرْتَقَالِ الْمُنْعِشَةِ
الْمَصْفُوفَةِ بِجَمَالٍ حَوْلَ صِينِيَّةٍ فَضِيَّةٍ
عَلَى قَاعِدَةٍ تِمَثَالٍ شَامِخٍ غَيْرِ مَوْجُودٍ .

تَمَائِيلُ عَارِيَّةٌ ، رُخَامِيَّةٌ ، خَفِيَّةٌ مَصْفُوفَةٌ
عَلَى كِلَا جَانِبِي الطَّرِيقِ . بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ
كُنَّا نَخْتَفِي خَلْفَهَا لِبُرْهَةٍ ، فِي الْأَيَّامِ الْمُشْمِسَةِ
حِينَ كَانَ يَمُرُّ رِجَالٌ مُقَنَّعُونَ بِمَلَابِيسِ الْبَرِيدِ ، أَوْ حِينَ
كَانَتْ عَرَبَةٌ كَارُوا طَوِيلَةً ضَيْقَةً ، تَجْرُهَا أَرْبَعَةٌ أَحْصِنَةٌ
فِي كِسْوَةٍ بَيْضَاءَ ، غِطَاءٍ مُطَّرَزٍ ، تَسْتَثِيرُ الْعُبَّارَ . وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى مِنْ

جَدِيدٍ

كُنَّا نُقَلِّدُ تِمْنَالًا مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمِهِ ، بِلَا حِرَاكٍ ،
حَابِسِينَ أَنْفَاسَنَا ، مُلَاحِظِينَ الطَّرِيقَ يَوْمِضٍ
فِي الْبَعِيدِ بِضَوْءِ مُرَوِّجٍ ، خَادِجٍ ، خَافِتٍ ،
مُدْرِكِينَ أَنَّنَا فِي آيَةٍ لِحَظَةٍ قَدْ يَخُونُنَا
دُخَانُ سِيجَارَةٍ ، أَوْ سَعْلَةٌ خَفِيَّةٌ ، أَوْ انْتِصَابٌ .

18 - سُلوُكُ مُحْسُوبٍ

كَانَ يَضْبُطُ إِيمَاءَاتِهِ ، وَتَعْبِيرَاتِهِ ، وَكَلِمَاتِهِ ،
حَتَّى فِي اللَّيْلِ ، وَحِيدًا ، فِي الْغُرْفَةِ الضَّيِّقَةِ
كَانَ يُرْتَّبُ أَحْدِيَّتَهُ ، وَمَلَابِسَهُ ، مُتَحَرِّكًا
مِنْ سَرِيرِهِ إِلَى خِزَانَةِ الْمَلَابِسِ . وَإِذَا مَا أَحْيَانًا ، فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ،
خَلَعَ مَلَابِسَهُ كُلَّهَا وَحَمَلَقَ بِشَهْوَانِيَّةٍ فِي عُرْيِهِ
أَمَامَ الْمَرَاةِ ، فَقَدْ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَيْ يَتَّظَاهَرَ
بِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّ الْمَتَلَصِّصَ وَالْمَتَنَصِّصَ الْكَبِيرَ
فِي الْغُرْفَةِ الْحَاوِيَةِ ، غَيْرِ الْمَوْجِرَةِ ، الْمَجَاوِرَةِ ،
ذَاتِ الْمَسَامِيرِ فِي الْحَوَائِطِ ، كَانَ دَائِمًا يَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ
مِنْ خِلَالِ ثُقُوبِ خَفِيَّةٍ فِي الْبَابِ ، أَوْ فِي جَسَدِهِ نَفْسِهِ .

مَسَاحَةٌ ضَارِمَةٌ . كَلِمَاتٌ مَحْسُوبَةٌ . لَا أَثْرَ لِلْوَن .
 رُواق - أَبْوَابٌ مُوصَدَةٌ إِلَى الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ . أَصْوَاتٌ مَكْتُومَةٌ
 وَرَاءَ الْأَبْوَابِ (كُلُّ مِنْهَا مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهِ) مُنْدِجَةٌ
 فِي تَكْتُمٍ عُمُومِي - الصِّينِيَّةُ تَهْوِي عَلَى الْأَلْوَابِ ،
 الْأَطْبَاقُ تَهْوِي ، وَالْمِشْطُ ، وَالْحِذَاءُ ، وَالْمِرَاةُ ،
 وَالْأُبُولُ^[٢] الثَّمِين . يَنْعِطُفُ الصَّوْتُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ . فِي اللَّيْلِ
 يَعْبُرُ الْمَسْرِنُونَ الثَّلَاثَةَ صَمَتَ الرُّوَابِ ،
 مُخْتَفِينَ أَسْفَلَ هَذَا الثَّمَائِلِ الْمَسْتَطِيلِ . سَاعَةٌ الْحَائِطِ الْكَبِيرَةِ
 عَلَى الْحَائِطِ الْبَعِيدِ تَوَقَّفَتْ ؛ لَا تَكْشِفُ عَنْ شَيْءٍ ، وَلَا حَتَّى
 نِسْبِيَّةِ الزَّمَنِ . وَرَاءَ الرُّجَاجِ الْمَعْتَمِ ،
 لَا مَرِيَّةَ ، سَيِّدَةُ الْمَكَانِ - صَامِتَةٌ ، بَدِينَةٌ ، ضَخْمَةٌ ،
 تُدِيرُ مَفَاتِيحَهَا كَمِغْزَلٍ حَدِيدِي ، وَهِيَ تَقُومُ
 بِعَمَلِيَّاتِ الْإِخْلَاءِ الْجَدِيدَةِ لِمُسْتَأْجِرِيهَا وَالْجَمِيلَةَ هَيْلِينَ -
 تَأْخُذُ الْعَلَكَةَ مِنْ فَمِهَا وَتُلْصِقُهَا بِجَبِينِهَا .

^[٢] عملة معدنية يونانية قديمة، تساوي سدس "دراخمة".

20 - حادثة عادية

بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ كَانَ يُؤَكِّدُ لِتَفْسِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَرَ، أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ؛
يُحَافِظُ عَلَى طَبِيعِيَّةِ ذَقْنِهِ، وَشَفَقَتِيهِ، وَعَيْنِيهِ؛
يَعْقِدُ رِبَاطَ عُنُقِهِ بِجَمَالِ أَمَامِ الْمَرَاةِ،
يَضَعُ الْمَفَاتِيحَ فِي جَيْبِهِ، يَخْرُجُ، يَمْشِي -
لَا يَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ أَبَدًا، يُحْيِي الْمَارَّةَ. لَكِنَّهُ
يُدْرِكُ بِيَقِينٍ رَهَيْبَ أَنَّهُ - وَرَاءَ الْبَابِ
فِي الْمَنْزِلِ، فِي الْمَرَاةِ - قَدْ تَرَكَ، حَبِيسًا،
السَّجِينِ الْقَاتِمِ، الْوَسِيمِ نَفْسَهُ، وَأَنَّهُ - لَدَى عَوْدَتِهِ -
سَيَجِدُ نَعْلِيهِ فِي مَكَانٍ مَا مُغَايِرٍ، وَالْمُنَاشِفِ الثَّلَاثَةَ الزَّغَبِيَّةَ
سَتَكُونُ مَبْلُوءَةً، مَرْمِيَّةً عَلَى ظَهْرِ الْكُرْسِيِّ.

الزمن بطيء . الضوء يصقل السطح ، يلج
إلى خزانات الملايس ، والأدراج ، وتحت الأسيرة ،
يُجفّف الوِسَادَةَ المُبتَلَّةَ باللُّعَابِ ، يُلغِي حَلْزُونِيَّةَ السَّلَالِمِ ،
يَضَعُ الكَلِمَاتِ فِي نَسَقٍ مَوْزُونٍ . وَهُوَ ،
الذِي لَا يَمْلِكُ إِلَّا مِعْطَفًا قَدِيمًا ، طَوِيلًا ، لِيُخْفِيَ
نُدُوبَهُ المَشِينَةَ ، وَشَعَرَ جَسَدِهِ الشَّائِبِ ، هُوَ الْآنَ مُجَبَّرٌ
عَلَى أَنْ يَقِفَ عَارِيًا فِي الضَّمُوءِ ، كَأَنَّهُ يَتَّظَاهَرُ
بِأَنَّهُ تِمَثَالُ شَابٍّ عَلَى شَعْرِهِ الحَجْرِيِّ
يَضَعُ عَابِرُ سَبِيلٍ سَخِيفٌ قُبْعَةً قَسَّ مُهْلَهَلَةً
بِشَرَائِظٍ وَكَرْزٍ شَمْعِيٍّ مِنْ أَصْيَافٍ غَابِرَةٍ .

بِمُرُورِ الْأَعْوَامِ ، بِالمَصَادَفَةِ تَمَامًا ، بِإِلَّا أَيِّ قَصْدٍ ، اسْتَبَدَلُوا
بِبَيَاضِ الطَّلَاءِ بِبَيَاضِ الرُّخَامِ - بَيَاضُ
أَكْثَرُ إِبْهَارًا إِلَى حَدِّ مَا ، عَلَى السَّطْحِ - كَانَ ثَمَّةَ احْتِيَاجٍ لِذَلِكَ ؛
كَانَتْ الكَلِمَاتُ وَالرُّسُومُ عَلَى الحَوَائِطِ كَثِيرَةً لِلْعَايَةِ . وَالآنَ ،
وَاحِدًا وَاحِدًا ، يَطْلُونَ الأفْنِيَةَ ، وَأُصْصَ الزُّهُورُ ، وَالأَحْجَارُ ،
حَتَّى الأشْجَارِ ، إِلَى مُنْتَصَفِهَا - ذَلِكَ مَا يُعْطَى بِهِاءَ مَا ، نَظَافَةً مَا ؛
يَفُوحُ بِالعَافِيَةِ - وَهَكَذَا ، تُشْرِقُ الأَرِصِفَةُ وَالكَنَائِسُ
بِبَسَاطَةِ قَدِيمَةٍ جَدِيدَةٍ - بِشَيْءٍ مَا يَنْتَمِي إِلَيْنَا . وَفِي المَسَاءِ ،
يَضَعُونَ إِصْبَصَ جِيرَانِيَوْمٍ عَلَى الجِدَارِ المَطْبِيِّ بِالأَبْيَضِ
وَيَتَظَلَّلُونَ إِلَى البَحْرِ . وَعَلَى عَتَبَةِ البَابِ عِبْرَ الطَّرِيقِ ، تَبْدُو
السَّيِّدَةُ "بِيَلَايَا" غَاضِبَةٌ - وَثُوبُهَا الأَسْوَدُ مُبْرَقَشٌ
بِقَطْرَاتِ الطَّلَاءِ ، كَأَنَّهُ يَزْدَهَرُ بِأَقْحَوَانَاتٍ صَغِيرَةٍ .

بمُرورِ الأعوامِ - يَقولُ - تَهْجُرُنِي الألوانُ ، أَهْجُرُهَا ؛
يَبْدُو لِي الحَجَرُ الأَبْيَضُ أَكْثَرَ مُلَاءَمَةً .
بِأَطْرَافِ أَصَابِعِي ، بِكَفِّي كُلِّهَا ، بِشَفَتَيَّ ،
أَتَحَوَّلُ إِلَى جَسَدٍ أَبْيَضٍ ، مُنَاقِضًا لِلَّيْلِ ، اللَّيْلِ المَلَأِيمِ -
يَنْتَصِبُ بِوُضُوحٍ فِي الظَّلَامِ ؛ يُشْرِقُ . أَتْرُكُ لِسَانِي
بِشَهْوَانِيَّةٍ فِي فَمِهِ الرُّخَامِي . وَالآنَ ، عَلَيَّ الأَقْلُ ،
لَدَيَّ الحَقُّ فِي الرُّكُونِ إِلَى الصَّمْتِ وَإِغْمَاضِ عَيْنِي .

23 - السَّالِم

صَعَدَ وَهَبَطَ السَّلَامِ . شَيْئًا فَشَيْئًا ،
كَانَ الصُّعُودُ وَالْهُبُوطُ - فِي إِرْهَاقِهِ -
يَتَّخِذَانِ الْمَعْنَى نَفْسَهُ - بِلَا مَعْنَى أَبَدًا - التَّقْطَعَةَ نَفْسَهَا
فِي عَجَلَةٍ دَوَّارَةٍ . وَهَوَ ، بِلَا حِرَاكٍ ،
مَرْبُوطٌ بِالْعَجَلَةِ ، بِوَهْمٍ أَنَّهُ يُسَافِرُ ،
يَشْعُرُ بِالرِّيْحِ تُمَشِّطُ شَعْرَهُ إِلَى الْوَرَاءِ ،
مُلاحِظًا رِفَاقَهُ ، الْمُقْنَعِينَ بِنَجَاحِ
كِبْحَارَةٍ مُنْهَمِكِينَ ، يُشْدُونَ مَجَازِيْفَ غَيْرِ مَوْجُودَةٍ ،
يُسْدُونَ آذَانَهُمْ بِالسَّمْعِ ، بِالرُّغْمِ مِنْ أَنَّ السَّيْرِينَاتِ^[*]
قَدْ مَتْنُ مِنْذُ ثَلَاثَةِ آلَافِ عَامٍ عَلَى الْأَقْلِ .

^[*] السيرينات (في الأساطير اليونانية): كائنات خطيرة، لها ملامح أنثوية، تغري البحارة العابرين بأصواتهم وموسيقاهم الساحرة، لاستدراجهم إلى الدمار.

تَلْمِيحَات

(1971 - 1970)



فِي جَيْبِكَ الْحَاوِي قِطْعَةً عُمَلَةً قَدِيمَةً ، مَنْسِيَّةً -
لَمَسْتِكَ تَتَعَرَّفُ عَلَى نَحْوِ أَعْمَى عَلَى أَعْضَاءِ الْإِلَهِ الْعَارِيَّةِ .



الشَّجَرَةُ ، وَالتَّمْثَالُ ، وَالْحَدِيقَةُ ، وَالْمَرَأَةُ الْعَجُوزُ -
فِيمَا تُؤْمِنُ بِدِيمُومَةِ الْكَلِمَاتِ ، فِيمَا تَمْضِي
خَارِجَ الزَّمَنِ ، خَارِجَ مَدْخَلِ الْقَصِيدَةِ .



يَبْتَسِمُ رَجُلٌ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ فِي الظَّلَامِ ،
رُبَّمَا لِأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ الرُّؤْيَةَ فِي الظَّلَامِ ،
رُبَّمَا لِأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ الظَّلَامِ .



دَعَكَ مِنَ التَّفْسِيرَاتِ - فَمَا قِيَمَتُهَا؟ فَهِيَ ، عَلَى الْعَكْسِ ،
تُؤَدِّي إِلَى تَشْوِيشِ أَكْبَرَ لِلْأَشْيَاءِ - طَالَمَا أَنَّكَ تَعْرِفُ أَنَّ الشَّعْرَ ،

العاري ، والمتواضع والمتكبر ، ليس أكثر من
التحقيق المدهش لما يستعصي على التفسير .



قَطَعَتِ الْفَتَاةُ عُصْنَ صَفْصَافٍ ، رَمَتْهُ بَعِيدًا
وَتَشَمَّتْ أَصَابِعَهَا - حَرَكْتُهَا هَذِهِ
كَانَتْ إِسْقَاطًا لِلزَّمَنِ دَاخِلِ الْعَبِيرِ .



وَرَاءَ أَزْهَارِ عَبَادِ الشَّمْسِ الْكَبِيرَةِ ، كَانَ الْجِدَارُ ،
وَرَاءَ الْجِدَارِ ، الطَّرِيقُ - لَا يُمَكِّنُ رُؤْيَتَهُ أَبَدًا .
ثُمَّ الْمَنَازِلُ ، وَالْأَشْجَارُ ، وَالتَّلَالُ ، وَالْجِرَائِمُ . فِي الظَّهِيرَةِ
يَذْهَبُ عُمَّالُ وَرَشَةِ الْأَخْشَابِ إِلَى هُنَاكَ لِيَبُولُوا .
فِي اللَّيْلِ يَخْرُجُ الْمَوْتَى لِيَدْهِنُوا الْجِدَارَ .



لَا تَحُمُّ حَوْلَ الْمَوْضُوعِ ، فَلْتَتَكَلَّمَنَّ بِفِظَاظَةٍ ، بَلْ بِلُهُاثٍ ،
(التَّضْمِينَاتُ وَالْمَحْدُوقَاتُ الْجَمِيلَةُ - يَقُولُ - هِيَ مِنْ أَجْلِ اللَّيَاقَةِ) -
فَحَتَّى تَهْشِيمُ الْقَصِيدَةِ قَدْ يُوَلِّدُ قَصِيدَةَ .



فَلتَتْرِكِ الحَرْبَةَ دَائِمًا فِي رُكْنِ العُرْفَةِ ،
وَلتَتْرِكِ الدَّرْعَ مَقْلُوبًا لِيَمْتَلِيءَ بِالمَاءِ
فَقَد تَأْتِي الطُّيُورُ لِتَشْرَبَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ عِبْرَ رُجَايِجِ التَّافِذَةِ ،
وَأَنْتَ تُشَاهِدُ الأَرَايِبَ تَمَضُّعُ أَوْرَاقِ الكُرُومِ
مَعَ صَرِيرِ ذَيْلِ طَائِرَةِ وَرَقِيَّةٍ وَهُوَ يَغُوصُ فِي الزُّرْقَةِ .



مَعْنَى الفَنِّ - قَالَ - قَدْ يَتِمُّ العُثُورُ عَلَيْهِ
فِيمَا تَمَّ حَذْفُهُ ، عَنِ قَصْدٍ أَوْ غَيْرِ قَصْدٍ ،
شَأْنُ تِلْكَ السَّكِّينِ الوَامِضَةِ المَخْفِيَّةِ تَمَامًا فِي السَّلَّةِ
تَحْتَ العِنَبِ الأَحْمَرِ ، الذَّهَبِيِّ ، الأَرْجَوَانِيِّ .



أَيًّا كَانَ مَا تُرَاكِمُهُ فِي صُنْدُوقِكَ فَهُوَ يَتَّخِذُ طَرِيقَ المَوْتِ .
أَيًّا كَانَ مَا تَهْبُهُ فَهُوَ يَتَّخِذُ طَرِيقَ الحَيَاةِ . الأَعْمَى العَجُوزُ
يَتَعَرَّفُ عَلَى العُمَّلَاتِ الزَّائِفَةِ بِاللَّمْسِ . يَلْمَسُ بِأَصَابِعِهِ
كُلَّ شَيْءٍ أَمَامَ عَيْنَيْهِ ، يُسَمِّيهَا وَاحِدًا وَاحِدًا ،
وَلَا يَهْمُ كَمِ تُخْفِي فِي الرُّكْنِ أَوْ وَرَاءِ السَّتَارَةِ .



يَزْدَادُونَ ابْتِعَادًا ، الوَاحِدُ عَنِ الآخَرِ ؛ لَمْ يَعُودُوا يُؤْمِنُونَ بِالبَّرَاءَةِ ؛ لَمْ يَعُودُوا

يُؤْمِنُونَ

بِالْأَفْكَارِ ، بِالْكَلِمَاتِ ، بِالزُّهُورِ . وَهُمْ يَنْفَصِلُونَ
كَانَ كُلُّ مِنْهُمْ يَبْدُو أَنَّهُ يَحْمِلُ جَبَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ .



لَا تَسَلْ كَمَ سَيَسْتَمِرُّ ذَلِكَ - لَنْ يَسْتَمِرَّ ؛ فَالْآخِرُونَ يَتَّخِذُونَ الْقَرَارَاتِ .
فَلتَقْلِبِ الْمِنْضَدَةَ رَأْسًا عَلَى عَقَبِ ؛ فَلتَطْفِئِ الْمِصْبَاحِ .
الْمِرْآةُ مَلِيئَةٌ بِثُقُوبِ الرَّصَاصِ . لَا تَنْظُرِ إِلَى الدَّاخِلِ .
سَأَنْظُرُ - قَالَ الْآخِرُ - خِلَالَ هَذِهِ الثُّقُوبِ .
وَكُلَّ مَرَّةٍ أَرَى وَجْهِي الْمَسْرُوقَ مِنْ جَدِيدٍ ، لَمْ يُمَسَّ .



السَّفِينَةُ رَحَلَتْ . الْأَضْوَاءُ ذَوَتْ . عَلَى رَصِيفِ الْمِينَاءِ
ظَلَّتْ الْأَكْيَاسُ الْمُتَمَلِّئَةُ بِالدِّينَامِيَّتِ مُكَدَّسَةً فِي صُفُوفِ .
وَفِي الْمَيْدَانِ الْعَامِ ، أَمْسَكَ التَّمْثَالُ بِالثَّقَابِ .



طَوَالَ وَقْتٍ مَا أَنهَكَ الْكَلِمَاتِ . وَمَعَ ذَلِكَ ،
فَهوَ دَائِمًا يَنْتَظِرُ ، وَمِصْبَاحُهُ مُضَاءً ،
خَشِيَّةً أَنْ يَلْتَقِيَ مُصَادَفَةً بِالقَصِيدَةِ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ .



دَائِمًا مَا يُرَاقِبُ التَّرْمُومِترَ عَلَى الحَائِطِ .
حَسَبَ الدَّرَجَاتِ ، يَزْدَادُ سُخُونَةً أَوْ بُرُودَةً .
وَعِنْدَمَا انكَسَرَ التَّرْمُومِترَ ذَاتَ يَوْمٍ ، ارْتَبَكَ -
لَمْ يَعُدْ يَدْرِى مَتَى يُدْفِئُ نَفْسَهُ أَوْ يَبْتَرِدُ .
قَطْرَاتُ الزَّئْبِقِ انسَابَتْ عَلَى الأَرْضِيَّةِ
مَعَ حُرِّيَّةٍ مُبَدَّدَةٍ ، غَيْرِ مَقْبُولَةٍ ، مُرْعَبَةٍ .



يُرِيدُ أَنْ يَصْنَعَ التَّمثَالَ التَّذْكَارِيَّ لِضُفْدَعَةٍ صَغِيرَةٍ -
لَا الضُّفْدَعَةَ نَفْسَهَا - إِنَّهَا التُّعُومَةُ مَا يُرِيدُ ،
المِيكَانِيكِيَّةُ المُرْكَبَةُ لِلقَفَرَاتِ الوِرَاثِيَّةِ
فِي الحَدِيقَةِ المَرْوِيَّةِ فِي اللَّيْلِ تَحْتَ الدُّبَيْنِ
لِحَظَّةٍ أَنْ كَانَتْ هِيلِينَ تَخْلَعُ ثِيَابَهَا خَلْفَ البَابِ الرَّجَاجِيِّ .



سَأَغَادِرُ - يَقُولُ - أَصْوَاتِ السُّوقِ ، وَالثَّلَاجَاتِ ، وَالسَّلَالِ ،
المُنْتَجَاتِ المُنْتَوِّعَةِ ، الثَّافِهَةِ ، وَالإِعلَانَاتِ الجَدِيدَةِ ؛
سَأَذْهَبُ إِلَى المَنْزِلِ ، أُغْلِقُ البَابَ ، أَجْلِسُ فِي مِقْعَدِي ،
أَبْرِي سِنَّ قَلَمِي الرِّصَاصِ بِأَدَبٍ ، بِعِنَايَةٍ ، وَأَصْرُخُ .



شَرِيحَةُ بَطِيخٍ أَحْمَرَ فِي الطَّبَقِ .
الْكِتَابُ الَّذِي أَعْرَثَهُ لِي كَانَ جَمِيلًا .
أَفْكَرُ الْآنَ فِي كِتَابَةِ قَصِيدَةٍ .
فِيهَا ، لَنْ يَتَحَادَثَ سِوَى الطُّيُورِ .



كُلُّ مُعْتَقِدٍ - يَقُولُ - إِمَّا سَدَاجَةٌ أَوْ جُبْنٌ أَوْ ذَرِيْعَةٌ مَا كِرَةٌ .
أَدْخُنْ سِيَجَارَتِي بِسَكِينَةٍ تَحْتَ أَنْفِ الْمَوْتِ ؛
أَزْرُرُ قَمِيصِي أَوْ أَفْتَحُهُ ؛ أَغَادِرُ أَوْ لَا
قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ مُطَالَبَتِي بِالْمُغَادَرَةِ أَوْ طَرْدِي .
فِي اللَّيْلِ أَجْلِسُ نُقْطَةً مَيِّتَةً فِي الْفَرَاعِ ، أَعْقِدُ ذِرَاعِي ،
أَتَظَاهَرُ بِأَنِّي جُنَّتِي أَمَامَ الْمِرَاةِ وَأَمْضِي لِأَنَامِ .



طَوَالَ أَيَّامٍ بِلَا انْقِطَاعٍ تَتَلَمَّسُ يَدُهُ فِي جَيْبِهِ
عِظَامَ الْحَدِّ النَّائِيَةِ لِلْفَرَاعِ . ثُمَّ فَجَاءَهُ
يُخْرِجُ دُمِيَّةَ عَمِيَاءَ ، يُضِيفُ لَهَا عَيْنَيْنِ ،
وَيُعْطِيهَا لَابِنَةَ مُتَعَهِّدِ الْأَشْيَاءِ الْمُسْتَعْمَلَةِ .
تُعْرِبُهَا بِاسْتِمْتَاعٍ ، وَتُخْرِجُ عَيْنَيْهَا مِنْ جَدِيدِ .



كَانَ الشَّعْرُ مِنْ جَدِيدٍ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَعَ حُدُوسٍ بِاحْتِمَالَاتٍ مُعْجِزَةٍ .
كَانَتْ حُطًى

المرأة الأئمة الجميلة التي تُلازم الحِدار،
وحَفيفُ ثوبها أعلى الزَّعرورِ الكبيرِ في حَقْلِ الكِلَابِ ؛
أضِيئَتْ رَائِحَةُ إبْطِيهَا فَجَاءَهُ بِمِصْبَاحِ الشَّارِعِ فِي مِيدَانِ الْمَدِينَةِ
لِحَظَّةٍ أَنْ كَانَتْ يَدُ الْمَوْتِ تَخْتَبِي حَلْفَ هَذَا الْمِصْبَاحِ بِالذَّاتِ .



لَا يَهُمُّكُمْ يَكُونُ الْمَرْءُ وَجِيدًا فِي خَوْفِهِ وَأَلَمِهِ ،
مَعَ الطَّحَالِبِ وَرُجَاجِ التَّوَاغِيذِ ، مَعَ ظِلَالٍ مَجْهُولَةٍ عَلَى السَّقْفِ الْوَاطِي ،
وَالْحُطُّ الْأَحْمَرُ لِتَارِكِ مِنَ الْفُرْجَةِ تَحْتَ الْبَابِ
يُخْبِرُنَا مِنْ جَدِيدٍ عَنِ أَمْجِدِيَّةِ الْحَيَاةِ ، التَّلَاحُمِ ، وَالْإِمْتِيَازِ ، وَالْكَبِيرِيَاءِ ،
اللَّحْظَةِ الْجَمِيلَةِ عِنْدَمَا تُغَادِرُ الْمَنْزِلَ وَتَلْتَقِي بِشَجَرَةٍ ،
عِنْدَمَا تُصْبِحُ وَرَقَّةَ شَجَرٍ وَسَطَ الْأُورَاقِ ، فِي نَفْسِ الْأَغْنِيَةِ ،
يَا أَنْتَ الَّذِي تَنْبِيئُ مِنَ التَّمَاثِيلِ وَأَشْجَارِ السَّرْوِ الطَّوِيلَةِ .



فِي الْحَقْلِ الْمُقْفِرِ فِي اللَّيْلِ نُحْرِقُ ظِلَالَاتَنَا .
تَوَهَّجَتِ النَّارُ . وَسَطَ اللَّهَيْبِ
انْتَصَبَ عَكَازُ ضَخْمٍ نَحْوَ السَّمَاءِ
مِثْلَ نَجْمَةِ الدَّيْنُونَةِ .

أَسْفَلَ ذَلِكَ السُّلَمِ
هَبَّطَ الْمَلَائِكُ الْمُحْتَرِقُ ، مُحْتَضِنًا جَنَاحِيهِ إِلَى قَلْبِهِ كَفَتَاتَيْنِ مَيِّتَتَيْنِ .



سُئِلُوا عَنْ رَغْبَتِهِمُ الْأَخِيرَةَ .
" حَقَائِبُ وَرَقِيَّةٌ " ، قَالُوا . جِيءَ لَهُمْ بِهَا .
نَفَخُوهَا ، اسْتَدَارُوا ،
فَجَرَّوْهَا عَلَى الْجِدَارِ ، وَسَقَطُوا .



مُنْذُ أَنْ عَرِفَ أَنَّهُمْ يُرَاقِبُونَهُ مِنَ النَّافِذَةِ ،
كَيْفَ يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ يَتَحَرَّكَ بِبَسَاطَةٍ ، بِجَمَالٍ ؟
أُرِيدُ مَعْرِفَةَ مِيكَانِيكِيَّةِ هَذِهِ الْبَسَاطَةِ .
أُغْلِقُ الْمَصَارِيحَ ، أَنْظِرُ إِلَى نَفْسِي فِي الْمِرَاةِ .
يُحْبِطُنِي ثُقْبٌ فِي جَبِينِي .

مايو - أكتوبر 1970



قَصَائِدُ وَرَقِيَّةٍ

(1974-1970)

ساموس، 1970

خَرِيف
وَالْحَبْلُ مَرْبُوطٌ
يَجِدُّعُ شَجَرَةَ الزَّيْتُونِ ؛
قِنَاعُ الْكَرْتُونِ
لَا يَمْنَعُ الْمَاءَ -
إِنَّهُ يَنْسَابُ مِنَ الْعَيْنَيْنِ .



خُذِ الزَّلَّاقَةَ .
وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْعَابَةِ
فَلْتَلْحَظْ
الْحِصَانَ مُبَلَّلًا بِالْعَرَقِ
أَمَامَ أَبِي الْهَوْلِ .



قَاعَةُ تَشْرِيحِ .

البُثورُ زَرْقَاءُ .
القَتِيلُ عَلَى المنضدة -
قِطْعَةُ ذَهَبٍ عَلَى السُّرَّةِ
وَوَرَقَةٌ خَسٍ بَيْنَ الأَسْنَانِ .



في المرآة
في الرُّكْنِ الأَيْمَنِ
عَلَى المنضدةِ الصَّفْرَاءِ
تَرَكَتُ المفَاتِيحَ .
حُذَهَا .
فَالكْرِيسْتَالُ لَا يَنْفَتِحُ .
لَا يَنْفَتِحُ .



في زُجَاجِ المقصُورَةِ
تَجْرِي المَشَاهِدُ الطَّبِيعِيَّةُ .
في جَيْبِي عَثَرْتُ عَلَى
مِسْوَاكٍ ،
وَفِي قُبَّعَتِي
بُرْجُ الكَنِيسَةِ .



فِي وَرَقٍ ، حَقًّا ، فِي وَرَقٍ .
فَلْتَعْتُرْ عَلَيَّ سَطْرًا أَكْثَرَ عُمُومِيَّةٍ
بِحَيْثُ لَدَى سُقُوطِ السَّقْفِ
لَا يَنْكَسِرُ الزُّجَاجُ
لَا تَنْجِرِحُ الْمِرَاةُ الْمَيْتَةَ .



الزُّهُورُ فِي الْإِنَاءِ .
يَدُكَ عَلَيَّ الْحِزَامِ .
مَاذَا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ ؟



عَلَيْكَ أَنْ تَضَعَ أُصْصَ الزُّهُورِ
حَوْلَ الْبَيْتِ تَمَامًا
فِي نَسَقِي جَمِيلٍ
مِثْلَ الْقَصَائِدِ
حَوْلَ الْعَدَمِ .
لَنْ يَكُونَ لِذَلِكَ أَهْمِيَّةٌ
إِلَّا بِأَنْ تَكُونَ خَاوِيَةً -
ذَلِكَ هُوَ نُبُلُنَا الْأَوَّلُ

وَالْأَخِيرَ .



الْكَلِمَاتُ تَفْقِدُ مَعَانِيهَا
حِينَ يَسْقُطُ الْمَاءُ مِنْ أَسْفَلَ لِأَعْلَى
حِينَ يَدُورُ الدَّرَاجُ الصَّغِيرُ
بِلاَ انْتِهَاءٍ فِي الْبَرْمِيلِ الْكَبِيرِ ،
وَالشَّعْرُ مَمْسُوكٌ بِحَيْطٍ .



بِحِدْيَةٍ أَكْبَرَ ، بِحِدْيَةٍ أَكْبَرَ ،
فِي الْأَسْوَدِ ،
بِالصَّلِيبِ الْمَدَلَّى
عَلَى الصَّدْرِ ،
وَالجَنَاحِ
مُخْفِيٌّ فِي جَيْبِ الْبَنْظَلُونِ
مَعَ الْمِشْطِ .



سَوْفَ تُغَيِّرُ الْمَكَانَ ،
سَتَمِضِي إِلَى الْوَرَاءِ ،

سَتَتْرُكُ السَّيْرُكَ .
وَالطَّوْقُ الْكَبِيرُ
عَلَى الْحِصَانِ
سَوْفَ تَحْتَفِظُ بِهِ .



سَأَرْسُمُ ظِلِّي بِالْأَزْرَقِ .
سَأُنْظِفُ أَسْنَانِي بِالْفُرْشَاءِ ،
أَعْرِفُ عَلَى الْحِيْتَارِ .
وَأَنْتَ ، تَخْتَبِيئِي
تَحْتَ السَّرِيرِ .
تَتَّظَاهَرُ بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي .



تُرِيدُ بِأَيِّ ثَمَنِ
أَنْ أَقُولَ لَكَ :
"لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ" .
هُوَ كَذَلِكَ .
بِالنَّسْبَةِ لِي أَيْضًا .
فَأَنْتَبِهْ وَأَنْتَ تَقْصُ الْأَطَافِيرَ .
فَالْمِقْصُ يَلْتَمِعُ .



حَقًّا؟ رِسَالَةٌ إِلَيْكَ؟

فَلتُمَرِّقْهَا .

ثُمَّ نُلْمِمْ

القُصَاصَاتِ الصَّغِيرَةَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً

نُلصِقُهَا بِبَعْضِهَا

وَنَقْرَأُهَا .

أَلَا تَسْمَعُ التَّرَاشُقَ بِالرَّصَاصِ؟



هَزِيلًا ، غَيْرَ حَلِيقٍ ، بَائِسًا -

فِي جَيْبِيهِ

طَائِرَانِ مَسْرُوقَانِ .

مَا إِنْ يَدُورُ حَوْلَ نَاصِيَةِ الشَّارِعِ ،

حَتَّى يُجَلَّتْ .



رِيحٌ قَاصِفَةٌ .

لَيْلِ .

فِي الْأَسْفَلِ عِنْدَ الْبَابِ أَضْوَاءٌ مُرْتَعِشَةٌ .

فِي رُوقِ الْجُمْرِكِ

السَّعَالَة

تَكْنِسُ بِهُدُوءٍ .

الْحَقَائِبُ مُغْلَقَةٌ .

لَا فِتْنَةٌ : "مَمْنُوعٌ" .

رِيحٌ - رَفِيقَةٌ .

الْأَشْرَعَةُ ، الْأَشْرَعَةُ الْكُبْرَى .



هُوَ أَنَا مَنْ عَرَسَ فِي الْحَدِيقَةِ عِصِيَّ الْحَدِيدِ .

لَسَوْفَ تُزْهِرُ .

حَتَّىٰ لَوْ لَمْ يَعْتَقِدْ ذَلِكَ الْمَوْتَىٰ .



تُثْقَبُ فِي الْجِدَارِ .

كَأَنَّكَ طَمَسْتَهُ جَيِّدًا .

أَرُبَّمَا تَظُنُّ أَنَّكَ أَخْفَيْتِ

السَّاعَةَ وَالتُّعْبَانَ ؟



وَاحِدٌ - اثْنَانِ ، وَاحِدٌ - اثْنَانِ .

لَا تَنْطِقُ بِرَقْمٍ آخَرَ .

فَسَوْفَ يُعْطُونَكَ دَرَجَةً رَفِيعَةً
فِي مَعْهَدِ الْمَوْسِيقَى الْجَدِيدِ .



وَبِدُونِ أَصَابِعِكَ
لَا يُمَكِّنُكَ الْحِسَابُ .
فَأَنْتَ تَحْسِبُ أَصَابِعَكَ .
وَالْحِسَابُ غَيْرُ مَوْجُودٍ .
فَهُوَ يَفْتَقِرُ إِلَى عَشْرَةِ أَصَابِعٍ .



هَذَا الْجَسَدُ
وَهَذَا التَّمْثَالُ
يَعْكِسُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ .
وَأَنْتَ لَا تَكْفِيكَ
المرأة .
الرَّوْعَةُ نَفْسُهَا تَحْجُبُكُمْ
أَنْتُمْ الثَّلَاثَةُ .



فِي الصُّورَةِ الْفُوتُوغْرَافِيَّةِ

كَانَ هُنَاكَ الْعَجُوزُ وَلِحِيَّتُهُ .

أَرَأَيْتَ أَلَا .

لَقَدْ تَهَرَّأَ الْخَيْطُ - قَالُوا ؛

وَالْإِطَارُ سَوْفَ يَسْقُطُ ؛

وَرُجَاؤُهُ سَوْفَ يَنْكَسِرُ .

وَرَاءَ الْخِزَانَةِ الْآنَ

الصُّورَةُ الْفُوتُوغْرَافِيَّةُ الْقَدِيمَةُ

وَوَجْهَهَا إِلَى الْحَائِطِ .

لَمْ يَكُنْ بِهَا خَيْطٌ .

كَانَ بِهَا سِلْكُ حَدِيدِي .



الْعُصْنُ يَهْتَزُ .

هُوَ أَنْتَ مَنْ يُحْيِيهِ .

هُوَ أَنَا أَيْضًا .

لَا فَرْقَ .

هَلْ تَدْرِي ؟

إِذْنَ فَلِمَاذَا لَمْ يَرْغَبُوا فِي وُجُودِنَا ؟



ذَلِكَ أَفْضَلُ .

ذَلِكَ دَائِمًا أَفْضَلَ .
وَمِنْ جَدِيدٍ ، سَعِيدٌ ، يَا سَيِّدِي .
فَاسْمَحْ لِي بِالتَّقَاطِطِ أَنْفَاسِي قَلِيلًا
بَيْنَ قَهَوَتَيْنِ
وَتَلَاثِ حُرُوبٍ .



قُلْتُ : سَيِّدِي ،
هُوَ أَنْتَ مَنْ كُنْتُ أَعْنِي .
فَلَوْ أَنِّي أَخْطَأْتُ ، فَسَاجِحِي .
لَقَدْ خَلَعْتُ جِذَائِي
وَأَطَقْتُ الشَّمْعَةَ .



هَذَا الْعَتِيَانِ
لَيْسَ مَرَضًا .
إِنَّهُ إِجَابَةٌ .



لِلكَلِمَاتِ بَشْرَةٌ أُخْرَى
يُدَاخِلُهَا

مِثْلَ اللُّوزِ
أَوْ الصَّبْرِ.



كَانُوا جَمِيلِينَ (هَلْ تَذَكَّرُ؟)

كَانُوا يَسِيرُونَ بِاسْتِقَامَةٍ إِلَى الْأَمَامِ .

كَانُوا يَنْظُرُونَ بِاسْتِقَامَةٍ إِلَى الْأَمَامِ .

كَانُوا يُغْنُونَ .

كَانُوا يُمَسِّكُونَ بِحُرَابِهِمْ عُمُودِيَّةً ،

عَالِيًا ، عَالِيًا تَمَامًا .

لَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَ

أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ عِلْمٌ .

أثينا، 1973

قُلْ "مَا الَّذِي يُمَكِّنِي فِعْلُهُ فِي ذَلِكَ؟"
فَلتَسْتَرخِ قَلِيلًا .
لَا أَسْتَطِيعُ .
مِشْنَقَةٌ .



عِنْدَمَا كُنْتُ مُنْزَعِجًا
مِنْ أَنَّكَ خَائِفٌ
مَعَ كُلِّ هَذِهِ الْأَزْرَارِ بِسُتْرَتِكَ
الْمَنْزُوعَةِ
شِبَهَ عَارٍ
أَكْثَرَ مِنْ عَارٍ،
لَمْ تَكُنْ لَتَرَى الْعُمَلَاتِ الْمَعْدِنِيَّةَ
الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ قَدَمَيْكَ .



إِنَّهُ خَطِيئٌ - يَقُولُ -
أَنَا إِنْسَانٌ .

فَكَيْفَ كَانَ بِمَقْدُورِي أَنْ أَكُونَ غَيْرَ ذَلِكَ ؟

المفتاح ،

لَيْسَ مَعِيَ دَائِمًا

فِي حِزَابِي .

وَكَثِيرًا مَا يَنْبَغِي أَنْ أَبْقَى

خَارِجَ مَنْزِلِي

وَحَيْدِي مَعَ السَّمَاءِ

وَعِظَامِ كَلْبِي .



أَحْلَامٌ ثَرْتَارَةٌ

كَلِمَاتٌ مُبَدَّرَةٌ

قَمَرِي مُتَوَاضِعٌ

وَنَحْنُ الْاِثْنَيْنِ

وَحَيْدَيْنِ تَمَامًا

خَفِيَّةٌ بِأَحَدِ الْأَرْكَانِ

نَقُومُ بِالتَّبَوُّلِ .



دُكَّانُ العُطُورِ
كُشْكُ التَّجَّارِ
الصَّيْدَلِيَّةُ
اللُّوْحَانِ الكَبِيرَانِ
الأَقْدَامُ الحَافِيَّةُ
المَسَامِيرُ .
يَأْخُذُ سُلْمَهُ التَّقَالِ
يَجْلِسُ عَلَى الرَّصِيفِ .
فَلْيَتَبَارَكَ الكَلْبُ الأَعْرَجُ
فَلْيَتَبَارَكَ ضَوْءُ النَّهَارِ
فَلْيَتَبَارَكَ الجَلَادُ .
وَالرَّجُلُ الفَاضِلُ ، هَلْ تَقُولُ ؟
لَا . جَبَانَ .



بِهَذَا الجَسَدِ
المَلْتَصِقِ بِالحَائِطِ
مَعَ هَذِهِ الضَّرْبَةِ بِالقَبْضَةِ فِي الصَّدْغِ
مُعْتَصِرَةً مَا هُوَ خَفِيٌّ
فِي الخَلْفِ
أَكْثَرُ ، بَعْمَقِ أَكْثَرُ -

يَمْنَعُكَ
تَوَاطُؤُ الْحَاتِمِ الْأَيْمَنِ
مِنْ لَمَسِ الْمَنْبَعِ .



أَرِيحُ زَهْرَ شَجَرَةِ اللَّيْمُونِ
الَّذِي لَا يَأْتِي مِنَ الْحَدَائِقِ
بَلْ مِنَ الْمَعْبَدِ .
قَلَنْسُوَةُ الْمَسِيحِ
تَحْتَ إِطْرِ الْعَامِلِ
أَعْلَى
السُّلْمِ الرَّخَامِيِّ
دَامِيَّةِ .
أَنْتِ أَيْضًا رَأَيْتَهَا .
إِذَنْ فَمَا الَّذِي جَرَى ؟



شَعْرٌ بَالِغُ الْحُمْرَةِ
شَمْسٌ وَتَلْ .
عَلَى رُكْبَتَيْهِ نِصْفُ رَغِيفِ .
أَشْعَلُ عُودَ ثِقَابِ

وَوَضَعَهُ فِي فَمِهِ .
الآن - قال -
يُمْكِنُ أَنْ يَحِلَّ اللَّيْلُ .



رُؤُوسٌ صَلْعَاءُ
شَعْرٌ مُسْتَعَارٌ ذَهَبِي
شَمْسٌ زَائِفَةٌ
الْجَرَائِدُ وَالْحَوَائِطُ .
أَبْطَالٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ .
مِنَ الْأَفْضَلِ الْبُكَاءِ
مِنَ الْأَفْضَلِ الْبَقَاءُ عَارِيًا
بِلَا جَسَدٍ بِلَا صَوْتِ
ذَلِكَ سَيَكُونُ أَفْضَلَ .



الْحَطَّاءُ نَعَمُ .
لَا الْكَذِبُ .
سَاعِدُونِي - قَالَ -
عَلَى قَصِّ أَظْفِيرِي .
فَالْمَقْصُ لَا يَقْصُ .

سَاعِدُونِي - قَالَ -
عَلَى قَوْلِ الْحَقِيقَةِ .
أَيُّ حَقِيقَةٍ ؟
فَأَظْفِرُ الْمَوْتَى أَنْفُسِهِمْ
مُسْتَعْصِيَةً .



كَمْ كَانَ ضَخْمًا
اِحْتَفَظَ تَمَامًا
بِقَبْضَتِهِ مَضْمُومَةً
مَرْفُوعَةً
ضِدَّ الظُّلْمِ .

حِينَ حَلَّ اللَّيْلِ -
كُوبَ مَاءٍ صَافٍ .
فِي قَاعِ الْكُوبِ
قُرْصُ الدَّوَاءِ الْأَصْفَرِ
قُرْصُ مُنَوِّمٍ .
كَانَتْ الْحُدُودُ تَنْحَلُ .
فُقَاعَاتُ شَفَافَةٍ
شَفَافَةٍ ؛

كُنْتُ أَرَاهَا .
عَلَى هَذَا التَّحْوِ أَنْسَى .



دَائِمًا فِي مِثَّةِ مَكَانٍ
مَعَ مَصَابِيحِ الشُّوَارِعِ
مَعَ السُّلَمِ
مَعَ أَعْوَادِ الثَّقَابِ
يَصْعَدُ
لَا يُشْعِلُ الثَّقَابِ
يَبْقَى هُنَاكَ
أَعْلَى الدَّكَائِنِ الْمَوْصَدَةِ
وَجِيدًا
أَعْلَى الظَّلَامِ
مَعَنَا .



لَقَدْ رَأَيْتَهَا عَلَى الْأَرْضِيَّةِ
قَطْرَاتِ الظَّلَاءِ
الْحِجَابَةِ تَسْوَدُ .
لَمْ يَتِمَّ طِلَاءُ الْبَابِ .

لَمْ يَكُنْ الْمَوْتَى هُنَاكَ .
وَلَا نَحْنُ .

أَيُّهَا الْمَسَاءُ الشَّهَوَانِي
أَيُّهَا الْمَجْدُ الْعَاجِزُ .



مَا أَقُولُهُ
إِنَّكَ لَا بُدَّ أَنْ تُدْرِكَ شَيْئًا آخَرَ
لَيْسَ التَّقْيِضُ تَمَامًا
بَلْ شَيْئًا آخَرَ .
صَفٌّ مِنْ أَسْلَافِكِ شَائِكَةٌ
صَفَّانِ ثَلَاثَةٌ .



تَكَبَّدَ عَنَاءٌ كَبِيرًا لِصُنْعِ
طَائِرٍ كَبِيرٍ مِنْ وَرَقِ
بِهَذِهِ الْجَرِيدَةِ الرَّدِيئَةِ
(بِدَاخِلِهِ أَخْفَى الطَّائِرِ الْحَقِيقِيِّ) .
إِنَّهَا تَطِيرُ - كَانَ يَقُولُ -
الْجَرِيدَةُ تَطِيرُ
بِكُلِّ ثِقَةٍ وَكُلِّ رُسُوحِ

بِالتَّأْكِيدِ تَطِيرُ .
إِلَّا أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ الْمَشِيَّ .



وَوَظَّهْرُهُ إِلَى الشَّمْسِ
يَتَمَعَّنُ فِي ذَاتِهِ .
الْحَرَارَةُ كَثِيفَةٌ .
وَالكُرْسِيُّ خُضُوعٌ كَامِلٌ
عَلَى أَقْدَامِهِ الْأَرْبَعِ .
يَا لِنِسْيَانِ الْأَخْرَبِينَ
نِسْيَانٍ مُبَارَكٍ
بِرَبْرِيَّةٍ .
وَالْمَسَدَّسُ مُصَوَّبٌ
نَحْوَ شَيْخِ الشَّمْسِ
عَلَى بَلَاطِ الْمَطْبَخِ .



خُطْوَةُ الْعَنْكَبُوتِ
عَلَى ظَهْرِ الْوَرَقَةِ الْبَاهِتَةِ ،
وَالشَّمْعَدَانُ عَلَى الْمَنْضَدَةِ
بِلَا شُمُوعٍ .

فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ
تَأْتِي الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةَ
بِقَدَمَيْنِ حَافِيَتَيْنِ .
تُمْسِكُ بِهِ
تَصْعَدُ إِلَى السَّقْفِ
فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ .
تُشْعِلُ الشُّمُوعَ النَّاقِصَةَ
مُضِيئَةً مَحَلَّاتِ الزُّجَاجِ
وَقَمِيصُ نَوْمِهَا يَلْتَقِطُ النَّارَ
وَالدُّخَانُ يَغْمُرُ الْمَبَاوِلَ .



الْقَصِيدَةُ
مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ
تَبْحَثُ عَنْ قَارِيئِهَا .
هَكَذَا
تَجْتَوِعُ عَلَى رُكْبَتَيْهَا
فِي ظِلِّ
أَجْنِحَةِ هَائِلَةٍ
فِي اللَّيْلِ الْأَفْدَحِ
مَعَ الْأَرَائِكِ الْمَهْجُورَةِ بِالْحَدَائِقِ

وَالسَّنَائِيرِ الْحَدِيدِ فِي الْأَشْجَارِ .



لَوْ كُنَّا قَدْ مَضَيْنَا بِصُورَةٍ مُخْتَلِفَةٍ لَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ قَدْ انكَسَرَ
مِثْلَ الْمِرَاةِ عَلَى هَذَا الْحَائِطِ
تَحْتَ مِطْرَقَةِ الرَّجُلِ الْعَارِي
عِنْدَمَا ضَرَبَ صُورَتَهُ
دُونَ أَنْ يَمَسَّ
جَوْهَرَ الْكِرِيَسْتَالِ نَفْسَهُ
أَمَامَ الْمِرَاةِ
بَعْدَ الْمِرَاةِ
فِي عُرْبِهِ الْقَاتِنِ
فِيمَا أَسْفَلَ السُّلْمِ
"إِلَى الْمَحْرَقَةِ إِلَى الْمَحْرَقَةِ"
كَأَنَّ الْمُرْتَدُّونَ يَصْرُخُونَ .



لَا بَدَايَةَ - قَالَ -

وَلَا نِهَايَةَ

دَائِرَةَ

بَلْ حَتَّى لَيْسَتْ دَائِرَةَ .

أَمْسِكُ بِالْقُضْبَانِ
أَحْصِيهَا .
غَيْرُ مَوْجُودَةٍ .
يَتَوَقَّفُ الْأُتُوبِيسُ
يَهْطُ الْمَرَاقِبُ
يُشْعِلُ سِيَجَارَةَ .
التَّذَاكِرُ تَتَطَايَرُ عَلَى الرَّصِيفِ .
الرَّصِيفُ أَيْضُ .



هُوَ أَنْتَ مَنْ أَشْعَلَ الْحَرِيقَ .
ظَلُّكَ خَانَكَ
وَهُوَ يَتَقَاظِرُ خَلْفَكَ
صَخْمًا
حَتَّى التَّوَاغِيذِ الْمُؤَصَّدَةِ لِلطَّوَابِقِ
حَتَّى شُرْفَةِ الْمَسْتَشْفَى
صَارِحًا
"هُوَ أَنَا" "هُوَ أَنَا" .



نَمَالُ أَوْرَاقِ شَجَرِ أَعْقَابِ سَجَائِرِ

صَمْتُ سَتَائِرِ نُجُومٍ .

قُلْتُ ذَلِكَ حَقًّا .

وَالسَّيْقَانُ الْمَقْطُوعَةُ فِي وَاجِهَاتِ الْمَتَاجِرِ

وَمُكَبَّرَاتُ الصَّوْتِ عَلَى الْمَوَاقِدِ

وَالْأَبْطَالُ الْمَطَارِدُونَ

خَارِجِ التَّارِيخِ .

هُوَ إِذْنُ التَّقْيِيزِ

حَقًّا

الَّذِي يَسْتَوْجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُعِيدَ بَدْءَ التَّارِيخِ

وَمِنْ بَعْدِ أَكْثَرِ .



ذَلِكَ الْأَحْدَبِ

الْمَوْجِلِ

الْأَعْمَى .

الْقِطَارُ مَضَى .

الْأَضْوَاءُ خَضِرَاءُ .

سَلَالِمِ .

لَوْ أَصْبَحَ نَظْرِي أَفْضَلَ

فَسَأَكُونُ قَدْ مِتَّ .



إِنْ تَمَّ الْعُثُورُ عَلَيْهِ قَرِيبًا
فَسَيُمْكِنُ لَهُ بِالتَّأَكِيدِ الإِمْسَاكُ بِهِ
أَوْ تَفَادِيهِ .

الآن

بِقَلَمِ رِصَاصِ عَادِي
يَرُسُمُ أَقْحُوَانًا أَسْوَدَ
مَبْلُولًا بِمَطَرٍ مُفَاجِئٍ
تَحْتَ مِظَلَّةٍ مِنْ قُمَاشٍ أَحْمَرَ
لِمَتَجَرِّ المَوَادِّ الطَّازِجَةِ المَقَابِلِ .
كَانَ أَكْثَرَ إِشْرَاقًا مِنْ الأَقْحُوَانِ الأَبْيَضِ .
وَذَلِكَ مَا سَيُخُونُهُ .



كَانَ يُخْرِشُ الحَائِظَ بِأَظْفَارِهِ
وَيُلْمِمُ العُبَارَ
الَّذِي يَتَسَاقَطُ عَلَى حَاجِبِيهِ .
خَرَشَ الحَائِظَ مِنْ جَدِيدٍ
دُونَ أَنْ يُلْمِمَ العُبَارَ .
وَفِي المَرَاةِ

كَانَ الْآخِرُ أَكْثَرَ ابْيَضًا .

مُسْتَحِيلٌ - قَالَ -

ذَلِكَ يَسْتَحِيلُ قَوْلُهُ .

فَهُوَ بِالْأَحْرَى أَخْضَرُ .



بَقَايَا مِنْ رُكَايِمٍ شَائِهِ

مِنْ طُرُقٍ قَدِيمَةٍ لِلسَّكَّةِ الْحَدِيدِ

مَهْجُورَةٌ

وَتَحْتَ نَبَاتِ الْقُرَاصِ

لِلْأَنْبِيَةِ الْفُخَّارِيَّةِ الْمُهَشَّمَةِ

مَا يَسْتَعْصِي عَلَى الْعُبُورِ .

بَعْدَهَا الْإِسْتِعْدَادُ الْعَظِيمُ

شَيْءٌ مَا أَخْرَسَ وَجَدِيدٌ تَمَامًا

وَأَمَلَسَ تَمَامًا

كَيْتَمَالِ

وَكُلُّ مَا حَوْلَ الْحَوَاجِزِ

الْحَوْضِ وَالسَّكِّينِ .



سَوْفَ تَحْفَرُ هُنَاكَ حَيْثُمَا حَفَرْتَ مِنْ قَبْلِ

سَتَّبِنِي هُنَاكَ حَيْثُمَا بَنَيْتَ مِنْ قَبْلِ

سَتَّحِمِلُ الْبَابَ عَلَى كَتِفِكَ

سَتَّنْقِلُ

الْجَرِيحَ وَالْمَيِّتَ أَوْ الْوَلِيدَ

عَلَى هَذَا الْبَابِ

بِلَا مِفْتَاحٍ يَدْخُلُ فِي الثَّقْبِ

بِلَا حَاجَةٍ إِلَى مِفْتَاحٍ .

وَتَمَّةٌ مِلْحٌ فِي كُلِّ الْبَلَاطِ .



الْمَرْأَةُ الَّتِي تَعْبُرُ الشَّارِعَ

بِشَبَكَةِ التَّسْوُوقِ النَّائِلُونَ الْوَرْدِيَّةَ

بِقَاصُولِيَاءِ خَضْرَاءِ طَارِجَةٍ .

حِينَ يَجِلُ الرَّبِيعُ بِبَسَاطَةٍ

وَالْحُبِّ

وَالْعَالَمِ

يَكْفِي أَنْ يَلْمَسَ إِصْبَعُ

الْحَائِظِ أَوْ الْأَرْضِ

أَوْ الشَّفَتَيْنِ الْمَضْمُومَتَيْنِ .



أَحَدُهُمَا فِي غُرْفَةٍ
الْقَانِي فِي أُخْرَى
أَبْعَدَ قَلِيلًا الثَّلَاثِ .
بَيْنَ الثَّلَاثَةِ
حَائِطَانِ .

عَلَى الْأَرْضِ فِي الرُّوَّاقِ
مِظَلَّاتُهُمْ وَأَحْدِيَّتُهُمْ
وَمَلَأَ بِسُهُمِ الدَّاخِلِيَّةِ
وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي لَمْ يَقُولُوهَا .
فِي الْمَرَاةِ
فِي مُوَاجَهَةِ النَّافِذَةِ
كُوبٌ وَحِيدٌ
لَهُمُ الثَّلَاثَةِ .



قَدَّمَ عَلَى الْأَرْضِ
الْأُخْرَى عَلَى الْغَيْمِ
وَسَاعَةُ الْحَائِطِ مُتَوَقِّفَةٌ مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ .
وَفِي الْجَانِبِ الْآخِرِ أَبْوَابٌ ؛
الصَّيْحَاتُ الصَّيْحَاتُ
بِلَا أَعْلَامِ .

بَعْدَمَا يَزُولُ الْخَوْفُ
آتَيْدِ فَقَطْ سَيَقْتَرِبُ
الْأَخِيرُونَ
وَيَقُولُونَ "حَاضِرُونَ".
وَلَنْ يَسْمَعَهُمْ أَحَدٌ.



أَنْتِ يَا مَنْ تَبَحْتُ عَنِ الْحَقِيقَةِ
هُوَ الْحَائِطُ مَا تَبَحْتُ عَنْهُ .
الْحَجَرُ الْحَجَرُ الْآخِرُ الْآخِرُ .
فَلْتَسِنِدِ ظَهْرَكَ إِلَى الْحَائِطِ
أَوْ جَبِينِكَ
فَلْتَبَقِي وَاقِفًا هَكَذَا فِي اللَّيْلِ
مَعَ الْعُمَلَاتِ الْمَعْدِنِيَّةِ الصَّغِيرَةِ فِي جَيْبِكَ
الَّتِي لَا تُصْدِرُ أَيَّ صَوْتٍ
ذَهَبِيَّةً كَانَتْ أَمْ فِضِّيَّةً
بِلَا أَيَّةِ قِيَمَةٍ .
فَلَا أَحْلَامَ بَعْدَ الْآنِ .



ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ - يَقُولُ -

أُيْهَى الْأَحْمَقُ - يَقُولُ الْآخِرُ -

كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَجِيلٌ

بَلْ مَا هُوَ أَكْثَرُ

فِي الشَّعْرِ .

أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ - يَقُولُ -

فَالْمَجْدُ

انْتِقَامٌ عَامٌ .



جَسَدٌ

نَحِيلٌ كَعُودِ ثِقَابٍ

أَبْيَضٌ

مِنْ طَرْفِ الْأُفُقِ

إِلَى الْآخِرِ .

إِزَاءَ الْحِذَاءِ

عُصْفُورٌ قَتِيلٌ .

عَلَى السُّرَّةِ

مَسِيحٌ أَعْوَرٌ

يَبْكِي .



مَا تَأْتِي بِهِ - يَقُول -
لَا يَضَعُهُ أَحَدٌ فِي اعْتِبَارِهِ .
فَمَا تَحْذِفُهُ هُوَ مَوْضِعُ الِاعْتِبَارِ .
فَلْتغْسِلِ فِي المَطْبَخِ
أَطْبَاقَ خَادِمَتِكَ .
ذَلِكَ هُوَ أَنْ تَمْنَحَ مَا تَجْمَعُ .
الْحَادِمَةَ
أَمَامَ المَرَاةِ
وَمِشْطِكَ فِي يَدِهَا -
كَمْ شَعْرُهَا أَسْوَدَ وَخَشِنَ .
فَلْتغْسِلِ أَيْضًا الأَكْوَابَ
وَلتُعِدِ السَّرِيرَ
خَاصَّةً السَّرِيرَ .



قَاتِمَةٌ
هَذِهِ الأَجْسَادُ المَتَضَخِّمَةُ
تَمَامًا
الجِلْدُ لِأَسَدِ
الجَوَارِبُ مَرْمِيَّةٌ
الْمَنِي

السُّمُوعُ الأَرْبَعُ

المَسَامِيرُ

يَا إِلَهِي .



أَمَامَ هَذَا القَفْصِ الكَبِيرِ

فَلتَقُمُ بِالبَحْثِ

اخْلَعْ قُبَعَتَكَ

التَقِطِ العُمَلَةَ الصَّغِيرَةَ

مِنْ أَجْلِ هؤُلَاءِ الذِّينِ لَمْ يَمُوتُوا .

لَا قَبْلَ الأَوَانِ أَبَدًا - قَالَ -

نُصِبُ لِغَيْرِ المَوْتِ

هؤُلَاءِ الذِّينِ انْتَقَبَتْ أَغْطِيَتُهُمُ القَدِيمَةَ

بِفِعْلِ السَّجَائِرِ

وَالعِنَّةِ

وَالفَسْلِ المَتَكَرِّرِ .



بَعِيدًا بَعِيدًا لِلغَايَةِ

مُنْحَسِرًا

هَارِبًا مِنِّي

(مُقْتَرِبًا مِنِّي عَلَى الْعَكْسِ)

بِعَضَّةٍ فِي الصَّدْرِ

يُخَدِّشُ فِي الرَّقَبَةِ .

أَغْمُرُ الْيَدَ

فِي وَعَاءِ مَاءٍ

أَعْكِسُ الْحِكَايَةَ

الْمَاءُ يَحْمَرُ

التَّهْرُ يَحْمَرُ .

يَا لِأَسْمَاكِ الْمَاكِرِيْلِ الْهَارِبَةِ

يَا لِأَسْمَاكِ الْمَاكِرِيْلِ الْمُرْتَزِقَةِ .



فُقَارَاتٌ طَوِيلَةٌ

مِنَ الْمَطَّاطِ .

تَحْتَ السُّخَامِ الدَّمِ

الْوَسْخُ وَالصَّدَأُ .

يَدَاهُ نَظِيفَتَانِ تَمَامًا .

لَسْتُ طَبِيبًا مُوَلَّدًا - يَقُولُ -

وَلَا مَسْئُولًا عَنِ كُنُوسِ الْبَارَاتِ

أَنَا بِبَسَاطَةٍ فِي حَالَةِ حُلْمٍ .



طَرُقُ الْمَسَامِيرِ الَّتِي يَتِيمٌ دَقُّهَا
فِي ظَهْرِ الْمَرَاةِ
يَتْرُكُ شُقُوقًا
فِي الْقِنَاعِ الْمَصْفَرِّ لِلْقَدِّيسِ .
مِنْ هَذِهِ الشُّقُوقِ
تَنْهَمِرُ دُمُوعُهُ الْحَقِيقِيَّةَ
وَبُخَارُ الْعَرَقِ
وَالدَّمِ
وَالْحَطِيبَةِ الَّتِي لَمْ يَرْتَكِبْهَا .



هَيَّا بِنَا ، قَالَ أَحَدُهُمَا .
هَيَّا - قَالَ الْآخَرُ -
وَإِلَى أَيْنَ سَتَمْضِي ؟
هُنَا حَيْثُ سَرِيرِي
وَإِثْنَانِ مِنْ قُمْصَانِي
وَرُجَاجُ نَافِذَتِي الْمَكْسُورِ
وَحَائِطِي -
حَائِطِي أَنَا

حَائِطِي الْحَقِيقِي الْوَحِيد .



سَتَلْتَقِي بِي - يَقُول -
حِينَ يَفُوتُ الْأَوَانَ .
وَذَلِكَ لَيْسَ خَطَاكَ وَلَا خَطِيئِي .
فَالْأَوَانَ دَائِمًا يَفُوت .
فَلْتَسْأَلِ الْمَرْأَةَ
الَّتِي تُنْظَفُ الْعَدَسَ
فِي طَبَقٍ مِنْ خَرْفٍ .
(فَلْتَسْأَلِ) التَّمَثَالَ .
السُّؤَالَ أَيْضًا يَأْتِي بَعْدَ الْأَوَانَ بِكَثِيرٍ .



دَمُ الْقَمَرِ عَلَى الْوِسَادَةِ
الْحُبْرُ فِي الْعَسَّالَةِ
السُّلْحَفَاءُ الَّتِي تَخْتَبِي
- أَحْلَامٌ بِلَا جَدْوَى .
لَقَدْ أَقْسَمْتُ لِلْمَوْتِ - يَقُول -
قَسَمًا بِأَنِّي لَمْ أَبَالِ -
وَهَا هُوَ الْعِقَابُ .

مِن جَدِيدِ هُنَا
بِبَاطِنِ السَّكَاكِينِ
مَقْلُوبًا
وَهِيَ ذَائِبَةٌ فِي كُوبِي .



إِنْ لَمْ تَجِدْ وَسِيلَةَ الْمَوْتِ
فَلَا تَسْقُطْ رَغْمَ ذَلِكَ - يَقُولُ -
فِي الْكَذِبِ الْمَضَادِ .
دَعِ قِشْرَ الْبَيْضِ
كَدَلِيلٍ وَاصِحٍ عَلَى الْمَائِدَةِ
لَا تَدُسَّهُ
تَحْتَ السَّرِيرِ .
وَمَا لَمَّا أَنْتَ كُنْتَ جَائِعًا
فَأَنْتَ جَائِعٌ
وَتَحْنُ جَائِعُونَ .



عَجَائِزُ أَوْعَادُ بِسَجَائِرِ وَأَغْطِيَةِ
فِي غُرْفِ شَاسِعَةٍ غَيْرِ مَأْهُولَةٍ
صُورُ الْأَسْلَافِ فِي الرُّوَاقِ

بِبَلَاطِهِ الْمُكَسَّرِ
خُبُوطٌ مُعَلَّقَةٌ بِالمَسَامِيرِ
مِنْ حَائِطٍ إِلَى الْآخِرِ
وَالْوَصِيِّ

رَمَى بِسِرْوَالِهِ الدَّاخِلِيَّ عَلَى الْمُنْضَدَةِ
وَجِدَائِهِ عَلَى الْقَمَرِ .
وَالْفَيْثْرَانُ صَعَدَتِ السُّلْمُ .
أَهْ يَا دِيكَ الحَيَّانَةَ
يَا شَقِيقِي يَا الْمَزُورَّ يَا شَاهِدِي
جَنَاحَكَ الذَّهْبِيَّ عَلَى قُبْعَتِي
وَالْآخِرُ الْأَسْوَدُ فِي جَيْبِي .



لَيْلَةٌ عَرَجَاءُ يَتِيمَةٌ
كَمْ مِثْرًا مِنَ القُمَاشِ
القُطْنِيَّ الْأَبْيَضِ الْمُنَشَّى
لِخُضْمَدِ ذِرَاعِكَ الْمَكْسُورَةِ .
انْتَبِهْ إِلَى أَنَّ الْأَصَابِعَ السَّودَاءَ لَا تُرَى
وَالصَّرَاصِيرَ الْمَنُومَةَ
وَسَاعَةَ الْيَدِ فِي ذِرَاعِكَ
بَيْنَ أَنْصَافِ اللَّيْمُونَاتِ الْمَعْصُورَةِ .

وَجِينَ أَفْتَح - يَقُول -
بَابَ عُرْفَةِ الثَّوْمِ
مُصَدِّرًا أَقَلَّ صَوْتٍ مُمَكِّن
أَسْمَعَ أَنْفَاسَ
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَعُودُوا هُنَاكَ .
أَشْعِلُ الضَّوْءَ فِي الْحَالِ
وَأَكُحُّ عَلَى رَاحَتِي .



أَحَدَبٌ بِأَيْسَ
رُبَّمَا كَانَ وَسِيمًا
(لَا يَظْهَرُ وَجْهَهُ)
مَحْنِي
وَسَطَ أَحْذِيَّةِ الرَّبَائِنِ
وَسَطَ الْمَفَاتِيحِ الضَّائِعَةِ
وَالْمَنَادِيلِ الْوَرَقِيَّةِ لِلْمَسْوَاكِ .
رُبَّمَا كَانَ يُصَلِّي .
فِي مِعْصِمِهِ
سَاعَةً مِنْ صَفِيحِ
بِلَا عَقَارِبِ .



طَلَى الْمَنْزِلَ
وَالرَّصِيفَ وَالشَّجَرَةَ .
طَلَى وَجْهَهُ
فِي الْمِرْآةِ .
يَدْخُلُ الْمَوْتَى
مِنْ خَلْفِهَا
وَيُحْرِثُونَ الظَّلَاءَ .



أَبْيَضُ عَلَى أَبْيَضٍ
حَمْلٌ عَلَى ثَلْجٍ
لَا يُمَكِّنُكَ فَصْلَهُمْ .
نَفْسُ الشَّيْءِ مَعَ كَلِمَاتِنَا
الْمُخْتَارَةَ
عَلَى الْوَرَقِ .



المجد
هُوَ الظَّفْلُ الثَّانِي
لِلوَحْدَةِ .



هَذَا الطَّرِيقُ أَفْضَلُ .
دَائِمًا: هَذَا الطَّرِيقُ أَفْضَلُ .
فَلتَحْفَظْنَا مِنَ الْأَسْوَأِ ، يَا إِلَهِي .
فَلتَمَنِّحْني فُسْحَةً تَتَنَفَّسُ
بَيْنَ قَهْوَتَيْنِ
وَتَلَاثَةِ حُرُوبِ .



الْحَائِطُ أَصْفَرُ
وَالْمَسَامِيرُ سَوْدَاءُ .
تَنْزِعُ الْمَسَامِيرُ .
الثُّقُوبُ حُمْرَاءُ .



فَلتَنْظُرِ إِلَيْهَا مِنْ هَذَا الْجَانِبِ .
الغَيْمَةُ الثَّانِيَّةُ .
فِي أَحَدِ أَرْكَانِهَا
سَبْعَةُ صُلْبَانٍ صَغِيرَةٍ .
وَاحِدٌ لِكُلِّ رُكْبَةٍ لَكَ
لِكُلِّ كَفِّ لَكَ .

لِقَدَيْكَ .
وَالسَّابِعِ
عَلَى جَيْبِي .



يَا مَنْ تَبَحَثَ عَنِ الْحَقِيقَةِ
فَلْتَبَحَثْ عَنِ الْحَائِطِ .
الْحَجَرُ ، وَالْحَجَرُ الْآخَرُ ، وَالْآخَرُ .
فَلْتُحِنْ ظَهْرَكَ أَوْ جَيْبَكَ
إِلَى الْحَائِطِ
مُنْتَصِبًا فِي اللَّيْلِ
بِالْعُمَلَاتِ الصَّغِيرَةِ فِي جَيْبِكَ
بِلَا صَوْتٍ
ذَهَبِيَّةً أَوْ فِضِّيَّةً
بِلَا إِعَادَةٍ .
وَالْأَحْلَامِ .



الرُّخَامِيَّةُ الْقَاسِيَّةُ
(أَمِنْ تِمثَالِكَ ؟) -
تَنْظُلُ مُمَسِّكًا بِهَا فِي ذِرَاعَيْكَ

كَطْفَلٍ مَيِّتٍ -

تَثْقُلُ عَلَيْكَ

تِلْكَ الْيَدُ الْقَاسِيَةَ

الَّتِي أَشَارَتْ بِسَبَابَتَيْهَا

عَالِيًا ، عَالِيًا ، أَعْلَى

رُبَّمَا إِلَى الْحِدَاةِ

إِلَى الْعَيْمَةِ

أَوْ إِلَيْكَ .

أثينا، 1973-1974

يَنَامُ الطَّفْلُ مَعَ الْكَلْبِ
تَنَامُ الْمَرْأَةُ مَعَ الْحِصَانِ
يَنَامُ الرَّجُلُ مَعَ الْجَبَلِ
وَأَنَا أَنَامُ مَعَ تِمَثَالِي .
طُيُورٌ كَبِيرَةٌ فِي أَقْفَاصِ
فِي أَقْفَاصِ كَبِيرَةٍ خَضْرَاءِ
يُصْدِرُونَ صَخَبًا مُسْتَجِيلًا
يَمْنَعُونِي مِنَ النَّوْمِ .



أَيُّهَا الْقَصِيدَةُ الْعَاجِزَةُ
الْعَاجِزَةُ الْعَاجِزَةُ
بِلَا جَدْوَى .
الموتى
لَا يُبْعَثُونَ .

هُم مَوْجُودُونَ .



ذَلِكَ مَا سَوْفَ أَحَافِظُ عَلَيْهِ - يَقُولُ -

بِأَسْنَانِي وَأَطْفَائِرِي سَأَحَافِظُ عَلَيْهِ .

التَّسَاهُلُ : انْحِرَافُ

الغفران : جُبْنُ .

بَاقِي هُنَا .

الْأَعْمَى يُقَدِّمُ لِي سُتْرَتَهُ

أَرْتَدِيهَا مَقْلُوبَةً

أَشْتَرِي تَذْكَرَةَ قِطَارِ

أَعْبُرُ النَّفْقَ

أُرِيدُ أَنْ أُصَفِّرَ

وَلَا أُفْرِجُ أَسْنَانِي .



جَسَدٌ عَصِي

عَارٍ تَمَامًا فَوْقَ الْوَصْفِ

بِالْقَدِيدِينَ مُنْتَصِبِينَ أَيْضًا

عَصِي

بِالطَّلَقَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالخَارِجِيَّةِ

بِهَذَا الحُبِّ الأَزْرَقِ الظَّافِرِ
والمسْطَرِّينَ الكَبِيرِ فِي اليَدِ
وَهُوَ يَدِينُ بِالأَسْمَنِتِ
بِابْتِسَامَةِ المَسِيحِ الثَّانِي .



مُخْتَبِئًا

وَرَاءَ التَّمثالِ الصَّخْمِ لِزُبُوسِ
يَنْتَظِرُ إِطْفَاءَ النِّيرانِ
وَأَنْصِرَافَ الحُرَّاسِ .
انْعِكَاسُ أَضْوَاءِ الحَدِيدِقةِ
كَافٍ .
يَعْرِفُ كُلَّ تَفْصِيلَةٍ .
الرُّخَامُ الآنَ سَاخِنِ .
وَاليَدُ تَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ تَتَّجِهُ .



نَاسٌ غَارِقُونَ بِالمَطَرِ
أَبْوَابُ مُوصَدَةٍ أَضْوَاءِ مُتَكَسَّرَةٍ أَوْحَالِ
أَعْلَامٌ مُخْفِيَّةِ
لَا بُدَّ أَنْ تُغَيِّرَ رَأْيَكَ

أَنْ تَنْظُرَ فِي اتِّجَاهِ آخِرِ
أَنْ تَصِمْتَ
إِلَى أَنْ يَرْتَجِي الْفَكَانَ
إِلَى أَنْ يَكُفَّ الصَّمْتُ عَنِ الصَّرِيرِ .



وَصَلَ الْمُحَارِبُونَ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ
ثُمَّ الْآخَرُونَ وَأَيْضًا الْآخَرُونَ
وُجُوهٌ سَيِّئَةٌ الْحِلَاقَةُ
أَحْذِيَّةٌ مَبْلُوءَةٌ
خَوْفٌ .

كَانَ الْجَمِيعُ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْقِتَالِ
عَنْ هَزِيمَةٍ لَا أَحَدٌ
كَانَ الْجَمِيعُ يَلْزَمُونَ الصَّمْتَ
مَعَ الْمَوْتَى .
وَالسَّكِّينَ مَغْرُوسَةً فِي الْحَائِطِ .



بِالتَّأَكِيدِ مِنَ السَّهْلِ أَنْ تَخْدَعَ الْآخِرِينَ
لَكِنَّ أَنْ تَخْدَعَ نَفْسَكَ ؟
فِي لَحْظَةٍ أَنْ تَمِثِّي

حَيْثُ تَنْظُرُ أَمَامَكَ
تَنْظُرُ عَيْنَاكَ
الْمُنْتَقِلَتَانِ إِلَى خَلْفِيَّةِ رَأْسِكَ
مَدْفُونَتَيْنِ فِي شَعْرِكَ
وَمُغْمَضَتَيْنِ تَقْرِيبًا
تَنْظُرَانِ مُبَاشَرَةً فِيمَا وَرَاءَكَ
إِلَى نَفْسِ الْإِنْتِجَاهِ .



مَحْظُورَاتٌ عَقَبَاتُ تَحْرِيْمَاتٍ
وَأَنْتِ
بِمِسْوَاكِ
تَحْفُرُ الْحَائِطِ .
أَنْجَزْتَ الْحُفْرَةَ .
ضَوْءُ أَشْجَارٍ أَوْثُوْبِيْسِ .
فَلِمَاذَا يُغْمِضُونَ عَيْوْنَهُمْ ؟
أَمِنْ أَجْلِ الْآيَرُوْنِكَ ؟



ذَلِكَ الشَّيْءُ مَا
الْبَعِيدِ

عَصِيُّ الْمَنَالِ -
فَلَنَسْتَبْدِلَهُ
بِشَيْءٍ مَا قَرِيبٍ
فِي طَوْرِ الْاِكْتِمَالِ .
نَرَحَلُ . نَعُودُ إِلَى بِيُوتِنَا .
الْأَيْدِي فِي الْجُبُوبِ .
الْحَوَائِظُ مُتَدَاعِيَةٌ فِي السَّلَالِمِ .
وَالصَّمْتِ .



مُهَرَّبُونَ قَوَادُونَ انْتِهَازِيُو الْحُرُوبِ
هَوَائِيَّاتُ التَّلِيْفِزِيُونِ
قُبَعَاتٌ عَلَى الْمَدَاخِنِ
هُبُوطٌ أَرْضِي
صَرْفٌ صِحِّي مُهَشَّمٌ
طِفْلٌ مَعَ آلَتِهِ الْهَارْمُونِيكَا
انْتَبَهُوا انْتَبَهُوا
فَالْعُصْفُورُ لَيْسَ لَدَيْهِ
مَوَاطِيءُ قَدَمِ
وَهُوَ مُتَعَبٌ فِي السَّمَاءِ .



يُدُونُ أَنْ تُلَاخِظَ
أَنْ تُرَاقِبَ
فَلتُشَارِكِ فِي الْوَقَائِعِ وَالْإِشَارَاتِ الْأَكْثَرَ خَفَاءَ
وَرَاءَ الْأَبْوَابِ الْبَاهِتَةِ
وَالدَّرَاجَةِ الْعَتِيقَةِ
وَرَاءَ الْحَائِطِ الْقَصِيرِ ذِي الْقُرَاصِ
مَا تَزَالُ سَاخِنَةً مِنْ جَسَدٍ مَنْ امْتَطَاهَا .



الْعُرْفَةُ الْمُوجَّزَةُ
السَّتَارَةُ الْخَضْرَاءُ
الْمِصْبَاحُ الصَّبَاحُ
يَأْتِي الْوَلَدُ
يَتْرُكُ الْجَرِيدَةَ عَلَى الْمَنْضَدَةِ
وَالْقَهْوَةَ وَالْبُقْسَمَاطَ
الْمَسَامِيرُ الْخَمْسَةُ فِي الْقُبْعَةِ
وَيَرْحَلُ - هَلْ تَرَى ؟ -
بِلَا حِذَاءِ .
تَارِيخُ الْجَرِيدَةِ يَرْجِعُ إِلَى عَامِينَ .

لَكِنِّي عَلَى بُعْدِ كِيلُومِتْرَاتٍ مِّنْ هُنَاكَ .



الطَّبَقُ الَّذِي كَسَرْتَهُ
الْبَابُ الَّذِي خَلَعْتَهُ
الْحِجْرُسُ الْمَوْجُودُ أَعْلَى السُّلَّمِ
لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ
الْمِرَاةُ احْتَفَظَتْ بِالْوَجْهِ
بِأَحَدِ الْكَتِفَيْنِ
وَالْعُصْفُورُ أَعْمَى
ثُمَّ كَانَ الْمَوْتُ
ظِلَّ الْبَوَابَةِ
الَّتِي كَانَتْ تَنْغَلِقُ وَرَاءَنَا .



شَقٌّ أَحْمَرٌ فِي اللَّحْمِ
عَمِيقٌ
دَاكِنٌ الْحُمْرَةَ
شَكْلٌ مُتَحَرِّكٌ
شَرِهٌ -
الْجَسَدُ الْإِنْسَانِي بِلَا انْتِهَاءٍ .

مِن كَلَابٍ إِلَى آخِرِ
حَبْلٍ أَصْفَرِ
الْمَلَابِيسِ وَالْأَحْذِيَّةِ مُعَلَّقَةٍ
حَيَوَانَاتِ الْجِزَارَةِ مَخْفِيَّةٍ .
وَفِي الْأَسْفَلِ
الْفِئْرَانُ جَيِّدَةُ التَّغْذِيَةِ
وَالْمَوْتَى شَرِّهُونَ .



الْحَطَأُ الْأَفْدَحُ
هَذَا الْاسْمُ الْمَشَدَّدُ
عَلَى حَاقَّةِ عُلْبَةِ السَّجَائِرِ .
وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ذَرِيْعَةً مَا
ذَلِكَ إِلَّا "أَتَذَكَّرُهُ"
مِنَ الْأَفْضَلِ قَوْلُ "أَفْضَلُ إِلَّا أَتَكَلَّمَ عَنْهُ"
الْكُوبُ الَّذِي يَنْكَسِرُ
الدَّمُ عَلَى الرَّصِيفِ
وَبَائِعَةُ اللَّبَنِ الصَّغِيرَةِ
الَّتِي تَعُودُ فِي الْمَسَاءِ
بِحَمْسِ عَشْرَةِ زُجَاجَةٍ فَارِغَةٍ .
مُلَاحَظَةُ حَزِينَةٍ لِلْغَايَةِ .

وَالْحِسَابُ مَوْجُودٌ .



الْوَرْدَتَانِ عَلَى الْكُرْسِيِّ
الدُّبَابَةُ عَلَى الْكُوبِ
وَضَعِيفُ السَّمْعِ الَّذِي كَانَ يَصْرُخُ
"لَقَدْ سَمِعْتُ لَقَدْ سَمِعْتُ"
فِيمَا لَمْ تَكُنْ قَدْ قُلْتَ شَيْئًا .



يَا إِلَهِي - يَقُولُ فِي صَوْتٍ خَفِيفٍ -
لَا تَنْتَظِرِ التَّنَاسُخَ
لَا تَبْحَثْ عَنْهُ -
يَقُولُ وَهُوَ مُمَدَّدٌ عَلَى ظَهْرِهِ
فِيمَا يَرَى الْفَأْرَ
يَشْرَبُ زَيْتَ الْمِصْبَاحِ .
الرَّيْحَانُ الْأَبْطَأُ
لَمْ يَمُرْ أَبَدًا خَارِجَ الْقُضْبَانِ
وَالْحَيْطُ الْأَخْضَرُ
مُعَلَّقٌ بِالسَّقْفِ
بِلَا أَيِّ مُبَرَّرٍ .



يَحْشُرُ قُبَعَتَهُ حَتَّى الْأُذُنَيْنِ

وَجِيدٍ

يَخْرُجُ مِنَ الْبَابِ

يَجْلَعُ قُبَعَتَهُ

الرِّيحُ تَعْبَثُ بِشَعْرِهِ

هُنَاكَ شَمْسٌ

مَتَاجِرٌ لِلْأَشْجَارِ

مِشْطٌ عَلَى الرَّصِيفِ .

إِذَنْ فَهُوَ حَقِيقِي . ذَلِكَ حَقِيقِي تَمَامًا .



حِينَ تَمَّ اسْتِنزَافُهَا تَمَامًا ،

كُلُّ الدَّرَائِعِ

كُلُّ وَسَائِلِ التَّنَكُّرِ ،

خَلَعُوا مَلَابِسَهُمْ

ظَلُّوا وَاقِفِينَ

حَتَّى لَا يَرَاهُمْ أَحَدٌ .

خَارِجَ النَّافِذَةِ

كَانَ الْمَحْصَلُ يَطْرُقُ الرُّجَاجَ

بِظْفِرِهِ .



سَيِّدَةٌ عَجُوزٌ بِلَا أَسْنَانَ
تِلْكَ الَّتِي تُغْرِقُ الْقِطْطَ الْوَلِيدَةَ
فِي الدَّلْوِ
تُطَلِّقُ صَرَخَاتٍ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ
تُطَلِّقُ صَرَخَاتٍ
الْجَمِيعُ هَرَمُونَ مِنْ قَبْلِ الْوِلَادَةِ
الْجَمِيعُ مَوْتَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوَلَّدُوا -
مَعَ إِبْرَةِ خِيَاظَةٍ كَبِيرَةٍ
تُسَمِّرُ الْجَنَادِبَ فِي الْحَائِطِ
تَثْقُبُ الْأَبْوَابَ -
فِي الدَّخْلِ يَعْرِفُونَ عَلَى الْجِيْتَارِ ؛
لَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا .



لَمْ أَكُنْ أُرِيدُ أَنْ تَقُولَ ذَلِكَ .
إِذَنْ فَلِمَ إِذَا
أَقُولُهُ أَنَا لَكَ ؟
المسَاءُ شَيْءٌ بَالِغُ الْحُزْنِ

وَفَجَاءَ يُشْفَى الْمَرَضَى
يَخْرُجُونَ إِلَى الْحَدِيقَةِ
يَجْلِسُونَ عَلَى الدَّكِّ .
مَسْمُوعٌ صَوْتُ تَدْفُقِ الْمَاءِ
الَّذِي يُرْوِي السَّوسَنَ وَالتَّمَائِيلَ .



مَنْ يَفْرَعُونَ الطُّبُولَ
طَوَالَ النَّهَارِ فِي اكْتِمَالِ الشَّمْسِ
مِنْ وَقْتِ لَأْخِرِ يَنْسَجِبُونَ
إِلَى جَانِبِ الشَّارِعِ
يَبُولُونَ
دُونَ أَنْ يَتَوَقَّفُوا عَنِ قَرَعِ الطُّبُولِ .
الْإِيقَاعُ يَتَغَيَّرُ
الْمَوْكِبُ يَرُصُّدُ الْخُطْوَةَ
وَسَاعَةُ الْكَاتِدْرَائِيَّةِ
لِلْمَرَّةِ الْخَامِسَةِ
تُشِيرُ إِلَى الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ وَدَقِيقَةَ .



فِيمَا لَمْ يُشْعِلُوا أَيَّ ضَوْءٍ

سَمِعُوا فِي الرَّوَّاقِ
الدَّقَاتِ بِالِغَةِ الرَّهَافَةِ
لِسَاعَةِ الحَائِطِ
لِلتَّيَّارِ الكَهْرِبَائِيِّ .
أَهْكَذَا كَانُوا مُذْنِبِينَ ؟
أَشْعَلُوا كُلَّ الأَضْوَاءِ
لَمْ يَعُودُوا يَسْمَعُونَ أَيَّ شَيْءٍ .
وَعَلَى الأَرْضِيَّةِ كَانَتْ تَتَوَهَّجُ
قُشُورُ الأَسْمَاكِ .



نَظَرَ هُنَالِكَ
المَدِينَةَ مُضَاءً .
أَدْرَكَ .
عَاصِمَةً جَمِيلَةً
حَيْثُ يَخْتَفِي
لُصُوصُ الأَقَالِيمِ البُؤْسَاءِ
وَالفَتَيَاتُ اللَّائِي يَمْضِينَ حَزِينَاتٍ
وَالحَلَّاقَاتِ
وَالأَوْلَادُ الفَاشِلُونَ
فِي امْتِحَانَاتِ دُخُولِهِمُ الجَامِعَةَ

وَرَاءَ الْجِدَارِ الطَّوِيلِ
لِشَعَارَاتٍ مُنْظَفِيَّةٍ .
فِي الضَّوَاغِي البَعِيدَةِ
قِطَارٌ خَارِجٌ عَنِ مَسَارِهِ -
يَرْكُضُونَ لِلِاسْتِيْلَاءِ عَلَى أَكْيَاسِ الطَّحِينِ
تَارِكِينَ المَوْتَى .



أُولَئِكَ المَلْفُوفُونَ فِي كَفَنٍ
قُمَاشُهُ مُتَّسِخٌ
صَدَمَاتُ المِطَبَّاتِ
التَّلِيْفُونَ فِي العُرْفَةِ الأُخْرَى
كَأَنَّ يَرِنَ كَشَخِصٍ مَمْسُوسٍ
وَلَا عِبُو كُرَةَ القَدِيمِ الحَمْسَةِ
عَلَى رَصِيفِ المَقْهَى
وَطِفْلُ التَّجَارِ بِالتَّبَنِّيِ
الَّذِي يَرْفَعُ إِصْبَعِيهِ الاثْنَيْنِ
فِي شَكْلِ V
مِثْلَ مِقْصِ أُودِيبِ -
قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ فِي حَلَقَاتٍ .



وَعُودٌ لَمْ تَتَحَقَّقْ
وَعُودُهُ لِلْآخِرِينَ
وَضَعَ إِصْبَعًا
عَلَى شَفْتَيْهِ
يَقْضِيهِ
فَيَمْتَلِئُ فَمُهُ بِالْذَّمِّ
يَبْصِقُهُ عَلَى الْجَرِيدَةِ .
تَحْتَ الْجَرِيدَةِ
كَانَ الصَّمْتُ يَتَمَدَّدُ مُنْبَسِطًا .



يَعِيشُ الْجُنْدُبُ الْخَائِفُ
عَلَى شَمْعَدَانِ الْكَنِيسَةِ
إِلَى سَاعَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ حَقًّا .
السَّاعِي
طَرَقَ الرُّخَامَ بِعُكَّازِهِ
انْطَفَأَتِ الْأَنْوَارُ .
دَخَلَتِ النِّسَاءُ التَّكَالِي
وَرَاءَ الدُّخَانِ الْوَرْدِيِّ .

مَا إِنْ أَدْرَكَ الْآخِرَ
حَتَّىٰ انْتَهَىٰ كُلُّ شَيْءٍ
وَجَاءَ دَوْرُهُ
لِيُلْقِي بِالْكَلِمَةِ .



أَغْلَقَ بِالْمِفْتَاحِ
وَأَحْكَمَ مِزْلَاجَ الْبَابِ
وَضَعَ أَيْضًا حَجْرًا
وَسَدَّ الثُّقُوبَ .
هَكَذَا مِنْ أَيْنَ سَيَتِمُّ الدُّخُولُ ؟
أَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَحْرَى
لَوْ فَكَّرَ فِي الْإِغْلَاقِ مِنَ الْخَارِجِ
وَهُوَ مَحْبُوسٌ بِالِدَّاخلِ ؟



مَا يُقَالُ إِنَّهُمْ مُحْتَالُونَ
يَبِيعُونَ بِأَسْعَارِ التَّهْرِيبِ الْمَرْغُومِ
خَارِجِ الْمَنَافَسَةِ كَمَا يُقَالُ
الْأَغْطِيَّةَ الْمَنْقُوشَةَ بِأَرْخَصٍ مِنَ الْحَيِّ
مَلَا حَاتٍ مَنْزِلِيَّةً قُمْصَانًا أَمْشَاطًا

كُولُونِيَّاتِ جَوَارِبِ أَقْفَاصِ طُيُورِ
طُيُورًا بِأَجْنِحَةٍ مُلَوَّنَةٍ
وَتَمَّةَ رَجُلٍ عَارٍ
جَرِيحٌ كَمَا يُقَالُ
وَمَلْفُوفٌ فِي بَطَانِيَّةِ حَمْرَاءِ .



قَمَرٌ أَبْيَضٌ مُنْتَفِخٌ
قَارُورَةٌ زَرْقَاءُ مَكْسُورَةٌ
قِطَّةٌ مَيِّتَةٌ فِي الْقِمَامَةِ
حَجَرُ الْمَوْتِ فَادِحُ الثَّقَلِ -
كَانَتْ لَدَيَّ فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ عَنِ قَصِيدَةٍ
فِي الْأَسْفَلِ فِي أَرْضِ الْمَلْعَبِ مَعَ الزُّهُورِ الْبَرِّيَّةِ
مَعَ الزُّنْبُرُكَاتِ الصَّدِيدَةِ
مَعَ الْقَمِيصِ الْمَمْرُوقِ لِلْأَعْبِ كُرَّةِ الْقَدَمِ .
فِي النَّهَائِيَةِ فَضَلْتُ التَّمَثَالَ
ذَا الْإِبْهَامِ الْمَقْطُوعِ .



أَدْرَكَ خَطَأَهُ
وَاعْتَرَفَ .

الآن هو موثوقٌ وفخورٌ تمامًا
وأكثر وسامةً بالتأكيد .
يحك أسنانه الأمامية
بظفره .
ولديه زوجان من الجوارب
جديدان تمامًا .



رَبَّاتُ بُيُوتِ قَبْلِ الْأَوَانِ
تَتَهَدَّلُ أَنْدَاؤُهُنَّ
مِنْ عَامٍ لِآخِرِ حَمَلٍ زَائِفٌ أَوْ إِجْهَاضُ
هُنَّ مَنْ يَمَسُحْنَ
السَّلَالِمَ الْكَبِيرَةَ
حَتَّى وَقْتِ مُتَأَخَّرٍ مِنَ الْمَسَاءِ
عَجَائِزُ "تُوسَانَ" -
بِالْحَارِجِ يَتَقَدَّمُ الْمَوْكِبُ بِالمَشَاعِلِ
بِالقُضْبَانِ الذُّكُورِيَّةِ الْكَبِيرَةِ مِنْ خَشَبٍ
وَالظَّلَالِ الَّتِي يَعْكِسُونَهَا بِفِعْلِ التَّوَافِدِ الرَّجَاجِيَّةِ عَلَى الخُطُواتِ
كَانَتْ بِالنَّسْبَةِ لَهُنَّ بُقْعًا بَدِيئَةً
تَرْجِعُ بِالتَّأَكِيدِ إِلَى تَقْصِيرِهِنَّ
بِحَيْثُ يَنْبَغِي عَلَيْهِنَّ غَسْلُ السَّلَالِمِ

بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَاءِ مَرَّةً أُخْرَى .



أَنْ تَتَكَلَّمَ أَوْ لَا
ذَلِكَ

ثَابِتٌ سَاكِنٌ هُنَا .

ضَعُ أَوْ رَأَقَكَ

تَحْتَ هَذَا التَّمَثَالِ الصَّغِيرِ الْجَمِيلِ مِنْ بَرُونز

خَشِيَّةٌ أَنْ تَنْفَتِحَ النَّافِذَةُ

خَشِيَّةٌ أَنْ تُطِيحَ بِهَا الرِّيحُ .

عَلَى الْأَقْلِ فَسَتَجِدُ هَكَذَا

الْعِبَاءَ عَلَى كَتِفِكَ

أَكْثَرَ احْتِمَالًا .



قِطَارُ اللَّيْلِ

بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَضْوَاءِ

يَعْبُرُ السَّهْلَ الْهَادِيَّ .

فِي الْعَرَبَةِ الثَّانِيَةِ

الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ ذَاتُ الْيَدَيْنِ الْمَتَّسِخَتَيْنِ تَنَامُ

عَلَى سَلَّةٍ فُسْتُقِهَا .

صُورٌ لَطِيفَةٌ - قَالَ -

حَزِينَةٌ

مُعَزِّبَةٌ

تَعْرِضُ شَيْئًا آخَرَ -

لَا الدَّمَّ

لَا الطَّعْنََةَ

لَا التَّجَمَّ الْعَصِي .



كَلِمَاتٌ غَيْرُ مُتَّاحَةٍ

طَنَانَةٌ

مُتَنَائِرَةٌ .

بَابُ مَكْسُورٍ

وَتَائِنٍ وَتَائِلِثٍ وَخَامِسٍ .

فِي الشَّارِعِ أُضِيئَتِ الْأَنْوَارُ ،

الصَّرَاصِيرُ تَتَعَارَكُ فِي المَطْبَخِ .

مَا الَّذِي يَسْمَعُهُ الْأَعْمَى مِنَ الْآخِرِ ؟ -

يُخْرِجُ مَنْدِيلَهُ مِنْ جَيْبِهِ

يَتْرُكُهُ عَلَى المَنْضَدَةِ .

فِي فَمِ الْأَعْمَى تَلْتَقِي

الصَّلَاةُ بِالتَّجْدِيفِ .

وَأَنْتَ تَجْلِسُ بِالْمَقْلُوبِ
عَلَى الْكُرْبِيِّ
تَنْظُرُ فِي اتِّجَاهِ آخَرَ
لَا تَنْسَى .



الْأَشْيَاءُ بِسَيْطَةِ .
بِالتَّأَكِيدِ بِالتَّأَكِيدِ - قَالَ الثَّانِي -
طَالَمَا أَنَّهُنَّ لَا يَسْتَطِيعْنَ الْقِيَامَ بِشَيْءٍ آخَرَ .
وَأَنْتَ تَقْضُمُ الْخُبْزَ
وَتَلْتَمِعُ السَّكِّينَ
تَدْخُلُ الشَّمْسُ مِنَ النَّافِذَةِ
وَفِي الشَّارِعِ يَصِيحُونَ
بِإِيعَةِ الْأَعْشَابِ وَالسَّمَائِكِ وَالطَّحَّانِ
كُلُّ وَاحِدٍ بِصَوْتِهِ
وَالثَّالِثُ بِالصَّمْتِ .
وَأَنَا أَسْمَعُ .



كَانَ السَّجْنُ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ
وَمِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى أَيْضًا .

في الوَسَطِ
الألواحُ الحَشَبِيَّةُ والمَسَامِيرُ والمعولُ
الرَّافِعَةُ الصُّلبِ الكَبِيرَةُ
المرأةُ المشروخَةُ
عُرْفَةُ قِرَاءَةِ البَحْتِ
في الأعلى أيضًا
الطَّائِرُ المَدَجَّجُ
مُتَأَهَّبٌ لِمَوْتِهِ .



وَقَعَ كُلُّ شَيْءٍ - قَالَ - بِالْخَطَأِ .
نَحْنُ وَحَدَنَّا كُنَّا مَعْصُومِينَ
بِأَسَاوِرِنَا الدَّهَبِيَّةِ
فِي الْأَذْرُعِ وَالْأَقْدَامِ
عَرَايَا
دُونَ أَنْ نَدْرِي
بِالْحَدَادِ وَلَا الصَّائِغِ .
(حَقًّا بِدُونِ مَعْرِفَةٍ بِهِمَا ؟)
عَلَى آيَةٍ حَالٍ فَذَلِكَ الَّذِي طَرَحَ السُّؤَالَ
لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُهُ .



هَذِهِ اللَّيْلَةَ نَفْسَهَا .

بَعْدَ الْحَرِيقِ بِقَلِيلٍ

فَتَّحَ فَكَّيْهِ

بِلَا أَسْنَانٍ

الْحِصَانُ الْحَشِي

الْأَجُوفُ الضَّخْمُ

بِلَا جُنُودٍ فِي فَرَاعَاتِهِ

وَتَكَلَّمَ :

أَهْمُ الطُّرُودِ الَّذِينَ مَنَ خَدَعْتُمُوهُمْ

أَمْ بِالْأَحْرَى قَدْ خَدَعْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ؟

كَانَ الدَّمُ يَنْسَابُ حَتَّى الشَّاطِئِ فِي الْأَسْفَلِ .



سُونَاتَا ضَوْءِ الْقَمَرِ

[1]

- رفعت سلام.....ربما.....5
- يانيس ريتسوس.....الأعمال الكاملة.....15
- لوي أراجون.....تحيةً إلى ريتسوس.....19

إييتافيوس (1936).....25

حلم ظهيرة صيف (1938).....51

سُونَاتَا ضَوْءِ الْقَمَرِ (1956).....69

تمرينات (1950-1960).....87

- التمائيل 89؛ انتصاراً قاتل 90؛ شجاعة أم جهل 91؛ بعد النيران 92؛ الظالم 93؛ خطيب بروليتاري 94؛ تبادلات 95؛ جمال 96؛ واقعة 97؛ إلى وجهة مجهولة 98؛ توضيحٌ ضروري 100؛ نضوح 102؛ طفل قصير النظر 103؛ حياة 104؛ تحقّق 105؛ ليلة رجلٍ وحيد 106؛ امرأةٌ قروية 108؛ هكذا دائماً 110؛ تناقضات 111؛ حصاد الفراغ 113؛ ظهيرة 114؛ أعجوبة 115؛ سائقو

[546]

كارو يونانيون 116؛ سؤال 118؛ رسّام تجريدي 120؛ عودة هارب 121؛ لحظة
123؛ مُداوأة 124؛ صيّاؤون 125؛ بالمصادفة 126؛

شجرة السجن والنساء (1962).....127

شهادَات (1957-1963).....139

خطرُ داهم 141؛ انتصارُ جديد 142؛ ذِكرى 143؛ بناؤون 144؛ المسموع
وغير المسموع 145؛ مواجهةُ أمينة 146؛ امتِثال 147؛ من أجل دقّة أكبر
149؛ منظور 150؛ الأبله 151؛ اتفاقٌ صامت 152؛ نهاية نهار 153؛ معرفة
الغامض 154؛ اللّص 155؛ في النسيان 157؛ تفسيرات خاطئة 158؛ معرفة
159؛ مُدرج قديم 160؛ حتى الفجر 161؛ شجرة 162؛ عمليّة 163؛ صُعود
164؛ أحجار 165؛ مكانٌ خاص 166؛ نَدَم 167؛ نموذج من الجبس 168؛
لحظةُ أسمى 169؛ صَباح 170؛ صَيْف 171؛ تدقيق 172؛ تقريبًا ساحر
173؛ احتياجٌ إلى برهان 174؛ إزاحة 175؛ يومٌ شخصٍ عليل 177؛ المشبوه
178؛ جسد الرّيح 179؛ اعترافٌ صغير 180؛ بلا ترويض 181؛ أصيل 182؛
رسول 183؛ الوجه العكسي 184؛ بعد الاحتفال 185؛ طواويس بيريلامبيس
186؛ اللذة الحسية الأولى 187؛ اختيَار 188؛ في منزل ناوسيكَا 189؛ تدرّجات
191؛ تفاصيل عادية 192؛ شهر التنظيف 193؛

اثنتا عشرة قصيدة إلى كفافيس (1963).....195

مكان الشاعر 197؛ المصباح 199؛ مصباحه قُرب الفجر 201؛ إطفاء المصباح
203؛ نظارته 205؛ أماكن الملاذ 206؛ عن الشكل 208؛ سُوء فهم 210؛
الغسق 212؛ الساعة الأخيرة 214؛ ما بعد الموت 216؛ تقييم 218؛

فيلوكيتيت (1963-1965).....219

أحجار (1968).....255

انحلال 257؛ لا تكون 258؛ قال 259؛ بلاغات 260؛ لا، لا 261؛
حصار 262؛ طمانينة 263؛ بلا جواب 264؛ اختناق 265؛ رُشد 266؛
إدراك متأخر 267؛ عُري 268؛ فِلاحة 269؛ غير المقبول 270؛ نحو ماذا؟
271؛ غريزة 273؛ بسيط وعصي 274؛ منهج التفاؤل 275؛ تأجيلات 276؛
بهذه الأحجار 277؛ شيخوخة 278؛ توسع 279؛ بلا ثقل موازن 280؛
فوتوغرافيا 281؛ إدانة مزدوجة 282؛ الجرس 283؛ مصير عادي 284؛
منتصف الليل 285؛ سرطان البحر 286؛ خاتمة 287؛ صمت 288؛ ليل
289؛

أجائمنون (1966-1970).....291

تكرارات (1968-1969).....315

قُبور الأسلاف 317؛ بعد الهزيمة 319؛ آل السيمين 321؛ تفاحات هيسبريديس I
323؛ تفاحات هيسبريديس II 325؛ بعد انهيار معاهدة اللاكيدايمونيين
والأثينيين 326؛ الرقصة الجديدة 328؛ فيلوميل 330؛ نيوي 331؛ الجزة
الذهبية 333؛ تالوس 335؛ أخيل بعد الموت 337؛ ياس بنيلوب 339؛ اختيار
ماريسا 341؛ عازف الناي 343؛ القضية الفعلية 344؛ حرف العطف "أو"
345؛ النماذج 347؛ تأبين 348؛ إلى أورفيوس 349؛

الحائط في المرأة (1967 - 1971).....351

رؤية عامة 353؛ بياض 354؛ امتياز 355؛ ابتهاج 356؛ تنازلات متبادلة
357؛ اعتدال 358؛ دُمى من شمع 359؛ الألم الحفي للديكور 360؛ عرضاً
361؛ عودة 362؛ نوفمبر 363؛ بمعنى أو بآخر 364؛ شذرات 365؛ حدود

366؛ أداة تعبير 367؛ بلدنا 368؛ الحاجة للتعبير 370؛ حيرة 371؛ قصيدة
صغيرة 372؛ حُزن 373؛ موكب المساء 374؛ تغيرات في العادات 375؛ أفق
376؛ أخطار 377؛ ملاحظة ربيعية 379؛ عمق 380؛ مكاسب إضافية
381؛ ليلة من أبريل 382؛ ساحة 383؛ سوء فهم 384؛ حضور 385؛ آثار
خُطى 386؛ أخطاءً طوعية 387؛ اختراع المركز 388؛ لا مزيد من ذلك 389؛
أكان لهما وجود؟ 390؛ قَصْرَ نظر 391؛ بصيرة 392؛ مع الريح 393؛ ملائكة
الليل 394؛ ستارة 395؛ بير البهلوان 396؛ أرض محرّمة 397؛ حتميات
398

هيلين (1970)..... 399

الرّواق والسّلام (1970)..... 435

فحسب 437؛ اللّاء مخبوء 438؛ ما الجدوى؟ 440؛ بصورة محتومة 442؛ حلول
وسطية 444؛ لِمَ السّؤال؟ 446؛ الدّراج 447؛ عَرَضًا 449؛ المعنى نفسه 450؛
المرفُوض 451؛ الشخص المنحاز 453؛ الأساسيات 454؛ تُقب 455؛ تأبين
456؛ في الحديقة القديمة 458؛ مآلات 459؛ سلوكٌ محسوب 460؛ رواق
461؛ حادثةٌ عادية 462؛ ربيعٌ ريفي 463؛ طلاءٌ أبيض 464؛ تجارب 465؛
السّلام 466؛

تلميحات (1970 – 1971)..... 467

قصائد ورقية (1970-1974)..... 477

